

عبد السلام هارون

تهذيب

سيرة ابن هشام

بإذن خاص من المؤلف
بها إضافات وتنقيحات جديدة

دار البحوث العلمية
الكويت

مؤسسة الرسالة

تَهْذِيبُ
سَيَرَةِ ابْنِ هَشِيمٍ

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الرابعة عشر
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م

الكويت - شارع فهد السالم - عمارة الاوقاف رقم ٤
ص.ب: ٢٨٥٧ - هاتف: ٤١٤٢٢٠

دار البحوث العلمية

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحه
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشمران



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

نورٌ وهَّاجٌ أَفْضَى إِلَى ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالْوُثْنِيَّةِ
فَانْجَابَتْ كَمَا يَنْجَابُ الْغَمَامُ ، وَهُدًى مِنْ اللَّهِ أَرْسَلَهُ
إِلَى هَذِهِ الْإِنْسَانِيَّةِ الضَّالَّةِ فَاَنْتَشَلَهَا مِنْ ضَيْعَةٍ
وَأَنْتَاشَهَا مِنْ هَلَاكِ ، وَأَنْقَذَهَا مِمَّا كَانَتْ تَتَخَبَّطُ
فِيهِ مِنْ دِيَاجِيرِ الظَّلَامِ وَعَقَابِيلِ الضَّلَالِ .

كَانَتْ حَيَاتُهُ ﷺ صَفْحَةً عَرِيضَةً مِنْ
صَفْحَاتِ الْجِهَادِ لِإِنْقَازِ هَذِهِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَمِثْلًا
صَادِقًا مِنْ مِثْلِ الْبِرِّ وَالْمَرْحَمَةِ ، وَسِيرَةً عَالِيَةً
سَامِيَةً فِي مَعَامَلَةِ الْخَالِقِ وَمَعَامَلَةِ الْمَخْلُوقِ ، تَلْمَعُ
أَضْوَاءُ هَذِهِ السَّيْرَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي يَقُولُ :
« وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » ، وَفِي آفَاقِ الْكُتُبِ
الْوَثِيقَةِ الَّتِي خَطَّهَا الْعُلَمَاءُ مِنْذُ الْقَدَمِ ، مُتَضَمِّنَةً
نَفَحَاتٍ مِنْ هَذَا الْعَطْرِ ، وَوَمَضَاتٍ مِنْ ذَلِكَ
الْإِشْرَاقِ .

ﷺ ، وَرَضِيَ وَأَنْعَمَ .

تقديم

التاريخ والسيرة :

لم يعرف التاريخ في جاهليتهم إلا ما توارثوه بالرواية ، وكانت طبيعة التاريخ حينئذ مسيرة لطبيعة الحياة العربية ، ففيه مفاخر الآباء والأجداد ، من بطولة ومن كرم ومن وفاء ، وفيه الأخبار تدور حول الأنساب والأحلاف ، وفيه ما صنعوا من حديث يذكر تاريخ البيت وسدنته ، وزمزم وانبعاشها ، وأنباء جرهم وأمرأ قريش ، وسد مأرب الذي انبثق فتفرق القوم إثره في البلاد ، وما كان من أخبار الكهان وأسجاعهم ، ونحو ذلك مما يصور حياتهم الاجتماعية والسياسية والدينية .

وجاء الإسلام وتلك الأخبار تروى ، وتلك الأنباء تؤثر ، ثم وجدوا في ظهور دعوة الإسلام وما سبقها من إرهاب بالنبوة ، ومن حياة الرسول الأولى ونشأته الكريمة ، وما تلا ذلك من أنباء الرسالة وأنباء المسلمين أصحاب رسول الله ، وأخبار أعداء رسول الله ، وسيرة رسول الله في المسلمين والمشركين والنصارى واليهود ، مادة غزيرة النبع واسعة الآفاق ، فتداولوا بينهم تلك الأخبار من طريق الرواية كذلك ، وكان القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام الأصحاب ، سجلاً حافلاً لتلك الحياة الجديدة .

كان القرآن مكتوباً ، ولكن الحديث النبوي ظل دهرًا طويلاً في منأى عن الكتابة ، لا يعرفه الناس إلا رواية موثوقاً بها ، ولم يجرؤ أحد أن يكتب الحديث بصفة عامة ، استجابة لما ورد في حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : « لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن ، فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمححه » .

وكانت الحكمة في هذا ظاهرة ، وهي الخشية من أن يختلط الوحي بحديث الرسول في أثناء نزول الكتاب ، وواضح أن هذا الأمر إنما كان يقصد به المحافظة على هذا الغرض الكريم ، وكان بلا ريب مؤقتاً بتزول القرآن . وظل الأمر كذلك حتى كانت أيام عمر بن عبد العزيز ، الذي ولي الخلافة من سنة ٩٩ إلى سنة ١٠١ . ويذكرون أنه ظل يستخير الله أربعين يوماً في تدوين الحديث ، فخار الله له ، وأذن لأبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم في تدوين الحديث فدون ما كان يحفظه ، في كتاب بعث به إلى الأمصار . وكان أبو بكر هذا قاضياً ووالياً على المدينة ، وتوفي سنة ١٢٠ .

كما أمر عمر بن عبد العزيز أيضاً محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، شيخ مالك ، أن يدون حديث رسول الله ، فصنع في ذلك كتاباً .

واستمر المسلمون من بعد ذلك يؤلفون في الحديث ، لا تتقيد كتبهم بنهج خاص في التنسيق والترتيب ، بل يجمعونها كما يتفق لهم ، وقد يصنف أحدهم كتاباً في باب خاص من أبواب التشريع ، ثم تدرج التفسير فالفيناهم يربون كتب الحديث ويفردون من ذلك أبواباً خاصة لأخبار الرسول ﷺ يذكرون ما كان من أمر ولادته ورضاعه وما بعدها إلى البعثة ، ثم يفصلون أحواله بعد ذلك في مكة ، من دعوته قريشاً إلى دين الله ، وصبره على إيذائهم له ولأصحابه ، ويتناولون أخبار الغزوات والسرايا وما أشبه ذلك من أمور الجهاد . وانطلق المؤرخون في سبيل آخر يؤلفون في التاريخ كتباً عامة ، وقد ينحصر أحدهم تاريخاً لحياة الرسول الكريم ، يشبعون بذلك ميولهم الدينية الخاصة ، التي ترى في الرسول - لا ريب - قدوة المسلمين ، وهدى المهتدين .

مؤلفو السير :

فكان أول كتاب السيرة عروة بن الزبير بن العوام (٩٢) ، وأبان بن عثمان (١٠٥) ، ووهب بن منبه (١١٠) ، وشرحبيل بن سعد (١٢٣) ، وابن شهاب الزهري (١٢٤) ، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم (١٣٥) .

وقد بادت كتب هؤلاء جميعاً ، لم يبق منها إلا أشلاء متناثرة في بطون كتب التاريخ كتاريخ الطبري ، وإلا قطعة من كتاب وهب بن منبه محفوظة في مدينة هيدلبرج بألمانيا .

ثم جاءت طبقة من المؤلفين كان أشهر رجالها موسى بن عقبة (١٤١) ومعمار ابن راشد (١٥٠) ، ومحمد بن إسحاق (١٥٢) .

وطبقة أخرى كان منها زياد البكائي (١٨٣) ، والواقدي صاحب المغازي (٢٠٧) ، وابن هشام (٢١٨) ، ومحمد بن سعد صاحب الطبقات (٢٣٠) .
سيرة ابن إسحاق :

وكان أشهر هذه الكتب وأعلاها مقاماً وأشدّها وثوقاً ، سيرة محمد بن إسحاق^(١) التي ألفها في أوائل أيام العباسيين . يروون أنه دخل على المنصور ببغداد ، وبين يديه ابنه المهدي ، فقال له المنصور : أتعرف هذا يا ابن إسحاق ؟ قال : نعم ، هذا ابن أمير المؤمنين . قال : اذهب فصنف له كتاباً منذ خلق الله آدم عليه السلام إلى يومك هذا . فذهب ابن إسحاق فصنف له هذا الكتاب ، فقال له : لقد طولته يا ابن إسحاق ، اذهب فاختصره . وألقى الكتاب الكبير في خزانة أمير المؤمنين .

(١) هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار ، أبو عبد الله المدني القرشي ، مولى قيس ابن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف . كان جده يسار من سبي عين التمر ، بلدة غربي الكوفة على طرف البرية ، افتتحها المسلمون . في خلافة أبي بكر سنة ١٢ هـ فجيئ به إلى المدينة ، وولد حفيده محمد فيها سنة ٨٥ هـ وأمضى بالمدينة ثوب شبابه ورحل إلى البلدان الإسلامية ، وكانت رحلته إلى الإسكندرية في سنة ١١٥ هـ فحدث عن جماعة من المصريين ، ثم رحل إلى الكوفة والجزيرة والري والبصرة وبغداد حيث ألقى عصاه ووافته منيته فيها سنة ١٥٢ هـ وفيه يقول ابن عدي : لو لم يكن لابن إسحاق من الفضل ألا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء للاشتغال بمغازي رسول الله ﷺ ، ومبعثه ومبتدأ الخلق ، لكانت هذه فضيلة سبق بها ابن إسحاق .

سيرة ابن هشام

وقد جاء بعده ابن هشام^(١) فروى لنا هذه السيرة مهذبة منقحة بعد تأليف ابن إسحاق بنحو نصف قرن ، بوساطة رجل واحد ، هو زياد البكائي^(٢) . ولم يكن كتاب ابن إسحاق الذي رواه ابن هشام بهذا القدر الذي بين أيدينا اليوم ، فإن ابن هشام تناول جوانب سيرة ابن إسحاق بكثير من التحرير ، والاختصار ، والإضافة ، والنقد أحياناً ، والمعارضة بروايات أخر لغيره من العلماء كذلك . وقد ساق في صدر السيرة بعض منهجه لرواية ذلك الكتاب . ونحن لا نشك مع ذلك أن ابن هشام كان ملتزماً جانب الأمانة والحرص في رواية كتاب ابن إسحاق ، لم يبدل منه كلمة واحدة ، ولم يزد كلمة لبيان الخطأ أو شرح الغامض أو معارضة الروايات إلا صدرها بقوله « قال ابن هشام » . وأما الاختصار فإنه كان المقصد الأساسي في روايته للسيرة ، فحذف ما كان قبل تاريخ إسماعيل بن إبراهيم ، عليهما السلام ، منذ بدء الخليقة ، وكذا حديث أبناء إسماعيل ، والأخبار التي ليست من السيرة في شيء - فيما كان

(١) هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري . كان منشؤه بالبصرة . ثم نزل مصر واجتمع به الإمام الشافعي . وتناشدا من أشعار العرب الشيء الكثير . وصنف ابن هشام سوى تهذيبه سيرة ابن إسحاق كتاباً في أنساب حمير وملوكها . وكتاباً في شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب . توفي بالفسطاط سنة ٢١٨ .

(٢) هو الحافظ أبو محمد زياد بن عبد الملك بن الطفيل البكائي العامري الكوفي . والبكائي نسبة إلى بني البكاء من بني عامر بن صعصعة . قدم زياد إلى بغداد وحدث بها بالمغازي عن محمد بن إسحاق ، وبالقرائن عن محمد بن سالم . ثم رجع إلى الكوفة فمات بها في خلافة هارون سنة ١٨٣ . وكان ابن هشام يقدر هذا الشيخ حق قدره ، فيقول في صدر كتابه « وأنا تارك أشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره . وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته » .

يراه هو - وحذف الأشعار الكثيرة التي كان يشك في مبلغ روايتها من الصحة .
والمتعقب لأصل السيرة من رواية ابن هشام يلمح في ذلك طابع الحرص
الشديد والأمانة الصارمة ، التي كانت سمة العلماء المسلمين في تلك العصور القديمة .
منزلة سيرة ابن هشام :

ومهما يكن من شيء فإن كتاب ابن إسحاق كان العمدة لقراء السيرة منذ
قديم الزمان إلى يومنا هذا ، ولا تكاد تجد رجلاً أوغل في دراسة سيرة الرسول
إلا وكتاب ابن إسحاق إمامه الأول في ذلك .

وقد عرفت سيرة ابن إسحاق بين العلماء منذ عهد عهد باسم « سيرة ابن
هشام » لما أنه كان راويها ومهذبها . يقول ابن خلكان : « وابن هشام هذا
هو الذي جمع سيرة رسول الله ﷺ من المغازي والسير لابن إسحاق . وهذبها
ولخصها ، وهي السيرة الموجودة بأيدي الناس ، والمعروفة بسيرة ابن هشام » .
وقد لقيت هذه السيرة من الدارسين والشارحين عناية صادقة ، شرحها
أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي^(١) (٥٨١) شرحاً سهلاً في كتابه المسمى « الروض
الأنف » .

وجاء بعده أبو ذر الخشني^(٢) ، فتصدى للكتاب فشرح غريبه ، وكتب
شيئاً من النقد في كتابه « شرح السيرة النبوية » الذي نشره الدكتور برونله .
وصنع بدر الدين محمد بن أحمد العيني شرحاً لها سماه « كشف اللثام » في
شرح سيرة ابن هشام « فرغ منه سنة ٨٠٥ .

ومن ناحية أخرى نجد آخرين قد عنوا باختصار السيرة ، ومنهم برهان
الدين إبراهيم بن محمد المعروف بابن المرحل الشافعي ، اختصرها وزاد عليها
بعض ما كان ينقصها في كتاب جعله ثمانية عشر مجلداً ، سماه « الذخيرة » ، في
مختصر السيرة « أتم تأليفه سنة ٦١١ . وأبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد

(١) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ الخنعمي السهيلي الأندلسي المالقي . وسهيل :
واد بالأندلس من كورة مالقة . عاش حياته في الأندلس إذ ولد بها سنة ٥٠٨ وأقام بمراكش أعواماً
ثلاثة حيث توفي بها سنة ٥٨١ .

(٢) هو أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الجياني الخشني . نسبة إلى خشين : وهي قرية بالأندلس ،
وقيلة من قضاة . ولد سنة ٥٣٢ وتوفي سنة ٦٠٤ .

الرحمن الواسطي ، اختصرها في كتاب سماه « مختصر سيرة ابن هشام » فرغ منه سنة ٧١١ .

وَمَنْ نظمها شعراً أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن سعيد الدميري الديريني وكانت وفاته سنة ٦٦٣ . وأبو بكر محمد بن إبراهيم المعروف بابن الشهيد المتوفي سنة ٧٩٣ . وقد سمي كتابه « الفتح القريب » ، في سيرة الحبيب » ، وهو في بضع عشرة ألف بيت .

تهذيب سيرة ابن هشام :

وقد كنت في صدر الشباب أحاول المرة بعد الأخرى أن أقرأ هذا الكتاب الجليل من مبتدئه إلى منتهاه ، فكان يصدني عن ذلك ما كنت أجده في ذلك التأليف من اضطراب واستطراد يكدُّ الذهن ويجلب السآمة ، فلا أقرأ منه إلا أجزاء متناثرة أراها كالرياض في صميم الفلاة ، يغريني بقراءتها ما يجتذبنني من جمال القول وجلال الغاية .

والحق أنني كنت أجد في تلاوة السيرة شيئاً مما كنت أجد في تلاوة الكتاب الكريم وحديث الرسول من تعبد صادق وخشوع خاضع . ولعل سرّاً دفيناً كان ينزع بي إلى معاودة تلك التلاوة ، أن والذي رحمه الله كان ممن ألفوا في السيرة ، صنع في ذلك موجزاً سماه « تلخيص الدروس الأولية » ، في السيرة المحمدية » ، وجعله في ثلاثين فصلاً ، وظل ذلك الكتاب دهنراً طويلاً لا يدرس سواه في المعاهد الدينية ، إذ كان من برامج الدراسة فيها درس خاص يسمى « درس السيرة » .

ولكنني مع ذلك لم أوفق لقراءة الكتاب كله ، لما ذكرت من اضطراب التأليف وشيوع الاستطراد . فقاريت السيرة تعترضه فصول طوال في أسماء أسارى بدر ، وأسماء خيل المسلمين ببدر ، وجريدة من حضر ببدر من المسلمين من قريش ومن الأنصار ، ومن استشهد منهم يوم بدر ، ومن قتل به من المشركين ، وما قيل من الشعر في يوم بدر ، وأشباه ذلك من الأمور السردية ، ومن الأشعار المسهبة والأنساب المطوّلة ، والاستطرادات اللغوية ، وطائفة من تفسير كتاب الله مما لا يدخل في صميم السيرة وإن كان يحوم حولها . وشي آخر هو السند الذي تصدر به معظم فقار السيرة ، مما ليس له قدر إلا عند الناقدين

من العلماء .

فحاولت في هذا « التهذيب » أن أستخلص لباب هذا التأليف لأقدمه إلى القاريء في ثوب جديد يستسيغ النظر فيه ، ولا تنقطع به السبيل في تلاوته . مع الحرص التام على نص الكتاب ، بحيث يستطيع القاريء أن يقتبس منه ويستشهد به معزواً إلى أصله الأول ، فإني لم أبدل حرفاً واحداً من نص الكتاب ؛ لأنني راعيت فيه أمانة الاداء ، وراعت باطراد أن أنسب إلى ابن هشام ما هو له . بأن أنص على ذلك في صدر كلامه ، أو أجعله وحده في حاشية الكتاب معزواً إليه ، طبقاً لما يقتضيه التأليف . وأما سائر النصوص فهي نصوص ابن إسحاق من رواية ابن هشام . ولم أذكر من الأسناد إلا ما هو ضروري لإقامة النص ، مما رواه ابن إسحاق أو ابن هشام منسوباً إلى قائله .

وقد عانيت أن أضبط تلك النصوص جميعاً ، وأن أفسر منها ما يحتاج إلى توضيح ، معتمداً في ذلك على شرح السيرة ، وكتب الآثار واللغة المعتمدة . وأما بعد فإن التهذيب ضرب من التيسير لمن لم تتح له قراءة الأصل . ووصلة صالحة تصل بين شباب اليوم وتراثهم القديم الكريم .

وبحسبك أنك تستطيع أن تقرأ هذا الكتاب في أيام معدودات فتظفر منه بالخير العاجل الكثير ، وأنت إذا قرأت الأصل . ولست بتطبيقه . اقتضاك هذا من الوقت أشهراً معدودات .

والله أسأل أن يجعل هذا الكتاب نافعا ، كما أحسبه فيما قدمت للعلم من مجهود ضئيل ، أردت به فيما أردت رضوان الله ورضوان الرسول .

مصر الجديدة في ربيع الثاني ١٣٩٦ . ابريل ١٩٧٦ .

عبد السلام هارون

تمهيد
سيرة ابن هشام

بسم الله الرحمن الرحيم

ذِكْرُ سَرْدِ النَّسَبِ الزَّكِيِّ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام :
هذا كتاب سيرة رسول الله ﷺ : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
(واسم عبد المطلب شَيْبَةَ) بن هاشم (واسم هاشم عمرو) بن عبد مناف (واسم
عبد مناف المغيرة) بن قُصَيٍّ (واسم قصي زيد) بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن
لؤي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضَر بن كِنَانَة بن خُزَيْمَة بن مدركة (واسم
مدركة عامر) بن الياس بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدَّ بن عدنان بن أَدَّ بن مقوم بن
ناحور بن تَيْرَح بن يَعْرُب بن يشْجُب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل
الرحمن بن تارح (وهو آزر) بن ناحور بن ساورغ بن راعو بن فالخ بن عير
ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لَمَك بن مَتُوشَلَخَ بن أَخْنُوخ (وهو
إدريس النبي ﷺ فيما يزعمون) بن يَرْد بن مَهْلِيل بن قَيْن بن يانش بن شيث
ابن آدَمَ ﷺ .
قال ابن هشام :

وأنا إن شاء الله مبتديء هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ، ومن
وَلَدَ رسولَ الله ﷺ من وَلَدِهِ وأولادهم لأصْلَابِهِمِ الأوَّلَ فالأوَّلَ . من
إسماعيل إلى رسول الله ﷺ ؛ وما يعرض من حديثهم ، وتاركُ ذكر غيرهم
من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار ، إلى حديث سيرة رسول الله ﷺ ،
وتاركُ بعضَ ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه
ذكر . ولا نزل فيه من القرآن شيء ، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب ولا
تفسيراً له ، ولا شاهداً عليه ، لما ذكرت من الاختصار ، وأشعاراً ذكرها لم أر
أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها . وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض

يسوء بعضَ الناسِ ذكره ، وبعضٌ لم يقرّ لنا البكائي^(١) بروايته ، ومستقصٍ إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه ، بمبلغ الرواية له ، والعلم به .

سياقة النسب من ولد إسماعيل

ولد إسماعيلُ بن إبراهيم عليهما السلام اثني عشر رجلاً : نابتاً ، وقيدر ، وأذبل ، وميشا ، ومسمعا ، وماشي ، ودما ، وأذر ، وطيمما ، ويطور ونبش ، وقيدم .

فولد نابت بن إسماعيل يشجب بن نابت ، فولد يشجب يعرب ، فولد يعرب تيرح ، فولد تيرح ناحور ، فولد ناحور مقوم ، فولد مقوم أدد ، فولد أدد عدنان .

فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل .

فولد عدنان رجلين : معد بن عدنان ، وعك بن عدنان .

فصارت عك في دار اليمن . وذلك أن عكا تزوج في الأشعريين فأقام فيهم ، فصارت الدار واللغة واحدة . والأشعريون بنو أشعر بن نبت بن أدد بن هميسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن يشجب بن يعرب ابن قحطان .

وولد معد بن عدنان أربعة نفر : نزار ، وقضاة ، وقنص ، وإياد . فأما قضاة فتيامنت إلى حمير بن سبأ ، وأما قنص بن معد فهلكت بقيتهم فيما يزعم نساب معد ، وكان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة .

رؤيا ربيعة بن نصر

وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة ، فرأى رؤيا هالته وفضع بها ، فلم يدع كاهناً ولا ساحراً ولا عائفاً^(٢) ، ولا منجماً من أهل

(١) هو شيخ ابن هشام وتلميذ ابن إسحاق ، واسمه زياد بن عبد الله بن الطميل البكائي توفي سنة ١٨٣ .
والبكاء : بطن من بني عامر بن صعصعة .

(٢) العائف : الذي يزجر الطير . يتكهن بأسمائها وأصواتها ومروورها .

مملكته إلا جمعه إليه ، فقال لهم : إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها ، فأخبروني بها وبتأويلها . قالوا له : اقصصها علينا نخبرك بتأويلها . قال : إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها ، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها . فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح وشيخ ، فإنه ليس أحداً أعلم منهما ، فهما يخبراناه بما سأل عنه . فبعث إليهما فقدم إليهما سطيح قبل شيخ ، فقال له : إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها فأخبرني بها ، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها . قال : أفعل ، رأيت حُممة ، خرجت من ظلّمة ، فوقعت بأرض تهمة ، فأكلت منها كل ذات جُمجمة^(١) !

فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح . فما عندك في تأويلها ؟ فقال : أحلف بما بين الحرّتين من حنّش ، لتبهطن أرضكم الحبش . فليملكنّ ما بين أبيّن إلى جرش^(٢) !

فقال له الملك : وأبيك يا سطيح ، إن هذا لنا لغائظ موجه . فتى هو كائن أو في زماني هذا أم بعده ؟

قال : لا ، بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين ، يمضين من السنين ! قال : أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟

قال : لا ، بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، ثم يُقتلون ويخرجون منها هارين .

قال : ومن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟

قال : يليه إرم بن ذي يزن ، يخرج عليهم من عدن . فلا يترك أحداً منهم باليمن .

قال : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟

قال : بل ينقطع . قال : ومن يقطعه ؟ قال نبي زكي . يأتيه الوحي من

العليّ ! قال : ومن هذا النبي ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر !

(١) الحممة : القطعة من النار . تهمة : منخفضة .

(٢) أبيّن وجرش : بلدان في اليمن .

قال : وهل للدهر من آخر ؟

قال : نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ، يسعد فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون .

قال : أحقُّ ما تخبرني ؟

قال : نعم ، والشَّفَق والغسق ، والفَلَق إذا اتَّسق ، إنَّ ما أنبأتك لحَقٌّ .
ثم قدم عليه شِقٌّ فقال له كقولهِ لسطيح ، وكتَمَه ما قال سطيحٌ لينظر
أبْتَفِقان أم يَخْتَلِفان .

قال : نعم ، رأيت حُمَمَةً ، خرجت من ظُلْمَةٍ ، ف وقعت بين روضة وأكَمَةٍ ،
أكلت منها كل ذات نَسَمَةٍ .

فلما قال له ذلك عرف أنَّهما قد اتَّفقا ، وأن قولهما واحد ، إلا أنَّ سطيحاً
قال : « وقعت بأرض تهمة ، فأكلت منها كل ذات جمجمة » وقال شق :
« وقعت بين روضة وأكَمَةٍ ، فأكلت منها كل ذات نسمة » .

فقال له الملك : ما أخطأت يا شقُّ منها شيئاً فما عندك في تأويلها ؟

قال : أحلف بما بين الحرَّتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان ،
فليغلبنَّ على كلِّ طفلة البنان ، وليملكنَّ ما بين أبين إلى نجران !

فقال له الملك : وأبيك يا شقُّ إنَّ هذا لنا لغائظ موجه فتى هو كائن ؟
أفي زماني أم بعده ؟

قال : لا ، بل بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ، ويديقُهم
أشدَّ الهوان !

قال : ومن هذا العظيم الشأن ؟ قال : غلام ليس بدني ولا مدن^(١) ، يخرج
عليهم من بيت ذي يزَن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن .

قال : أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مرسل ، يأتي
بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل .

قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يوم تُجزى فيه الولاة ، ويدعى فيه من السماء
بدعوات ، ويسمع منها الأحياء والأموات ، ويجمع فيه بين الناس للميقات ،

يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات !

(١) المدني : المقصر في الأمور . أو من يتبع خسيها .

قال : أحمقٌ ما تقول ؟ قال : إي وربَّ السماء والأرض . بما بينهما من رفع وخفض ، إن ما أنبأتك به لحقٌ ما فيه أمّض^(١) .

فوقع في نفس ربيعة ما قالوا . فجهَّز بيته وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ . فأسكنهم الحيرة .

استيلاء أبي كَرَبِ تَبان أسعد على ملك اليمن

وغزوه إلى يثرب

فلما هلك ربيعة بن نصر رجع مُلْكُ اليمن كله إلى حِسان بن تَبان أسعد .
أبي كَرَب .

وكان أبوه تَبان أسعد قد جعل طريقه حين أقبل من المشرق على المدينة فلم يَهْجُ أهلها ، وخلف بين أظهرهم ابناً له قُتِلَ غيلة . فقدمها مرة أخرى وهو مُجمع لإخراجها واستئصال أهلها ، فجمع له هذا الحي من الأنصار . ورئيسهم عمرو بن طلَّة ، فاقتتلوا . فترعُم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويَقْرُونه بالليل^(٢) فيعجبه ذلك منهم ويقول : والله إنَّ قومنا لكرام !

فبينما تَبْعُ على ذلك من قتالهم إذ جاءه حَبْران من أحبار يهود علمان راسخان في العلم ، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها ، فقالا له : أيُّها الملك ، لا تفعل ، فإنك إن آبيت إلّا ما تريد حيلَ بينك وبينها ، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة ؛ فقال لهما : لم ذلك ؟ فقال : هي مُهاجرٌ نبيٌّ يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزَّمان تكون داره وقراره !

فتناهى عن ذلك ورأى أن لهما علماً ، وأعجبه ما سمع منهما ، فانصرف عن المدينة واتبعهما على دينهما .

وكان تَبْعُ^(٣) وقومه أصحاب أوثان يعبدونها . فتوجّه إلى مكّة وهي طريقه إلى اليمن ، حتى إذا كان بين عُسفان وأمّج^(٤) أتاه نفرٌ من هُذيل بن مدركة

(١) أي ما فيه شك أو باطل .

(٢) قرى الضيف يقريه : أضافه وأطعمه .

(٣) هو تَبان أسعد والد أبي كَرَب .

(٤) أمّج : بلد من أعراض المدينة .

فقالوا له : أيها الملك ، ألا ندلك على بيت مالٍ دائرٍ أغفلته الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت ، والذهب والفضة ؟ قال : بلى . قالوا : بيت بمكة يعبد أهله . ويصلُّون عنده !

وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك ، لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغى عنده .

فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الحبرَّين فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ما أراد القومُ إلا هلاكك وهلاك جندك ، ما نعلم بيتاً لله اتَّخذَه في الأرض لنفسه غيره ولئن فعلت ما دعوك إليه لتَهْلِكَنَّ وليَهْلِكَنَّ من معك جميعاً ! قال : فإذا تأمراني أن أصنع إذا أنا قدمت عليه ؟ قالوا : تصنع عنده ما يصنع أهله : تطوف به وتعظمه وتكرمه ، وتحلق رأسك عنده ، وتذلل له حتى تخرج من عنده . قال : فما يمنعكما أنما من ذلك ؟ قالوا : أمّا والله إنه لبيتُ أبينا إبراهيم ، وإنه لكما أخبرناك ، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله . وبالدماء التي يهريقون عنده ، وهم نجسٌ أهل شرك !

فعرف نُصْحهما وصدقَ حديثهما ، فقرَّب النَّفَر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم ثم مضى حتى قديم مكة ، فطاف بالبيت ونَحَرَ عنده ، وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام ينحر بها للناس ويُطعم أهلها ، ويسقيهم العسل . وأري في المنام أن يكسو البيت ، فكساه الخَصَف^(١) ؛ ثم أري أن يكسوه أحسنَ من ذلك ، فكساه الملاء والوصائل^(٢) .

وكان تُبْع فيما يزعمون أولَ من كسا البيت وأوصى به ولاتَه من جُرهم ؛ وأمرهم بتطهيره ، وألا يُقربوه دماً ولا مَيْتَةً ولا مِثْلَةً^(٣) . وجعل له باباً ومفتاحاً . ثم خرج منها متوجهاً إلى اليمن بمن معه من جنوده والحبرين ، حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه ؛ فأبوا عليه حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن .

وكانت نارٌ تحكم بينهم فيما يختلفون فيه : تأكل الظالم ولا تُضرُّ المظلوم .

(١) الحصف : جمع خصفة ، وهو كساء غليظ جدا .

(٢) الملاء : جمع ملأه . والوصائل : ثياب يمانية .

(٣) المِثْلَة : خرقه الحائض .

فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم . وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديهما . حتى قعدوا للنار عند مخرجها التي تخرج منه : فخرجت النار إليهم . فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها . فذمرهم^(١) من حضرهم من الناس وأمروهم بالصبر لها . فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الأوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير . وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما لم تضربهما . فأصفت^(٢) عند ذلك حمير على دينه .

فمن هنالك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن .

فلما ملك ابنه حسان بن تَبانَ أسعدَ سارَ بأهل اليمن يريد أن يظأ بهم أرض العرب وأرض الأعاجم ، حتى إذا كانوا بأرض البحرين كرهت حمير وقبائل اليمن المسير معه ، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم . فكلسوا أخاً له يقال له عمرو - وكان معه في جيشه - فقال له : اقتل أخاك حسان ونملكك علينا وترجع بنا إلى بلادنا . فأجابهم فاجتمعوا على ذلك إلا ذا رعين الحميري فإنه نهاه عن ذلك . فلم يقبل منه ، فقال ذو رعين :

ألا من يشتري سهرأ بنسوم سعيد من بيت قرير عير
فأما حمير غدرت وخانت فعدرة الإله لذي رعين

ثم كتبها في رقعة وختم عليها . ثم أتى بها عمراً فقال له : ضع لي هذا الكتاب عندك . ففعل . ثم قتل عمرو أخاه حسان ورجع بمن معه إلى اليمن . فلما نزل عمرو بن تَبانَ اليمن منع منه النوم وسلط عليه السهر . فلما جهده ذلك سأل الأطباء والحزاة^(٣) من الكهَّان والعَرافين عما به . فقال له قائل منهم : إنه والله ما قتل رجل قط أخاه أو ذا رحمه بغياً . على مثل ما قتلت أخاك عليه . إلا ذهب نومه وسلط عليه السهر . فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسان من أشراف اليمن . حتى خلص إلى ذي رعين . فقال له ذو رعين : إن لي عندك براءة . فقال : وما هي ؟ قال : الكتاب الذي دفعت إليك . فأخرجه فإذا فيه البيتان : فتركه ورأى أنه قد نصحه .

(١) دمره : لأمه وحضه .

(٢) أصفتوا : أجمعوا .

(٣) الحزاة : جمع حاز ، وهو الذي يزجر الطير ويستدل بأصواتها ومرورها وأسمائها .

وهلك عمرو . ففرج أمر حمير عند ذلك وتفرقوا .
فوثب عليهم رجلٌ من حمير لم يكن من بيوت المملكة يقال له : « لخنِيعَة
يُنُوفُ ذو شَنَاتر » . فقتل خيارهم وعبثَ ببيوت أهل المملكة منهم .
وكان لخنِيعَة امرأ فاسقاً يعمل عمل قوم لوط . فبعث إلى زُرْعَة ذي نواس
ابن تَبَان أسعد ، أخي حَسَّان - وكان صَبِيّاً صغيراً حين قُتِل حَسَّان ، ثم شبَّ
غلاماً وسيماً ذا هيئة وعقل - فلما أتاه رسوله عرف ما يريد منه ، فأخذ سكيناً
حديداً لطيفاً . فخبأه بين قدمه ونعله ثم أتاه . فلما خلا معه وثب إليه . فواثبه
ذو نواس فوجأه^(١) حتى قتله . ثم خرجَ على الناس فقالوا : ما ينبغي أن يملكنا
غيرك . إذ أرحتنا من هذا الخبيث .

فلما كوه واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن . فكان آخرَ ملوك حمير . وهو
صاحب الأخدود ، فأقام في ملكه زمناً .

وكان بنجران^(٢) بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام . أهلٌ
فضل واستقامة . لهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر . فسار إليهم ذو نواس
بجنوده فدعاهم إلى اليهودية . وخيرهم بين ذلك والقتل . فخذلهم الأخدود^(٣) .
فحرق من حرق بالنار . وقتل بالسيف ومثل بهم . حتى قتل منهم قريباً من
عشرين ألفاً .

ففي ذي نواس ذلك وجُنْدِه أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ : « قُتِلَ
أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا
يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ » .
ويقال : كان فيمن قتل ذو نواس عبد الله بن الثامر ، رأسهم وإمامهم .

غلبة الحبشة على اليمن

وأقلت منهم رجلٌ من سبأ يقال له « دَوس ذو ثُعْلَبَان » على فرسٍ له .
فسلك الرمل فأعجزهم : ففضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصر ملك الروم

(١) وجأه : ضربه بالسكين ونحوها .

(٢) نجران : مخالف من مخاليف اليمن .

(٣) الأخدود : حفرة مستطيلة غامضة في الأرض .

فاستنصره على ذي نواس وجنوده ، فأخبره بما بلغ منهم . فقال له : بعدت بلادك منا ، ولكني سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين . وهو أقرب إلى بلادك . وكتب إليه يأمره بنصره . والطلب بثأره . فقدم دوس^(١) على النجاشي بكتاب قيصر . فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة وأمر عليهم رجلاً منهم يقال له أرياط . ومعه في جنده « أبرهة الأشرم » .

فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس ذو ثعلبان . وسار إليه ذو نواس في حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن ، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه . فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجه فرسه في البحر . ثم ضربه فدخل به فخاض به ضحضاح البحر^(٢) حتى أفضى به إلى غمره^(٣) فأدخله فيه . وكان آخر العهد به . ودخل أرياط اليمن فملكها .

نزاع أرياط وأبرهة

فأقام أرياط بأرض اليمن سنين في سلطانه ذلك . ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي حتى تفرقت الحبشة عليهما . فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ، ثم ثار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط : إنك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئاً ؛ فابرز إليّ وأبرز إليك فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده . فأرسل إليه أرياط : أنصفت . فخرج إليه أبرهة وكان رجلاً قصيراً لحيماً ، وكان ذا دين في النصرانية . وخرج إليه أرياط وكان رجلاً جميلاً عظيمًا طويلاً ، وفي يده حربة له . وخلف أبرهة غلام له يقال له « عتودة » يمنع ظهره ، ورفع أرياط الحربة فضرب أبرهة يريد يافوخه^(٣) فوقعته الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وأنفه . وعينه وشفته . فبذلك سمي « أبرهة الأشرم » . وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله . وانصرف جند أرياط إلى أبرهة . فاجتمعت عليه الحبشة باليمن .

(١) الضحضاح : الماء اليسير الذي لا عرق فيه .

(٢) الغمر : الماء الكثير يفرق فيه .

(٣) اليافوخ : وسط الرأس .

قصة أصحاب الفيل

ثم إن أبرهة بنى القُلَيْس^(١) بصنعاء ، فبنى كنيسةً لم يُرَ مثلها في زمانها بشيءٍ من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشي : إني قد بنيتُ لك أيُّها الملك ، كنيسةً لم يُبْنَ مثلها لملكٍ كان قبلك ، ولستُ بمنتهٍ حتى أصرفَ إليها حجَّ العرب ! فلما تحدّثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غضب رجلٌ من النِّسَاء^(٢) فخرج حتى أتى القُلَيْس فقعدها فيها^(٣) ، ثم خرج فلحق بأرضه .

فأخبر بذلك أبرهة فقال : مَنْ صنعَ هذا ؟ فقيل له : صنعَ هذا رجلٌ من العرب من أهل هذا البيت الذي تحجّ العرب إليه بمكّة ، لما سمع قولك « أصرف إليها حجَّ العرب » غضب فجاء فقعدها فيها ، أي إنها ليست لذلك بأهل .

فغضب عند ذلك أبرهة ، وحلف ليسيرنَّ إلى البيت حتى يهدمه ، ثم أمر الحبشة فتهيّأت وتجهّزت ، ثم سار وخرج معه بالفيل ، وسمعت بذلك العرب فأعظموه وقطّعوا به ، ورأوا جهادَه حقاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيتَ الله الحرام .

فخرج إليه رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم يقال له : « ذو نَفَر » ، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام . وما يريد من هدمه وإخراجه ، فأجابه إلى ذلك من أجابه ، ثم عرضَ له فقاتله . فهزَمَ ذو نَفَر وأصحابه ، وأخذَ له ذو نَفَر فأتى به أسيراً .

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خثعم عرضَ له نُفَيْل بنُ حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم : شَهران وناهس ، ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزَمه أبرهة ، وأخذَ له نُفَيْل أسيراً . فخلّى سبيلَه

(١) هي اسم الكنيسة التي أراد أبرهة أن يصرف إليها حج العرب .

(٢) النِّسَاء : جمع ناسئ . وهم الذين كانوا ينسئون الشهور . أي يؤخرونها . كانوا إذا صدروا من مِى يقوم رحل منهم من كنانة فيقول : أنا الذي لا أعاب ولا أجاب . ولا يرد لي قضاء ! فيقولون : صدقت . أنسنا شهراً ، أخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر . لأنهم كانوا يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها ، لأن معاشهم كان من الغارة . فيحل لهم المحرم . فذلك الإنساء .

(٣) أي أحدث .

وخرج معه يدُّهُ . حتى إذا مرَّ بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب . في رجال من ثقيف . فقالوا له : أيها الملك . إنما نحن عبيدك . سامعون لك مطيعون . ليس عندنا لك خلاف . وليس بيتنا هذا الذي تريد - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذي بمكة . ونحن نبعث معك من يدُّك عليه . فتجاوز عنهم . فبعثوا معه « أبا رغال » يدُّهُ على الطريق إلى مكة . فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزلهُ المغمس^(١) . فلما أنزلهُ به مات أبو رغال هنالك . فرجمت قبره العرب . فهو قبره الذي يرجم الناس بالمغمس .

فلما نزل أبرهة المغمس بعث رجلاً من الحشمة يقال له « الأسود بن مفسود » على خيل له حتى انتهى إلى مكة . فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم . فأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم . وهو يومئذ كبير قريش وسيدها . فهتت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله . ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك .

وبعث أبرهة حنَاطة الحميري إلى مكة فقال له : سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها ، ثم قل له : إن الملك يقول لك : إني لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت . فإن لم تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لي في دمائكم . فإن هو لم يرد حربي فأتني به .

فلما دخل حنَاطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها . فقيل له : عبد المطلب ابن هاشم . فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حرباً وما لنا بذلك من طاقة . هذا بيت الله الحرام . وبيت خليله إبراهيم عليه السلام . فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمة . وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه . فقال حنَاطة : فانطلق معي إليه . فإنه قد أمرني أن آتيه بك فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن « ذي نَفر » . وكان له صديقاً . حتى دخل عليه وهو في محبسه فقال له : يا ذا نَفر . هل عندك من غناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نَفر : وما غناء رجلٍ أسيرٍ بيدي ملكٍ ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً . ما كان عندي غناء في شيء مما نزل بك . إلا أن أنيساً

(١) المغمس . موضع قرب مكة في طريق الطائف .

سائس الفيل صديق لي . وسأرسل إليه فأوصيه بذلك وأعظم عليه حقك .
وأسأله أن يستأذن لك وعلى سر الملك بحالكم كما بدأ لك ، ويشفع لك عنده بغير
إن قدر على ذلك . فقال : حسبي . فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له : إن
عبد المطلب سيد قريش . وصاحب غير مكة ، يطعم الناس بالسهل ، والوحوش
في رؤوس الجبال . وقد أصاب له الملك مائتي بعير ، فاستأذن له عليه وأنفعه عنده
بما استطعت فقال : أفعل .

فكلم أنيس أبرهة فقال له : أيها الملك ، هذا سيد قريش ببابك يستأذن
عليك . وهو صاحب غير مكة^(١) ، وهو يطعم الناس في السهل ، والوحوش
في رؤوس الجبال . فأذن له عليك فليكن لك في حاجته . فأذن له أبرهة .

وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم ، فلما رآه أبرهة أجلاه
وأعظمه . وأكرمه أن يجلسه تحته ، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير
ملكه . فنزل أبرهة عن سريرته . فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه .
ثم قال لترجمانه : قل له : حاجتك . فقال له ذلك الترجمان ، فقال : حاجتي أن
يرد عليّ الملك مائتي بعير أصابها لي . فلما قال ذلك قال أبرهة لترجمانه : قل له :
قد كنت أعجبني حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلستني : أتكلمني
في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه
لا تكلمني فيه ؟! قال له عبد المطلب : إني أنا رب الإبل ، وإن للبيت رباً
سيمنعه ! قال : ما كان ليمنع مني ! قال : أنت وذلك .

وردد أبرهة على عبد المطلب الإبل التي أصاب له ، وانصرف عبد المطلب
إلى قريش فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرّز في شعف الجبال
والشعاب^(٢) ، تخوفاً عليهم من معرة الجيش^(٣) . ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة
باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة
وجنده . فقال عبد المطلب ، وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

(١) العر . الكسر . قافلة التجارة .

(٢) التحرر . التسع والتحصن . شعف الجبال : رؤوسها . الشعاب : المواضع الخفية بين الجبال .

(٣) معرة الجيش . شدته .

لا هُمَّ إِنْ الْعَبْدَ يَمَّ نَعُ رَحْلَهُ فَاَمْنَعُ جَلَالُكَ^(١)
 لا يَغْلِبُنْ صُلَيْبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ غَدُوًّا مِحَالُكَ^(٢)
 إِنْ كُنْتَ تَارَكَهُمْ وَقَبْ لَمْنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة . وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَفِ الجبال . فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعلٌ بمكة إذا دخلها . فلما أصبح أبرهة تهباً لدخول مكة . وهياً فيه . وعبسى جيشه . وكان اسم الفيل « محموداً » . وأبرهة مجمعٌ لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن . فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نُفَيْل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال : ابرك أو ارجع راشداً من حيث جئت . فإنك في بلد الله الحرام ! ثم أرسل أذنه فبرك الفيل . وخرج نفيلٌ يشدد حتى أصعد في الجبل . وضربوا الفيل ليقوم فأبى . فضربوا رأسه بالطَّبْرَزين^(٣) . فأدخلوا محاجن لهم في مَرَاقَهُ فبزغوه بها فأبى^(٤) . فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول . ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك . ووجهوه إلى مكة فبرك . فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان^(٥) . مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجرٌ في منقاره . وحجران في رجليه . أمثال الحمص والعدس . لا تصيب منهم أحداً إلا هلك . ليس كلهم أصابت . وخرجوا هارين يتدرون الطريق الذي منه جاءوا . يتساقطون بكل طريق . ويهلكون بكل مهلك . على كل منهل . وأصيب أبرهة في جسده فمات .

قال ابن إسحاق :

فلما بعث الله تعالى محمداً ﷺ كان ممّا يعدُّ الله على قريش من نعمه عليهم وفضله . ما ردَّ عنهم من أمر الحبشة . لبقاء أمرهم ومدتهم . فقال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ

(١) الحلال : جمع حلة . بالكسر . وهم القوم المحتشمون ويروى : « رحالك » .

(٢) المحال . بالكسرة : التدة والقدرة .

(٣) الطبرزين : آلة معققة من حديد .

(٤) المحجن : عصا معرحة قد جعل فيها حديد . والمراق : أسفل البطن برعوه : أدمره

(٥) الخطاطيف : جمع حطاف . وهو طائر أسود واللسان . الرزازير

فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ
كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ .

ذكر ولد نزار بن معدّ

فولد (نزار) بن معدّ ثلاثة نفر^(١) : مضرّ ، وربيعة ، وأنمار .
فولد (مضر) رجلين : إلياس ، وعيلان .
فولد (إلياس) ثلاثة نفر : مدركة ، وطابخة ، وقمعة .
فولد (مدركة) رجلين : خزيمّة ، وهذيل .
فولد (خزيمّة) أربعة نفر : كنانة ، وأسّد ، وأسدة ، والهُون .
فولد (كنانة) أربعة نفر : النضر^(٢) ، ومالك ، وعبد مناة ، ومِلْكان .
فولد (النّضر) رجلين : مالك ، ويخلد .
فولد (مالك) بن النضر فهرّ بن مالك .
فولد (فهرّ) أربعة نفر : غالب ، ومحارب ، والحرث ، وأسّد .
فولد (غالب) رجلين : لؤيّ ، وتيّم .
فولد (لؤيّ) أربعة نفر : كعب ، وعامر ، وسامة ، وعوف .
فولد (كعب) ثلاثة نفر : مرة ، وعديّ ، وهُصَيص .
فولد (مُرة) ثلاثة نفر : كلاب ، وتيّم ، ويَقْظَة .
فولد (كلاب) رجلين : قُصَيّ ، وزُهْرَة .
فولد (قُصَيّ) أربعة نفر : عبد مناف ، وعبد الدار ، وعبد العُزَيّ ،
وعبد قُصَيّ .

فولد (عبد مناف) أربعة نفر : هاشم ، وعبد شمس ، والمطلب ، ونوفل .

أولاد عبد المطلب بن هاشم

قال ابن هشام :

فولد عبد المطلب بن هاشم عشرة نفر وستّ نسوة : العباس ، وحمزة ،

(١) زاد ابن هشام رابعاً . هو إياد بن نزار .

(٢) قال ابن هشام : النضر قریش ، فمن كان من ولده فهو قرشي ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي .
ويقال فهر بن مالك هو قریش .

و (عبد الله) . وأبا طالب . والزبير . والحارث . وحجلاً . والمقوم . وضرادا .
وأبا لب و اسمه عبد العزى . وصفية . وأم حكيم البيضاء . وعاتكة . وأميمة .
وأروى . وبرة .

والدا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فولد عبد الله بن عبد المطلب رسول الله ﷺ . سيد ولد آدم . محمد بن
عبد الله بن عبد المطلب . صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعلى آله .
وأُمّه آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب
ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .
وأُمّها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قضي بن كلاب
ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك النضر .
فرسول الله ﷺ أشرف ولد آدم حسباً . وأفضلهم نسباً . من قبل أبيه
وأُمّه . ﷺ . وشرف وكرم . ومجد وعظم .

حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها

ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم في الحجر^(١) إذ أتى فأمر بحفر زمزم .
قال عبد المطلب :
إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال : احفر طيبة . قلت : وما طيبة ؟
ثم ذهب عني . فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فتمت فيه . فجاءني فقال :
احفر المذنونة . فقلت : وما المذنونة ؟ ثم ذهب عني . فلما كان الغد رجعت إلى
مضجعي فتمت فيه . فجاءني فقال : احفر زمزم . قلت : وما زمزم ؟ قال :
لا تُنزف أبداً ولا تُذم^(٢) . تسقي الحجيج الأعظم . وهي بين الثرى والدم^(٣) .

(١) الحجر : حجر الكعبة . وهو ما تركت قريش في نائها من أساس إبراهيم عليه السلام

(٢) لا تدم : لا توجد قليلة الماء .

(٣) روى أنه لما قام ليحفرها رأى ما رسم له من قرية السمل ونقرة العراب . ولم ير الثرى والدم .

عند نَقْرَةِ العَرَابِ الْأَعْصَمِ^(١) .

فلَمَّا بُيِّنَ لَهُ شَأْنُهَا وَذُلَّ عَلَى مَوْضِعِهَا . وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ صَدِّقَ غَدَا بِمَعْوَلِهِ وَمَعَهُ ابْنُهُ الْحَارِثُ . لَيْسَ لَهُ يَوْمَئِذٍ وَلَدٌ غَيْرُهُ . فَحَفَرَ فِيهَا . فَلَمَّا بَدَأَ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ الطَّيِّ^(٢) كَبَّرَ . فَعَرَفَتْ قَرِيشٌ أَنَّهُ قَدْ أَدْرَكَ حَاجَتَهُ . فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا : يَا عَبْدَ الْمَطْلَبِ . إِنَّا بَنَرُ أَبِينَا إِسْمَاعِيلَ . وَإِنَّا لَنَا فِيهَا حَقٌّ . فَأَشْرَكْنَا مَعَكَ فِيهَا . قَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ . إِنْ هَذَا الْأَمْرُ قَدْ خُصِّصْتُ بِهِ دُونَكُمْ . فَقَالُوا لَهُ : فَأَنْصِفْنَا فَإِنَّا غَيْرُ تَارِكِيكَ حَتَّى نَخَاصِمَكَ فِيهَا . قَالَ : فَاجْعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنْ شَتْمٍ أَحَا كَمَكُمُ إِلَيْهِ . قَالُوا : كَاهِنَةُ بَنِي سَعْدِ هُذَيْمٍ . قَالَ : نَعَمْ - وَكَانَتْ بِأَشْرَافِ الشَّامِ^(٣) - فَرَكِبَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَاةٍ ، وَرَكِبَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قَرِيشٍ نَفَرٌ . وَالْأَرْضُ إِذْ ذَاكَ مَفَاوِزٌ ، فَخَرَجُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِيَعُضِ تِلْكَ الْمَفَاوِزِ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ فَنِي مَاءَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَأَصْحَابِهِ ؛ فَظَمُّوا حَتَّى أَيقَنُوا بِالْهَلَكَةِ . فَاسْتَسْقَوْا مِنْ مَعَهُمْ مِنْ قَبَائِلِ قَرِيشٍ فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ وَقَالُوا : إِنَّا بِمَفَازَةٍ ، وَنَحْنُ نَخْشَى عَلَى أَنْفُسِنَا مِثْلَ مَا أَصَابَكُمْ . فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ الْمَطْلَبِ مَا صَنَعَ الْقَوْمُ وَمَا يَتَخَوَّفُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَصْحَابِهِ قَالَ : مَاذَا تَرَوْنَ ؟ قَالُوا : مَا رَأَيْنَا إِلَّا تَبِعَ لِرَأْيِكَ ، فَمَرْنَا بِمَا شِئْتَ . قَالَ . فَإِنِّي أَرَى أَنَّ يَحْفَرُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ حَفْرَتَهُ لِنَفْسِهِ بِمَا بِكُمْ الْآنَ مِنَ الْقُوَّةِ ؛ فَكَلِمَا مَاتَ رَجُلٌ دَفَعَهُ أَصْحَابُهُ فِي حَفْرَتِهِ ثُمَّ وَارَوْهُ ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا . فَضِيعَةُ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَيْسَرُ مِنْ ضِيعَةِ رَكَبٍ جَمِيعًا . قَالُوا : نَعَمْ مَا أَمَرْتَ بِهِ . فَقَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَحَفَرَ حَفْرَتَهُ ، ثُمَّ قَعَدُوا يَنْتَظِرُونَ الْمَوْتَ عَطَشًا . ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : وَاللَّهِ إِنْ إِقَاءَنَا بِأَيْدِينَا هَكَذَا لِلْمَوْتِ ، لَا نَضْرِبُ فِي الْأَرْضِ وَلَا نَبْتَغِي لِأَنْفُسِنَا لَعَجْزٍ . فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَنَا مَاءً بِيَعُضِ الْبِلَادِ ؛ ارْتَحَلُوا . فَارْتَحَلُوا حَتَّى إِذَا فَرَّغُوا ، وَمِنْ مَعَهُمْ مِنْ قَبَائِلِ قَرِيشٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ مَا هُمْ فَاعِلُونَ . تَقَدَّمَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ إِلَى رَاحِلَتِهِ فَرَكَبَهَا ، فَلَمَّا انْبَعَثَتْ بِهِ انْفَجَرَتْ مِنْ تَحْتِ خَفِّهَا

فَمِيسَا هُوَ كَذَلِكَ فَرَّتْ بِقَرَةِ مِنْ حَازِرِهَا . فَلَمْ يَدْرِكْهَا حَتَّى دَخَلَتْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، فَنَحَرَهَا فِي

الْمَوْضِعِ الَّذِي رَسَمَ . فَسَالَ هُنَاكَ الْفَرَسُ وَالدَّمُ . فَحَفَرَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ حَيْثُ رَسَمَ لَهُ .

(١) الْأَعْصَمُ . الَّذِي فِي جَانِبِهِ بِيَاضٌ .

(٢) الطَّيِّ : الْحِجَارَةُ تَطْوِي بِهَا الْبُئْرُ .

(٣) أَيُّ مَا ارْتَفَعَ مِنْ أَرْضِهَا

عينٌ من ماء عذب ، فكَبَّرَ عبد المطلب وكَبَّرَ أصحابه ، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه ، واستقوا حتى ملئوا أَسْقِيَتِهِمْ . ثم دعا القبائل من قريش فقال : هلمَّ إلى الماء فقد سقانا الله ، فاشربوا واستقُوا . فجاءوا وشربوا واستقوا ثم قالوا : قد والله قُضِيَ لك علينا يا عبد المطلب ، والله لا نخاصمك في زمزم أبداً . إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم ، فارجع إلى سِقَايَتِكَ راشداً ! فرجع ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الكاهنة ، وخلَّوا بينه وبينها .

نذر عبد المطلب ذبح ولده

وكان عبد المطلب بن هاشم ، قد نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم ، لئن وُلِدَ له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتَّى يَمْنَعُوهُ لينحرنَّ أحدهم لله عند الكعبة . فلمَّا توافى بنوه عشرة وعرف أنهم سيمنعونه ، جمعهم ثم أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كلُّ رجل منكم قِدْحاً ثم يكتب فيه اسمه ، ثم اثبتوني . ففعلوا ثم أتوه ، فدخل بهم على « هُبَلٍ ^(١) » وكان هُبَلٌ على بئر في جوف الكعبة . وكانت تلك البئر هي التي يُجمَع فيها ما يُهدى للكعبة .

وكان عند هبل قداح سبعة ، كل قِدْح منها فيه كتاب . قِدْح فيه « العقل » إذا اختلفوا في العقل ^(٢) مَن يحمله منهم ، ضربوا بالقداح السبعة ؛ فإن خرج العقل فعلى من خرج حمْلُهُ . وقِدْحٌ فيه « نَعَمْ » للأمر إذا أرادوه ، يُضرب به في القداح . وقِدْح فيه « لا » ، إذا أرادوا أمراً ضربوا به في القداح . فإن خرج ذلك القِدْحُ لم يفعلوا ذلك الأمر . وقِدْح فيه « مِنْكُمْ » . وقِدْح فيه « مُلَصَّقٌ » ، وقِدْح فيه « من غيركم » ، وقِدْح فيه « المياه » إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القِدْح ، فحيثما خرج عملوا به .

وكانوا إذا أرادوا أن يَحْتَنُوا غُلَاماً أو يَنْكِحُوا مَنَكْحاً ، أو يدفنوا ميتاً ، أو شَكُّوا في نسب أحدهم ، ذهبوا به إلى هُبَلٍ ، وبمائة درهم وجزور ، فأعطوها صاحب القداح الذي يضرب بها ، ثم قرَّبوا صاحبهم الذي يريدون به ما

(١) اسم صم .

(٢) العقل : الدية .

يريدون ، ثم قالوا : يا إلهنا ، هذا فلان ابن فلان قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرج الحق فيه . ثم يقولون لصاحب القداح : اضرب . فإن خرج عليه « منكم » كان منهم وسيطاً^(١) ؛ وإن خرج عليه « من غيركم » كان حليفاً ؛ وإن خرج عليه « ملصق » كان على منزلته فيهم ، لا نسب له ولا حلف ؛ وإن خرج فيه شيء مما يعملون به « نعم » عملوا به ؛ وإن خرج « لا » أخرجه عامه ذلك حتى يأتوه به مرة أخرى ، ينتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح .

فقال عبد المطلب لصاحب القداح : اضرب على بني هؤلاء بقداحهم هذه . وأخبره بنذره الذي نذر ، فأعطاه كل رجل منهم قدحه الذي فيه اسمه ، وكان عبد الله أصغر بني أبيه^(٢) : وكان أحب ولد عبد المطلب إليه ، فكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى^(٣) .

فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله ، ثم ضرب صاحب القداح فخرج القدح على عبد الله ، فأخذه عبد المطلب بيده ، وأخذ الشفرة ، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه فقالت له قريش وبنوه : والله لا تذبحه أبداً حتى تُعذر فيه ، لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه فما بقاء الناس على هذا ! وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان ابن أخت القوم : والله لا تذبحه أبداً حتى تُعذر فيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا فدّيناه ! وقالت له قريش وبنوه : لا تفعل وانطلق به إلى الحجاز ؛ فإن به عرافة لها تابع ، فسألها ثم أنت على رأس أمرك ، إن أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته .

فانطلقوا حتى قدّموا المدينة فوجدوها بخير ، فركبوا حتى جاؤوها فسألوها ، وقصّ عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه ، وما أراد به ، ونذره فيه فقالت لهم :

(١) وسيط : خالص السب .

(٢) أي حين أراد نحره . وإلا فإن حمزة كان أصغر منه . والعباس كان أصغر منه . والعباس كان كذلك أصغر من حمزة .

(٣) أشوى : أبقى . ويقال : أشوى السهم . إذا لم يصب المقتل .

ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله . فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم : قد جاءني الخبر . كم الدية فيكم ؟ قالوا : عشرٌ من الإبل . قالت : فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح . فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم .

فخرجوا حتى قدّموا مكّة ، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبد المطلب يدعو الله . ثم قدّموا عبد الله وعشرّاً من الإبل ، وعبد المطلب قائم عند هبل يدعو الله عزّ وجلّ ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله . فزادوا عشرّاً من الإبل فبلغت الإبل عشرين ، وقام عبد المطلب يدعو الله عزّ وجلّ . ثم ضربوا . فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشرّاً من الإبل فبلغت الإبل أربعين . وقام عبد المطلب يدعو الله . ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله . فزادوا عشرّاً من الإبل فبلغت الإبل ستين . وقام عبد المطلب يدعو الله . ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله . فزادوا عشرّاً من الإبل فبلغت الإبل ثمانين . وقام عبد المطلب يدعو الله . ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله . فزادوا عشرّاً من الإبل فبلغت الإبل تسعين . وقام عبد المطلب يدعو الله . ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله . فزادوا عشرّاً من الإبل فبلغت الإبل مائة . وقام عبد المطلب يدعو الله . ثم ضربوا فخرج القدح على « الإبل » . فقالت قريشٌ ومن حضرَ : قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب ! فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضربَ عليها ثلاثَ مرات .

فضربوا على عبد الله وعلى الإبل ، وقام عبد المطلب يدعو فخرج القدح على الإبل ؛ ثم عادوا الثانيةً وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا فخرج القدح على الإبل ؛ ثم عادوا الثالثةً وعبد المطلب قائم يدعو الله . فضربوا فخرج القدح على الإبل فنحرت ثم تركت لا يُصدُّ عنها إنسانٌ ولا يمنع .

ذكر ما قيل لآمنة عند حملها برسول الله ﷺ

ويزعمون - فيما يتحدث الناس ، والله أعلم - أن آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ كانت تحدث :

أنها أتيت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولي : أعينه بالواحد ، من شر كل حاسد ! ثم سميه محمداً^(١)

ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام .

ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله ﷺ أن هلك وأم رسول الله ﷺ حامل به .

ولادة رسول الله ﷺ

ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، عام الفيل^(٢) .

عن قيس بن مخزومة قال : ولدت أنا ورسول الله عام الفيل ، فنحن لدتان^(٣) .
عن حسان بن ثابت قال :

والله إني لغلām يَفْعَة^(٤) ، ابن سبع سنين أو ثمان ، أعقل كل ما سمعت ،
إذ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أطمه^(٥) بيثرب : يا معشر يهود !

(١) لم يسم بهذا الاسم قبله ﷺ إلا ثلاثة . طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر رسول الله وبقرّب زمانه ، وأنه يبعث من الحجاز . أن يكون ولدًا لهم . وهم . محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفرزدق ، ومحمد بن أحيدة بن الجلاح ، ومحمد بن حمران بن ربيعة . كان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك ممن لهم علم بالكتاب . فأخبرهم بمبعث النبي ﷺ وباسمه ، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملاً . فنذر كل منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمداً ، ففعلوا ذلك .

(٢) وقيل كان قبل مولده برمضان .

(٣) لدتان : مثني لدة . وهو ترب الإنسان يولد معه .

(٤) أي قيرى قد طال قده .

(٥) الأطمه . بفتحيتين . الحصن .

حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له : ويلك ! مالك ؟ قال : طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به .

فلما وضعت أمه ﷺ أرسلت إلى جده عبد المطلب : إنه قد ولد لك غلامٌ فأتته فانظر إليه . فأتاه فنظر إليه ، وحدثته بما رأت حين حملت به . وما قيل لها فيه ، وما أمرت به أن تسميه .

فیزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة ، فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها والتمس لرسول الله ﷺ المراضع . فاسترضع له امرأة من سعد بن بكر ، يقال لها حليلة ابنة أبي ذؤيب .

حديث حليلة

كانت حليلة تحدث أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير^(١) ترضعه في نسوة من بني سعد ، تلمس الرضعاء^(٢) ، وذلك في سنة شهباء^(٣) لم تبق لنا شيئاً . فخرجت على أتانٍ لي قمرأ^(٤) معنا شارف لنا^(٥) ، والله ما تبض بقطرة^(٦) ، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا من بكائه من الجوع . ما في ثديي ما يغنيه ، وما في شارفنا ما يغذيه ، ولكننا كنا نرجو الغيث والفرج . فخرجت على أتاني ، فلقد أدمت^(٧) بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفاً^(٨) حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء ، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم ، وذلك أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي ، فكنا نقول : يتيم ! وما عسى أن تصنع أمه وجده ! فكنا نكرهه لذلك . فما بقيت امرأة كانت معي إلا أخذت رضيعاً ، غيري .

(١) اسمه عبد الله بن الحارث بن عبد العزى .

(٢) جمع رضيع .

(٣) الشهباء : المجدة البيضاء لا يرى فيها خضرة .

(٤) الأتان : الحمارة . القمرأ : التي يعيل لونها إلى الخضرة .

(٥) الشارف : الناقة المسنة .

(٦) ما تبض بقطرة ، أي ما ترشح .

(٧) أي أطلت عليهم المسافة . لتمهلهم عليها ، مأخوذ من التهيء الدائم .

(٨) العجف : الهزال .

فلَمَّا أَجْمَعْنَا الانْطِلَاقَ قُلْتُ لِصَاحِبِي ^(١) : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبِي وَلَمْ أَخْذُ رَضِيعًا ، وَاللَّهِ لِأُذْهِبَنَّ إِلَى ذَلِكَ الْيَتِيمَ فَلَا أَخْذَنَّهُ ! قَالَ : لَا عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا فِيهِ بَرَكَه !

قَالَتْ : فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذْتَهُ ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى أَخْذِهِ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ . فَلَمَّا أَخَذْتُهُ رَجَعْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي أَقْبَلَ عَلَيْهِ ثُدَيَايَ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ ، فَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ ، وَشَرِبَ مَعَهُ أَخُوهُ حَتَّى رَوِيَ ثُمَّ نَامَا ، وَمَا كُنَّا نَنَامُ مِنْهُ قَبْلَ ذَلِكَ . وَقَامَ زَوْجِي إِلَى شَارِفِنَا تِلْكَ فَإِذَا إِنَّهَا لِحَافِلٌ ، فَحَلَبَ مِنْهَا مَا شَرِبَ وَشَرِبْتُ مَعَهُ حَتَّى انْتَهَيْنَا رِيًّا وَشَبَعًا ، فَبَتْنَا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ !

قَالَتْ : يَقُولُ صَاحِبِي حِينَ أَصْبَحْنَا : تَعَلَّمِي وَاللَّهِ يَا حَلِيمَةُ ، لَقَدْ أَخَذْتَ نَسَمَةً مَبَارَكَةً ! فَقُلْتُ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَرْجُو ذَلِكَ .

ثُمَّ خَرَجْنَا وَرَكِبْتُ أَنَا أَتَانِي ، وَحَمَلْتُهُ عَلَيْهَا مَعِيَ ، فَوَاللَّهِ لَقَطَعْتُ بِالرَّكْبِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ حُمُرِهِمْ ، حَتَّى إِنَّ صَوَاحِبِي لَيَقْلُنَ لِي : يَا ابْنَةَ أَبِي ذُوَيْبٍ ، وَيُحْكُ أَرْبَعِي عَلَيْنَا ^(٢) ، أَلَيْسَتْ هَذِهِ أَتَانُكَ الَّتِي كُنْتَ خَرَجْتَ عَلَيْهَا ؟ ! فَأَقُولُ لَهُنَّ : بَلَى وَاللَّهِ ، إِنَّهَا لِهَيَّ ! فَيَقْلُنَ : وَاللَّهِ إِنَّ لَهَا لَشَأْنًا !

ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا مِنْ بِلَادِ بَنِي سَعْدِ ، وَمَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ اللَّهِ أَجْدَبَ مِنْهَا ، فَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَيَّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ مَعَنَا شَبَاعًا لُبْنًا ، فَنَحْلُبُ وَنَشْرِبُ ، وَمَا يَحْلُبُ إِنْسَانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ ، وَلَا يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ ، حَتَّى كَانَ الْحَاضِرُونَ مِنْ قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرُءِيَائِهِمْ : وَيَلَكُمْ اسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي بِنْتِ أَبِي ذُوَيْبٍ . فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا تَبْضُ بِقَطْرَةِ لَبَنٍ ، وَتَرُوحُ غَنَمِي شَبَاعًا لُبْنًا . فَلَمْ نَزَلْ نَتَعَرَّفُ مِنَ اللَّهِ الزِّيَادَةَ وَالْخَيْرَ حَتَّى مَضَتْ سَنَتَاهُ وَفَصَلَّتُهُ ، وَكَانَ يَشُبُّ شَبَابًا لَا يَشَبُّهُ الْغُلَمَانُ ، فَلَمْ يَبْلُغْ سَنَتِيهِ حَتَّى كَانَ غَلَامًا جَفْرًا ^(٣) ، فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ وَنَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى مُكَّتِهِ فِينَا ، لِمَا كُنَّا نَرَى مِنْ بَرَكَتِهِ ، فَكَلَّمْنَا أُمَّهُ وَقُلْتُ لَهَا : لَوْ تَرَكْتِ بَنِيَّ عِنْدِي حَتَّى يَغْلُظَ ، فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ وَبَأَمْكَةٍ .

(١) تعني زوجها الحارث بن عبد العزى .

(٢) أي أقمي وانتظري .

(٣) الحفر . العليظ الشديد .

فلم نزل بها حتى ردته معنا .

فرجعنا به ، فوالله إنه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه لفي بهم^(١) لنا خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتد ، فقال لي ولأبيه : ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعا فشقا بطنه ، فهما يسوطانه^(٢) ! فخرجت أنا وأبوه نحوه ، فوجدته قائماً منتقعا وجهه . فالتزمته والتزمه أبوه ، فقلنا : مالك يا بني ؟ قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض . فأضجعاني وشقا بطني فالتمسا فيه شيئا لا أدري ما هو ؟

فرجعنا به إلى خبائنا وقال لي أبوه : يا حليلة ، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب ، فألحقه بأهله قبل أن يظهر ذلك به . فاحتملناه ، فقدمنا به على أمه ؛ فقالت : ما أقدمك به يا ظئر^(٣) وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك ؟ فقلت : قد بلغ الله بابني وقضيت الذي علي . وتخوفت الأحداث عليه ، فأدبته إليك كما تحبين . قالت : ما هذا شأنك فاصدقني خبرك . فلم تدعني حتى أخبرتها . قالت : أفتخوفت عليه الشيطان ؟ قلت : نعم . قالت : كلاً ، والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وإن لبني لشأنا . أفلا أخبرك خبره ؟ قلت : بلى ؛ قالت : رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء قصور بصرى^(٤) من أرض الشام ، ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف علي ولا أيسر منه ، ووقع حين ولدته وإنه لو وضع يديه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء . دعيه عنك وانطلقي راشدة .

حديث شق الصدر

قال ابن إسحاق :

حدثني ثور بن يزيد عن بعض أهل العلم ، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكلاعي :

(١) البهم : الصغار من الغنم . الواحدة بهمة .

(٢) يسوطانه : يضربان بعضه ببعض ويحركانه .

(٣) الظئر : المرأة ترضع ولد غيرها .

(٤) بصرى . من أعمال دمشق .

أن نفرأ من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك . قال : نَعَمْ ، أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبُشْرَى أخِي عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرجَ منها نورٌ أضاء لها قصورَ الشام ، واسترُضِعْتُ في بني سعد بن بكر .

فبينما أنا مع أخ لي خلفَ بيوتنا نرعى بهُماً لنا ، إذ أتاني رجلانِ عليهما ثيابٌ بيض ، بَطَسَتْ من ذهبٍ مملوءةٌ ثلجاً ، ثم أَخَذَاني فشَقَا بطني ، واستخرجا قلبي فشَقَاه ، فاستخرجا منه عََلَقَةً سوداء فطرحاها ، ثم غَسَلَا قلبي وبطني بذلك الثلج حتَّى أنقَيَاه ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زَنهُ بعشرة من أُمَّته . فوزَني بهم فوزَنتُهم ، ثم قال : زنه بمائةٍ من أُمَّته . فوزَني بهم فوزَنتهم . ثم قال : زنه بألفٍ من أُمَّته . فوزَني بهم فوزَنتهم . فقال : دعه ؛ فوالله لو وزَنته بأُمَّته لوزَنتها .

كفالة جده له

وكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنه بنت وهب وجده عبد المطلب بن هاشم في كِلاَةِ الله وحفظِهِ ، ينبتهُ الله نباتاً حسناً ، لما يريد به من كرامته . فلما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين توفيت أمه بالأبواء بين مكة والمدينة ، كانت قد قدمت به على أخواله من بني عديّ بن النّجار تُزيره إِيّاهم ، فماتت وهي راجعةٌ به إلى مكة .

فكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بن هاشم . وكان يُوضَع لعبد المطلب فراشٌ في ظلّ الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتّى يخرجَ إليه ، لا يجلس عليه أحدٌ من بنيهِ إجلالاً له . فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلامٌ جَفَرٌ^(١) حتّى يجلسَ عليه ، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم : دَعُوا ابْنِي ، فوالله إنّ له لشأناً ! ثم يجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع .

(١) الجفر : الغليظ الشديد .

فلما بلغ رسول الله ﷺ ثمانين سنين هلك عبد المطلب ، وذلك بعد القيل
بثمانين سنين .

كفالة عمه له

فكان رسول الله ﷺ بعد عبد المطلب مع عمه أبي طالب .
وإن رجلاً من لُهب^(١) كان عائفاً^(٢) ، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال
قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويعتاف لهم فيهم . فأتى به أبو طالب وهو غلامٌ مع
من يأتيه ، فنظر إلى رسول الله ﷺ ، ثم شغله عنه شيء ، فلما فرغ قال :
الغلام ، عليّ به . فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه . فجعل يقول
ويلكم ! ردوا عليّ الغلام الذي رأيتُ آنفاً ، فوالله ليكونن له شأن !

قصة بحيرا

ثم إن أبا طالب خرج في ركبٍ تاجراً إلى الشام ، فلما تهيأ للرحيل وأجمعَ
المسيرَ صَبَّ به^(٣) رسولُ الله ﷺ ، فرقَ له أبو طالب وقال : والله لأُخرجنَّ
به معي ، ولا يُفارقني ولا أفارقه أبداً .

فخرج به معه ، فلما نزل الركبُ بُصرى وبها راهبٌ يقال له « بحيرا »
في صومعةٍ له ، وكان إليه عِلْمُ أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قطُّ
راهبٌ إليه يصير علمهم عن كتاب فيها فيما يزعمون ، يتوارثونه كابراً عن كابر ،
فلما نزلوا ذلك العام ببَحيرا ، وكانوا كثيراً ما يمرُّون به قبلَ ذلك فلا يكلمهم
ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا به قريباً من صومعته صَنَعَ لهم
طعاماً كثيراً .

وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته . يزعمون أنه رأى
رسول الله ﷺ وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا ، وغمامةٌ تظله من
بين القوم ، ثم أقبلوا فترلوا في ظل شجرةٍ قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين

(١) لُهب : قوم مشهورون بالعاقبة .

(٢) العائف : الذي يتفرس في خلقه الإنسان فيحبر بما تؤول إليه .

(٣) أي مال إليه . ويروى « ضبث به » أي تعلق .

أظلت الشجرة . وتهصرت ^(١) أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظلّ تحتها . فلما رأى ذلك بحيراً نزل من صومعته ، ثم أرسل إليهم فقال : إنني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش ، فأنا أحبُّ أن تحضروا كلُّكم ، صغيركم وكبيركم . وعبدكم وحُرُّكم .

فقال له رجلٌ منهم : والله يا بحيراً إن لك لشأناً اليوم ، فما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمرُّ بك كثيراً ! فما شأنك اليوم ؟ قال له بحيراً : صدقت ، كان ما تقول . ولكنكم ضيف . وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلوا منه كلُّكم .

فاجتمعوا إليه وتخلّف رسول الله ﷺ من بين القوم ، لحدثه سنّه ، في رحال القوم تحت الشجرة . فلما نظر بحيراً في القوم لم يرَ الصفة التي يعرف ويَجِدُ عنده ، فقال : يا معشر قريش ، لا يتخلّفن أحدٌ منكم عن طعامي . قالوا له : يا بحيراً ، ما تخلّف عنك أحدٌ ينبغي له أن يأتيك إلا غلام ، وهو أحدث القوم سنّاً ، فتخلّف في رحالهم . فقال : لا تفعلوا ، ادعوه فليحضّر هذا الطعامَ معكم . فقال رجلٌ من قريشٍ مع القوم : واللّات والعزّى ، إن كان للوُمُ بنا أن يتخلّف ابنُ عبد المطلب عن طعامٍ من بيننا ! ثم قام فاحتضنه وأجلسه مع القوم ، فلما رآه بحيراً جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرّقوا قام إليه بحيراً فقال له : يا غلام ، أسألك بحقّ اللات والعزّى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه - وإنما قال له بحيراً ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما - فزعموا أن رسول الله ﷺ قال له : لا تسألني باللات والعزّى ، فوالله ما أبغضت شيئاً قطُّ بُغْضهما ! فقال له بحيراً : فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه . فقال له : سلني ما بدا لك . فجعل يسأله عن أشياء من حاله في نومه وهيئته وأموره ، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيراً من صفته . ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده .

(١) تهصرت : مالت . وتدلت .

فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له : ما هذا الغلام منك ؟ قال :
 ابني : قال له بحيرا : ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً .
 قال : فإنه ابن أخي . قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حُبلى به . قال :
 صدقت ، فارجعُ بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه يهود ، فوالله لئن رأوه
 وعرفوا منه ما عرفتُ ليبغته شراً ، فإنه كائنٌ لابن أخيك هذا شأنٌ عظيم !
 فأسرعَ به إلى بلاده .

حرب الفجار

هاجت حرب الفجار ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة ^(١) وإنما سمي يومَ
 الفجار بما استحلَّ هذان الحيان : كنانة وقيس عيلان ، فيه من المحارم بينهم .
 وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية ، وكان الظفر في أول النهار لقيس
 على كنانة ، حتى إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس .

تزيج خديجة رضي الله عنها

وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرفٍ ومال . تستأجر
 الرجال في مالها وتضاربهم إياه ^(٢) بشيء يجعله لهم ، وكانت قريش قومًا تجاراً .
 فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم
 أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج في مالٍ لها إلى الشام تاجراً .
 وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار ، مع غلامٍ لها يقال له ميسرة .
 فقبله رسول الله ﷺ منها وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة
 حتى قدم الشام .

فتزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب ^(٣) من

(١) ذكر ابن هشام أن رسول الله ﷺ شهد بعض أيام الفجار . أخرجه أعمامه معهم . وقال رسول
 الله ﷺ : « كنت أنبل على أعمامي » أي أرد عليهم بل عدوهم إذا رموهم بها . وهذا الفجار
 هو الفجار الأخير . وهو فجار البراض . وقبله فجارات ثلاث : أولها بين كنانة وهوازن . والثاني
 بين قريش وهوازن ، والثالث بين كنانة وهوازن . وتفصيلها في العقد الفريد . والأغاني .

(٢) المضاربة : أن تعطي مالا لغيرك يتجر فيه . فيكون له سهم معلوم من الربح .

(٣) اسم هذا الراهب نسطورا .

الرهبان . فاطلع الراهب إلى ميسرة فقال : من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال له ميسرة : هذا رجلٌ من قريش من أهل الحرم . فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قطُّ إلا نبيّ !

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ، فكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يُظِلّانه من الشمس وهو يسيرُ على بعيره . فلما قديم مكة على خديجة بما لها باعت ما جاء به فأضعف^(١) أو قريياً .

وحدثها ميسرة عن قول الراهب وعمّا كان يرى من إضلال الملكين إياه . وكانت خديجة امرأة حازمة لبية شريفة ، مع ما أراد الله بها من كرامته ، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت له : يا ابن عم ، إني قد رغبت فيك لقربتك وسيطتك^(٢) في قومك ، وأمانتك وحسن خلقك ، وصدق حديثك . ثم عرضت عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً ، وأعظمهنّ شرفاً ، وأكثرهنّ مالاً ، كلُّ قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه .

فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامه فخرج معه عمه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد^(٣) فخطبها إليه فتزوجها^(٤) .

فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلّهم ، إلا إبراهيم^(٥) ، القاسم ، وبه كان يكنى ، والطاهر والطيب^(٦) ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، عليهم السلام .

فأما القاسم ، والطيب والطاهر ، فهلكوا في الجاهلية ، وأما بناته فكلّهنّ أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن معه ﷺ .

(١) أضعف : صار مضاعفاً .

(٢) السلطة : الشرف ، من الوسط . كالعدة من الوعد .

(٣) هو خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

(٤) أصدقها ﷺ عشرين بكرة . وكانت أول امرأة تزوجها ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت .

(٥) أمه مارية القبطية . من « حفن » من كورية أنصينا من صعيد مصر ، أهداها إليه المقوقس عظيم القبط .

(٦) الطاهر والطيب لقبان له ، واسمه « عبد الله » .

حديث ورقة بن نوفل

وكانت خديجة قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى - وكان ابن عمها ، وكان نصرانياً قد تتبّع الكتب وعلم من علم الناس - ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان المَلِكُ يُظْلانهُ ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة إن محمداً لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبيٌ ينتظر ، هذا زمانه !

فجعل ورقة يستبطن الأمر ويقول : حتى متى ؟ وقال في ذلك :
لججتُ وكنتُ في الذّكرى لجوجاً لهم طالما بعث النّشيجا
ووصف من خديجة بعد وصفٍ فقد طال انتظاري يا خديجا
ببطن المكتّين على رجائي حديثك أن أرى منه خروجاً^(١)
بما خبرتنا من قول قسّ من الرّهبان أكره أن أعوجا
بأنّ محمداً سيسود فينا ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور يقيم به البريّة أن تموجا
فيلقى من يحاربُه خساراً ويلقى من يسأله فُلوجاً^(٢)
فياليتني إذا ما كان ذا كم شهدت فكنت أولكم ولوجا

بنيان الكعبة

فلما بلغ رسول الله ﷺ خميساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة ، وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ، ويهابون هدمها ، وإنما كانت رَضْماً^(٣) فوق القامة .

وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدّة لرجل من تجّار الروم ، فتحطّمت فأخذوا خشبها فأعدّوه لتسقيفها . وكان بمكة رجل قبضيّ نجار ، فتهياً لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها ، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كان يُطرح

(١) ثني مكة . لأن لها بطاحا وظواهر .

(٢) الفلوج : النصر والغلبة .

(٣) الرضم : حجارة منضودة من غير ملاط .

فيها ما يُهدى لها كلَّ يوم ، فتتشرَّق^(١) على جدار الكعبة . وكانت مما يهابون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحدٌ إلَّا احزَّأَتْ وكَشَّت^(٢) وفتحت فاهها . فبينما هي ذات يوم تتشرَّق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بَعَثَ اللهُ إليها طائراً فاخترطها فذَهَبَ بها ، فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا ، عندنا عاملٌ رفيق ، وعندنا خشب ، وقد كفانا الله الحية .

فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد ابن عمران بن مخزوم ، فتناول من الكعبة حجراً فوثبَ من يده حتى رَجَعَ إلى موضعه ، فقال : يا معشرَ قريش ، لا تُدخلوا في بنائها من كسبكم إلَّا طيباً ، لا يدخل فيها مهرٌ بغيٍّ ، ولا بيعٌ ربا ، ولا مَظْلَمَةٌ أحدٍ من الناس .

ثم إن قريشاً جزَّأت الكعبة ، فكان شق الباب لبني عبد مناف وزُهره ، وما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضماماً إليهم . وكان ظهر الكعبة لبني جُمَحَ وسهم ، وشِقَّ الحجر لبني عبد الدار ابن قصي ولبني أسد بن عبد العزي ، ولبني عدي بن كعب .

ثم إنَّ الناس هابوا هَدَمَها وفرَّقوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم في هدمها . فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لم نزع^(٣) ! اللهم لا نريد إلَّا الخير ! ثم هَدَمَ من ناحية الركنين ، فترَبَّصَ الناسُ تلك الليلة وقالوا : ننظر . فإن أُصِيبَ لم نهْدمُ منها شيئاً ورددناها كما كانت ، وإن لم يُصبه شيءٌ فقد رضي الله صُنْعَنَا فهدمنا .

فأصبح الوليدُ من ليلته غادياً على عمله ، فهدَمَ وهدم الناسُ معه حتى إذا انتهى الهدمُ بهم إلى الأساس ، أساس إبراهيم عليه السلام ، أفضَّوا إلى حجارة خُضِرَ كالأسفنة^(٤) آخذٌ بعضها بعضاً .

ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة . ثم بنوها حتى بلغَ البنيانُ موضعَ الركن^(٥) فاخترصموا فيه ، كل قبيلة

(١) أي تبرز للشمس .

(٢) احزَّأت : رفعت رأسها . وكشت : صوتت باحتكاك جلدها بعصه ببعض .

(٣) لم نزع : لم نمل عن ديك .

(٤) جمع سنام ، وهو أعلى ظهر البعير . ويروى : « كالأسنة » جمع سنان . شبهت به في الخضرة .

(٥) يراد به الحجر الأسود ، لأن موضعه في الركن .

تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى . حتى تحاوزوا^(١) وتحالفوا وأعدّوا للقتال .

فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة ، وكان عامئذ أسنّ قريش كلها ، قال : يا معشر قريش ، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أولّ من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه . ففعلوا . فكان أولّ داخل عليهم رسول الله ﷺ ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا ! هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال ﷺ : هلُمَّ إليّ ثوباً . فأتى به ، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بني عليه .

إخبار الكهان من العرب والأخبار من يهود ، والرهبان من النصارى

وكانت الأخبار من يهود ، والرهبان من النصارى ، والكُهان من العرب ، قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه لِمَا تقارب من زمانه . أما الأخبار من يهود والرهبان من النصارى ، فعَمَّا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه . وأما الكُهان من العرب فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترقُّ من السَّمْع ، إذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم . وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره ، لا تُلقى العرب لذلك فيه بالاً ، حتّى بعثه الله ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون ، فعرفوها .

فلَمَّا تقارب أمر رسول الله ﷺ وحضر مبعثه ، حُجبت الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تَقْعُدُ لاستراق السمع فيها ، فرموا بالنجوم ، فعرفت الجن أن ذلك لأمرٍ حدث من أمر الله في العباد .

(١) تحاوزوا : انحاز كل قبيل منهم إلى جانب .

صفة رسول الله ﷺ

قال ابن هشام :

وكانت صفة رسول الله ﷺ فيما ذكر عُمر مولى غُفرة ، عن إبراهيم بن

محمد بن علي بن أبي طالب قال :

كان علي بن أبي طالب عليه السلام إذا نَعَتَ رسول الله قال : لم يكن بالطويل الممَّط^(١) ، ولا القصير المتردد ، وكان ربَّعة^(٢) من القوم ، ولم يكن بالجعْد القَطَط^(٣) ولا السَّبَط ، كان جَعْدًا رَجُلًا^(٤) ، ولم يكن بالمطَّهم^(٥) ولا المكثَّم^(٦) . وكان أبيضَ مُشربًا ، أدعج العينين^(٧) ، أهدبَ الأشفار^(٨) جليل المُشاش^(٩) والكتد^(١٠) دقيق المسربة^(١١) أجرد^(١٢) شثن الكفين^(١٣) والقدَمين ؛ إذا مشى تقلَّع^(١٤) ، كأنما يمشي في صَبَب^(١٥) ، وإذا التفت التفت معاً ، بين كتفيه خاتم النبوة ، وهو ﷺ خاتم النبيين ، أجودُ الناس كفاً ، وأجرأُ الناس صدراً ،

(١) الممَّط : الممتد .

(٢) الربعة . الذي ليس بالطويل ولا القصير .

(٣) القَطَط : الشديد جمودة الشعر

(٤) الرجل : المسرح الشعر .

(٥) المطَّهم : العظيم الجسم .

(٦) المكثَّم : المستدير الوجه في صغر .

(٧) الأدعج : الأسود العينين .

(٨) أهدب الأشفار : طويل أهدابها .

(٩) المشاش : عظام رءوس المفاصل .

(١٠) الكتد : ما بين الكتفين .

(١١) المسربة : الشعر الممتد من الصدر إلى السرة .

(١٢) الأجرد : القليل الشعر .

(١٣) الشثن : الغليظ .

(١٤) تقلَّع : لم يثبت قدميه .

(١٥) الصبب : ما انحدر من الأرض .

وأصدق الناس لهجة^(١) ، وأوفى الناس ذمة . وألينهم عريكة^(٢) ، وأكرمهم عشرة . من رآه بديهة^(٣) هابه . ومن خالطه أحبه . يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله . ﷺ .

صفة رسول الله ﷺ من الإنجيل

قال ابن إسحاق :

وقد كان فيما بلغني عما كان وضع عيسى بن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل من صفة رسول الله ﷺ مما أثبت يحسن الحوار لهم . حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى بن مريم عليه السلام في رسول الله ﷺ إليهم . أنه قال :

« من أبغضني فقد أبغض الرب . ولولا أنني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلي ما كانت لهم خطيئة . ولكن من الآية بطروا وظنوا أنهم يعزوني^(٤) وأيضاً للرب . ولكن لا بد من أن تتم الكلمة التي في الناموس . إنهم أبغضوني مجاناً - أي باطلاً - فلو قد جاء المنحمن هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب . روح القدس هذا الذي من عند الرب خرج ، فهو شهيد علي وأنتم أيضاً . لأنكم قد بما كنتم معي . في هذا قلت لكم لكيما لا تشكوا^(٥) » .
و« المنحمن » . بالسريرية : محمد ، وهو بالرومية « البرقليطس » .

البعث

فلما بلغ محمد رسول الله ﷺ أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة

(١) اللهجة : الكلام

(٢) لين العريكة : حسن العشرة .

(٣) بديهة : ابتداء .

(٤) عزد يعز : غلبه .

(٥) انظر إنجيل يوحنا ١٥ : ٢٣ = ٢٦ .

للناس بشيراً . وكان الله تبارك وتعالى قد أخذَ الميثاقَ على كلِّ نبيٍّ بعثه قبله بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر له على من خالفه ، وأخذَ عليهم أن يؤدُّوا ذلك إلى كلِّ مَنْ آمَنَ بهم وصدَّقهم ، فأدُّوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه .
عن عائشة رضي الله عنها :

إِنَّ أَوَّلَ ما بدىء به رسول الله ﷺ من النبوة ، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد ، الرؤيا الصادقة ، لا يرى رسول الله ﷺ رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح . وحسب الله تعالى إليه الخلوة ، فلم يكن شيء أحبَّ إليه من أن يخلو وحده .

وعن عبد الملك بن عبيد الله :

أن رسول الله ﷺ حين أراد الله بكرامته وابتدأه بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسر عنه البيوت ^(١) ، ويفضي إلى شعاب ^(٢) مكة وبطون أوديتها ، فلا يمرُّ رسول الله ﷺ بحجرٍ ولا شجرٍ إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . فيلتفت رسول الله ﷺ حوله وعن يمينه وشماله وخلفه ، فلا يرى إلا الشجر والحجارة . فكث رسول الله ﷺ كذلك يرى ويسمع ، ما شاء الله أن يمكث . ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله ، وهو بحراء ^(٣) ، في شهر رمضان .

عن عبيد بن عمير :

كان رسول الله ﷺ يجاور في حراء من كل سنة شهراً ، وكان ذلك مما تحنُّ به قريش في الجاهلية ^(٤) . فكان يجاور ذلك الشهر من كل سنة ، يُطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله ﷺ جواره من شهره

(١) أي تبعد عنه .

(٢) الشعب : ما انفرج بين الجبلين .

(٣) حراء : جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال .

(٤) التحنُّ : التعبد واعتزال الأصنام .

ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة ، قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته . حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التي بعثه الله تعالى فيها ، وذلك الشهر شهر رمضان ، خرج رسول الله ﷺ إلى حراء كما كان يخرج لجواره ، ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمها الله فيها برسالته ، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى .

قال رسول الله ﷺ : فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج^(١) فيه كتاب ، فقال : اقرأ . قلت ما أقرأ^(٢) . قال : فغتنني به^(٣) حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ما أقرأ . فغتنني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ماذا أقرأ ؟ فغتنني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ماذا أقرأ ؟ فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ . قال : فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني ، وهببت من نومي فكأنما كُتبت في قلبي كتاباً .

فخرجتُ حتى إذا كنتُ في وسطٍ من الجبل سمعتُ صوتاً من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسولُ الله وأنا جبريل ! فرفعت رأسي إلى السماء أنظر ، فإذا جبريل في صورة رجل صافٍ قدميه في أفق السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل ! فوقفْتُ أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلتُ أصرف وجهي عنه في آفاق السماء ، فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيتَه كذلك . فما زلتُ واقفاً ما أتقدمُ أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثتُ خديجةً رسلها في طلبي ، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها وأنا واقفٌ في مكاني ذلك . ثم انصرف عني .

(١) النمط : ضرب من البسط . والديباج : ثيابٌ من الإبريسم .

(٢) ويروي : « ما أنا بقارئ » .

(٣) غته : عصره عصراً شديداً .

وانصرفتُ راجعاً إلى أهلي حتى أتيتُ خديجة ، فجلستُ إلى فخذها مُضيفاً إليها^(١) فقالت : يا أبا القاسم . أين كنت ؟ فوالله لقد بعثتُ رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إليّ !

ثم حدثتها بالذي رأيتُ فقالت : أبشر يا بن عمّ واثبتْ ، فوالذي نفسُ خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبيّ هذه الأمة !

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل ، وهو ابن عمّها . وكان ورقة تنصّر وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع ، فقال ورقة : قدّوس قدّوس . والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنتِ صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر^(٢) الذي كان يأتي موسى^(٣) ، وإنه لنبيّ هذه الأمة ، فقولي له فليثبتْ .

فرجعت خديجةُ إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة . فلما قضى رسول الله ﷺ حواره وانصرف . صنع كما كان يصنع . بدأ بالكعبة . فقال : يا ابن أخي ، أخبرني بما رأيتُ وسمعت . فأخبره رسول الله ﷺ . فقال له ورقة : والذي نفسي بيده إنك لنبيّ هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ، ولتكدّبه ، ولتؤذّبه ، ولتخرجه . ولتقاتلنه^(٤) ! ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرنّ الله نصرّاً يعلمه ! ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه^(٥) . ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله .

(١) مصيفاً إليها : ملتصقاً بها مائلاً إليها

(٢) أراد به الملك الذي جاءه بالوحي . وأصل الناموس صاحب سر الرجل

(٣) السهيلى : إنما ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى وهو أقرب . لأن ورقة كان قد تنصّر . والنصارى لا يقولون في عيسى : إنه بي يأتيه جبريل . إنما يقولون فيه : إن أنوما من الأقاليم الثلاثة اللاهوتية حلّ بأسوت المسيح واتحد به . على اختلاف بينهم في ذلك الحلول .

(٤) الجاء في كل هذه الأعمال هي هاء السكت .

(٥) يافوخه : أم رأسه .

ابتداء تنزيل القرآن

فابتدىء رسول الله ﷺ بالتنزيل في شهر رمضان . يقول الله عز وجل : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ . وقال الله تعالى : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هي حتى مطلع الفجر ﴾ .

وقال الله تعالى : ﴿ حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا مُنذرين * فيها يُفرق كل أمر حكيم * أمراً من عندنا إنا كنا مُرسِلين ﴾ . وقال تعالى : ﴿ إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يومَ الفرقان يومَ التقى الجمعان ﴾ . وذلك ملتقى رسول الله ﷺ والمشركين ببدر .

إسلام خديجة بنت خويلد

وآمنت به خديجة بنت خويلد ، وصدقت بما جاءه من الله ، ووازرته على أمره ، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله ، وصدقت بما جاء منه ، فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ ، لا يسمع شيئاً مما يكرهه من ردِّ عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك ، إلا فرَّج الله عنه بها إذا رجع إليها ، تثبته وتخفف عليه ، وتصدقّه ، وتهوّن عليه أمر الناس ، رحمها الله !

قال رسول الله ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ ببيتٍ مِنْ قَصَبٍ ^(١) لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ » .

فترة الوحي

ثم فتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترةً من ذلك ، حتّى شقّ ذلك عليه

(١) القصب : اللؤلؤ المنحوت

فأحزنه ، فجاءه جبريل بسورة الضحى ، يُقسِم له ربه ، وهو الذي أكرمه بما أكرمه به : ما ودَّعه وما قلاه . فقال تعالى : ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ . يقول : ما صرمتك فتركك ، وما أبغضتك ثم أحبك . ﴿ وَلَآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ أي لما عندي من مرجعك إلي خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا . ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ من الفلج^(١) في الدنيا ، والثواب في الآخرة . ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ . يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره ، ومنه عليه في يتمه وعيَلته وضلالته ، واستنقاذه من ذلك كله برحمته . ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ أي لا تكن جباراً ولا متكبراً ، ولا فحاشاً فظاً على الضعفاء من عباد الله . ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدث ، أي اذكرها وادعُ إليها . فجعل رسولُ الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه ، وعلى العباد به من النبوة سرّاً إلى من يطمئن إليه من أهله .

أول الناس إسلاماً

ثم كان أولَ ذكرٍ من الناس آمن برسول الله ﷺ ، وصلى معه وصدق بما جاءه من الله تعالى : علي بن أبي طالب ، رضوان الله وسلامه عليه ، وهو يومئذ ابن عَشْر سنين .

وكان من نعمة الله على علي بن أبي طالب ، ومما صنع الله له ، وأراد به من الخير ، أن قریشاً أصابهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه ، وكان من أيسر بني هاشم : يا عباس ، إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه

(١) الفلج : الفوز والغلبة .

الأزمة ، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله ، آخذ من بنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً فنكفهما عنه . فقال العباس : نعم . فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ؛ فقالا له : إنا نريد أن نخفف من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه . فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما .

فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه ، وأخذ العباس جعفرأ فضمه إليه . فلم يزل علي مع رسول الله ﷺ ، حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً ، فاتبعه علي رضي الله عنه ، وآمن به وصدقته .

وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصلبان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا . فكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا ، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان ، فقال لرسول الله ﷺ : يا ابن أخي ، ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال : أي عم ، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم ، بعثني الله به رسولاً إلى العباد ، وأنت يا عم أحق من بذلت له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ، وأحق من أجابني إليه وأعاني عليه . فقال أبو طالب : أي ابن أخي ، إنني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت !

ثم أسلم (زيد بن حارثة) بن شَرَحْبِيل بن كعب بن عبد العزى . وكان حكيم بن حزام بن خويلد قديم من الشام برقيق فيهم زيد بن حارثة ، فدخلت عليه عمته خديجة ، وهي يومئذ عند رسول الله ﷺ ، فقال لها : اختاري يا عمة ، أي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك . فاختارت زيدا فأخذته ، فرآه رسول الله ﷺ عندها فاستوهبه منها فوهبته له ، فأعتقه وتبناه ، وذلك قبل أن يوحى إليه .

ثم أسلم (أبو بكر بن أبي قحافة) ، واسمه عتيق ، واسم أبي قحافة

عثمان . فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه ، أظهر إسلامه ودعا إلى الله ورسوله . وكان أبو بكر رجلاً مألُفاً لقومه ، محبباً سهلاً ، وكان أنسبَ قريشٍ لقريشٍ وأعلم قريشٍ بها ، وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلاً تاجراً إذا خلقٍ ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحدٍ من الأمر : لعلمه ، وتجارته ، وحسن مجالسته . فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ، ممن يغشاه ويجلس إليه .

فأسلم بدعائه عثمانُ بن عفَّان ، والزُّبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله . فكان هؤلاء النفر الثمانية^(١) الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلَّوا وصدَّقوا .

ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم^(٢) ، وعثمان بن مظعون ، وأخوه قدامة وعبد الله ، وعُبيدة بن الحارث ، وسعيد بن زيد بن عمرو ، وامرأته فاطمة أخت عمر بن الخطاب ، وأسما بنت أبي بكر ، وعائشة بنت أبي بكر ، وهي يومئذ صغيرة ، وخبَّاب ابن الأرت ، وعُمير بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، ومسعود بن القاري ، وسليط بن عمرو ، وعيَّاش بن أبي ربيعة ، وامرأته أسما بنت سلامة ، وخنيس بن حذافة ، وعامر بن ربيعة ، وعبد الله بن جحش ، وأخوه أبو أحمد ، وجعفر بن أبي طالب ، وامرأته أسما بنت عُميس ، وحاطب بن الحارث ، وامرأته فاطمة بنت المجلل ، وأخوه حطَّاب ، وامرأته فُكَيْهة بنت يسار ، ومعمار بن الحارث ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمطلب بن أذهر ، وامرأته رملة بنت أبي عوف ، والنحَّام واسمه نعيم بن عبد الله ، وعامر بن فهيرة ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وامرأته أمينة بنت خلف ، وحاطب بن عمرو ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله ، وخالد وعامر

(١) هم علي ، وريد ، وأبو بكر ، ومن أسلم على يديه .

(٢) وفي داره كان رسول الله ﷺ مستخفياً من قريش بمكة يدعو الناس فيها إلى الإسلام . وكانت داره على الصفا . حتى تكامل المسلمون أربعين رجلاً بإسلام عمر ، فلما تكاملوا أربعين رجلاً خرجوا .

وعاقل وإياس بنو البكير بن عبد ياليل ، وعمار بن ياسر ، وصهيب بن سنان الرومي^(١) .

الجهر بالدعوة

ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا^(٢) من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به .

ثم إن الله عز وجل أمر رسوله ﷺ أن يصدع بما جاءه منه ، وأن ييادي^(٣) الناس بأمره وأن يدعو إليه . وكان بين ما أخفى رسول الله أمره واستتر به إلى أن أمره الله بإظهار دينه ثلاث سنين من مبعثه ، ثم قال الله تعالى له : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وأنذِر عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ واخفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِين ﴾ .

وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلّوا ذهبوا في الشعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شعب من شعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلّون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلحي بعير فشجّه^(٤) ، فكان أول دم هريق في الإسلام . فلما بادى رسول الله ﷺ قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد عنه قومه ولم يردّوا عليه حتى ذكر آهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا خلافه وعداوته ، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام ، وهم قليل مستخفون .

وحذب^(٥) على رسول الله ﷺ عمه أبو طالب ، ومنعه وقام دونه ،

(١) صهيب عربي ، ولكن الروم سبته صغيرا فنشأ فيهم فصار الكن ، ثم اشتراه رجل من كلب فباعه بمكة ، فاشتراه عبد الله بن جدعان فأعتقه . وفي الحديث : « صهيب سابق الروم » .

(٢) جمع رسل بالتحريك ، وهي الجماعة . (٣) المادة : المجاهرة .

(٤) اللحي : العظم الذي فيه الأسنان . شجّه : كسر رأسه . (٥) أي عطف ورق

ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهرًا لأمره ، لا يرده عنه شيء . فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يُعْتَبَهُمْ^(١) من شيء أنكروه عليه ، من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حذب عليه ، وقام دونه فلم يُسلمه لهم ، مشى رجالٌ من أشراف قريش إلى أبي طالب فقالوا : يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا وعاب ديننا وسفَّه أحلامنا وضللَّ آباءنا ، فإما أن تكفَّه عنا ، وإما أن نخْلِيَّ بيننا وبينه ؟ فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً ، وردَّهم ردّاً جميلاً ، فانصرفوا عنه .

ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه ، يُظهر دين الله ويدعو إليه ، ثم شَرِيَّ^(٢) الأمر بينه وبينهم حتى تباعدَ الرجالُ وتضاغنوا ، وأكثرَت قريشُ ذكرَ رسول الله ﷺ بينها ، فتذا مروا فيه^(٣) ، وحضَّ بعضهم بعضاً عليه .

ثم إنهم مشَّوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له : يا أبا طالب ، إن لك سناً وشرقا ومنزلةً فينا ، وإنا قد استهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفَّه عنا ، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين.

فبعثَ إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا - للذي كانوا قالوا له - فأبقي عليّ وعلى نفسك ، ولا تحمِّلني من الأمر ما لا أطيق .

فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيد بداء^(٤) أنه خاذله ومُسْلِمه ، وأنه قد ضعُف عن نصرته ، فقال رسول الله ﷺ : يا عمّ ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمرَ حتَّى يُظهره الله أو أهْلِكَ فيه ، ما تركته ! ثم استعبرَ رسول الله ﷺ فبكى ثم قام ، فلما ولى ناداه أبو طالب فقال : أقبِلْ يا ابن أخي . فأقبل عليه رسول الله ﷺ ،

(١) يعتبهم : يرضيهم (٢) شري : استطار وتفرق .

(٣) أي حض بعضهم بعضاً . (٤) أي رأي جديد .

فقال : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً .

ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه ، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم ، مشوا إليه بعمارة ابن المغيرة ، فقالوا له : يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد ، أنهد^(١) فتى في قريش وأجمل^(٢)ه ، فخذ^(٣)ه فلك عقله ونصرت^(٤)ه ، واتخذ^(٥)ه ولداً فهو لك ، وأسلم^(٦) إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك وسف^(٧)ه أحلامهم^(٨) فنقتله ، فإنما هو رجل برجل ! فقال : والله لبئس ما تسوموني^(٩) ! أتعطوني ابنكم أغدوه لكم ، وأعطيكم ابني تقتلونه ؟ هذا والله ما لا يكون أبداً ! فقال المطعم بن عدي : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك ، وجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً ! فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصفوني ، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ ، فاصنع ما بدا لك ؟

فحَقَّبَ الأمر^(١٠) ، وحميت الحرب ، وتنابد القوم ، وبأذى بعضهم بعضاً . ثم إن قريشاً تذا مروا^(١١) بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله ﷺ منهم بعمه أبي طالب . وقد قام أبو طالب ، حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون ، في بني هاشم وبني المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه ، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أي لهب عدو الله الملعون .

(١) أي أشد وأقوى .
(٢) العقل : الدية .
(٣) أي عقولهم .
(٤) أي تكلفوني .
(٥) حَقَّبَ أمرهم : فسد .
(٦) تذا مروا : حض بعضهم بعضاً .

قول الوليد بن المغيرة في القرآن

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفرٌ من قريش ، وكان ذا سنٍّ فيهم ، وقد حضر الموسمُ ، فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسمُ وإنَّ وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمِعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً .

فقالوا : فأنت يا أبا عبدِ شمسٍ فقلْ وأقيم لنا رأياً نقول به .

قال : بل أنتم فقولوا أسمع . قالوا : نقول كاهن . قال : لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكُهَّانَ ، فما هو بززمة^(١) الكاهن ولا سجعه ، قالوا : فنقول : مجنون . قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنونَ وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تُخالجه ولا وسوسته .

قالوا : فنقول : شاعر . قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ، ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر .

قالوا : فنقول : ساحر . قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السُّحَّارَ وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم^(٢) .

قالوا : فما تقول أنت يا أبا عبدِ شمس . قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذق^(٣) ، وإن فرعه كجناة^(٤) ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرِف أنه باطل . وإن أقرب القول فيه لأنَّ تقولوا : ساحر ، جاء بقولٍ هو سحر يفرق بين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدِموا الموسم لا يمرُّ بهم أحدٌ إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره ، فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً * وَبَيْنَ شُهُوداً * وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ

(١) الزمرة : كلام خفي لا يسمع .

(٢) العقدة : بالفتح ، النخلة .

(٣) العذق : ما يجنى .

(٤) الجناة : ما يجنى .

يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۖ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١﴾ .

فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله ﷺ لمن لقوا من الناس ،
وصدرت العربُ من ذلك الموسم . بأمر رسول الله ﷺ فانتشر ذكره في بلاد
العرب كلها .

ذكر ما لقي رسول الله ﷺ

من قومه

ثم إن قريشاً اشتد أمرهم ، للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ
وَمَنْ أَسْلَمَ مَعَهُ مِنْهُمْ ، فأغروا به سفهاءهم فكذبوه وآذوه ، ورمَوْه
بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ورسول الله ﷺ مظهرٌ لأمر الله لا يستخفي
به ، مُبَادٍ^(١) لهم بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم
على كفرهم .

قال عبد الله بن عمرو بن العاص :

حضرتهم وقد اجتمع أشrafهم يوماً في الحِجْر ، فذكروا رسول الله ﷺ
فقالوا : ما رأينا مثلاً ما صَبَرْنَا عليه من أمر هذا الرجل قط ! سَفَهَ أَحْلَامَنَا ،
وَسَبَّ آلِهَتَنَا ، لقد صبرنا منه على أمرٍ عظيم !

فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم
الركن ، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت ، فلما مرَّ بهم غمزوه ببعض القول ، قال :
فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ . فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه بمثلها ،
فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ ، ثم مرَّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ،
فوقف ثم قال : « أتسمعون يا معشر قريش ، أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم
بالذبح^(٢) ! » .

(١) أي مجاهر .

(٢) كناية عن الهلاك إن لم يؤمنوا .

فَأَخَذَتِ الْقَوْمَ كَلِمَتَهُ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا كَانَتْهُ عَلَى رَأْسِهِ طَيْرٌ وَاقِعٌ ،
حَتَّى إِنْ أَشَدَّهُمْ فِيهِ وَصَاةٌ^(١) قَبْلَ ذَلِكَ لِيرَفَّوهُ^(٢) بِأَحْسَنِ مَا يَجِدُ مِنَ الْقَوْلِ ، حَتَّى
إِنَّهُ لَيَقُولُ : انصرف يا أبا القاسم ، فوالله ما كنتَ جهولاً !

فانصرف رسول الله ﷺ حتى إِذَا كَانَ الْغَدُ اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ وَأَنَا
مَعَهُمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ذَكَرْتُمْ مَا بَلَغَ مِنْكُمْ وَمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُ حَتَّى إِذَا
مَا بَادَأَكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ تَرْكُمُوهُ !

فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَثَّبُوا وَثْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ،
وَأَحَاطُوا بِهِ يَقُولُونَ : أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا - لِمَا كَانَ يَقُولُ مِنْ عَيْبِ
أَهْلِهِمْ وَدِينِهِمْ - فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : نَعَمْ أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ .

قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ أَخَذَ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ دُونَهُ وَهُوَ يَبْكِي وَيَقُولُ : أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللَّهُ !
ثُمَّ انصرفوا عنه . فَإِنَّ ذَلِكَ لِأَشَدُّ مَا رَأَيْتُ قَرِيشًا نَالُوا مِنْهُ قَطًّا !

إسلام حمزة

حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَسْلَمَ ، كَانَ وَاعِيَةً :
أَنَّ أَبَا جَهْلٍ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ الصُّفَا فَأَذَاهُ وَشْتَمَهُ ، وَنَالَ مِنْهُ بَعْضُ
مَا يَكْرَهُ مِنَ الْعَيْبِ لِدِينِهِ ، وَالتَّضْعِيفِ لِأَمْرِهِ ، فَلَمْ يَكْلُمْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَمَوْلَاةُ
لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ فِي مَسْكَنِهَا تَسْمَعُ ذَلِكَ - ثُمَّ انصرف عنه فَعَمَدَ إِلَى نَادٍ مِنْ
قَرِيشٍ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فَجَلَسَ مَعَهُمْ .

فَلَمْ يَلْبَثْ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ أَقْبَلَ مَتَوَشِّحًا قَوْسَهُ^(٣) ،
رَاجِعًا مِنْ قَنْصٍ لَهُ^(٤) ، وَكَانَ صَاحِبَ قَنْصٍ يَرْمِيهِ وَيَخْرِجُ لَهُ ، وَكَانَ إِذَا فَعَلَ
ذَلِكَ لَمْ يَمْرُ عَلَى نَادٍ مِنْ قَرِيشٍ إِلَّا وَقَفَ وَسَلَّمَ وَتَحَدَّثَ مَعَهُمْ ، وَكَانَ أَعَزَّ فِتًى فِي

(١) الوصاة : الوصية ، أي وصية بالأذى . (٣) أي متقلداً إياه .

(٢) يرفؤه : يسكنه ويهدئه . (٤) القنص : الصيد .

قريش وأشدّه شكيمة ، فلما مرّ بالمولاة^(١) وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته قالت له : يا أبا عُمارة ، لو رأيتَ ما لقيَ ابنُ أخيك محمدًا آنفًا من أبي الحكم^(٢) بن هشام ؟ وجده ها هنا جالسًا فأذاه وسبه ، وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ﷺ .

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ولم يقف على أحد ، مُعِدًّا لأبي جهل إذا لقيه أن يُوقعَ به ، فلما دخل المسجدَ نظر إليه جالسًا في القوم ، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوسَ فضربه بها فشجّه شجّةً منكّرة ، ثم قال : أتشتّمه وأنا على دينه أقول ما يقول ؟ فردّد ذلك على إن استطعت .

فقامت رجالٌ من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دعُوا أبا عُمارة ، فإنّي والله قد سببتُ ابنَ أخيه سبًّا قبيحًا . وتم حمزة رضي الله عنه على إسلامه ، وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ . فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزّزَ وامتنع ، وأن حمزة سيمنعه . فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

قول عتبة بن ربيعة في أمر رسول الله

حدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيّدًا - قال يوماً وهو جالسٌ في نادي قريش ، ورسول الله ﷺ جالسٌ في المسجد وحده : يا معشرَ قريش ، ألا أقومُ إلى محمد فأكلّمه وأعرضَ عليه أموراً لعلّه يقبل بعضها ، فنعطيه أيّها شاء ويكفّ عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون . فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قم إليه فكلّمه . فقام إليه عتبة حتّى جلس إلى رسول الله ﷺ ؛ فقال : يا ابن أخِي ، إنك منا حيث قد

(١) هي مولاة عبد الله بن جدعان .

(٢) أبو الحكم : كنية أخرى لأبي جهل ، واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم .

علمت من السطة^(١) في العشيرة . والمكان في النسب . وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم . فرقت به جماعتهم . وسفّيت به أحلامهم . وعبت به من مضى من آبائهم . فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . فقال رسول الله ﷺ : « قل يا أبا الوليد أسمع » .

قال : يا ابن أخي . إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا . جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا . وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك . وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا . وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً^(٢) تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه . فإنه ربما غلب التابع^(٣) على الرجل حتى يداوى منه .

حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه . قال : أقدر فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم . قال : فاسمع مني . قال : أفعل . فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم : حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم » . كتاب فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ » وقالوا قلوبنا في أكنة مما ندعونا إليه . ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه . ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها^(٤) فسجد ، ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك .

فقام عتبة إلى أصحابه . فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أنني سمعت قولاً والله ما سمعت بمثله قط . والله

(١) السطة : الشرف . من الوسط . كالعدة من الوعد . (٢) الرثي : ما يترأى للانسان من الجن .

(٣) التابع : الصاحب من الجن .

(٤) هي قوله تعالى : ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر . لا تسجدوا للشمس ولا للقمر . واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون .

ما هو بالشَّعر ، ولا بالسَّحر . ولا بالكِهانة . يا معشر قريش . أطيعوني واجعلوها بي . واخلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه . فوالله ليكوننَّ لقوله الذي سمعتُ منه نبأ عظيم ، فإن تُصِبه العربُ فقد كُفِيتُموه بغيركم . وإن يَظهر على العرب فملكه مُلككم . وعزُّه عزُّكم . وكنتم أسعد الناس به ! قالوا : سَحَرَك اللهُ يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم .

ما دار بين رسول الله ﷺ

وبين رؤساء قريش

ثم إنَّ الإسلام جعل يَفْشو بِمَكَّةَ في قبائل قريش في الرجال والنساء ، وقريش تحبس مَنْ قَدَرَتْ على حبسه وتَفْتِنُ من استطاعت فتنته من المسلمين . ثم إنَّ أشراف قريش من كل قبيلة ، وهم عتبة بن ربيعة . وشيبة بن ربيعة . وأبو سفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث . وأبو البَخْتري بن هشام ، والأسود بن المطلب ، وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، وعبدالله بن أبي أمية ، والعاصي بن وائل ، ونُبَيْه ومُنَبِّه (رسول الله ﷺ سريعا ، وهو يظنُّ أن قد بدا لهم فيما كَلَّمَهُمْ فيه بداء ، وكان × ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلِّموه وخاصموه حتى تُعذِّروا فيه فبعثوا إليه : إنَّ أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلِّموك فأتاهم . فجاءهم رسول الله ﷺ سريعا ، وهو يظنُّ أن قد بدا لهم فيما كَلَّمَهُمْ فيه بداء ، وكان عليهم حريصا يحبُّ رَشْدَهُمْ ويعزُّ عليه عَنَّتُهُمْ^(١) ، حتَّى جلس إليهم . فقالوا له : يا محمد . إنَّا قد بعثنا إليك لنكلِّمك ، وإنَّا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك : لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ، وسفَّهت الأحلام ، وفرَّقت الجماعة ، فما بقي أمرٌ قبيح إلا

(١) العنت : الجور والأذى .

قد جئتكم فيما بيننا وبينك ؛ فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً ،
جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت إنما تطلب به الشرف
فينا فنحن نسودك علينا ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان
هذا الذي يأتيك رثياً تراه قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك ،
حتى نبرئك منه أو نُعذِرَ فيك .

فقال لهم رسول الله ﷺ : « ما بي ما تقولون ، ما جئت بما جئتكم به
أطلب أموالكم . ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم . ولكن الله بعثني
إليكم رسولاً ، وأنزل عليّ كتاباً ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ،
فبلغتكم رسالات ربي ونصحتُ لكم ، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم
في الدنيا والآخرة . وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » .
قالوا : يا محمد ، فإن كنتَ غير قابلٍ منّا شيئاً مما عرضنا عليك فإنك قد
علمتَ أن ليس من الناس أحدٌ أضيقَ بلدًا ، ولا أقلَّ ماءً ، ولا أشدَّ عيشاً منا ،
فلس لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيّقتُ
علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ،
وليبعث لنا من مَضَى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قُصِيٌّ بنُ كِلاب ،
فإنه كان شيخَ صدق ، فنسألهما عما تقول ، أحقُّ هو أم باطل ؟ فإن صدَّقوك
وصنعت ما سألناك صدقناك ، وعرفنا به منزلتك من الله ، وأنه بعثك رسولاً
كما تقول :

فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه : « ما هذا بُعِثْتُ إليكم . إنما جئتكم
من الله بما بعثني به . وقد بلغتكم ما أُرسلتُ به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظكم
في الدنيا والآخرة . وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم الله
بيننا وبينكم » .

قالوا : فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك ، سل ربك أن يبعث معك
ملكاً يصدقك بما تقول ، ويُراجعنا عنك ، وسله فليجعل لك جناحاً وقصوراً

وكنوزاً من ذهب وفِضَّة . يُغْنِيكَ بِهَا عَمَّا نَرَاكَ تَبْتَغِي ؛ فَإِنَّكَ تَقُومُ بِالْأَسْوَاقِ
كَمَا نَقُومُ ، وَتَلْتَمِسُ الْمَعَاشَ كَمَا نَلْتَمِسُهُ ، حَتَّى نَعْرِفَ فَضْلَكَ وَمَتْرَلَتَكَ
مِنْ رَبِّكَ ، إِنْ كُنْتَ رَسُولاً فِيمَا تَزْعُمُ .

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ، وَمَا أَنَا بِالَّذِي يَسْأَلُ رَبَّهُ
هَذَا ، وَمَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ بِهَذَا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بَشِيراً وَنَذِيراً . فَإِنْ تَقَبَّلُوا مَا
جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حِطُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ تَرَدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لَأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى
يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ » .

قَالُوا : فَاسْقِطِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا كِسْفاً^(١) كَمَا زَعَمْتَ أَنْ رَبَّكَ إِنْ شَاءَ فَعَلَ ؛
فَإِنَّا لَا نُؤْمِنُ لَكَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ . إِنْ شَاءَ أَنْ يَفْعَلَهُ بِكُمْ فَعَلَ » .
قَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، أَفَمَا عَلِمَ رَبُّكَ أَنَّا سَنَجْلِسُ مَعَكَ وَنَسْأَلُكَ عَمَّا سَأَلْنَاكَ عَنْهُ ،
وَنَطْلُبُ مِنْكَ مَا نَطْلُبُ . فَيَتَقَدَّمُ إِلَيْكَ فَيَعْلَمُكَ مَا تُرَاجِعُنَا بِهِ ، وَيَخْبِرُكَ مَا هُوَ
صَانِعٌ فِي ذَلِكَ بِنَا ، إِذْ لَمْ نَقْبَلْ مِنْكَ مَا جِئْتَنَا بِهِ ! إِنَّهُ قَدْ بَلَّغْنَا أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْلَمُكَ
هَذَا رَجُلٌ بِالْإِمَامَةِ يُقَالُ لَهُ « الرَّحْمَنُ »^(٢) ، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَا نُؤْمِنُ بِالرَّحْمَنِ أَبَدًا ، فَقَدْ
أَعْذَرْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَا نَتْرُكُكَ وَمَا بَلَغْتَ مِنَّا حَتَّى نُهْلِكَ أَوْ تَهْلِكَ !
وَقَالَ قَائِلُهُمْ : نَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ ، وَهِيَ بَنَاتُ اللَّهِ . وَقَالَ قَائِلُهُمْ : لَنْ
نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً .

فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَنْهُمْ ، وَقَامَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي
أُمِيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، وَهُوَ ابْنُ عَمَّتِهِ^(٣) . فَقَالَ لَهُ : يَا مُحَمَّدُ ، عَرَضَ عَلَيْكَ
قَوْمُكَ مَا عَرَضُوا فَلَمْ تَقْبَلْهُ مِنْهُمْ . ثُمَّ سَأَلُوا لَأَنْفُسِهِمْ أُمُوراً لِيَعْرِفُوا بِهَا مَتْرَلَتَكَ
مِنْ اللَّهِ كَمَا تَقُولُ . وَيَصْدَقُوكَ وَيَتَّبِعُوكَ فَلَمْ تَفْعَلْ . ثُمَّ سَأَلُوكَ أَنْ تَأْخُذَ لِنَفْسِكَ

(١) حَمِيعٌ كَسَمَةٍ بِالْكَسْرِ . وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الشَّيْءِ .
(٢) هُوَ مُسَيْلِمَةُ بْنُ حَبِيبٍ الْحَنْفِيُّ . الْمَعْرُوفُ بِمُسَيْلِمَةِ الْكَذَّابِ . كَانَ قَدْ تَسَمَّى بِالرَّحْمَنِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .
وَكَانَ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ . الرُّوضُ الْأَنْفُ .
(٣) أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ .

ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ، فوالله لا أو من بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظرُ إليك حتى تأتيها ؛ ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وإيمُ الله أن لو فعلت ذلك ما ظننتُ أنني أصدقك !

ثم انصرف عن رسول الله ﷺ . وانصرف عنه رسول الله إلى أهله حزيناً أسفاً ، لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دَعَوْه ، ولما رأى من مباعدهم إياه .

صنع أبي جهل

فلما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل : يا معشر قريش إن محمداً قد أبى إلّا ما ترون من عيب ديننا ، وشم آباءنا ، وتسفيه أحلامنا . وشم آهتنا ، وإني أعاهد الله لأجلسنَّ له غداً بحجرٍ ما أطيّق حمله ، فإذا سجّد في صلاته فضختُ به رأسه ، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم !

قالوا : والله لا نُسلمُك لشيء أبداً ، فامضِ لما تريد .

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره ، وغدا رسول الله كما يغدو ، وكان بمكة وقبلته إلى الشام ، فكان إذا صلى صلى بين الركنين : الركن اليماني والأسود ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام . فقام يصلي وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم . ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزماً مُنتَقِعاً لونه^(١) مرعوباً ، قد يبست يداه على حجره ، حتى قذّف الحجر من يده . وقامت إليه رجال قريش فقالوا له : ما لك يا أبا الحكم ؟ قال : قمتُ إليه لأفعل به ما قلتُ لكم البارحة ، فلما دنوتُ منه

(١) انتقع لونه (بالبناء للمفعول) : تغير من هم أو فرغ .

عرض لي دونه فحلّ من الإبل لا والله ما رأيتُ مثل هامته . ولا مثل قصّرتة^(١)
ولا أنيابه لفحلّ قط . فهم بي أن يأكلني !

خبر النضر بن الحارث

فلما قال لهم ذلك أبو جهل قام النضر بن الحارث فقال : يا معشر قريش .
إنه والله قد نزل بكم أمرٌ ما أتيتم له بحيلة بعد . قد كان محمدٌ فيكم غلاماً حدثاً .
أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً . وأعظمكم أمانة . حتى إذا رأيتم في صدغيه
الشيبَ . وحاءكم بما جاء به قلم : ساحر ! لا . والله ما هو بساحر . لقد رأينا
السحرة ونفّثهم عقدهم . وقلم : كاهن ! لا والله ما هو بكاهن . فقد رأينا الكهنة
وتخالجهم . وسَمِعنا سجعهم . وقلم شاعر ! لا والله ما هو بشاعر . قد رأينا الشعر
وسمعنا أصنافه كلّها : هزجَه ورجزَه . وقلم : مجنون ! لا والله ما هو بمجنون .
لقد رأينا الجنونَ . فما هو بحقّيه . ولا وسوسته . ولا تخليطه . يا معشر قريش .
فانظروا في شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم !

وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، ومن كان يؤذي رسول الله
ﷺ . وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الجيرة وتعلّم بها أحاديث ملوك
الفرس ، وأحاديث رستم وإسفنديار . فكان إذا جلس رسول الله ﷺ
مجلساً فذكر فيه بالله . وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله ،
خلفه في مجلسه إذا قام ثم قال : أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه .
فهلُم إليّ فأنا أحدثكم أحسن من حديثه . ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم
وإسفنديار . ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثاً مني ؟

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول : نزل فيه ثمان آيات من القرآن :
قول الله عز وجل : ﴿ إِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ، وكل ما ذكر
فيه من الأساطير من القرآن .

(١) القصرة : أصل العنق .

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم

ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين . فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يُفتن من شدة البلاء الذي يصيبه ، ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم .

وكان بلال مولى أبي بكر رضي الله عنهما . لبعض بني جُمَح ، مولداً من مولديهم ، وهو بلال بن رباح ، وكان اسم أمه حمامة . وكان صادق الإسلام طاهر القلب . وكان أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح يُخرجه إذا حميت الظهيرة فيطره على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد الآلات والعزى ! فيقول وهو في ذلك البلاء : أحدٌ أحدٌ ! وكان ورقة ابن نوفل يمرُّ به وهو يعذب بذلك وهو يقول أحدٌ أحدٌ ، فيقول : أحدٌ أحدٌ والله يا بلال ! ثم يُقبل على أمية بن خلفٍ ومن يصنع ذلك به من بني جمح فيقول : أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حناناً^(١) ! حتى مرَّ به أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوماً وهم يصنعون به ذلك . فقال لأمية بن خلف : ألا تتقي الله في هذا المسكين ، حتى متى ! قال : أنت الذي أفسدته فأنيقده مما ترى ! فقال أبو بكر : أفعُل ، عندي غلامٌ أسودٌ أحلِدُ منه وأقوى ، على دينك ، أعطيكه به . قال : قد قبلت . فقال : هو لك . فأعطاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه غلامه ذلك ، وأخذته فأعتقه .

ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ستَّ رقاب ، بلالٌ

(١) أى موضع حنان . أتمسح به متبركاً

سابعهم : عامر بن فهيرة ، وأم عيسى ، وزنيرة وأصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش : ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى ! فقالت : كذبوا وبيت الله . ما تضر اللات والعزى وما تنفعان ! فرد الله بصرها .

وأعتق النهدية وبناتها ، وكانتا لامرأة من بني عبد الدار ، فرّ بهما وقد بعثتهما سيّدتهما بطحين لها وهي تقول : والله لا أعتقكما أبداً ! فقال أبو بكر رضي الله عنه : حل^(١) يا أمّ فلان ! فقالت : حل ؟ أنت أفسدتهم فأعتقهما ! قال : فبكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا . قال : قد أخذتهما ، وهما حُرّتان ، أرجعا إليها طحينها . قالتا : أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نردّه إليها ؟ قال : ذلك إن شئتما . ومرّ بجارية بني مؤمل ، وكانت مُسلمة ، وعمر بن الخطاب يعذبها لترك الإسلام ، وهو يومئذ مشرك ، وهو يضربها حتى إذا ملّ قال : إنني أعتذر إليك إني لم أتركك إلا ملالة ! فتقول : كذلك فعل الله بك ! فابتاعها أبو بكر فأعتقها .

قال أبو قحافة لأبي بكر : يا بني ، إنني أراك تُعتق رقاباً ضعافاً . فلو أنك إذ فعلت أعتقت رجالاً جُلداً يمعنونك ويقومون دونك ؟ فقال أبو بكر : يا أبتِ إنني إنما أريد ما أريد الله عزّ وجلّ !

وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمّار بن ياسر وبأبيه وأمه ، وكانوا أهل بيت إسلام ، إذا حميت الظهيرة ، يعذبونهم برمضاء مكة^(٢) ، فيمرّ بهم رسول الله ﷺ فيقول : صبراً آل ياسر ، موعدكم الجنة ! فأما أمّه فقتلوها وهي تأبى إلا الإسلام .

وكان أبو جهل الفاسق الذي يُغري بهم في رجالٍ من قريش ، إذا سمع بالرجل قد أسلم ، له شرفٌ ومنعة ، أنبه وأخزاه وقال : تركت دينَ أبيك وهو خيرٌ منك ! لنسفهن حلمك ، ولنُفيلن^(٣) رأيك ، ولنضعن شرفك !

(١) أي تحللي من يمينك .

(٢) الرمضاء : الرمل الساخن من شدة حرارة الشمس .

(٣) قيل رأيّه : قبحه وخطأه .

وإن كان تاجراً قال : والله لنكسِدَنَّ تجارتك ، ولنُهْلِكَنَّ مالك !
وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به .

عن سعيد بن جبیر قال :

قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يُعذِّرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم والله ، إن كانوا ليضربون أحدهم ويُجِيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به ، حتى يعطيهم ما سألوهُ من الفتنة ، حتى يقولوا له : اللات والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم . حتى إن الجعل^(١) ليمرُّ بهم فيقولون له : هذا الجعل إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتدأ منهم مما يبلغون من جهده .

الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء . قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أتم فيه . فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم . فكانت أول هجرة كانت في الإسلام .

وكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وأبو حذيفة بن عتبة معه امرأته سهلة بنت سهيل ، والزبير ابن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية ، وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة ، وأبو سبرة بن أبي رهم ، وسُهَيْل بن بيضاء

(١) الجعل : دابة سوداء كالخفساء من دواب الأرض . قيل هو أبو جمران .

فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة^(١) .
ثم خرج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا
بأرض الحبشة . فكانوا بها . منهم من خرج بأهله معه . ومنهم من خرج بنفسه
لأهل له معه .

فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم
الذين خرجوا بهم معهم صغاراً أو ولدوا بها . ثلاثة وثمانين رجلاً .

إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها

فلما رأت قريش أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ قد آمنوا واطمأنوا بأرض
الحبشة . وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً . ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم
رجلين من قريش جلدَيْن إلى النجاشي . فيردَّهم عليهم . ليفتنوهم عن دينهم .
ويُخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها ، فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة .
وعمر بن العاص بن وائل . وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقتهم ثم بعثوهم
إليه . .

عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله ﷺ قالت :
لما نزلت أرض الحبشة جاورنا بها خير جارٍ ، النجاشي ، أمنا على ديننا .
وعبدنا الله تعالى لا نُؤذِي ولا نسمع شيئاً نكرهه . فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا
بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدَيْن ، وأن يُهدوا للنجاشي هدايا
مما يُستطرف من متاع مكَّة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم^(٢) . فجمعوا
له أدماً كثيراً ، ولم يتركوا من بطارقتهم بطريقاً إلا أهدوا إليه هدية ، ثم بعثوا
بذلك عبد الله بن أبي ربيعة . وعمر بن العاص ، وأمروهما بأمرهم ، وقالوا

(١) قال ابن هشام : وكان عليهم عثمان بن مطعون . (٢) الأدم : الجلود .

خما : ادفعوا إلى كل بضريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم . ثم قدما إلى النجاشي هداياه . ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم . فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار . عند خير جار . فلم يبق من بطارقتة بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلموا النجاشي ، وقالوا لكل بطريق منهم : إنه قد ضوى^(١) إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم . وجاءوا بدين مبتدع ، لا نعرفه نحن ولا أنتم . وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم . فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم . فإن قومهم أعلى بهم عينا^(٢) وأعلم بما عابوا عليهم . فقالوا خما : نعم .

ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما . ثم كلماه فقالا له : أيها الملك . إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشيرتهم ، لتردهم إليهم ، فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه .

قالت : ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي ؛ فقالت بطارقتة حوله : صدقا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم . فغضب النجاشي ثم قال : لاها الله^(٣) ، إذا لا أسلمهم إليهما ، ولا يكاد قوم جاوروني . ونزلوا بلادي ، واختاروني على من سواي ، حتى أدعواهم فأسألم عما يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني .

(١) صوى إليه : لحا وأوى .

(٢) هو أعلى به عينا . أي أبصر به . (٣) أي لا والله .

قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم . فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا . وما أمرنا به نبينا ﷺ كائنا في ذلك ما هو كائن . فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله . سألهم فقال لهم : ما هذا الدين الذي قد فارقم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل ؟

فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب . فقال له : أيها الملك . كنا قوما أهل جاهلية . نعبد الأصنام . ونأكل الميتة . ونأتي الفواحش . ونقطع الأرحام . ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف . فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه . وأمانته وعفافه . فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه . من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث . وأداء الأمانة ، وصلة الرحم . وحسن الجوار . والكف عن المحارم والدماء . ونهانا عن الفواحش . وقول الزور . وأكل مال اليتيم . وقذف المحصنات . وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشارك به شيئا . وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . قالت : فعدد عليه أمور الإسلام . فصدقناه وآمنا به . واتبعناه على ما جاء به من الله . فعبدنا الله وحده فلم نشارك به شيئا . وحررنا ما حرّم علينا . وأحللنا ما أحلّ لنا . فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى . وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا . وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك . واخترناك على من سواك . ورغبنا في جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك !

فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ فقال له جعفر : نعم . فقال له النجاشي : فاقرأه علي . فقرأ عليه صدرا من

﴿كَهَيَّعَ﴾ . قالت : فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته ^(١) . وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ! ثم قال لهم النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ^(٢) ! انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما . ولا يكادون !

قالت : فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غداً بما أسأصل به خضراءهم ^(٣) ! فقال له عبد الله بن أبي ربيعة - وكان أئقياً ^(٤) الرجلين فينا - : لا تفعل . فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا . قال : والله لأخبرته أنهم يرمون أن عيسى بن مريم عبد !

ثم عدا عليه من الغد فقال له أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً . فأرسل إليهم فسألهم عما يقولون فيه .

فأرسل إليهم ليسألهم عنه . قالت : ولم ينزل بنا مثلها قط . فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول والله ما قال الله ، وما جاءنا به نبينا ، كائناً في ذلك ما هو كائن !

فلما دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون في عيسى بن مريم ؟ فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ . يقول : هو عبد الله ورسوله وروحه . وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ^(٥) .

فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ، ثم قال : والله ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود ^(٦) .

فتناخرت بطارفته حوله حين قال ما قال ، فقال : وإن نخرتم والله ، اذهبوا فأنتم شيومٌ بأرضي ^(٧) . من سبكم غريم ، من سبكم غريم ! ما أحب أن لي دبراً ^(٨) من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم ! ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها .

(١) أي ابتلت من الدموع . (٢) أي شجرتهم التي نفرعوا منها . وخضراء كل شيء : أصله .

(٣) أي شجرتهم التي نفرعوا منها . وخضراء كل شيء : أصله .

(٤) المشكاة : الكوة غير النافذة . (٥) ويروى : « أبقي » .

(٥) البتول : العذراء المقطعة عن الأزواج . (٦) ويروى : « سيوم » أي آمنون .

(٦) أي مقدار هذا العود . (٧) الدبر . بلغة الحبشة : الجبل .

قالت : فخرجا من عنده مقبوحين ، مردوداً عليهما ما جاءا به ، وأقمنا عنده بخيرٍ دارٍ مع خير جار .

قالت : فوالله إنا لعلّى ذلك إذ نزلَ به رجلٌ من الحبشة ينازعُه في مُلكه فوالله ما علمتُنا حزناً حزناً قط كان أشدَّ علينا من حزنٍ حزناه عند ذلك ، تخوفاً أن يظهر ذلك الرجلُ على النجاشي ، فيأتيَ رجلٌ لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يُعرف منه . وسار إليه النجاشي وبينهما عرض النيل ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مَنْ رجلٌ يخرج حتى يحضرُ وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر ؟ فقال الزبير بن العوام : أنا . قالوا : فأنت . وكان من أحدث القوم سناً . فنفضخوا له قربةً فجعلها في صدره ، ثم سبَحَ عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ، ثم انطلقَ حتى حضرهم .

قالت : فدعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوّه ، والتمكين له في بلاده . فوالله إنا لعلّى ذلك متوقعون لما هو كائن ، إذ طلع الزُّبير وهو يسعى ، فلمع بثوبه^(١) وهو يقول : ألا أبشروا فقد ظفِرَ النجاشي ! وأهلكَ الله عدوّه ، ومكّن له في بلاده ، واستوسق^(٢) عليه أمر الحبشة . فكنا عنده في خير منزل ، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة .

إسلام عُمر بن الخطاب

ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ﷺ ، وردّهما النجاشي بما يكرهون وأسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلاً ذا شكيمة لا يُرامُ ما وراء ظهره . امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ وبحمزة ، حتى عازوا قريشاً^(٣) . وكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر أن نصليَ عند الكعبة حتى

(١) لمع بثوبه : رفعه وحركه ليراه غيره .

(٢) استوسق : اجتمع . (٣) أي غلبوهم .

أسلم عمر بن الخطاب ، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة ، وصلىنا معه . وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة .

وكان إسلام عمر فيما بلغني ، أن أخته فاطمة بنت الخطاب كانت قد أسلمت وأسلم بعلها سعيد بن زيد ، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر . وكان نعيم بن عبد الله النخام - رجل من قومه من بني عدي بن كعب - قد أسلم . وكان أيضاً يستخفي بإسلامه فرقاً من قومه ^(١) .

وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن ، فخرج عمر يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ، ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب وأبو بكر الصديق ، وعلي بن أبي طالب ، في رجال من المسلمين ، ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة . فلقيه نعيم ابن عبد الله فقال له : أين تريد يا عمر ؟ فقال : أريد محمداً هذا الصابيء الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها ، وسب آلها ، فأقتله . فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك يا عمر ! أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ؟! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال : وأي أهل بيتي ؟ قال : ختنك وبن عمك سعيد بن زيد بن عمرو . وأختك فاطمة بنت الخطاب . فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه : فعليك بهما ^(٢) .

ورجع عمر عامداً إلى أخته وختنه ^(٣) . وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها طهارة . يقرئهما إياها . فلما سمعوا حساً عمر تغيب خباب في مخدع لهم ^(٤)

(١) الفرق : الحوف .

(٢) إما أراد بذلك صرفه عن رسول الله ﷺ . حتى عليه وإيذاء فاطمة وزوجها أهن من ذلك أمرا

(٣) الحن . زوج البنت أو الأخت .

(٤) المخدع : بيت صغير داخل البيت الكبير .

أو في بعض البيت ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت
فخذها . وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال :
ما هذه الهينة^(١) التي سمعتُ؟ قالوا له : ما سمعت شيئاً . قال : بلى والله . لقد أخبرتُ
أنكما تابعتما محمداً على دينه ! وبطش بختنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته
فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها ، فضربها فشجها . فلما فعل ذلك قالت
له أخته وختنه : نعم ، قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله . فاصنع ما بدا لك ! فلما
رأى عمر ما بأخته من الدم نديم على ما كان صنع . فارغوى ، وقال لأخته :
أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون آنفاً ، أنظر ما هذا الذي جاء به
محمد - وكان عمر كاتباً^(٢) - فلما قال ذلك قالت له أخته : إنا نخشاك عليها .
قال : لا تخافي . وحلف لها بألته ليردنها إذا قرأها إليها . فلما قال ذلك طمعت
في إسلامه فقالت له : يا أخي ، إنك نجس ، على شركك . وإنه لا يمسه
إلا الطاهر^(٣) ! فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصحيفة وفيها ﴿ طه ﴾ فقرأها . فلما
قرأ منها صدرأ قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمهُ ! فلما سمع ذلك خباب
خرج إليه فقال له : يا عمر ، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة
نبيه ، فإنني سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام
أو بعمر بن الخطاب ! فאלله الله يا عمر !

فقال له عند ذلك عمر : فدُلّني يا خباب على محمد حتى آتية فأسلم . فقال له
خباب : هو في بيت عند الصفا . معه نفر من أصحابه .

فأخذ عمر سيفه فتوشحه ، ثم عمداً إلى رسول الله ﷺ وأصحابه
فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله
ﷺ فنظر من خلل الباب . فرآه متوشحاً بالسيف . فرجع إلى رسول الله

(١) الهينة : صوت كلام لا يفهم .

(٢) أي عارفاً بالكتابة .

(٣) اختلف في الطهارة عند مس المصحف . فقليل فرض . وقيل مدوب .

ﷺ وهو فرعٌ فقال : يا رسول الله . هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف . فقال حمزة بن عبد المطلب : فأذن له . فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له . وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه . فقال رسول الله ﷺ : ائذن له . فأذن له الرجل ونهضَ إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحُجرة . فأخذَ حُجْرَتَه (١) أو بمجمع رداءه . ثم جَبَذَه به جبذةً شديدة وقال : ما جاء بك يا ابنَ الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهيَ حتى يُنزلَ الله بك قارعة (٢) . فقال عمر : يا رسول الله . جئتُك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله !

فكبر رسول الله ﷺ تكبيراً عَرَفَ أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أنَّ عمر قد أسلم .

فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عزَّوا في أنفسهم حين أسلم عمر . مع إسلام حمزة . وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ ويتصفون بهما من عدوهم .

قال عمر : لما أسلمت تلك الليلة تذكَّرتُ أي أهل مكة أشدُّ لرسول الله ﷺ عداوةً حتَّى آتَيْه فأخبره أنِّي قد أسلمت . قال : قلت أبو جهل . فأقبلت حين أصبحتُ حتى ضربتُ عليه بابه . قال : فخرج إليَّ أبو جهل فقال : مرحباً وأهلاً بابن أختي (٣) . ما جاء بك ؟ جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله وبرسوله محمد . وصدَّقت بما جاء به . قال : فضرب الباب في وجهي . وقال : قَبَحَكَ الله وقَبَحَ ما جئتُ به !

خبر الصحيفة

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً . وأن النجاشي قد مَنَعَ من لجأ إليه منهم . وأن عمر قد أسلم

(١) الحجزة : موضع شد الإزار (٢) القارعة : الداهية .

(٣) كانت أم عمر حنتم بنت هشام بن المغيرة . أخت أبي جهل بن هشام .

فكان هو وحمرة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه .
الإسلام يفشو في القبائل ، اجتمعوا واثمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه
على بني هاشم وبني عبد المطلب ، على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم . ولا
يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم .

فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم
علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم .

وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة ، فدعا عليه رسول الله ﷺ
فشلَّ بعض أصابعه .

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن
عبد المطلب ، فدخلوا معه في شعبة واجتمعوا إليه ، وخرج من بني هاشم أبو لهب
عبد العزى بن عبد المطلب ، إلى قريش فظاهرهم . وكان يقول بعض ما يقول :
يَعْدُنِي مُحَمَّدٌ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا ، يَزْعُمُ أَنَّهَا كَائِنَةٌ بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَمَاذَا وَضَعَ
فِي يَدَيَّ بَعْدَ ذَلِكَ ؟ ثُمَّ يَنْفُخُ فِي يَدَيْهِ وَيَقُولُ : تَبًّا لَكُمَا ، مَا أَرَى فِيكُمَا شَيْئاً
مِمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ^(١) ﴾ .
فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جُهِدوا ، لا يصل إليهم شيء إلا سراً ،
مستخفياً به من أرادَ صِلَتهم من قريش .

ذكر ما لقي رسول الله ﷺ

من قومه من الأذى

فجعلت قريش "حين منعه الله منها وقام عمه وقومه من بني هاشم وبني المطلب

(١) وقيل : إن سب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى : « وأندر عتيرتك الأقربين » خرج رسول الله ﷺ
حتى أتى الصفا . فصعد عليه وقال : يا صحابه ! فلما اجتمعوا إليه قال : أرايتم لو أخرجتكم من
خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : ما حزننا عليك كذا . قال : فإني نذير
لكم بين يدي عذاب شديد . قال أبو لهب : تباً لك ألهذا جمعتنا ! فأمرل الله تعالى . « تبَّتْ يَدَا أَبِي
لَهَبٍ وَتَبَّ »

دونه . وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به ، يهمزونه ويستهزئون به
وينخاصمون به ، وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم وفيمن نَصَب لعداوته منهم ،
فمنهم من سُمي لنا ، ومنهم من نزل فيه القرآن في عامة مَنْ ذكر الله من الكفار .
فكان ممن سُمي لنا من قريش من نزل فيه القرآن عمه أبو لهب بن عبد المطلب
وامراته أم جميل بنت حرب بن أمية « حَمَّالَةُ الحَطَب » ؛ لأنها كانت تحمل
الشوك فتطرحه على طريق رسول الله ﷺ حيث يمر ، فأنزل الله تعالى فيهما :
﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ
نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ » وامراته حَمَّالَةُ الحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ .

قال ابن إسحاق : فذكر لي أَنَّ أمَّ جميل . حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها
من القرآن ، أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ، ومعه
أبو بكر الصديق ، وفي يدها فهر^(١) من حجارة . فلما وقفت عليهما أخذ الله
ببصرها عن رسول الله ﷺ ، فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت : يا أبا بكر ،
أين صاحبك فقد بلغني أنه يهجوني ! والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه !
ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، أما تُراها رأيتك ؟ فقال : ما
رأيتني ، لقد أخذ الله ببصرها عني .

وأمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَح ، كان إذا رأى رسول الله
ﷺ همزة ولمزة^(٢) . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَيَلُّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ » الَّذِي
حَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا
أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْفُتُودَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ
مُؤَصَّدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ .

والعاص بن وائل السهمي ، كان خباب بن الأرت ، صاحب رسول الله
ﷺ . قَيْنًا يَعْمَلُ السُّيُوفَ ، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفاً عملها

(١) فهر : حجر في مقدار ملء الكف .

(٢) الهمز : أن يشتم الرجل علانية . وبكسر عينيه عليه ويغمز به . واللمز : أن يعيبه سراً .

له ، حتى كان له عليه مال ، فجاء يتقاضاه ، فقال له : يا خَبَاب ، أليس يزعمُ محمدٌ صاحبُكم هذا الذي أنتَ على دينه أنَّ في الجنة ما ابتغى أهلُها من ذهب أو فضة ، أو ثياب أو خدم ! قال خباب : بلى . قال : فأنظرنى إلى يوم القيامة يا خباب ، حتَّى أرجعَ إلى تلك الدار فأقضيكَ هنالك حَقَّكَ ، فوالله لا تكون أنت وصاحبك يا خباب أثر عند الله مني ولا أعظم حظاً في ذلك . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالاً وَّوَلَدًا * أَطَّلَعَ الْغَيْبَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ .

ولقي أبو جهل بن هشام رسولَ الله ﷺ - فيما بلغني - فقال له : والله يا محمد لتتركنَّ سبَّ آلهتنا أو لنسبَنَّ إلهك الذي تعبد ! فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . فذكر لي أن رسول الله ﷺ كفَّ عن سبِّ آلهتهم وجعل يدعوهم إلى الله .

والنضر بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، كان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فدعا فيه إلى الله تعالى وتلا فيه القرآن ، وحذر فيه قريشاً ما أصاب الأمم الخالية ، خلفه في مجلسه إذا قام ، فحدثهم عن رُستم الشيد^(١) ، وعن إسفنديار ، وملوك فارس ثم يقول : والله ما محمد بأحسن حديثاً مني ، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتبتهما كما اكتبتهما محمد . فأنزل الله فيه : ﴿ وَقَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ ، ونزل فيه : ﴿ إِذَا تُلِّيَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ . ونزل فيه : ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

والأخنس بن شريق بن وهب الثقفي ، وكان من أشرف القوم ومن يُستمع منه ، فكان يُصيب من رسول الله ﷺ ويردُّ عليه ، فأنزل الله تعالى فيه :

(١) معناه في الفارسية الشمس ، أو ضوؤها .

﴿ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَنَمِيمٍ ﴾ إلى قوله ﴿ زَنِيمٍ ﴾ .
والوليد بن المغيرة قال : أُنزِلَ على محمدٍ وأُتِرِكَ وأنا كبير قريش وسيدها !
ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف ، ونحن عظيمي القريتين^(١) !
فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ إلى قوله ﴿ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .

وأبي بن خلف ، وعقبة بن أبي مُعَيْط ، وكانا متصافيين ، حسناً ما بينهما ،
فكان عُقْبَةُ قد جلس إلى رسول الله ﷺ وسمع منه ، فبلغ ذلك أبيًا ، فأتى
عُقْبَةَ فقال له : ألم يبلغني أنك جالست محمدًا وسمعتَ منه ! وجهي من وجهك
حرامٌ أن أكلمك - واستغلظَ من اليمين - إن أنت جلست إليه أو سمعتَ
منه ، أو لم تأتِه فتتفلَّ في وجهه ! ففعل ذلك عدوُّ الله عُقْبَةُ بن أبي مُعَيْطٍ لعنه
الله ، فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ
مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ إلى قوله ﴿ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ .

ومشى أبي بن خلف إلى رسول الله ﷺ بعظمٍ بالٍ قد ارفَتَ فقال يا
محمد ، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم^(٢) ! ثم فته في يده ثم نفخه
في الريح نحو رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : نعم ، أنا أقول ذلك ،
يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ، ثم يدخلك الله النار ! فأنزل الله تعالى :
﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا
الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ
نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ .

واعترض رسول الله ﷺ ، وهو يطوف بالكعبة فيما بلغني ، الأسود
ابن المطَّلِب بن أسد بن عبد العزَّى ، والوليد بن المغيرة ، وأمية بن أبي خلفٍ
والعاصم بن وائل السَّهْمِي ، وكانوا ذوي أسنانٍ في قومهم ، فقالوا : يا محمد ،
هَلُمَّ فلنعبدُ ما تعبدُ ، فنشترك نحنُ وأنت في الأمر ، فإن كان الذي تعبدُ خيرًا

(١) القريتان : مكة والطائف . (٢) أرم - بلي - وصارمة .

ما نعبد . كُنَّا قد أخذنا بحظنا منه . وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد . كنت قد أخذت بحظك منه . فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۖ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۖ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۖ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۖ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝ ﴾ .

وأبو جهل بن هشام ، لما ذكر الله عز وجل شجرة الزقوم تخويفاً لهم بها قال : يا معشر قريش ، هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد ؟ قالوا : لا . قال : عجوة يثرب بالزبد ، والله لئن استمكنّا منها لنتزقمنّها تزقماً^(١) ! فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ ۖ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۖ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۖ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ۝ ﴾ أي ليس كما يقول .

ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله ﷺ . ورسول الله ﷺ يكلمه . وقد طمع في إسلامه . فبينما هو في ذلك إذ مرّ به ابن أم مكتوم الأعمى . فكلم رسول الله ﷺ وجعل يستقرئه القرآن . فشق ذلك منه على رسول الله ﷺ حتى أضجره ، وذلك أنّه شغلّه عما كان فيه من أمر الوليد . وما طمع فيه من إسلامه . فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۖ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝ ﴾ . أي إنما بعثتك بشيراً ونذيراً ، لم أخصّ بك أحداً دون أحد ، فلا تمنعه من ابتغاه ، ولا تتصدّين به لمن لا يريد .

وكان نفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته أبا لهب والحكم بن أبي العاص . وعقبة بن أبي معيط ، وعدي بن حمراء الثقفي ، وابن الأصداء الهذلي ، وكانوا جيرانه . لم يسلم منهم أحدٌ إلّا الحكم بن أبي العاص فكان أحدهم - فيما ذكر لي - يطرح عليه ﷺ رَحِمَ الشاة وهو يصلي . وكان أحدهم يطرحها في بُرْمته^(٢) إذا نُصِبَتْ له ، حتى اتخذ رسول الله ﷺ حِجْرًا^(٣) يستتر به منهم إذا صلى . فكان إذا طرحوا عليه ذلك الأذى ، يخرج به ﷺ

(١) التزقّم : الابتلاع . (٢) البرمة : القدر من حجارة . (٣) الحجر . : كل ما ححرته من حائط

على العُود . فيقف به على بابه ثم يقول : يا بني عبد مناف . أي جوارٍ هذا ؟ !
ثم يلقيه في الطريق .

عودة مهاجرة الحبشة لما بلغهم إسلام أهل مكة

وبلغ أصحاب رسول الله ﷺ الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلامُ
أهل مَكَّة . فأقبلوا لِمَا بَلَّغَهُمْ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْ مَكَّةَ بَلَّغَهُمْ أَنَّ مَا كَانُوا
تَحَدَّثُوا بِهِ مِنْ إِسْلَامِ أَهْلِ مَكَّةَ كَانَ بَاطِلًا . فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِجَوَارٍ
أَوْ مُسْتَخْفِيًا .

وجميع من قدم عليه من مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون
رجلاً .

فكان من دخل منهم بجوارٍ فيمن سُمِّي لنا : عثمان بن مظعون بن حبيب
الجمحي . دخل بجوارٍ من الوليد بن المغيرة . وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال
ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم . ودخل بجوارٍ من أبي طالب بن عبد المطلب
- وكان خاله - وأم أبي سلمة برة بنت عبد المطلب .

حديث نقض الصحيفة

ثم إنَّه قام في نقض تلك الصحيفة التي تكاثبت فيها قريشٌ على بني هاشم
وبني المطلب نفرٌ من قريش ، ولم يُبل فيها أحدٌ أحسنَ من بلاء هشام بن عمرو
وذلك أنه كان ابن أخى نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأُمِّه ، فكان هشامُ لبني
هاشمٍ واصلًا ، وكان ذا شرفٍ في قومه . فكان فيما بلغني يأتي بالبعير . وبنو هاشم
وبنو المطلب في الشَّعب ليلاً ، قد أوقرهُ^(١) طعاماً ، حتى إذا أقبلَ به فَمَ الشعب
خلعَ خِطَامَهُ مِنْ رَأْسِهِ ، ثُمَّ ضَرَبَ عَلَى جَنْبِهِ . فیدخل الشعبُ عليهم . ثم يأتي
به قد أوقرهُ بَرًّا^(٢) فيفعلُ به مثل ذلك .

(١) أوقره : حملة (٢) البز : الثياب .

ثم إنه مَشَى إلى زُهَيْر بن أَبِي أُمَيَّة بن المغيرة . وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال : يا زهير ، أقد رضيت أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب ، وتنكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت ، ولا يُبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا يُنكح إليهم . أما إنِّي لأحلفُ بالله أن لو كانوا أخوالَ أبي الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً ! قال : ويحك يا هشام فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجلٌ واحدٌ ، والله لو كان معي رجلٌ آخرُ لَقُمْتُ في نقضها حتى أنقضَها . قال : قد وجدتَ رجلاً قال : فمن هو ؟ قال : أنا . قال له زهير : أبغنا رجلاً ثالثاً .

فذهب إلى المطعم بن عديٍّ فقال له : يا مطعم ، أقد رضيت أن يهلكَ بطنانٌ من بني عبد منافٍ وأنت شاهدٌ على ذلك ، موافقٌ لقريش فيه ؟! أما والله لكن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعاً . قال : ويحك فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد . قال : قد وجدتَ ثانياً . قال : من هو ؟ قال : أنا . قال : أبغنا ثالثاً . قال : قد فعلت . قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أُمَيَّة . قال : أبغنا رابعاً .

فذهب إلى أبي البَخْرِيِّ بن هشام ، فقال له نحوه مما قال للمطعم بن عديٍّ فقال : وهل من أحدٍ يعير على هذا ؟ قال نعم . قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أُمَيَّة ، والمطعم بن عدي ، وأنا معك . قال : أبغنا خامساً . فذهب إلى زَمْعَةَ بن الأسود بن المطلب . فكلَّمه وذكر له قرابتهم وحقَّهم فقال له : وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد ؟ قال : نعم . ثم سمَّى له القوم .

فأتعدوا خَطَمَ الحَجُّون^(١) ليلاً بأعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك فأجمعوا أمرهم وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها . وقال زهير : أنا أبدوكم فأكون أوَّل من يتكلَّم .

(١) خطم الحجون : موضع . والحجون : جبل بأعلى مكة .

فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أمية عليه حُلَّةٌ فطاف بالبيت سبعا ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة ، أناكل الطعام ونبلس الثياب ، وبنو هاشم هلكتي لا يباعون ولا يبتاع منهم ! والله لا أقعدُ حتى تشقَّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة .

قال أبو جهل - وكان في ناحية من المسجد : كذبت والله لا تشق !
قال زمعة بن الأسود : أنت والله أكذب ، مارَضِينَا كتابتها حيثُ كتبتُ .
قال أبو البَخْتَرِيّ : صدق زمعة ، لا نرضى ما كُتِبَ فيها ولا نقرُّ به . قال المطعمُ ابن عديّ : صدقما . وكذب من قال غيرَ ذلك ، نبرأ إلى الله منها وممَّا كُتِبَ فيها ! وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك .

فقال أبو جهل : هذا أمرٌ قُضِيَ بَلِيل . تُشَوِّرُ فيه بغير هذا المكان .
قال : وأبو طالب جالسٌ في ناحية المسجد . فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا « باسمك اللهم » .
وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة ، فَشَلَّتْ يدهُ فيما يزعمون .

أمر الإراشي الذي باع أبا جهل إبله

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثقفي وكان واعية ، قال :

قديم رجلٌ من إراشٍ يابِلٍ له مَكَّةٌ ، فابْتَاعَهَا منه أبو جهل ، فمَطَّلَهُ بأثمانها . فأقبلَ الإراشي حتى وقفَ على نادٍ من قريش ، ورسول الله ﷺ في ناحية من المسجد جالس ، فقال : يا معشرَ قريش ، مَنْ رجلٌ يُؤدِّيني ^(١) على أبي الحكم بن هشام ؟ فَأَنَّنِي رجلٌ غريبٌ ، ابنُ سبيلٍ ، وقد غلبني على حقِّي ؟ فقال له أهلُ ذلك المجلس : أترى ذلك الرجلَ الجالس - لرسولِ الله ﷺ - وهم يهزءون به ، لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة - إذهبْ إليه فإنه يُؤدِّيك عليه !

(١) يؤدِّيني : يعينني

فَأَقْبَلَ الْإِرَاشِيَّ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، إِنَّ أَبَا الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ قَدْ غَلَبَنِي عَلَى حَقِّي لِي قَبْلَهُ ، وَأَنَا رَجُلٌ غَرِيبٌ ابْنُ سَبِيلٍ ، وَقَدْ سَأَلْتُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَنْ رَجُلٍ يُوَدِّعُنِي عَلَيْهِ ، يَأْخُذُ لِي حَقِّي مِنْهُ ، فَأَشَارُوا لِي إِلَيْكَ ، فَخَذَ لِي حَقِّي مِنْهُ بِرَحْمَتِكَ اللَّهُ ! قَالَ : انْطَلِقْ إِلَيْهِ . وَقَامَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ مَعَهُ قَالُوا لِلرَّجُلِ مِمَّنْ مَعَهُمْ : اتَّبِعْهُ فَاَنْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُ ؟ وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جَاءَهُ فَضْرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، فَاخْرَجْ إِلَيَّ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَمَا فِي وَجْهِهِ مِنْ رَائِحَةٍ ^(١) ، قَدْ انْتَقَعَ لَوْنُهُ ، فَقَالَ : أَعْطِ هَذَا الرَّجُلَ حَقَّهُ ، قَالَ : نَعَمْ ، لَا تَبْرَحْ حَتَّى أَعْطِيَهُ الَّذِي لَهُ . فَدَخَلَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ بِحَقِّهِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ .

ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ لِلْإِرَاشِيِّ : الْحَقُّ بِشَأْنِكَ . فَأَقْبَلَ الْإِرَاشِيَّ حَتَّى وَقَفَ عَلَى ذَلِكَ الْمَجْلِسِ فَقَالَ : جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا ، فَقَدْ وَاللَّهِ أَخَذَ لِي بِحَقِّي .

قَالَ : وَجَاءَ الرَّجُلُ الَّذِي بَعَثُوا مَعَهُ فَقَالُوا : وَيْحَكَ ! مَاذَا رَأَيْتَ ؟ قَالَ : عَجَبًا مِنَ الْعَجَبِ . وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ ضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَمَا مَعَهُ رُوحُهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَعْطِ هَذَا حَقَّهُ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، لَا تَبْرَحْ حَتَّى أَخْرَجَ إِلَيْهِ حَقَّهُ ، فَدَخَلَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ بِحَقِّهِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ !

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَبُو جَهْلٍ أَنْ جَاءَ ، فَقَالُوا لَهُ : وَيْلَكَ ! مَا لَكَ ؟ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَنَعْتَ قَطُّ ! قَالَ : وَيْحَكُمْ ، وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ ضَرَبَ عَلَيَّ بَابِي وَسَمِعْتُ صَوْتَهُ فَلَمْتُ رُعْبًا ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَيْهِ ، وَإِنْ فَوْقَ رَأْسِهِ لَفَحْلًا مِنَ الْإِبِلِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَامَتِهِ ، وَلَا قَصْرَتِهِ ، وَلَا أَنْيَابِهِ لَفَحْلٍ قَطُّ ! وَاللَّهِ لَوْ أَبَيْتُ لَأَكَلَنِي !

حديث الإسراء

ثُمَّ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ^(٢) ،

(١) أى بقية روح . (٢) قال السهيلي : قيل كان قبل الهجرة بعام .

وهو بيت المقدس من إيلياء ، وقد فشا الإسلام بمكة في قريش وفي القبائل كلها .
فكان عبد الله بن مسعود - فيما بلغني عنه - يقول :

أُتِيَ رسول الله ﷺ بالبُرّاق ، وهي الدابة التي كانت تُحْمَلُ عليها الأنبياء قبله ، تضع حافرَها في منتهى طرفها ؛ فحُمِلَ عليها ، ثم خرج به صاحبُها ، يرى الآيات فيما بين السماء والأرض ، حتّى انتهى إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم الخليل وموسى وعيسى ، في نفرٍ من الأنبياء قد جمعوا له ، فصلّى بهم . ثم أتى بثلاثة آنية : إناء فيه لبن ، وإناء فيه خمر ، وإناء فيه ماء . فقال رسول الله ﷺ : فسمعتُ قائلاً يقول حين عُرِضَتْ عليّ : إن أخذ الماء غرق وغرقت أمّته ، وإن أخذ الخمر غوى وغوت أمّته ، وإن أخذ اللبن هُدِي هُدِيته . قال : فأخذتُ إناء اللبن فشربت منه ، فقال لي جبريل عليه السلام : هُدِيته وهُدِيته أمّتك يا محمد !

قال ابن إسحاق : وحُدِّثَ عن الحسن أنه قال :

قال رسول الله ﷺ : بينا أنا نائمٌ في الحِجْرِ إذ جاءني جبريلُ فهمزني بقدمه . فجلستُ فلم أرَ شيئاً ، فعدتُ إلى مضجعي ؛ فجاءني الثانية فهمزني بقدمه ، فجلستُ فلم أرَ شيئاً ، فعدتُ إلى مضجعي ؛ فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه ، فجلستُ فأخذَ بعضدي ، فقمْتُ معه ، فخرج بي إلى باب المسجد ، فإذا دابةٌ أبيض ، بين البغل والحمار ، في فخذيه جناحان يحفزان^(١) بهما رجله ، يضع يده في منتهى طرفه . فحملني عليه ، ثم خرجَ معي لا يفوتني ولا أفوته . قال الحسن في حديثه : فمضى رسول الله ﷺ ومضى جبريل عليه السلام معه حتّى انتهى به إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفرٍ من الأنبياء ، فأَمَّهم رسولُ الله ﷺ فصلّى بهم ، ثم أتى إناعين في أحدهما خمر وفي الآخر لبن ، فأخذ رسول الله ﷺ إناء اللبن فشرب منه وترك إناء الخمر . فقال له جبريل : هُدِيته للفطرة وهُدِيته أمّتك يا محمد ، وحرّمت

(١) يحفر : يدفع .

عليكم الخمر . ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة ، فلما أصبح غدا على قريش فأخبرهم الخبر فقال أكثر الناس : هذا والله الإمر^(١) البين ! والله إن العيرَ لتطردُ^(٢) شهراً من مكة إلى الشام مدبرةً ، وشهراً مُقبلةً ، أفذهب ذلك محمدٌ في ليلةٍ واحدةٍ ويرجع إلى مكة !

قال : فارتدَّ كثيرٌ ممن كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبي بكر فقالوا له : هل لك يا أبا بكر في صاحبك ، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة ! فقال لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه . فقالوا : بلى ، ها هو ذاك في المسجد يحدث به الناس . فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق ، فما يُعجبُكم من ذلك ! فوالله إنه ليُخبرني أن الخبر ليأتيه من الله من السماء إلى الأرض في ساعةٍ من ليلٍ أو نهار فأصدقه ! فهذا أبعدُ مما تعجبون منه . ثم أقبلَ حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال : يا نبيَّ الله ، أحدثت هؤلاء القومَ أنك جئتَ بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم . قال : يا نبي الله فصِّفه لي ، فإنِّي قد جئتُه . فقال رسول الله ﷺ : فرُفِع لي حتى نظرتُ إليه . فجعل رسول الله ﷺ يصفه لأبي بكر ويقول أبو بكر صدقت ، أشهد أنك رسول الله . حتى إذا انتهى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر : وأنت يا أبا بكر الصديقُ . فيومئذٍ سمَّاه « الصديق » .

عن سعيد بن المسيَّب ، أن رسول الله ﷺ وصف لأصحابه إبراهيم وموسى وعيسى حين رآهم في تلك الليلة فقال :
أما إبراهيم فلم أر رجلاً أشبه قطُّ بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه^(٣) . وأما موسى فرجلٌ آدمٌ طويلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ أَقْنَى^(٤) كأنه من رجال

(١) الإمر ، بكسر الهمزة : العجيب المنكر .

(٢) العير : النافلة ، تطرد اطرادا : تجري وتسرع .

(٣) أي ولم أر رجلاً صاحبكم أشبه به منه .

(٤) آدم : أسمر . الضرب : الخفيف اللحم . الجعد : المجتمع بعضه إلى بعض . الأَقْنَى : العالي قصبة الأنف .

شَنُوءَة^(١) . وأما عيسى بن مريم فرجلٌ أحمر بين القصير والطويل ، سَبَطَ الشعر كثير خيلان الوجه^(٢) ، كأنَّه خرجَ من ديماس^(٣) ، تحال رأسه يقطر ماءً ، أشبه رجالكم به عروة بن مسعود الثقفي .

قصة المعراج

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه أنه قال :

سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : لَمَّا فرغتُ مما كان في بيت المقدس ، أتيت بالمعراج ، ولم أر شيئاً قطُّ أحسنَ منه ، وهو الذي يمدُّ إليه ميتكم عينيه إذا حُضِرَ ، فأصعدني صاحبي فيه حتى انتهى بي إلى بابٍ من أبواب السماء يقال له باب الحَفَظَةِ ، عليه مَلَكٌ من الملائكة يقال له إسماعيل ، تحت يديه اثنا عشر ألفَ ملك ، تحت يدي كلُّ ملك منهم اثنا عشر ألفَ ملك - يقول رسول الله ﷺ حين حدث بهذا الحديث : ﴿ وما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ - فلما دخل بي قال : مَنْ هذا يا جبريل ؟ قال : هذا محمد . قال : أو قد بُعث ؟ قال : . نعم . قال : فدعالي بخيرٍ وقاله .

لما دخلت السماء الدنيا رأيت بها رجلاً جالساً تعرض عليه أرواحُ بني آدم فيقول لبعضها إذا عُرِضَتْ عليه خيراً ويُسرُّ به ، ويقول : روح طيبة خرجت من جسد طيب . ويقول لبعضها إذا عُرِضَتْ عليه : أف ! وَيَعْبِسُ بوجهه ويقول : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث . قلتُ : مَنْ هذا يا جبريل ؟ قال . هذا أبوك آدم ، تعرض عليه أرواحُ ذريته فإذا مرَّت به روح المؤمن منهم سرَّ بها وقال : روح طيبة خرجت من جسد طيب ! وإذا مرَّت به روح الكافر منهم أقف^(٤) منها وكرهها وساءه ذلك ، وقال : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث !

(١) شَنُوءَة : قبيلة من الأزد .

(٣) الديماس : بكسر الدال وفتحها : الحمام .

(٤) أي قال : أف ، تضجراً .

(٢) الخيلان : جمع خال ، وهو الشامة السوداء .

ثم رأيت رجالاً لهم مَشافر^(١) كمشافر الإبل . في أيديهم قطع من نار كالأفهار^(٢) ، يقذفونها في أفواههم فتخرج من أديبارهم . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة أموال اليتامي ظلماً .

ثم رأيت رجالاً لهم بطون لم أر مثلاً قط . بسبيل آل فرعون^(٣) يمرون عليهم كالإبل المهيومة^(٤) حين يُعرضون على النار ، يطئونهم لا يقدرُونَ على أن يتحولوا من مكانهم ذلك . قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا . ثم رأيت رجالاً بين أيديهم لحمٌ سمين طيب ، إلى جنبه لحمٌ غثٌ منتن^(٥) يأكلون من الغث المنتن ويتركون السمين الطيب . قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركُونَ ما أحلَّ الله لهم من النساء . ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منه .

ثم رأيت نساءً معلقاتٍ بُدِيهِنَّ ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهن .

ثم أضعدني إلى السماء الثانية ، فإذا فيها ابنا الخالة : عيسى بن مريم . ويحيى ابن زكريا .

ثم أضعدني إلى السماء الثالثة . فإذا فيها رجلٌ صورته كصورة القمر ليلة البدر ، قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك يوسف بن يعقوب .
ثم أضعدني إلى السماء الخامسة ، فإذا فيها كهلاً أبيض الرأس واللحية ، عظيم العثون^(٦) ، لم أر كهلاً أجمل منه ؛ قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا المحبَّب في قومه هارون بن عمران .

ثم أضعدني إلى السماء السادسة ، فإذا فيها رجلٌ آدم طويلٌ أقنى . كأنه من رجال شنوءة ؛ فقلت له : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك موسى ابن عمران .

(١) المشفر : شفة البعير . (٤) المهيومة : العطاش .

(٢) الأفهار : جمع فهر . حجر في مقدار ملء الكف . (٥) الغث : الضعيف المهزول .

(٣) آل فرعون . لهم في الآخرة أشد العذاب . (٦) العثون : اللحية .

ثم أوصدني إلى السماء السابعة . فإذا فيها كهلٌ جالسٌ على كرسيٍّ إلى باب البيت المعمور . يدخله كلُّ يوم سبعون ألفَ ملك . لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة ، لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه . قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم .

ثم دخل بي الجنة فرأيت فيها جاريةً لعشاء^(١) ، فسألتها : لمن أنت ؟ وقد أعجبني ورايتها . فقالت : لزيد بن حارثة . فبشر بها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة .

قال رسول الله ﷺ : فأقبلت راجعاً ، فلما مررت بموسى بن عمران ، ونعم صاحبٌ كان لكم . سألتني : كم فرض عليك من الصلاة ؟ فقلت : خمسين صلاة كلَّ يوم . فقال : إن الصلاة ثقيلة ، وإن أمتك ضعيفة ، فارجعْ إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك . فرجعتُ فسألتُ ربِّي أن يخفف عني وعن أمتي . فوضع عني عشرًا . ثم انصرفت فمررتُ على موسى فقال لي مثلَ ذلك ، فرجعتُ فسألتُ ربِّي فوضع عني عشرًا . ثم انصرفت فمررتُ على موسى فقال مثلَ ذلك ، فرجعتُ فسألتُ فوضع عني عشرًا ، ثم لم يزل يقول لي مثلَ ذلك ، كلُّما رجعتُ إليه قال : فارجع فاسأل . حتى انتهيت إلى أن وضعَ ذلك عني إلا خمسَ صلواتٍ في كل يومٍ وليلة . ثم رجعتُ إلى موسى فقال لي مثلَ ذلك ، فقلتُ : قد راجعتُ ربِّي وسألته ، حتى استحيتُ منه ، فما أنا بفاعل .

فمن أذهن منكم إيماناً بهن واحتساباً لهن . كان له أجر خمسين صلاةً مكتوبة .

وفاة أبي طالب وخديجة

ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عامٍ واحد . فتتابعت على

(١) للعشاء : التي بصرت لون تنميتها إلى السواد قلداً

رسول الله ﷺ المصائب ، بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الإسلام ، يشكو إليها ؛ وبهلك عمه أبي طالب ، وكان له عضداً وحِرْزاً في أمره ، ومنعة وناصرأ على قومه . وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين .

فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش ، فنثر على رأسه تراباً ، ودخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه ، فقامت إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ، ورسول الله ﷺ يقول لها : لا تبكي يا بُنَيَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ مانعُ أباك . ويقول بين ذلك : ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب .

ولما اشتكى أبو طالب^(١) وبلغ قريشاً ثقله ، قالت قريشُ بعضها لبعض : إن حمزة وعُمر قد أسلما ، وقد فشا أمرُ مُحَمَّدٍ في قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه ، وليُعْطِهُ مِنَّا . والله ما نأمنُ أن يبتزونا أمرنا قال ابن عباس : مشوا إلى أبي طالب فكلّموه ، وهم أشراف قومه : عتبة ابن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمّية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب ، في رجالٍ من أشرافهم ، فقالوا : يا أبا طالب ، إنك منا حيث قد علمت ، وقد حضرك ما ترى وتحوّفتنا عليك ، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك ، فادعه فخذ له مِنَّا وخذ لنا منه ، ليكفّ عنا ونكفّ عنه ، وليدعنا وديننا وندعه ودينه .

فبعث إليه أبو طالب فجاءه ، فقال : يا ابن أخي ، هؤلاء أشراف قومك ، قد اجتمعوا لك ليُعْطوك وليأخذوا منك . فقال رسول الله ﷺ : نعم كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم . فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشرُ كلمات . قال : « تقولون لا إله إلا الله ، وتحلعون ما تعبدون من دونه » . فصنّفقوا بأيديهم ثم قالوا : أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهاً

(١) اشتكى : مرض . والشكو والشكوى والشكاة والشكاء . المرض .

واحداً ، إن أمرَكَ لَعَجَب ! ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكُم شيئاً مما تُريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم ، حتَّى يحكم الله بينكم وبينه .

ثم تفرقوا فقال أبو طالب لرسول الله ﷺ : والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شططاً ! فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله ﷺ في إسلامه فجعل يقول له : أي عم ، فأنت فقلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة .

فلما رأى حرص رسول الله ﷺ قال : يا ابن أخي ، والله لو لا مخافة السُّبَّة عليك وعلى بني أبيك من بعدي وأن تظن قريش أنني إنما قتلتها جزعاً من الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسرك بها .

فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفّته ، فأصغى إليه بأذنه فقال : يا ابن أخي ، والله لقد قال أخى الكلمة التي أمرته أن يقولها ! فقال رسول الله ﷺ : لم أسمع .

قال : وأنزل الله تعالى في الرُّهط الذين كانوا اجتمعوا إليه وقال لهم ما قال وردّوا عليه ما ردّوا : ﴿ صَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ . بل الذين كفروا في عزة وشقاق ﴿ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ . وانطلق الملائمة منهم أن أمشوا واصبروا على آلهتكم إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَاد ﴾ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ﴾ - يعنون النصارى لقولهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ - ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾ .

ثم هلك أبو طالب .

سعي الرسول إلى ثقيف يطلب النصرة

ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ، والمنعة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به

من الله عزَّ وجلَّ ، فخرج إليهم وحده .

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف . عمَدَ إلى نفر من ثقيف ،

يومئذٍ سادة ثقيف وأشرفهم . وهم إخوة ثلاثة : عبدُ يا ليلَ بن عمرو بن
عمير ، ومسعود بن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير ، وعند أحدهم
امرأة من قريش من بني جُمَح ، فجلس إليهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الله
وكلَّمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على مَنْ خالفه من
قومه . فقال له أحدهم : هو يَمْرُط ^(١) ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك .
وقال الآخر : أما وجدَ الله أحداً يرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلمك
أبداً ، لئن كنتَ رسولاً من الله كما تقول ، لَأنتَ أعظمُ خطراً من أن أُرَدَّ
عليك الكلام ، ولئن كنتَ تكذبُ على الله ما ينبغي لي أن أكلمك !

فقام رسول الله ﷺ من عندهم ، وقد قال لهم : إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا
عني . وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومُه عنه فيُذثروهم ^(٢) ذلك عليه . فلم
يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه
الناس ، وألجئوه إلى حائط ^(٣) لعبتة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، ورجع
عنه من سفهاء ثقيف مَنْ كان يتبعه ، فعمَدَ إلى ظلِّ حُبْلَةٍ ^(٤) من عنب ، فجلس
فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لَقِيَ من سفهاء أهل الطائف .

وقد لقي رسولُ الله ﷺ المرأة التي من بني جُمَح فقال لها : ماذا لقينا من
أحمائك ؟ !

فلما اطمأنَّ رسول الله ﷺ قال - فيما ذكر لي - : اللهم إليك أشكو
ضعفَ قوَّتي ، وقِلَّةَ حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحمَ الراحمين ، أنت
ربُّ المستضعفين ، وأنت ربِّي ، إلى مَنْ تَكِلُنِي : إلى بعيدٍ يتجهَّمُنِي ^(٥) ، أم

(١) يمرطها : يترعها ويرمي بها

(٢) أذَّره عليه : أثَّره وجراه .

(٤) الحبلَة : شجرة العنب .

(٣) الحائط : البستان إذا كان عليه جدار .

(٥) يتجهَّمُنِي : يلقاني بالغلظة والوجه الكريه .

إلى عدوّ ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك عليّ غضبٌ فلا أبالي ، ولكنّ عافيتك هي أوسعُ لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة . من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل عليّ سخطك . لك العتبى^(١) حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك !

فلما رآه ابنا ربّيعه : عتبة وشيبة ، وما لقي ، تحركت له رَحِمُهُمَا ، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له « عَدَّاس » فقالا له : خُذْ قِطْفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه . ففعل عدّاس ، ثم أقبل به حتّى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ، ثم قال له : كُلْ . فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده قال : باسم الله . ثم أكل ، فنظر عدّاس في وجهه ثم قال : والله إنّ هذا الكلامَ ما يقوله أهل هذه البلاد ! فقال له رسول الله ﷺ : ومن أيّ البلاد أنت يا عدّاس ، وما دينك ؟ قال : نصرانيّ ، وأنا رجلٌ من أهل نينوى^(٢) . فقال رسول الله ﷺ : من قرية الرجل الصالح يونسَ بن مَتَّى ! فقال له عدّاس : وما يدريك ما يونس بن مَتَّى ؟ فقال رسول الله ﷺ : ذاك أخي ، كان نبياً وأنا نبي ! فأكَبَّ عدّاس على رسول الله ﷺ يقبّل رأسه ويديه وقدميه .

قال : يقول ابنا ربّيعه أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك ! فلما جاءهما عدّاس قالوا له : ويلك يا عدّاس ، مالك تقبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : يا سيدي ، ما في الأرض شيءٌ خَيْرٌ من هذا ، لقد أخبرني بأمرٍ ما يعلمه إلا نبيّ ! قالوا له : ويحك يا عدّاس ، لا يصرفنك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه !

أمر جنّ نصيبين

ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة ، حين يثس

(١) العتبى : الرجوع عن الإساءة إلى ما يرضي العاتب .

(٢) نينوى : قرية بالموصل . من العراق .

من خير ثَقِيف ، حتى إذا كان بنخلة^(١) قام من جوف الليل يصلي فمرَّ به نفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى ، وهم - فيما ذكر لي - سبعة نفر من جن أهل نصيبين^(٢) ، فاستمعوا له ، فلما فرغ من صلاته ولَّوا إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا .

فقصَّ الله خبرهم عليه ﷺ . قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ . وقال تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ إلى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة .

عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل

ثم قدِمَ رسولُ الله ﷺ مكة وقومه أشدُّ ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه ، إلا قليلاً مستضعفين ممن آمن به ، فكان رسولُ الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم إذا كانت ، على قبائل العرب ، يدعوهم إلى الله ، ويخبرهم أنه نبيُّ مرسل ، ويسألهم أن يصدِّقوه ويمنعوه حتى يبين لهم عن الله ما بعثه به . قال ربيعة بن عباد :

إني لَغلامٌ شابٌّ مع أبي يَمْنَى ، ورسولُ الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : يا بني فلان ، إني رسولُ الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي وتصدِّقوا بي وتمنعوني ، حتى أبين عن الله ما بعثني به . وخلفه رجلٌ أحولٌ وضيءٌ ، له غديرتان^(٣) ، عليه حلة عدنية ، فإذا فرغ رسولُ الله ﷺ من قوله وما دعا إليه ، قال ذلك الرجل : يا بني فلان ، إن

(١) نخلة : أحد واديين على ليلة من مكة . يقال لأحدهما نخلة الشامية . وللآخر نخلة اليمانية .

(٢) نصيبين : مدينة من بلاد الجزيرة على طريق القوافل من الموصلى إلى الشام .

(٣) الغديرة : الذؤابة من الشعر

هذا إنما يدعوكم إلى أن تَسْلَحُوا اللات والعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من بني مالك بن أقيش^(١) ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه !

فَقَلَبَ لَأَبِي : من هذا الذي يتبعه ويردُّ عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمُّ عبد العزى بن عبد المطلب ، أبو لهب .

قال ابن إسحاق : حدثنا ابن شهاب الزهري : أنه أتى كندة في منازلهم ، وفيهم سيِّدٌ لهم يقال له مُلَيْح ، فدعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ ، وعرضَ عليهم نفسه فأَبَوْا عليه .

وأنَّه أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ وعرضَ عليهم نفسه . فقال له رجلٌ منهم يقال له « بَيْحَرَة بن فِرَاس » : والله لو أنِّي أخذتُ هذا الفتى من قريش لأكلتُ به العرب ! ثم قال له : أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرَكَ اللهُ على مَنْ خالفكَ أَيْكونُ لنا الأمر من بعدك ؟ قال : الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء . فقال له : أَفَنُهِدُ^(٢) نحورُنَا للعرب دونك ، فإذا أظهرَكَ اللهُ كان الأمرُ لغيرنا ؟ ! لا حاجة لنا بأمرك ! فأَبَوْا عليه .

فلما صدر الناسُ رجعتُ بنو عامرٍ إلى شيخٍ لهم قد كانت أدركته السنُّ حتى لا يقدرُ أن يُوافيَ معهم المواسم ، فكانوا إذا رجَعُوا إليه حدَّثوه بما يكون في ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم . فقالوا : جاءنا فتى من قريش ، ثم أحدُ بني عبد المطلب ، يزعم أنه نبيٌّ ، يدعونا إلى أن نمنعه ونقومَ معه ونخرج به إلى بلادنا ! فوضعَ الشيخُ يديه على رأسه ثم قال : يا بني عامر ، هل لها من تَلَافٍ^(٣) ، هل لِدُنَابَاهَا من مَطْلَبٍ^(٤) ! والذي نفسُ فلان بيده ما تقوَّلتُ إسماعيليُّ قط . وإنَّها لحق . فأَينَ رأيكم كان عنكم ؟ !

(١) هم حي من الحن تنسب إليهم الإبل الأقيشية . وهي إبل ليست عتاقا . تنفر من كل شيء .

(٢) يهدمها : نصيرها هدفاً للرمي .

(٣) التلافي : التدارك .

(٤) مثل يصرب لما فات . وهو من « ذنابي الطائر » أي ذنبه . إذا أفلت من الحالة فطلت الأُخد به .

عن عبد الله بن كعب أن رسول الله ﷺ أتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم نفسه ، فلم يكن أحدٌ من العرب أقبحَ عليه رداً منهم . فكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره ، كلُّما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام . ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله من الهدى والرحمة ، وهو لا يسمع بقادمٍ يقدم مكة من العرب ، له اسمٌ وشرف ، إلا تصدَّى له فدعاه إلى الله ، وعرض عليه ما عنده .

قدم سويد بن صامت ، أحد بني عمرو بن عوف ، مكة حاجاً أو معتمراً ، فتصدَّى له رسول الله ﷺ حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام فقال له سويد : فلعلَّ معك مثل الذي معي . فقال رسول الله ﷺ وما الذي معك ؟ قال : مَجَلَّةٌ لُقمان . فقال رسول الله ﷺ : اعرضها عليَّ . فعرضها عليه . فقال له : إنَّ هذا لكلامٌ حسن ، والذي معي أفضلُ من هذا : قرآنُ أنزله الله تعالى عليَّ ، هو هُدًى ونور . فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ، ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه . وقال : إنَّ هذا لقولٌ حسن . ثم انصرف عنه ، فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتلته الخزرج .

فإن كان رجالٌ من قومه ليَقولون : إننا لَنراه قد قُتل وهو مسلم . وكان قتلُه قبل يوم بُعث^(١) .

بدء إسلام الأنصار

فلما أراد الله عزَّ وجلَّ إظهار دينه ، وإعزاز نبيِّه ﷺ ، وإنجاز مواعده له ، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النَّفَرُ من الأنصار ، فعرضَ نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم ، فبينما هو عند العَقبة^(٢) لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً^(٣) .

(١) بعث : موضع من بواحي المدينة ، كانت فيه حرب بين الأوس والخزرج .

(٢) العَقبة : موضع بين منى ومكة ، بينها وبين مكة نحو ميلين ، ومنها ترمى جمرَةُ العَقبة .

(٣) كان ذلك في السنة الحادية عشرة من النبوة .

لَمَّا لَقِيَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُمْ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : نَفَرٌ مِنَ الْخَزْرَجِ . قَالَ :
أَمِنْ مُوَالِي يَهُودَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : أَفَلَا تَجْلِسُونَ أَكُلُّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى .
فَجَلَسُوا مَعَهُ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ
الْقُرْآنَ .

وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ لَهُمْ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ ، أَنْ يَهُودَ كَانُوا مَعَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ .
وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَعِلْمٍ ، وَكَانُوا هُمْ أَهْلَ شِرْكَ وَأَصْحَابِ أَوْثَانٍ ، وَكَانُوا
قَدْ غَزَوْهُمْ بِبِلَادِهِمْ ، فَكَانُوا إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ قَالُوا لَهُمْ : إِنَّ نَبِيًّا مَبْعُوثٌ
الْآنَ قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُهُ . نَتَّبِعُهُ فَتَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرمَ !

فَلَمَّا كَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُولَئِكَ النَّفَرَ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ، قَالَ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ : تَعْلَمُوا وَاللَّهِ إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي تَوْعَدُكُمْ يَهُودَ ، فَلَا يَسْبِقُنْكُمْ إِلَيْهِ .

فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ ، بِأَنْ صَدَّقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَّضَ عَلَيْهِمُ مِنَ الْإِسْلَامِ
وَقَالُوا : إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ ، فَعَسَى
أَنْ يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ بِكَ ، فَسَنَقْدَمَ عَلَيْهِمْ فَنَدْعُوهُمْ إِلَى أَمْرِكَ . وَنَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الَّذِي
أَجْبَنَّاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ ، فَإِنْ يَجْمَعُهُمُ اللَّهُ عَلَيْكَ فَلَا رَجُلَ أَعَزُّ مِنْكَ .

ثُمَّ انصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَدْ آمَنُوا وَصَدَّقُوا .
وَهُمْ فِيمَا ذُكِرَ لِي سِتَّةُ نَفَرٍ مِنَ الْخَزْرَجِ .

فَلَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ إِلَى قَوْمِهِمْ ذَكَرُوا لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَدَعَوْهُمْ
إِلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى فُشَا فِيهِمْ ، فَلَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا ذِكْرٌ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

بيعة العقبة الأولى

حَتَّى إِذَا كَانَ الْعَامَ الْمُقْبِلَ وَافَى الْمَوْسِمَ مِنَ الْأَنْصَارِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، فَلَقُوهُ
بِالْعُقْبَةِ ، وَهِيَ الْعُقْبَةُ الْأُولَى ، فَبَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ^(١) ، وَذَلِكَ
قَبْلَ أَنْ تُفْتَرَضَ عَلَيْهِمُ الْحَرْبُ ، مِنْهُمْ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ ، وَرَافِعُ بْنُ مَالِكٍ ،

(١) أَيُّ عَلَى مَطْعَهَا . وَكَانَتْ بَيْعَةُ النِّسَاءِ فِي ثَانِي يَوْمِ الْفَتْحِ عَلَى جَبَلِ الصَّنَا بَعْدَمَا مَرَّ مِنْ بَيْعَةِ الرِّجَالِ .

وعبادة بن الصامت ، وأبو الهيثم بن التيهان .

عن عبادة بن الصامت قال :

كنت فيمن حضر العقبة الأولى ، وكنا اثني عشر رجلاً ، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تفرض الحرب ، على ألا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عز وجل ، إن شاء عذب ، وإن شاء غفر .

قال ابن إسحاق : فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، فكان يسمى المقرئ بالمدينة .
كان يصلي بهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمّه بعض .

بيعة العقبة الثانية

ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة ، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم ، مع حجاج قومهم من أهل الشرك ، حتى قدموا مكة ، فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة ، من أوسط أيام التشريق^(١) حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته ، والنصر لنبئه ، وإعزاز الإسلام وأهله .

قال كعب بن مالك :

خرجنا في حجاج قومنا من المشركين ، وقد صلينا وفقهنا ، ومعنا البراء ابن معرور ، سيدنا وكبيرنا ، فلما وجهنا^(٢) لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء لنا : يا هؤلاء ، إنني قد رأيت رأياً فوالله ما أدري أتوافقونني عليه أم لا ؟ قلنا : وما ذاك ؟ قال : رأيت ألا أدع هذه البنية مني بظھر - يعني الكعبة - وأن أصلي إليها . فقلنا : والله ما بلغنا أن نبينا ﷺ يصلي إلا إلى الشام^(٣) ، وما نريد

(١) أيام التشريق : ثلاثة بعد النحر ، كانوا يشرقون فيها لحم الأضاحي للشمس .

(٢) وجهنا : اتجهنا . (٣) أي بيت المقدس .

أن نخالفه . فقال : إني لمصلٍ إليها . فقلنا له : لكننا لا نفعل . فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى إلى الكعبة ، حتى قدمنا مكة وقد كنا عينا عليه ما صنع وأبى إلا الإقامة على ذلك . فلما قدمنا مكة قال لي : يا ابن أخي ، انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ حتى نسأله عما صنعتُ في سفري هذا ، فإنه والله لقد وقع في نفسي منه شيء ، لما رأيت من خلافتكم إياي فيه .

قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ ، وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك ، فلقينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله ﷺ ، فقال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا . قال : فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمّة ؟ قلنا : نعم . وقد كنا نعرف العباس ، كان لا يزال يقدم علينا تاجراً . قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجلُ الجالسُ مع العباس . فدخلنا المسجد فإذا العباسُ جالس . ورسول الله ﷺ جالس معه . فسلمنا ثم جلسنا إليه ، فقال رسول الله ﷺ للعباس : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ قال : نعم ، هذا البراء بن معرور سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك . فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ : الشاعر ؟ قلت : نعم . فقال له البراء بن معرور : يا نبي الله ، إني خرجت في سفري هذا وقد هداني الله للإسلام ، فرأيت ألا أجعل هذه البنية مني بظهور ، فصليتُ إليها ، وقد خالفني أصحابي في ذلك ، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء ، فإذا ترى يا رسول الله ؟ قال : قد كنتَ على قبلةٍ لو صبرت عليها ! قال : فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ ، وصلى معنا إلى الشام .

ثمَّ خرجنا إلى الحج ، وواعدنا رسولَ الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق . فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ، ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام أبو جابر ، سيّد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، أخذناه معنا ، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقلنا له : يا أبا جابر ، إنك سيّد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، وإنّا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون خطباً للنار غداً . ثم دعونا إلى الإسلام ، وأخبرناه

بميعاد الرسول ﷺ إيانا العقبة . فأسلمَ وشهد معنا العقبة ، وكان نقيباً .

فمننا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القَطَا مستخفين . حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة . ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ، ومعنا امرأتان من نساتنا : نُسَيْبَةُ بنت كعب ، وأسما بنت عمرو بن عدِي^(١) .

قال : فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ ، حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له . فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال : يا معشر الخزرج - وكانت العرب تسمي هذا الحي من الأنصار : الخزرج ، خذرجها وأوسها - إنَّ محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا . ممن هو على مثل رأينا فيه . فهو في عزٍّ من قومه ، ومنعة في بلده ، وإنه قد أتي إلا الانحياز إليكم ، والحق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، وما نعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مُسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه في عزٍّ ومنعة من قومه وبلده . فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغب في الإسلام ، ثم قال : أبايحكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم ! فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال : نعم ، والذي بعثك بالحق نبياً ، لنمنعَنَّك مما نمنع منه أزُرنا^(٢) ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أبناء الحروب ، وأهل الحلقة^(٣) ، ورثناها كابراً عن كابر !

(١) قال ابن إسحاق : كان رسول الله ﷺ لا يصفح النساء ، إنما كان يأخذ عليهن . فإذا أقرن قال : اذهبن فقد بايعتكن .

(٢) كنوا بالأزُر عن النساء ، أو عن النفوس ، يقال لكل منهما : إزار .

(٣) الحلقة : السلاح كله .

فاعترض القول ، والبراء يكلم رسول الله ﷺ ، أبو الهيثم بن التيهان ، فقال : يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال حبلاً وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل غسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرَكَ الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : بل الدَّمُ الدم ، وَالْهَدْمُ الهدْمُ ^(١) ، أنا منكم وأنتم مني ، أحارب مَنْ حاربتمْ ، وأسالم من سالمتم !

وقد كان قال رسول الله ﷺ : أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم . فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً ، تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس ^(٢) .

وكان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور ، ثم بايع بَعْدَ القوم .

فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطانُ من رأس العقبة بأنفذ صوتٍ سمعته قط : يا أهل الجباب ^(٣) ، هل لكم في مذمم ^(٤) والصُّبَاةِ ^(٥) معه ، قد اجتمعوا على حربكم ؟ فقال رسول الله ﷺ : هذا أذبُ العقبة ، هذا ابن أزيب ^(٦) ! .

ثم قال رسول الله ﷺ : ارفضوا إلى رحالكم . فقال له العباس بن عباد ابن نضلة : والله الذي بعثَكَ بالحق ، إن شئتَ لنَسِيلَنَّ على أهل منى غداً بأسيا فإنا ! فقال رسول الله ﷺ : لم نؤمر بذلك . ولكن ارجعوا إلى رحالكم .

(١) الهدم ، بإسكان الدال وفتحها : إهدار الدم ، أي إن طلب دمكم فقد طلب دمي ، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمي . والهدم . بالتحريك : القبر والمترل ، أي أقبر حيث تقبرون ، وأنزل حيث تنزلون .
(٢) أما نقيب الخزرج السبعة فهم : أسعد بن زرارة ، وسعد بن الربيع ، وعبد الله بن رواحة ، ورافع ابن مالك . والبراء بن معرور ، وعبد الله بن عمرو بن حرام ، وعبادة بن الصامت .
وأما بقية الأوس فهم : أسيد بن حضير ، وسعد بن خيثمة ، ورفاعة بن المنذر . قال ابن هشام : وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان . ولا يعدون رفاعة .

(٣) الجباب : المارل . منازل منى .

(٤) كان المشركون يلقبونه بذلك .

(٥) الصباة : جمع صاب . والصافي : الخارج من دينه . كانوا يسمون من أسلم بذلك .

(٦) أذب بن أزيب . اسم شيطان .

فرجعنا إلى مضاجعنا ، فمنا عليها حتى أصبحنا . فلما أصبحنا غدت علينا
جِلَّةُ قريشٍ فقالوا : يا معشرَ الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا
هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا . وإنه والله ما من حيٍّ
من العرب أبغضُ إلينا أن تَنشب الحربُ بيننا وبينهم ، منكم !
فانبعثَ مَنْ هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء ،
وما علمناه ! وقد صدقوا ، لم يَعلموه . قال : وبعضنا ينظر إلى بعض .
ونفر الناس من منى ، فتنطَّسَ^(١) القوم الخبرَ فوجدوه قد كان ، وخرجوا
في طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عُبادة بأذاخر^(٢) . والمندر بن عمرو ،
وكلاهما كان نقيبا . فأما المندر فأعجزَ القوم ، وأما سعد فأخذوه . فربطوا
يديه إلى عنقه يَنْسَع رَحْلُهُ^(٣) ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ،
ويجذبونه بِجُمَّتِهِ^(٤) ؛ وكان ذا شعر كثير .

قال سعد :

فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع عليَّ نفرٌ من قريش ، فيهم رجلٌ وضيءٌ
أبيض ، شَعشاعٌ^(٥) حلَّو من الرجال . فقلت في نفسي : إن يك عند أحده من
القوم خيراً فعند هذا . فلما دنا مِنِّي رفع يده فلكنني لكمةً شديدة ، فقلت في
نفسي : والله ما عندهم بعد هذا من خير ! فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني
إذ أوى لي^(٦) رجلٌ مَن كان معهم فقال : ويحك ! أما بينك وبين أحدٍ من
قريشٍ جوارٌ ولا عهد ؟ قلت : بلى والله . لقد كنت أجير لجُبَيْر بن مطعم بن
عدي بن نوفل بن عبد مناف تجارُهُ وأمنعهم مَن أراد ظلمهم ببلادي ؛
وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . قال : ويحك
فاهتفُ باسم الرجلين واذكرُ ما بينك وبينهما .

قال : ففعلتُ وخرج ذلك الرجلُ إليهما . فوجدَهما في المسجد عند

(١) أي أكثرُوا البحث

(٣) النسع : شراك يشد به الرجل .

(٥) الشعشاع : الطويل الحسن .

(٢) أذاخر : موضع قريب من مكة .

(٤) الجمعة : مجتمع شعر الرأس .

(٦) أوى له : رَق له ورحمه .

الكعبة . فقال لهما : إِنَّ رجلاً من الخزرج الآن يُضْرَب بالأبطح ويهتف بكما ، ويذكر أنَّ بينه وبينكما جواراً . قالَا : ومن هو ؟ قال : سعد بن عبادة . قالَا : صدق والله ، إِنَّ كان ليجيرُ لنا تجارنا ، ويمنعهم أن يُظْلَموا ببلده ! قال : فخلَّصنا سعداً من أيديهم ، فانطلق .

شروط بيعة العقبة الأخيرة

وكانت بيعة الحرب حين أذن الله لرسوله في القتال شروطاً سوى شرطه عليهم في العقبة الأولى . كانت الأولى على بيعة النساء ، وذلك أن الله تعالى : ' يمكن أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم في الحرب ، فلما أذن الله له فيها ، وبايعهم رسول الله ﷺ في العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود ، أخذ لنفسه ، واشترط على القوم لربه ، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة . قال عبادة بن الصامت :

بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب ، على السمع والطاعة ؛ في عُسرنا ويُسرنا ، ومُنْشَطْنَا ومَكْرَهْنَا^(١) ، وأثَرَةٍ^(٢) علينا . وألا ننازع الأمرَ أهله ، وأن نقول بالحق أينما كنَّا . لا نخاف في الله لومة لائم .

نزول الأمر بالقتال

وكان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تُحلل له الدماء . إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى ، والصفح عن الجاهل . وكانت قريش قد اظهرت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ، ونفّوهم من بلادهم ، فهم من بين مفتونٍ في دينه ، ومن بين معذبٍ في أيديهم ، وبين هاربٍ في البلاد فراراً منهم ؛ منهم من بأرض الحبشة ، ومنهم من بالمدينة . وفي كل وجه . فلما عتت قريش على الله عز وجل ، وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة . وكذبوا نبيَّ ﷺ ، وعدّبوا ونفّوا من عبده

(١) المنشط : الأمر تشط له وتخف له . وهو خلاف المكره .

(٢) الأثرة بمعنى الاستثار . إشارة إلى إثارة المهاجرين على أنفسهم .

وَوَحَّدَهُ وَصَدَّقَ نَبِيَّهٖ ، وَاعْتَصَمَ بِدِينِهِ ، أَذِنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي الْقِتَالِ وَالْإِنْتِصَارِ مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ وَبَغَى عَلَيْهِمْ ، فَكَانَتْ أَوَّلُ آيَةٍ أَنْزَلَتْ فِي إِذْنِهِ لَهُ فِي الْحَرْبِ ، وَإِحْلَالِهِ لَهُ الدِّمَاءَ وَالْقِتَالَ ، فِيمَا بَلَغَنِي عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَيَبْعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝

أَيُّ إِنِّي إِذَا أَحَلَلْتُ لَهُمُ الْقِتَالَ لِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ ذَنْبٌ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَإِنَّهُمْ إِذَا ظَهَرُوا أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ . يَعْنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ . ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أَيُّ لَا يُفْتَنَ مُؤْمِنٌ عَنْ دِينِهِ ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ . أَيُّ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ لَا يُعْبَدُ مَعَهُ غَيْرُهُ .

الإذن بهجرة المسلمين إلى المدينة

فَلَمَّا أَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ ﷺ فِي الْحَرْبِ ، وَبَايَعَهُ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالنُّصْرَةِ لَهُ وَلَمَنْ اتَّبَعَهُ وَأَوَى إِلَيْهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قَوْمِهِ ، وَمَنْ مَعَهُ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَالْهَجْرَةِ إِلَيْهَا ، وَاللَّحُوقِ بِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَقَالَ : « إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَانًا وَدَارًا تَأْمَنُونَ بِهَا » . فَخَرَجُوا أَرْسَالًا^(١) وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ يَنْتَظِرُ أَنْ يَأْذُنَ لَهُ رَبُّهُ فِي الْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ ، وَالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ .

(١) أَيُّ جَمَاعَاتٍ . وَاحِدَةٌ إِثْرُ الْآخَرَى .

ذكر المهاجرين إلى المدينة

فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش من بني مخزوم أبو سلمة بن عبد الأسد ، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة . وكان قدم رسول الله ﷺ مكة من أرض الحبشة ، فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار ، خرج إلى المدينة مهاجراً . ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة ، معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة ، ثم عبدالله بن جحش ، احتمل بأهله وبأخيه عبد ابن جحش ؛ وهو أبو أحمد ، وكان أبو أحمد رجلاً ضرير البصر ، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، وكان شاعراً . ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعيَّاش بن أبي ربيعة المخزومي ، حتى قدما المدينة ، ثم تتابع المهاجرون .

هجرة الرسول ﷺ

وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حُبس وقتن ، إلا علي بن أبي طالب ، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق ، رضي الله عنهما وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فيقول له رسول الله ﷺ : « لا تعجل لعلَّ الله يجعلُ لك صاحباً » ، فيطمع أبو بكر أن يكونه . ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شيعه وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منعة ، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمعَ لحربهم .

فاجتمعوا له في دار الندوة - وهي دار قُصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها - يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ ، حين خافوه .

عن ابن عباس قال : لما أجمعوا لذلك واتَّعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ،
 ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ ، غَدَوْا في اليوم الذي اتَّعدوا له ،
 وكان ذلك اليوم يسمَّى يوم الزَّحمة ، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل^(١) ،
 عليه بَتَّ^(٢) ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا : مَنْ
 الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد^(٣) سمع بالذي اتَّعدتم له ، فحضر معكم لسمع
 ما تقولون ، وعسى ألا يُعْدمكم منه رأياً ونُصحاً ! قالوا : أجل فادخل . فدخلَ
 معهم وقد اجتمع فيها أشراف قُرَيْش ، فقال بعضهم لبعض : إنَّ هذا الرجلَ
 قد كان من أمره ما قد رأيتم ، فإنَّا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتَّبعه
 من غيرنا . فأجمعوا فيه رأياً .

فتشاوروا ثم قال قائل منهم : احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تربَّصوا
 به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله : زهيراً والنابغة ، ومن مضى
 منهم ، من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم ! فقال الشيخ النجدي : لا والله
 ما هذا لكم برأي ، والله لئن حبستموه كما تقولون ، ليخرجنَّ أمره من وراء
 الباب الذي أغلقتُم دونه إلى أصحابه ، فلاَّوشكوا أن يشبوا عليكم فينزعوه من
 أيديكم ثم يكاثروكم به حتَّى يغلبوكم على أمركم . ما هذا لكم برأي ، فانظروا
 في غيره ..

فتشاوروا ثم قال قائل منهم^(٤) : نُخرجه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ،
 فإذا أخرجَ عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ، ولا حيث وقع ، إذا غابَ عنا وفرغنا
 منه ، فأصلَحنا أمرنا وألَفَّتْنا كما كانت .

فقال الشيخ النجدي : لا والله ، ما هذا لكم برأي ، ألم تروا حُسْنَ
 حديثه ، وحلاوة منطقته ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ، والله لو فعلتم ذلك

(٢) البت : كساء غليظ مربع .

(١) جليل : مسن

(٣) السهيلي : إنما قال لهم ، إني من أهل نجد ، لأنهم قالوا : لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل
 تهامة ، لأن هواهم مع محمد ، فلذلك تمثل لهم في صورة شيخ نجد .

(٤) هو أبو الأسود ربيعة بن عامر .

ما أمتم أن يحلَّ على حيٍّ من العرب ، فيغلبَ عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، أديرُوا فيه رأياً غير هذا .

فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لي لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعدُ . قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أن نأخذ من كل قبيلة فتًى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً^(١) فينا ، ثم نعطي كل فتًى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجلٍ واحدٍ فيقتلوه ، فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرَّق دمه في القبائل جميعاً ، فلم يقدر بنو عبد منافٍ على حرب قومهم جميعاً ، فرضوا منا بالعقل^(٢) ، فعقلناه لهم .

فقال الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل ، هذا الرأي لا رأي غيره !! فتفرق القوم على ذلك وهم مُجمعون له .

فأتى جبريلُ عليه السلام رسول الله ﷺ فقال : لا تَبِتْ هذه الليلة على فراشك الذي كنتَ تبيت عليه .

فلما كانت عتمةً من الليل اجتمعوا على بابهِ يرصدونه متى ينام ، فيشون عليه ؛ فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب : نَمْ على فراشي ، وتَسَجَّ^(٣) ببردي هذا الحضرميَّ الأخضر^(٤) فَنَمْ فيه ، فإنه لن يَخْلُصَ إليك شيء تكرهه منهم .

وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام .

عن محمد بن كعب القرظي قال :

لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام ، فقال وهم على بابهِ : إنَّ محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بُعثتم من بعد موتكم فجُعِلت لكم جناتٌ كجنات الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح . ثم

(١) الوسيط : الشريف .

(٢) العقل : الدية .

(٣) تسجى بالثوب : غطى به حسده ووجهه .

(٤) الحضرمي : مسوب إلى حضرموت .

بعثتم من بعد موتكم ، ثم جعلت لكم ناراً تحرقون فيها .

وخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده ، ثم قال : أنا أقول ذلك . أنت أحدهم . وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس : ﴿ يَس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ . حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات . ولم يبق منهم رجلٌ إلا وقد وضعَ على رأسه تراباً . ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب .

فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون ها هنا ؟ قالوا : محمد . قال : خيبكم الله ! قد والله خرج عليكم محمد . ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً . وانطلق لحاجته . أفما ترون ما بكم ؟ فوضع كلُّ رجلٍ منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب . ثم جعلوا يتطَّلعون فيرون علياً على الفراش مُتَسَجِّياً بُرد رسول الله ﷺ فيقولون : والله إن هذا لمحمدُ نائماً . عليه برده . فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا . فقام علي رضي الله عنه عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا .

قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً ذا مال . فكان حين استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فقال له رسول الله ﷺ : لا تعجلْ لعلَّ الله يجعلُ لك صاحباً - قد طمع بأن يكون رسول الله ﷺ إنما يعني نفسه حين قال له ذلك - فابتاع راحلتين فاحتبسهما في داره يعلفهما .

قالت عائشة : كان لا يخطيء رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحدَ طرفي النَّهار . إما بُكرةً وإما عشيّة ، حتَّى إذا كان اليوم الذي أُذِن فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه . أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة في ساعةٍ كان لا يأتي فيها . فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسولُ الله ﷺ هذه الساعةَ إلا لأمرٍ حدث ! فلمَّا دخل تأخَّر له أبو بكرٍ عن سريره ، فجلس رسول الله ﷺ وليس عند أبي بكرٍ إلا أنا وأختي أسماء بنت

أبي بكر . فقال رسول الله ﷺ : أخرج عني من عندك . فقال : يا رسول الله . إنما هما ابنتاي . وما ذاك ؟ فذاك أبي وأمي ! فقال : إن الله قد أذن لي في الخروج والحجرة . فقال أبو بكر : الصُّحبة يا رسول الله ؟ قال : الصُّحبة . قالت : فوالله ما شعرت . قطُّ قبل ذلك اليوم أنَّ أحدًا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكرٍ يبكي يومئذ . ثم قال : يا نبيَّ الله ، إنَّ هاتين راحلتان قد كنت أعددتُهما لهذا . فاستأجرا عبدَ الله بن أرقط . وكان مشركاً . يدلُّهما على الطريق . فدفعنا إليهما راحلتيهما . فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما .

قال ابن إسحاق : ولم يعلم فيما بلغني بخروج رسول الله ﷺ أحدٌ حين خرج ، إلَّا عليَّ بن أبي طالب ، وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر . أما عليٌّ فإنَّ رسول الله ﷺ - فيما بلغني - أخبره بخروجه . وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدِّي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس . وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحدٌ عنده شيءٌ يخشى عليه إلَّا وضعه عنده . لما يعلم من صدقه وأمانته .

فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروجَ . أتى أبا بكر بن أبي قُحافة فخرجوا من خَوْخَةٍ^(١) لأبي بكر في ظهر بيته . ثم عمداً إلى غارٍ بثور^(٢) فدخلاه . وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يتسمَّع لهما ما يقول الناسُ فيهما نهاره ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر . وأمر عامر بن فهيرة موله أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحهما عليهما . يأتيهما إذا أمسى في الغار . وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمسَتْ بما يُصلحهما^(٣) .

فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر . وجعلت قريشُ

(١) الخَوْخَة : باب صغير كالنافذة الكبيرة تكون بين بيتين ينصب عليها باب .

(٢) جبل بأسفل مكة .

(٣) ابن هشام عن الحسن البصري : « انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلاً . فدخل أبو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله ﷺ . فلمس الغار . لينظر : أفیه سبع أو حبة ؟ بقي رسول الله ﷺ بنفسه » .

فيه . حين فقدوه . مائة ناقة . لمن يرذه عليهم . وكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم . يسمع ما يأترون به . وما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبي بكر . ثم يأتيهما إذا أمسى فيحبرهما الخبر . وكان عامر ابن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه . يرعى في رعيان أهل مكة . فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر . فاحتلبا وذبحا . فإذا عبد الله بن أبي بكر غدا من عندهما إلى مكة . اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفي عليه . حتى إذا مضت الثلاث . وسكن عنهما الناس . أتاهما صاحبهما الذي استأجراه . بيعيريهما وبعير له . وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتيهما . ونسيت أن تجعل لها عصاماً^(١) . فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فإذا ليس لها عصام . فتحل نطاقها فتجعله عصاماً ، ثم علقتها به .

فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر : ذات النطاق . لذلك^(٢) .

فلما قرَّب أبو بكر ، رضي الله عنه . الراحلتين إلى رسول الله ﷺ قدَّم له أفضلهما ثم قال : اركب ، فذاك أبي وأمي ! فقال رسول الله ﷺ : إنِّي لا أركب بغيراً ليس لي . قال : فهي لك يا رسول الله . بأبي أنت وأمي ! قال : لا ، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا . قال : قد أخذتها به . قال : هما لك يا رسول الله .

فركبا وانطلقا ، وأردف أبو بكر الصديق رضي الله عنه عامر بن فهيرة مولاه خلفه ، ليخدمهما في الطريق .

قالت أسماء بنت أبي بكر : لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ، أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام . فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت إليهم فقالوا : أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ قلت : لا أدري والله أين أبي . قالت : فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشاً خبيثاً - فلطم خدي لطمَةً

(١) العصام : رباط القرية والمزادة ونحوهما .

(٢) قال ابن هشام : « وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين . وفسيره بأنها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها بائنين . فعلقت السفرة بواحد . وانتطقت بالآخر » .

طَرَحَ مِنْهَا قُرْطِي !

ثم انصرفوا . فكشنا ثلاث ليال وما ندري أين وجهُ رسول الله ﷺ ،
حَتَّى أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْجَنِّ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ ، يَتَغَنَّى بِأَبْيَاتٍ مِنْ شِعْرِ غِنَاءِ الْعَرَبِ ،
وإن الناس ليتبعونه يسمعون صوته ما يَرَوْنَهُ ، حَتَّى خَرَجَ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ :
جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقَيْنِ حَلًّا خِيَمَتِي أُمٌّ مَعْبِدٌ^(١)

هما نَزَلَا بِالْبَرِّ ثُمَّ تَرَوَحَّا فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ
لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فِتْنَتِهِمْ وَمَقْعُدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمِرْصَدٍ
فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجهُ رسول الله ﷺ ، وَأَنْ وَجَّهَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ .
قال سِرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ جُعْثَمٍ : لما خرج رسول الله ﷺ مِنْ مَكَّةَ
مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ جَعَلْتُ قَرِيشَ فِيهِ مَائَةَ نَاقَةٍ لِمَنْ رَدَّهَ عَلَيْهِمْ . فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ
فِي نَادِي قَوْمِي إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مَنَّا حَتَّى وَقَفَ عَلَيْنَا ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ
رَكْبَةً ثَلَاثَةً مَرُّوا عَلَيَّ آنَفًا ، إِنِّي لِأَرَاهُمْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ . فَأَوْمَأْتُ إِلَيْهِ بَعِينِي :
أَنْ أَسْكُتَ . ثُمَّ قُلْتُ : إِنَّمَا هُمْ بَنُو فَلَانٍ يَبْتَغُونَ ضَالَّةً لَهُمْ ! قَالَ : لَعَلَّهُ . ثُمَّ سَكَتَ
ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا ثُمَّ قَمْتُ فَدَخَلْتُ بَيْتِي ، ثُمَّ أَمَرْتُ بِفَرَسِي فَقَبَضْتُ لِي إِلَى بَطْنِ
الْوَادِي ، وَأَمَرْتُ بِسِلَاحِي فَأَخْرَجْتُ لِي مِنْ دُبُرِ حَجَرَتِي ، ثُمَّ أَخَذْتُ قِدَاحِي الَّتِي
أَسْتَقْسِمُ بِهَا ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ فَلَبِسْتُ لِأَمْتِي^(٢) ثُمَّ أَخْرَجْتُ قِدَاحِي فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا ،
فَخَرَجَ السَّهْمُ الَّذِي أَكْرَهُ « لَا يَضُرُّهُ »^(٣) . وَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرُدَّهُ عَلَى قَرِيشَ
فَأَخَذَ الْمَائَةَ النَّاقَةَ . فَرَكِبْتُ عَلَى أَثَرِهِ ، فَبَيْنَا فَرَسِي يَشْتَدُّ بِي عَثْرِي ، فَسَقَطَتْ
عَنْهُ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا ! ثُمَّ أَخْرَجْتُ قِدَاحِي فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا ، فَخَرَجَ السَّهْمُ الَّذِي
أَكْرَهُ « لَا يَضُرُّهُ » . فَأَيَّيْتُ إِلَّا أَنْ أَتْبِعَهُ ، فَرَكِبْتُ فِي أَثَرِهِ ، فَلَمَّا بَدَأَ لِي الْقَوْمُ

(١) أُمُّ مَعْبِدٍ . وَاسْمُهَا عَاتِكَةُ بِنْتُ خَالِدٍ : امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي كَعْبٍ . نَزَلَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ .
وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ . وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَرْقَطٍ . فَسَأَلُوهُمَا لِحْمًا وَتَمْرًا يَشْتَرُونَ مِنْهَا . فَلَمْ يَصِيبُوا عَنْدهَا شَيْئًا ،
وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَاةَ بِكَسْرِ الْخِيَمَةِ لَا تَدْرُ . فَاسْتَأَذَنَهَا أَنْ يَحْلِبَهَا ، فَسَحَّ ضَرْعُهَا فَدَرَتْ دِرًا غَزِيرًا .
ثُمَّ بَايَعَتْهُ الْمَرْأَةُ عَلَى الْإِسْلَامِ .

(٢) اللَّأْمَةُ : الدَّرْعُ وَالسِّلَاحُ . (٣) أَيِ الْمَكْتُوبِ فِيهِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ .

ورأيتهم عثر بي فسقطت عنه فقلت : ما هذا ! ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذي أكره « لا يضره » فأبيت إلا أن أتبعه . فركبت في أثره ، فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فرسي . فذهبت يداه في الأرض ، وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض ، وتبعهما دخان كالإعصار ، فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد مُنع مني وأنه ظاهر^(١) ، فناديت القوم فقلت : أنا سراقه ابن جُعشم ، أنظروني أكلمكم ، فوالله لا أريكم ، ولا يأتكم مني شيء تكرهونه . فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر : قل له : وما تبتغي منا ؟ فقال ذلك أبو بكر . قلت : تكتب لي كتاباً يكون آية بيني وبينك . قال : اكتب له يا أبا بكر .

فكتب لي كتاباً في عظم ، أو في رقعة ، أو في خزفة ، ثم ألقاه إليّ ، فأخذه فجعلته في كنانتي ثم رجعت . فسكت فلم أذكر شيئاً مما كان ، حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله ﷺ وفرغ من حنين والطائف ، خرجت ومعني الكتاب لألقاه فلقينته بالجعرانة^(٢) ، فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار ، فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون : إليك إليك ، ماذا تريد ؟ فدنوت من رسول الله ﷺ وهو على ناقته ، والله لكأنني أنظر إلى ساقه في غرزه^(٣) كأنها جماره ، فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت : يا رسول الله ، هذا كتابك لي ، أنا سراقه بن مالك بن جعشم . فقال رسول الله ﷺ : يوم وفاء وبر ، ادنه . فدنوت منه فأسلمت . ثم تذكرت شيئاً أسأل رسول الله ﷺ عنه فما أذكره ، إلا أنني قلت : يا رسول الله ، الضالة من الإبل تغشى حياضي وقد ملأتها لإبلي ، هل لي من أجر في أن أسقيها ؟ قال : « نعم ، في كل ذات كبدٍ حرّى أجر » . ثم رجعت إلى قومي فسُقت إلى رسول الله ﷺ صدقي . قال ابن إسحاق :

(١) أي غالب منتصر .

(٢) الجعرانة : ماء بين الطائف ومكة .

(٣) الغرز للرحل ، بمنزلة الركاب للسرّج .

فلما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط ، سلك بهما أسفل مكة ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عُسْفَان ، ثم سلك بهما على أسفل أَمَج ، ثم استجاز بهما حتى عارض بهما الطريق بعد أن أجاز قُديداً ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخَرَّار ، ثم سلك بهما لِقْفاً ، ثم أجاز بهما مَدْلجة لِقْف ، ثم استبطن بهما مَدْلجة مَحَاج ، ثم سلك بهما مَرَجح محاج ، ثم تبطن بهما مَرَجح من ذِي الغَضَوِين ، ثم بطن ذِي كَشْر ، ثم أخذ بهما على الجَدَاجِد ، ثم على الأَجْرَد . ثم سلك بهما . ذا سَلَم من بطن أعداء مَدْلجة تَعِين ، ثم على العبايد ، ثم أجاز بهما الفَاجَة

قال ابن هشام : ثم هبط بهما العرج وقد أبطأ عليهما بعضُ ظهرهم ، فحمل رسول الله ﷺ رجلٌ من أسلم يقال له أوس بن حَجَر^(١) ، على جملي له يقال له ابن الرِّداء ، إلى المدينة ، وبعث معه غلاماً له يقال له مسعود بن هنيذة ، ثم خرج بهما دليلهما من العرج ، فسلك بهما ثنية العائر عن يمين ركوبة ، حتَّى هبط بهما بطن ريم ، ثم قديم بهما قُبَاء على بني عمرو بن عوف ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين ، حين اشتدَّ الضَّحَاء وكادت الشمس تعتدل .

قدوم قُبَاء

عن عبد الرحمن بن عويمر بن ساعدة ، قال : حدثني رجالٌ من قومي ، من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا :

لما سمعنا بمخرج رسول الله ﷺ من مكة ، وتوَكَّفنا^(٢) قدومه ، كنَّا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حَرَّتْنا ننتظر رسول الله ﷺ ، فوالله لا نبرح حتَّى تغلبنا الشمسُ على الظُّلال ، فإذا لم نجد ظلاً دخلنا ، وذلك في أيام حارَّة ، حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ جلسنا كما كنَّا نجلس ، حتى

(١) أوس بن حجر هذا صحابي . وهو غير أوس بن حجر الشاعر الجاهلي .

(٢) توَكَّفناه : استشعرناه وانتظرناه .

إذا لم يبقَ ظلٌ دخلنا بيوتنا . وقدّم رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت ، فكان أولَ مَنْ رآه رجلٌ من اليهود ، وقد رأى ما كنا نصنع وأنا ننتظر قدوم رسول الله ﷺ علينا ، فصرخ بأعلى صوته : يا بني قيلة^(١) ، هذا جدُّكم^(٢) قد جاء . فخرجنا إلى رسول الله ﷺ في ظلِّ نخلة ، ومعه أبو بكر رضي الله عنه في مثل سنِّه ، وأكثرنا لم يكن رأى رسولَ الله ﷺ قبل ذلك ، وركبه الناس^(٣) وما يعرفونه من أبي بكر ، حتى زال الظلُّ عن رسول الله ﷺ ، فقام أبو بكرٍ فأظلهُ بردائه فعرفناه عند ذلك .

قال ابن إسحاق :

فنزل رسول الله ﷺ - فيما يذكرون - على كلثوم بن هدم ، ويقال : بل نزل على سعد بن خيثمة . ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن هدم : إنما كان رسول الله ﷺ إذا خرج من منزل كلثوم بن هدم جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزباً لا أهل له ، وكان منزلاً للأعزاب من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين . ونزل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على حبيب بن إساف . ويقول قائل : كان منزله على خارجة بن زيد .

وأقام علي بن أبي طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليالٍ وأيامها ، حتى أذى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس ، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ﷺ ، فنزل معه على كلثوم بن هدم . فأقام رسول الله ﷺ بقباء في بني عمرو بن عوف ، يوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، ويوم الخميس . وأسس مسجده .

قدوم المدينة

ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة . فأدركت رسولَ الله ﷺ

(١) هم الأنصار جميعاً . وقيلة جدة كانت لهم .

(٢) أي ازدحموا عليه . (٣) الجدة . الحظ .

الجمعة في بني سالم بن عوف ، فصلًا لها في المسجد الذي في بطن الوادي ،
وادي رانواء ، فكانت أولَ جمعةٍ صلاها بالمدينة .

فأتاه عتبان بن مالك ، وعباس بن عباد بن نضلة . في رجالٍ من بني سالم بن
عوف ، فقالوا : يا رسول الله ، أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة . قال : خلُّوا
سبيلها . فإنها مأمورة - لناقته - فخلُّوا سبيلها ، فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني
بياضة تلقاه زياد بن لبيد ، وفروة بن عمرو ، في رجالٍ من بني بياضة ، فقالوا :
يا رسول الله ، هلمَّ إلينا ، إلى العدد والعدة والمنعة . قال : خلُّوا سبيلها فإنها
مأمورة . فانطلقت حتى إذا مرت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عباد ،
والمندر بن عمرو ، في رجالٍ من بني ساعدة ، فقالوا : يا رسول الله ، هلمَّ
إلينا ، إلى العدد والعدة والمنعة . قال : خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة . فخلُّوا سبيلها
فانطلقت . حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج ، اعترضه سعد بن
الربيع وخارجة بن زيد ، وعبد الله بن رواحة ، في رجالٍ من بني الحارث بن
الخزرج فقالوا : يا رسول الله ، هلمَّ إلينا ، إلى العدد والعدة والمنعة . قال :
خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة . فخلُّوا سبيلها فانطلقت . حتى إذا مرت بدار بني
عدي بن النجار ، وهم أخواله دنيا - أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو ، إحدى
نسائهم - اعترضه سليط بن قيس وأبو سليط أسيرة بن أبي خارجة ، في رجالٍ
من بني عدي بن النجار ، فقالوا : يا رسول الله ، هلمَّ إلى أخوالك ، إلى العدد
والعدة والمنعة . قال : خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة . فخلُّوا سبيلها فانطلقت .

حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار ، بركت على باب مسجده ﷺ
وهو يومئذٍ مَرَبْدٌ^(١) لغلّامين يتيمين من بني النجار - وهما في حجر معاذ بن
عفراء - سهل وسهيل ابني عمرو . فلما بركت ورسول الله ﷺ عليها لم ينزل
وثبت . فسارت غيرَ بعيدٍ ورسولُ الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به ،

(١) المراد : الموضع الذي يحفف فيه النمر

ثم التفتت إلى خلفها ، فرجعت إلى مبركها أول مرة ، فبركت فيه ، ثم تحلحلت^(١) وأرزمت^(٢) ووضعت جرائنها^(٣) ، فنزل عنها رسول الله ﷺ . فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته ، ونزل عليه رسول الله ﷺ وسأل عن المريد : لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو ، وهما يتيمان لي وسأرضيهما منه فاتخذهُ مسجداً .

فأمر به رسول الله ﷺ أن يُبنى مسجداً ، ونزل رسول الله ﷺ على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه ، فعمل فيه رسول الله ﷺ ليرغب المسلمين في العمل فيه ، فعمل فيه المهاجرون والانصار ، ودأبوا فيه ، فقال قائل من المسلمين :

لئن قعدنا والنبيُّ يعملُ لَذَاكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمَضْلَلُ
وارتجز المسلمون ، وهم يبنونه ، يقولون : « لا عيش إلا عيشُ الآخرة ، اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة » . فيقول رسول الله ﷺ : « لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار » .

فأقام رسول الله ﷺ في بيت أبي أيوب حتى بُني له مسجده ومساكنه ، ثم انتقل إلى مساكنه من بيت أبي أيوب ، رحمة الله عليه ورضوانه .
قال أبو أيوب :

لما نزل علي رسول الله ﷺ في بيتي نزل السُّفْلَ ، وأنا وأمُّ أيوب في العُلُو ، فقلت له : يا نبيَّ الله ، بأبي أنت وأمي ، إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فإظهر أنت فكن في العلو ، وننزل نحن فنكون في السفْل . فقال : يا أبا أيوب ، إنَّ أرفقَ بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفْل البيت . قال : فكان رسول الله ﷺ في سُفْله وكنا فوقه في المسكن ، فلقد انكسر حُبٌّ^(٤) لنا فيه ماء ، فقمت أنا وأمُّ أيوب بقטיפفة^(٥) لنا مالنا لحافٌ غيرها ،

(١) تحلحلت : تحركت . (٢) أرزمت : صوتت .

(٣) الجران : ما يصيب الأرض من صدر الناقة وباطن حلقها .

(٤) الحب : الجرة ، أو جرة ضخمة . (٥) قטיפفة : كساء له خمل . أي أهداب .

نَشَفَ بها الماء ، تَخَوَّفاً أَنْ يَقْطُرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ شَيْءٌ يُؤْذِيهِ .
قال : وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به إليه ، فإذا رَدَّ علينا فضله تيمَّمتُ
أنا وأمُّ أيوب موضع يده ، فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلةً
بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلاً أو ثوماً ، فردَّه رسول الله ﷺ ، ولم أر ليده
فيه أثراً ، فجيته فرجاً فقلت : يا رسول الله ، بأي أنت وأمي ، رددتَ
عشاءك ولم أر فيه موضع يدك ، وكنتُ إذا رددته علينا تيممتُ أنا وأمُّ أيوب
موضع يدك ، نبتغي بذلك البركة . قال : إنِّي وجدتُ فيه ريحَ هذه الشجرة ، وأنا
رجلٌ أناجى ، فأما أنتم فكلوه .

قال : فأكلناه ، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد .

قال ابن اسحاق : وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله ﷺ فلم يبق بمكة
منهم أحدٌ إلا مفتون أو محبوس ، ولم يُوعب أهل هجرةٍ من مكة بأهلهم
وأموالهم إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسول الله ﷺ إلا أهلُ دُورٍ مسمَّون :
بنو مظعون من بني جمح ، وبنو جحش بن رثاب حلفاء بني أمية ، وبنو البكير
من بني سعد بن ليث حلفاء بني عدي بن كعب ، فإنَّ دُورَهم غُلِّقَتْ بمكة هجرة ،
ليس فيها ساكن .

الخطب والعهود بالمدينة

فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة إذ قدِمها شهرَ ربيع الأول إلى صفر من
السنة الداخلة ، حتَّى بُنيَ له فيها مسجده ومساكنه واستجمع له إسلام هذا الحي
من الأنصار ، فلم يبق دارٌ من دور الأنصار إلا أسلم أهلها ، إلا ما كان من
خَطْمَةٍ وواقف وواثل وأمية ، وتلك أوس الله ، وهم حيٌّ من الأوس ، فإنهم
أقاموا على شركهم .

وكانت (أوَّلُ خطبة) خطبها رسول الله ﷺ - فيما بلغني عن أبي سلمة بن
عبد الرحمن ، نعوذ بالله أن نقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل - أنه قام

فيهم ، فحميد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال .
 أما بعد ، أيها الناس ، فقدّموا لأنفسكم . تَعَلَّمَنَّ والله لِيُصَعَّقَنَّ أحدُكم .
 ثم لِيَدَعَنَّ غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولَنَّ له ربُّه وليس له ترجمانٌ ولا حاجبٌ
 يحجبُه دونه : ألم يأتك رسولي فبلَّغَكَ ، وآتيتك مالا وأفضلتُ عليك ؟ فما
 قدَّمتَ لنفسك ؟ فليُنظر يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرنَّ قُدَّامَه فلا يرى
 غير جهنَّم . فمن استطاعَ أن يقيَ وجهه من النار ولو بشقِّ تمره فليفعلْ ، ومن لم
 يجد فبكلمة طيِّبة ، فإنَّ بها تُجزَى الحسنَةُ بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضِعف ،
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ثم خطب رسول الله ﷺ الناس مرةً أخرى فقال :
 إنَّ الحمدَ لله ، أحمده وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات
 أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هاديَ له . وأشهد أن
 لا إله إلا الله وحده لا شريك له . إن أحسن الحديث كتابُ الله تبارك وتعالى
 وقد أفلح من زينه الله في قلبه ، وأدخله في الإسلام بعد الكفر ، واختاره على
 ما سواه من أحاديث الناس ، إنَّه أحسن الحديث وأبلغه . أحبُّوا ما أحبَّ الله ،
 أحبُّوا الله من كلِّ قلوبكم ، ولا تملُّوا كلامَ الله وذكره ، ولا تقسُّ عنه قلوبكم ،
 فإنَّه من كلِّ ما يخلق الله يختار ويصطفى ، قد سمَّاه الله خيره من الأعمال^(١)
 ومصطفاه من العباد^(٢) ، والصالح من الحديث ، ومن كلِّ ما أوتي الناس من
 الحلال والحرام . فاعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئاً ، واتَّقوه حقَّ تقاته ، وصدقوا
 الله صالحَ ما تقولون بأفواهكم ، وتحابُّوا بروح الله بينكم . إن الله يغضب أن
 يُنكثَ عَهْدُه . والسلام عليكم .

* * *

وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، وادَّع فيه يهودَ
 وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم

(١) أي الذكر وتلاوة القرآن لقوله تعالى : (يخلق ما يشاء ويختار) .

(٢) أي وسمى المصطفى من عباده .

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم ، وجاهد معهم ، إناهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم^(١) يتعاقلون بينهم^(٢) ، وهم يقدون عانيهم^(٣) بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وإن المؤمنين لا يتركون مقرحاً^(٤) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل . وألاً يحالف مؤمنٌ مؤمنٌ مؤمنٌ مؤمنٌ دونه ، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيسة^(٥) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ؛ وإن أيديهم عليه جميعاً ، ولو كان ولد أحدهم . ولا يقتل مؤمنٌ مؤمنٌ في كافرٍ ، ولا ينصر كافرٌ على مؤمن . وإن ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم . وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس . وإنه من تبعنا من يهود فإن له

(١) الرعة : الحال التي وجدهم عليها الإسلام .

(٢) أي يعقل بعضهم عن بعض . والعقل : الدية

(٣) العاني : الأسير .

(٤) الدسيسة : العظيمة .

(٥) المفرح : المنقل بالدين والكثير العيال .

النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصرٍ عليهم . وإنَّ سِلْمَ المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم . وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً . وإن المؤمنين يُبَيء^(١) بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله . وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدي وأقومه . وإنه لا يجير مشركٌ مالاً لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وإنه من اعتَبَط^(٢) مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قَوْدٌ به إلا أن يرضى وليُّ المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه . وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُحدثاً ولا يؤويه ، وإنه من نَصَرَه أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل . وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مردّه إلى الله عزّ وجلّ وإلى محمد صلى الله عليه وسلم .

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يُوتَغ^(٣) إلا نفسه وأهل بيته . وإن لليهود بني النجار مثل ما لليهود بني عوف ، وإن لليهود بني الحارث مثل ما لليهود بني عوف ، وإن لليهود بني ساعدة مثل ما لليهود بني عوف ، وإن لليهود بني جشم مثل ما لليهود بني عوف ، وإن لليهود بني الأوس مثل ما لليهود بني عوف ، وإن لليهود بني ثعلبة مثل ما لليهود بني عوف ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يُوتَغ إلا نفسه وأهل بيته . وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ، وإن لبني الشُّطبية مثل ما لليهود بني عوف وإن البرّ دون الإثم^(٤) ، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم ، وإن بطانة يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنه لا ينحجز على ثأر جرح ، وإنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته ، إلا من ظلم .

(١) أناءوه قتله به . جعله بواء له . (٢) اعتبطه : قتله بلا جناية توجب القتل .

(٤) أى إن البر والوفاء ينبغي أن يكون حاجراً عن الإثم

(٣) يوتغ : يهلك

وإن الله على أبرّ هذا^(١) . وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم . وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم . وإنه لم يَأْتِ امرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم . وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين^(٢) . وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وإنه لا تُجار حرمة الآبِاذن أهلها . وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدثٍ أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا تُجار قريش ولا من نصرها ، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب ، وإذا دعوا إلى صلح يصلح يصالحوه ويلبسونه ، فإنهم يصالحوه ويلبسونه . وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين ، إلا من حارب في الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم . وإن يهود الأوس ، مواليتهم وأنفسهم ، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة . وإن البر دون الإثم ، لا يكسب كاسبٌ إلا على نفسه ، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم . وإنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم ، وإن الله جارٌ لمن برّ واتقى ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

قال ابن اسحاق :

وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ،

فقال — فيما بلغنا ، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل .

(١) أي إن الله وحزبه المؤمنين على الرضا به .

(٢) كان هذا قبل أن تفرض الجزية وحين كان الإسلام ضعيفاً . كان لليهود إذ ذاك نصيب في المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين . وشرط عليهم في هذا الكتاب النفقة معهم في الحروب .

« تآخَوْا فِي اللَّهِ أَخْوَيْنَ أَخْوَيْنَ » . ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ :
هَذَا أَخِي . فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ .
وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ خَطِيرٌ وَلَا نَظِيرٌ مِنَ الْعَادِ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْوَيْنَ . وَكَانَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسَدَ اللَّهِ وَأَسَدَ رَسُولِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَمُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ
مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ أَخْوَيْنَ ، وَإِلَيْهِ أَوْصَى حَمْزَةُ يَوْمَ أَحَدٍ حِينَ خَصَرَهُ الْقِتَالُ إِنْ حَدَثَ
بِهِ حَادِثُ الْمَوْتِ . وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ذُو الْجَنَاحَيْنِ الطَّيَّارِ . وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ
أَخُو بَنِي سُلَيْمَةَ أَخْوَيْنَ .

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنَ أَبِي قُحَافَةَ وَخَارِجَةَ بْنِ زُهَيْرٍ
أَخْوَيْنَ ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعِثْبَانُ بْنُ مَالِكٍ أَخْوَيْنَ . وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ
وَسَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ أَخْوَيْنَ . وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ أَخْوَيْنَ .
وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ وَسُلَيْمَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنُ وَقْشٍ أَخْوَيْنَ . وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ وَأَوْسُ
ابْنُ ثَابِتٍ بْنُ الْمُنْذِرِ أَخْوَيْنَ . وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَخْوَيْنَ .
وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ بِنَ عَمْرٍو بْنُ نَفِيلٍ وَأَبِيَّ بْنُ كَعْبٍ أَخْوَيْنَ . وَمُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ
وَأَبُو أَيُّوبَ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ أَخْوَيْنَ . وَأَبُو حَذِيفَةَ بْنُ عَتْبَةَ وَعَبَادُ بْنُ بَشَرَ أَخْوَيْنَ .
وَعِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ وَحَذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ أَخْوَيْنَ . وَأَبُو ذَرٍّ الْبَغْفَارِيُّ وَالْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرٍو
أَخْوَيْنَ .

وَكَانَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ وَعُيُومُ بْنُ سَاعِدَةَ أَخْوَيْنَ . وَسُلَيْمَانُ الْفَارَسِيُّ
وَأَبُو الدَّرْدَاءِ أَخْوَيْنَ . وَبِلَالُ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ وَأَبُو رُوَيْحَةَ أَخْوَيْنَ .
فَهَؤُلَاءِ مِنْ سَمِّيَ لَنَا ، مِمَّنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخِي بَيْنَهُمْ
مِنْ أَصْحَابِهِ .

خبر الأذان

فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، واجتمع إليه إخوانه من

المهاجرين ، واجتمع أمر الأنصار ، استحکم أمر الإسلام ، فقامت الصلاة ، وفرضت الزكاة والصيام وقامت الحدود ، وفرض الحلال والحرام ، وتبوأ الإسلام بين أظهرهم ، وكان هذا الحي من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والایمان . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها إثمًا يجتمع الناس اليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة ، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها أن يجعل بُوقاً كبوق يهود الذي يهرعون به لصلاتهم ، ثم كرهه . ثم أمر بالناقوس فنُحت ليضربَ به للمسلمين للصلاة .

فبينما هم على ذلك إذ رأى عبدالله بن زيد بن ثعلبة أخو بلحارث بن الخزرج النداء : فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله ، إنَّه طاف بي هذه الليلة طائف ، مرَّ بي رجلٌ عليه ثوبان أخضران ، يحمل ناقوساً في يده فقلت له : يا عبدالله ، أتبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قلت : ندعو به إلى الصلاة . قال : أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ قلت : وما هو ؟ قال : تقول : الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر . أشهد ألا إله إلا الله ، أشهد ألا إله إلا الله . أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله . حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الفلاح . حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الفلاح . الله أكبر ، الله أكبر . لا إله إلا الله .

فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنَّها لرؤيا حق إن شاء الله فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها . فإِنَّه أُنْدى صوتاً منك^(١) . فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته . فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه . وهو يقول : يانبي الله ، والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فله الحمد على ذلك .

(١) أي أعلى وأرفع وأبعد مذهبا .

ذكر من اعتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عائشة رضي الله عنها قالت :

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قديمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى . فأصاب أصحابه منها بلاءٌ وسقم ، فصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم . فكان أبو بكر ، وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبي بكر . مع أبي بكر في بيت واحد ، فأصابتهم الحمى ، فدخلت عليهم أعودهم . وذلك قبل أن يُضرب علينا الحجاب ، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الؤْعك^(١) . فدنوت من أبي بكر فقلت له : كيف تجدك يا أبت ؟ فقال : كل امرئ مصبَّح في أهله والموت أدنى من شرك نعله فقلت : والله ما يدري أبي ما يقول !

ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت له : كيف تجدك يا عامر ؟ فقال : لقد وجدت الموت قبل ذوقه إنَّ الجبانَ حتفه من فوقه كل امرئ مجاهدٌ بطوقه^(٢) كالثور يحمي جلده بروقه^(٣) فقلت : والله ما يدري عامر ما يقول !

وكان بلال إذا تركبه الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته^(٤) فقال : ألا ليت شعري هل أبيتُ ليلةً بفخٍّ وحوالي إذخِرٍّ وجليل^(٥) وهل أردتُ يوماً مياهاً مَجَنَّةً وهل يسدُّون لي شامةً وطفيل^(٦) فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت منهم فقلت : انهم ليَهْدُون وما يعقلون من شدة الحمى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) الؤْعك : شدة ألم المرض

(٢) البطوق : الطاقة

(٣) الروق : القرن

(٤) أي رفع صوته .

(٥) فخ : موضع خارج مكة . الإذخر : نبت طيب الرائحة . والجليل : النمام .

(٦) محنة : اسم سوق للعرب في الجاهلية كانت بأسفل مكة على قدر بريد منها . وشامة وطفيل : حلالن مكة .

« اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كما حَبِّبْتَ إلينا مَكَّةَ أو أَشَدَّ . وبارك لنا في مُدَّهَا وصَاعِهَا ^(١) . وانتقلْ وباءَها إلى مَهْيَعَةٍ ^(٢) »

تاريخ الهجرة

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين . حين استندَ الضُّحَاءُ وكادت الشمس تعتدل ، لاثنتي عشرة ليلةً مضت من شهر ربيع الأول ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله عزَّ وجلَّ بثلاث عشرة سنة ، فأقام بها بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر ، وجماديين . ورجَبَ . وشعبان ورمضان ، وشوالاً . وذا القعدة ، وذا الحجة . والمحرم .

أول الغزوات

ثم خرج غازياً في صفر غزوة ودان على رأس اثني عشر شهراً من مقدّمه المدينة . حتى بلغ ودَّان . وهي غزوة الأبواء . يريد قريشاً وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . فوادعته فيها بنو ضمرة . ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يَلْقَ كيذا . فأقام بها بقية صفر وصدرأ من شهر ربيع الأول .

سرية عبيدة بن الحارث وهي أول راية عقدتها عليه السلام

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في مقامه ذلك بالمدينة . عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي . في ستين أو ثمانين راكباً من

(١) أي ما يكال بالمد والصاع . المد : رطلان عند أهل العراق ، ورطل وثلاث عند أهل الحجاز . والصاع : أربعة أمداد عند الحجازيين .

(٢) مهية . هي الجحفة . وهي ميقات أهل الشام .

المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فسار حتى بلغ ماء بأسفل ثنية المرة .
فلقي بها جمعا عظيماً من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعد بن أبي
وقاص قد رُمي يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رُمي به في الإسلام .
ثم انصرف القوم عن القوم ، وللمسلمين حامية .

سرية حمزة إلى سيف البحر

وبعث في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيف البحر^(١)
من ناحية العيص ، في ثلاثين راكباً من المهاجرين . ليس فيهم من الأنصار
أحد ، فلقي أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلثائة راكب من أهل مكة .
فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني . وكان موادعا للفريقين . فانصرف
بعض القوم عن بعض . ولم يكن بينهم قتال .

غزوة بواط

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول يريد قريشا^(٢) .
حتى بلغ بواط^(٣) ، من ناحية رضوى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا ،
فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى .

غزوة العُشيرة

ثم غزا قريشا^(٤) ، فنلك على نقب بني دينار ، ثم على فيفاء الخبر فنزل
تحت شجرة ببطحاء ابن أزر ، فصلّى عندها ، فثَمَّ مسجده صلى الله عليه
وسلم ، وصُنِعَ له طعام فأكل منه وأكل الناس معه ، فموضع أثافي البرمة معلوم
هنالك ، واستقي له من ماء به يقال له : المُشَرَّب ، ثم ارتحل رسول الله صلى

(١) السيف . بالكسر : الشاطئ .

(٢) واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون .

(٣) جبل من جبال جهينة . بقرب ينبع .

(٤) واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد .

الله عليه وسلم فترك الخلائق^(١) ييسار ، وسلك شعبة يقال لها شعبة عبدالله . ثم صبَّ لليسار حتى هبط يَلِيل . فتزل بمجتمعه ومجتمع الضبوعة ، واستقى من بئر بالضبوعة . ثم سلك الفرش : فرشَ ملل ، حتى لقي الطريق بضخيرات اليمام ، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العُشيرة من بطن ينبع . فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة . ووادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضَمرة . ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا .

سرية سعد بن أبي وقاص

وقد كان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين ذلك من غزوة سعد ابن أبي وقاص . في ثمانية رهط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخَرار من أرض الحجاز . ثم رجع ولم يلق كيدا .

غزوة سفوان

وهي غزوة بدر الأولى

ولم يقم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين قدم من غزوة العُشيرة إلا لياليَ قلائل لا تبلغ العشر ، حتى أغار كُرز بن جابر الفهري على سرح المدينة^(٢) فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه^(٣) حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر . وفاته كرز بن جابر فلم يدركه ، وهي غزوة بدر الأولى . ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فأقام بها بقية جمادى الآخرة ورجب وسعبان .

سرية عبد الله بن جحش

وبعث رسول الله ﷺ عبدالله بن جحش في رجب مَقْفَلَه من بدر الأولى .

(١) أُرِص بالمدينة لعبد الله بن أحمد بن جحش .

(٢) السرح : الإبل والمواشي تسرح للرعي بالغداة .

(٣) واستعمل على المدينة زيد بن حارثة .

وبعث ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد وكتب له كتابا .
وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه . فيمضي لما أمر به . ولا
يستكره من أصحابه أحدا .

فلما سار عبدالله بن جحش يومين فتح الكتاب فنظر فيه . فإذا فيه :
إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل « نخلة » بين مكة والطائف . فترصد
بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم .

فلما نظر عبدالله بن جحش في الكتاب قال : سمعاً وطاعة . ثم قال
لأصحابه : قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة . أرصد بها
قريشاً حتى آتية منهم بخبر ، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم . فمن كان
منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع . فأما
أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ .

فمضى ومضى معه أصحابه ، لم يتخلف منهم أحد .
وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفُرع يقال له : بَحْران ،
أضل سعد بن أبي وقاص وعُتبة بن غزوان بعيداً لهما كانا يعتقبانه . فتخلفا عليه
في طلبه ، ومضى عبدالله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة . فمرت
به غير لقريش تحمل زيبا وأدماً^(١) وتجارة من تجارة قريش . فيها عمرو
ابن الحضرمي ، وعثمان بن عبدالله بن المغيرة ، وأخوه نوفل بن عبدالله ،
والحكم بن كيسان ، فلما رأهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف
لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا وقالوا :
عُمَارُ لا بأس عليكم منهم . وتشاور القوم فيهم ، وذلك في آخر يوم من
رجب ، فقال القوم : والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلنَّ الحرم فليمتنعنَّ
منكم به ، ولئن قتلتموهم لتقتلنَّهم في الشهر الحرام ! فتردد القوم وهابوا
الإقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه

(١) الأدم : الجلد .

منهم وأخذ ما معهم . فرمى واقد بن عبدالله التميمي عمرو بن الحضرمي
بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبدالله والحكم بن كيسان ، وأفلت القوم
نوفل بن عبدالله فأعجزهم ، وأقبل عبدالله بن جحش بالغير والأسيرين حتى
قدموا على رسول الله ﷺ المدينة .

فلما قدموا على رسول الله ﷺ المدينة قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر
الحرام . فوقف العير والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً . فلما قال
ذلك رسول الله ﷺ سَقَطَ في أيدي القوم وظنوا أنهم هلكوا ، وعَنَقَهُم
إخوانهم المسلمون فيما صنعوا . وقالت قريش : قد استحلَّ محمدٌ وأصحابه
الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال !
فقال من يردُّ عليهم من المسلمين ممَّن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا
في شعبان .

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ
عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ
وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ، أي إن كنتم قتلتم في
الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ،
وإخراجكم منه وأنتم أهلُه أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم . ﴿ وَالْفِتْنَةُ
أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ ، أي قد كانوا يفتنون المسلم في دينه حتى يردوه إلى الكفر
بعد إيمانه ، فذلك أكبر عند الله من القتل . ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى
يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ ، أي ثم هم مقيمون على أخبث ذلك
وأعظمه ، غير تائبين ولا نازعين .

فلما نزل القرآن بهذا من الأمر ، وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من
الشَّقَقِ^(١) ، قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين ، وبعثت إليه قريش في
فداء عثمان بن عبدالله والحكم بن كيسان ، فقال رسول الله ﷺ : لا

(١) الشَّقَق : الخوف والحذر .

تُفديكموهما حتى يَقدَمَ صاحِبَاتَا - يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان - فإننا نخشاكم عليهما ؛ فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم ! فقدم سعد وعتبة ، فأفداهما رسول الله ﷺ منهم .

فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً . وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً .

صرف القبلة إلى الكعبة

ويقال : صُرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة .

غزوة بدر الكبرى

ثم إن رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في غير قريش عظيمة ، فيها أموال لقريش ، وتجارة من تجاراتهم ، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون ، منهم مخزومة بن نوفل ، وعمر بن العاص . فندب المسلمين إليهم وقال : هذه غير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله يُنفلكموها . فانتدب الناس ، فحَفَّ بعضهم وثَقُلَ بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقي حرباً .

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار ، ويسأل من لقي من الركبان ، تخوفاً على أمر الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان : إن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ! فحذر عن ذلك ، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عَرَضَ لها في أصحابه . فخرج ضمضم ابن عمرو سريعاً إلى مكة .

وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال

رؤيا أفزعته ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له : يا أخي ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني ، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة . فآثمت عني ما أحدثك به . فقال لها : وما رأيت ؟ قالت : رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا بالغدر لمصارعكم في ثلاث ! فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مثل به بعيره^(١) على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها : ألا انفروا بالغدر لمصارعكم في ثلاث ! ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلت تهوي ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت^(٢) فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقه !

قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ! وأنتِ فاكتميتها ولا تذكرها لأحد . ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وكان صديقاً ، فذكرها له واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث بمكة حتى تحدث به قريش في أندية .

قال العباس : فغدوت لأطوف بالبيت ، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رأي أبو جهل قال : يا أبا الفضل ، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا . فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبوة ؟ قلت وما ذاك ؟ قال : تلك الرؤيا التي رأيت عاتكة . فقلت : وما رأيت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ؟ قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث . فستربص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب .

(١) مثل به : قام .

(٢) ارفضت : تفرقت وتمتت .

قال العباس : فوالله ما كان مني إليه من كبير ، إلا أني جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون رأيت شيئاً . ثم تفرقنا ، فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غير^(١) لشيء مما سمعت ! قلت : قد والله فعلت ، ما كان مني إليه من كبير ، وإيم الله لأتعرضنَّ له ، فإن عاد لأكفينَّكته .

فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مُغضَّب ، أرى أني قد فاتني منه أمرٌ أحبُّ أن أدركه منه . فدخلت المسجد فرأيتَه ، فوالله إنِّي لأمشي نحوه أتعرضُ ليعود لبعض ما قال فأقع به - وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر - إذ خرج نحو باب المسجد يشتد ، فقلت في نفسي : ما له لعنه الله ! أكل هذا فرق مني أن أشاتم ؟ وإذا هو قد سمع ما لم أسمع : صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ يبطن الوادي واقفاً على بعيره ، قد جدَّع بعيره^(٢) وحول رحله وشق قميصه ، وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة ! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تُدركوها ! الغوث الغوث ! فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر .

فتجهز الناس سراعاً وقالوا : أئظن محمد وأصحابه أن تكون كبير ابن الحضرمي^(٣) . كلا والله ليعلمنَّ غير ذلك ! فكانوا بين رجلين : إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً . وأوعبت^(٤) قريش ، فلم يتخلف من أشرافها أحد ، إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلف ، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، وكان قد لاط له^(٥) بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلس بها ، فاستأجره بها على أن يجزيء عنه .

(١) الغير : الغيرة .

(٢) جدعه : قطع أنفه .

(٣) هو عمرو بن الحضرمي الذي قتل في سرية عبد الله بن جحش . انظر ما سبق في صفحة ١٣٤ س ١

(٤) أوعبت : خرجت كلها للغزو . (٥) لاط : احتبس وامتسك .

وأن أمية بن خلف كان أجمع القعود ، وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً ،
فأتاه عقبة بن أبي مُعيط ، وهو جالسٌ في المسجد بين ظهراي قومه ، بمجمره
يحملها فيها نار ومجمر^(١) حتى وضعها بين يديه ثم قال : يا أبا علي ، استجمر ،
فإنما أنت من النساء . قال : قبحك الله وقبح ما جئت به ! ثم تجهز فخرج مع
الناس .

ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ذكروا ما كان بينهم وبين بني
بكر بن عبد مناة من الحرب فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا . فكاد
ذلك يشنهم ، فتبدى لهم إبليس في صورة سُرّاقة بن مالك بن جُعشم المدلجي
فقال لهم : أنا جارٌ لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه .
فخرجوا سراعاً .

وخرج رسول الله ﷺ في ليال مضت من شهر رمضان ، في أصحابه ،
واستعمل عمرو بن أمّ مكتوم على الصلاة بالناس ثم ردّ أبا لُبابة من الرّوحاء
واستعمله على المدينة ، ودفع اللّواء إلى مصعب بن عمير ، وكان أبيض .
وكان أمام رسول الله ﷺ رابتان سوداوان ، إحداهما مع علي بن أبي طالب ،
يقال لها العقاب ، والأخرى مع بعض الأنصار .

وكانت إبل أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ سبعين فاعتقبوها ، فكان
رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيراً .
وكان حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة موليا رسول
الله ﷺ يعتقبون بعيراً . وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون
بعيراً .

فسللك طريقه من المدينة إلى مكة على نقب المدينة ، ثم على العقيق ، ثم
على ذي الحليفة ، ثم على أولات الجيش . ثم مرّ على ثُرَيّان ثم على مَلَل ثم
غَمَيس الحَمّام من مَرّين . ثم على صخيرات اليمام ، ثم على السّيالة ، ثم على

(١) المجمر : العود يتبخّر به .

فَجَ الرُّوحَاءُ ثُمَّ عَلَى شُنُوكَةٍ . حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْرُقُ الظُّبْيَةِ لَقُوا رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ فَسَأَلُوهُ عَنِ النَّاسِ فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَهُ خَبْرًا ، فَقَالَ لَهُ النَّاسُ : سَلِّمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ . قَالَ : أَوْفِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . فَسَلِّمْ عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ : إِنْ كُنْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَأَخْبِرْنِي عَمَّا فِي بَطْنِ نَاقَتِي هَذِهِ . قَالَ لَهُ سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ : لَا تَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَقْبِلْ إِلَيَّ فَأَنَا أَخْبِرُكَ عَنْ ذَلِكَ ، نَزَوْتُ عَلَيْهَا ، فَفِي بَطْنِهَا مِنْكَ سَخْلَةٌ^(١) ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَهْ ، أَفَحَشْتُ عَلَى الرَّجُلِ ! ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْ سَلَمَةَ .

وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَجَسَجَ ، وَهِيَ بئرُ الرُّوحَاءِ ، ثُمَّ ارْتَحَلَ مِنْهَا حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَرَفِ تَرَكَ طَرِيقَ مَكَّةَ بَيْسَارَ . وَسَلَكَ ذَاتَ الْبَيْمَنِ عَلَى النَّازِيَةِ يَرِيدُ بَدْرًا . فَسَلَكَ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا حَتَّى جَزَعَ وَادِيًا يُقَالُ لَهُ رُحْقَانُ ، بَيْنَ النَّازِيَةِ وَبَيْنَ مَضِيقِ الصَّفْرَاءِ . ثُمَّ عَلَى الْمَضِيقِ ، ثُمَّ انْصَبَّ مِنْهُ حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنَ الصَّفْرَاءِ بَعَثَ بِسَبْسَ بْنِ عَمْرٍو الْجُهَنِيِّ وَعَدِيَّ بْنِ أَبِي الزُّغْبَاءِ الْجُهَنِيِّ إِلَى بَدْرٍ يَتَحَسَّسَانِ لَهُ الْأَخْبَارَ عَنْ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَغَيْرِهِ . ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ قَدَمَهُمَا .

وَأَتَاهُ الْخَبْرُ عَنْ قَرِيشٍ بِمَسِيرِهِمْ لِيَمْنَعُوا عِيْرَهُمْ ، فَاسْتَشَارَ النَّاسَ وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ قَرِيشٍ ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ فَقَالَ وَأَحْسَنَ ، ثُمَّ قَامَ الْمُقَدَّادُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، امْضِ لِمَا أَرَاكَ اللَّهُ فَتَنْحَنُ مَعَكَ ، وَاللَّهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مَقَاتِلُونَ ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ سَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى بَرَكِ الْغِمَادِ^(٢) ، لَجَالَدْنَا مَعَكَ مَنْ دُونَهُ حَتَّى تَبْلُغَهُ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرًا ، وَدَعَا لَهُ بِهِ .

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ . وَإِنَّمَا يَرِيدُ الْأَنْصَارُ : وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَدَدُ النَّاسِ ، وَأَنَّهُمْ حِينَ بَايَعُوهُ بِالْعَقْبَةِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ

(١) السخلة : الصغيرة من الضأن استعارها لولد الناقة . (٢) برك الغماد : موضع باليمن

إِنَّا بَرَاءٌ مِنْ ذِمَامِكَ حَتَّى تَصِلَ إِلَى دِيَارِنَا ، فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَيْنَا فَأَنْتَ فِي ذِمَّتِنَا ، نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا . فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَخَوَّفُ أَلَّا تَكُونَ الْأَنْصَارُ تَرَى عَلَيْهَا نُصْرَةً إِلَّا مَنْ دَهَمَهُ بِالْمَدِينَةِ مِنْ عَدُوِّهِ ، وَأَنْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ إِلَى عَدُوٍّ مِنْ بِلَادِهِمْ . فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ : وَاللَّهِ لَكَأَنَّكَ تَرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَجَلٌ . قَالَ : فَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُھُودَنَا وَمَوَاقِفَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ . فَامْضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخَضْتَهُ لَخَضْنَاهُ مَا تَخَلَّفَ مِنْهُ رَجُلٌ وَاحِدٌ ، وَمَا نَكَّرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوْنَا غَدًا ، إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ ، صُدُوقٌ عِنْدَ الْلِقَاءِ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ ، فَيَسِّرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ !

فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِ سَعْدٍ ، وَنَشَطَهُ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ : سِيرُوا وَأَبْشُرُوا ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ^(١) ، وَاللَّهِ لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مِصَارِعِ الْقَوْمِ !

ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَرِيبًا مِنْ بَدْرٍ ، فَرَكِبَ هُوَ وَرَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ^(٢) حَتَّى وَقَفَ عَلَى شَيْخٍ مِنَ الْعَرَبِ فَسَأَلَهُ عَنْ قَرِيشٍ ، وَعَنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَمَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ . فَقَالَ الشَّيْخُ : لَا أَخْبِرُكُمْ حَتَّى تَخْبِرَانِي مَنْ أَنْتُمَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِذَا أَخْبَرْتَنَا أَخْبِرْنَاكَ ؟ قَالَ : أَذَاكَ بِذَاكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ الشَّيْخُ : فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كَانَ صَدَقَ الَّذِي أَخْبَرَنِي فَهَمَّ الْيَوْمَ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ، لِلْمَكَانِ الَّذِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . وَبَلَغَنِي أَنَّ قَرِيشًا خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي أَخْبَرَنِي صَدَقَنِي فَهَمَّ الْيَوْمَ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ، لِلْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ قَرِيشٌ . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ خَبَرِهِ قَالَ :

(١) الطائفة الأولى طائفة عير قريش ذات التجارة العظيمة ، وفيها أبو سفيان وأبو عمرو بن العاص ، والأخرى الطائفة التي استنفرها أبو جهل ، وكانوا ذوي شوكة وعدد .

(٢) هو أبو بكر الصديق .

من أنتم؟ فقال رسول الله ﷺ : نحن من ماء ! ثم انصرف عنه . يقول الشيخ :
ما من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه ، إلى ماء بدر يلتمسون الخبرَ عليه ، فأصابوا راوية^(١) لقريش ، فيها أسلم ، غلام بني الحجاج ، وعريض أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد ، فأتوا بهما فسألوهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي . فقالا : نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء . فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ، فضربوهما ، فلما أذلقوهما^(٢) قالا : نحن لأبي سفيان . فتركوهما ، وركع رسول الله ﷺ وسجد سجديته ، ثم سألهم وقال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ؟ صدقا والله إنيهما لقريش ! أخبراني عن قريش ؟ قالا : هم والله وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى . فقال لهما رسول الله ﷺ : كم القوم ؟ قالا : لا ندري . قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالا : يوماً تسعاً ويوماً عشرة . فقال رسول الله ﷺ : القوم فيما بين التسعمائة والألف . ثم قال لهما : فمن فيهم من أشرف قريش ؟ قال : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة . وأبو البختري بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث ابن عامر بن نوفل ، وطُعيمة بن عدي بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، ونبية ومنبه ابنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن عبد ود . فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال : هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها^(٣) !

وكان بسبس بن عمرو . وعدي بن أبي الزغباء . قد مضيا حتى نزلا بدرأ . فأنابا إلى تل قريب من الماء ، ثم أخذا شئاً^(٤) لهما يستقيان فيه ، ومجدي

(١) الراوية : العير يستقي عليه الماء . والمراد بها السقاة .

(٢) أذلقوهما : بالغوا في ضربهما حتى أجهدوهما .

(٣) جمع فلذة . وهي القطعة .

(٤) السن : الزرق البالي

ابن عمرو الجهني على الماء ، فسمع عدي وبسبس جاريتين من جوارى الحاضر^(١) وهما يتلازمان^(٢) على الماء ، والمزومة^(٣) تقول لصاحبتهما : إِنَّمَا تَأْتِي الْعِيرُ غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدٍ فَأَعْمَلْ لَّهُمْ ثُمَّ أَقْضِيكَ الَّذِي لَكَ ، قال مجدي : صدقت . ثم خَلَصَ بينهما . وسمع ذلك عدي وبسبس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ ، فأخبراه بما سمعا .

وأقبل أبو سفيان بن حرب حتى تقدم العير حذراً حتى ورد الماء ، فقال لمجدي بن عمرو : هل أحسستَ أحداً ؟ قال : ما رأيت أحداً أنكره ، إلا أَنِّي قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التلِّ ، ثم استقيا في شئٍ لهما ثم انطلقا . فأتى أبو سفيانُ مناخهما فأخذ من أبعاد بعيريهما ففثته فإذا فيه النوى . فقال : هذه والله علائف يثرب . فرجع إلى أصحابه سريعاً فضربَ وجهَ عيره عن الطريق فساحلَ بها ، وترك بدرأً يسارٍ ، وانطلق حتى أسرع . ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش : إنكم إِنَّمَا خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجَّها الله فارجعوا . فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع حتى نردَّ بدرأً - وكان بدرٌ موسماً من مواسم العرب ، يجتمع لهم به سوقٌ كلَّ عام - فنقيم عليه ثلاثاً ، فننحر الجُرَّ ونُطعم الطعام ، ونُسقى الخمر وتعزف علينا القيان^(٤) ، وتسمع بنا العرب ويمسِرنا وجَمْعُنا ، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها ، فامضوا .

ومضت قريشٌ حتَّى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي ، وبعث الله السماء وكان الوادي دهساً^(٥) ، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ما لَبَدَ لهم الأرض ولم يمنعهم عن السير ، وأصاب قريشاً منها ما لم يقدرُوا على أن يرتحلوا معه . فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء ، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به .

(٢) التلازم . أن يتعلق الغريم بغريمه .

(٤) القيان : الجوارى المغنيات .

(١) الحاضر : القوم البرول على الماء .

(٣) المزومة : المدينة . التي عليها الدين .

(٥) الدهس : اللين لم يبلغ أن يكون رملاً .

قال الحباب بن المنذر : يا رسول الله ، أرأيتَ هذا المنزل ، أمتراً أنزلَكَه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . فقال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله . ثم نغور^(١) ما وراءه من القلب ، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله ﷺ : لقد أشرتَ بالرأي . فانهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس ، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم أمر بالقلب فغُورَت ، وبني حوضاً على القلب الذي نزل عليه ، فملئ ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية .

وقال سعد بن معاذ : يا نبيَّ الله ، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه . ونُعيدُ عندك ركائبك ، ثم تلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا . كان ذلك ما أحببنا . وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشدَّ لك حباً منهم . ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك .

فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ، ودعاه بخير ثم بني لرسول الله ﷺ عريش فكان فيه .

وقد ارتحلت قريث حين أصبحت ، فأقبلت ، فلما رآها رسول الله ﷺ تصوب^(٢) من العقنقل - وهو الكتيب الذي جاءوا منه الى الوادي - قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها^(٣) وفخرها ، تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرَكَ الذي وعدتني ، اللهم أحنهم الغداة^(٤) !

فلما نزل الناس أقبل نفرٌ من قريش حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ ، فيهم حكيم بن حزام ، فقال رسول الله ﷺ : دعوهم . فما شرب منه رجلٌ

(١) التغوير : الدف والطمس .

(٢) أي تنحدر

(٣) الخيلاء : الكبر والاعجاب .

(٤) أحنهم : أهلكهم حان . هنك

يومئذٍ إلا قُتل ، إلا ما كان من حكيم بن حزام ، فإنه لم يُقتل ، ثم أسلم بعد ذلك فحسن إسلامه ، فكان إذا اجتهد في يمينه قال : لا والذي نجاني من يوم بدر !

ولما اطمأن القوم بعثوا عُمَيْر بن وهب الجمحي فقالوا : احزُر^(١) لنا أصحابَ محمد . فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال : ثلثمائة رجل ، يزيدون قليلاً أو ينقصون ، ولكن أمهلوني حتى أنظرَ ألقوم كمين أو مدد ؟ فضرب في الوادي حتى أبعد ، فلم ير شيئاً ، فرجع إليهم فقال : ما وجدتُ شيئاً ، ولكني قد رأيت يا معشر قريش ، البلايا^(٢) تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع^(٣) ، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يُقتل رجلٌ منهم حتى يُقتلَ رجلاً منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خيرُ العيش بعد ذلك ! فرؤوا رأيكم .

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس ، فأتى عتبة فقال : يا أبا الوليد ، إنك كبير قريش وسيدها ، والمطاع فيها ، هل لك إلى ألا تزال تُذكرُ فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي^(٤) قال : قد فعلتُ ، أنت عليّ بذلك ، إنما هو حليفي فعليّ عقله^(٥) وما أصيب من ماله ، فأت ابن الحنظلية^(٦) فإني لا أخشى أن يشجرَ أمر الناس^(٧) غيره . ثم قام عتبة بن ربيعة خطيباً فقال : يا معشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجلٍ يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته . فارجعوا وخلُّوا بين محمد وسائر العرب : فإن أصابوه فذاك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك

(١) احزُر : أي قدر بالحدس والظن .

(٢) البلايا : جمع بلية ، وهي الناقة أو الدابة تربط إلى قبر الميت فلا تelf ولا تسقى حتى تموت .

(٣) النواضح : الإبل يستقي عليها . الناقع : الثابت . البالغ في الإفناء .

(٤) انظر ما مضى في سرية عبد الله بن جحش ص ١٣٤ . (٥) العقل : الدية .

(٦) هو أبو جهل بن هشام . أمه من حنظلة بن مالك . (٧) أي يخالف بينهم .

ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون .

قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نثل ^(١) درعاً له من جرابها فهو يَهْنُهَا ^(٢) ، فقلت له : يا أبا الحكم ، إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا للذي قال . فقال : انتفخ والله سحره ^(٣) حين رأى محمداً وأصحابه ، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعثة ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أكلتُ جزور ^(٤) وفيهم ابنه ، فقد تخوفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينك ، فقم فانشد خُفرتك ^(٥) ومقتل أخيك .

فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ : واعمرأه واعمرأه ^(٦) ! فحميت الحرب ، وحقب أمر الناس ^(٧) ، واستوسقوا ^(٨) على ما هم عليه من الشر ، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة .

وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي - وكان رجلاً شرساً سيء الخلق - فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتنّ دونه ! فلما خرج ؛ خرج إليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة فاطنّ قدمه ^(٩) بنصف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخب ^(١٠) رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد أن يبرّ بيمينه . وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض .

(١) نثل : أخرج .

(٢) يهنها : يطليها بعكر الزيت . ويروى : " يهنها " .

(٣) السحر : الرثة . وهذا كناية عن الجبن .

(٤) أي قليلو العدد . وأكلة الجزور نحو المائة . انظر ص ١٤١ .

(٥) أي اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك . أي عهدهم . فقد كان جارا لهم وحليفاً .

(٦) يندب أخاه عمرو بن الحضرمي

(٧) حقب : اشتد .

(٨) استوسقوا : اجتمعوا .

(٩) أطها : أطارها .

(١٠) تشخب : تسيل بصوت .

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة ، بين اخيه شيبة وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة ، وهم عوف ومعوذ ابنا الحارث ، ورجل آخر يقال هو عبدالله بن رواحة ، فقالوا : من أنتم ؟ فقالوا : رهط من الأنصار . قالوا : ما لنا بكم من حاجة . ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفأنا من قومنا . فقال رسول الله ﷺ : قم يا عبدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا علي . فلما قاموا ودنوا منهم فقالوا : من أنتم ؟ قال عبدة : عبدة . وقال حمزة : حمزة . وقال علي : علي . قالوا : نعم ، أكفأ كرام . فبارز عبدة - وكان أسنَّ القوم - عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة ، وبارز علي الوليد بن عتبة . فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأما علي فلم يمهل الوليد أن تله ، واختلف عبدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه (١) ، وكرَّ حمزة وعليُّ بأسيفهما على عتبة فذقفا عليه (٢) واحتملا صاحبهما إلى أصحابه .

ثم تراحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه ألاَّ يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إن اكتنفكم القوم فانضحوهم (٣) عنكم بالنبل . ورسول الله ﷺ في العريش مع أبو بكر الصديق .

فكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان سنة خمس

ثم عدل رسول الله ﷺ الصفوف ورجع إلى العريش ، فدخله ومعه أبو بكر الصديق ، ليس معه غيره ، ورسول الله ﷺ يناشد ربّه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد ! وأبو بكر يقول : يا نبي الله ، بعض مناشدتك ربك ، فإن الله مُنجز لك ما وعدك .

وقد خفق رسول الله خفقة (٤) وهو في العريش ، ثم انتبه فقال : أبشر

(١) أنته : حرقه جراحة لم يقم معها .

(٢) ذفف عليه : أجهز وأسرع .

(٣) انضحوهم : ارموهم .

(٤) أي نام نومة يسيرة .

يا أبا بكر ، أذاك نصرُ الله ! هذا جبريل آخذُ بعنان فرسٍ يقوده ، على ثنياه
التَّقَع (١) .

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرَّضهم وقال : والذي نفس محمد
بيده ، لا يقاتلهم اليومَ رجلٌ فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مدبر ، إلا
أدخله الله الجنة . فقال عُمر بن الحُمام ، أخو بنو سلمة ، وفي يده تمراتٌ
يأكلهن : بخ بخ (٢) ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ! ثم
قذف التمرات من يده وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قُتل .

ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حَفَنَةً من الحصباء فاستقبلَ قريشاً بها ، ثم
قال : شأهت الوجوه ! ثم نفحهم بها ، وأمر أصحابه فقال : شدُّوا ! وكانت
الجزيمة . فقتل الله من قتل من صناديد قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم .
عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومئذ : إني عرفت أن
رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن
لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن
الحارث بن أسد فلا يقتله . ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله ، فإنه
إنما أخرج مُستكرهاً . فقال أبو حذيفة : أنقتل آباءنا وإخوتنا وعشيرتنا ونترك
العباس ؟ والله لئن لقيته لألجمته السيف (٣) ! فبلغت رسول الله ﷺ فقال
لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص ، أئضرب وجه عمِّ رسول الله بالسيف ؟
فقال عمر : يا رسول الله دعني فلاضربُ عنقه بالسيف ؛ فوالله لقد نافق !
فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قلتُ يومئذ ، ولا
أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عني الشهادة ! فقتل يوم اليمامة شهيداً .

ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى بدر من الأيام ، وكانوا يكونون فيما سواه
من الأيام عدداً ومدداً ، لا يضربون .

(١) التقع . العار .

(٢) كلمة يقال عند الإعجاب .

(٣) أي لأمكن منه السيف . ويروى : « لألجمته » أي لأضربه به في وجهه .

فلما فرغ رسول الله ﷺ من عدوه أمر بأبي جهل أن يلتمس في القتلى .
 قال ابن مسعود : احترزت رأسه ثم جئت به رسول الله ﷺ فقلت : يا
 رسول الله . هذا رأس عدو الله أبي جهل . فقال رسول الله ﷺ : آله^(١) الذي لا
 إله غيره ! - قال : وكان يمين رسول الله ﷺ - قلت : نعم والله الذي لا
 إله غيره . ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ ، فحمد الله .

ولما أمر رسول الله ﷺ أن يُطرحوا في القلب طرحوا ، إلا ما كان من
 أمية بن خلف . فإنه انتفخ في درعه فملاها . فذهبوا ليحركوه فترأيل^(٢)
 لحسه فأقروه . وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة . فلما ألقاهم في
 القلب وقف رسول الله ﷺ فسمعه أصحابه من جوف الليل وهو يقول :
 يا أهل القلب . يا عتبة بن ربيعة ، ويا شيبة بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ،
 ويا أبا جهل - فعدد من كان منهم في القلب - هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً
 فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً ؟ فقال المسلمون : يا رسول الله ، أتنادي
 قوماً قد جئوا ؟ قال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون
 أن يحيوني !

ثم إن رسول الله ﷺ أمر بما في العسكر . مما جمع الناس ، فجمع ،
 فاختلف المسلمون فيه . فقال من جمعه : هو لنا . وقال الذين كانوا يقاتلون
 العدو ويطلبونه : والله لولا نحن ما أصبتموه . لنحن شغلنا عنكم القوم حتى
 أصبتم ما أصبتم . وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ مخافة أن يخالف
 إليه العدو : والله ما أنتم بأحق منا . والله لقد رأينا أن نقتل العدو إذ منحنا الله
 تعالى أكتافه . ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه . ولكننا
 خفنا على رسول الله ﷺ كره العدو فقمنا دونه . فما أنتم بأحق به منا .

ثم بعث رسول الله ﷺ عند الفتح عبدالله بن رواحة بشيراً إلى أهل
 العالية بما فتح الله عز وجل على رسوله ﷺ وعلى المسلمين . وبعث زيد بن

(٢) أي تساقط .

(١) أي والله

حارثة إلى أهل الساقلة ، ثم أقبل قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين ، وفيهم عُقبة بن أبي مُعَيْط ، والنضر بن الحارث . واحتمل رسول الله ﷺ معه النّقل الذي أصيب من المشركين ، وجعل على النّقل عبدالله بن كعب بن عمرو بن عوف .

ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مَضِيق الصفراء نزل على كَثِيب بين المضيق وبين النازية ، فقسم هنالك النفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء .

ثم ارتحل رسول الله ﷺ حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنتونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سلمة بن سلامة : ما الذي تهنتونا به ؟ فوالله إن لقينا إلاّ عجائز صُلْعاً كالإبل المعقّلة فنحن نأها ! فتبسّم رسول الله ﷺ ثم قال : أي ابن أخي ، أولئك الملاء !

حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصرفاء قُتِل النضر بن الحارث ، قتله علي بن أبي طالب . ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية قتل عُقبة بن أبي معيط ، فقال عقبة حين أمر رسول الله ﷺ بقتله : فمن للصّبيّة يا محمد ؟ قال : النار . فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الألقح الأنصاري . ثم مضى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم ، وحين أقبل بالأسارى فرّقهم بين أصحابه وقال : استوصوا بالأسارى خيراً .

وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسُمان بن عبدالله . وناحت قريش على قتلهم ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغَ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا بهم ^(١) لا يارب ^(٢) عليكم محمد وأصحابه في الفداء . وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده : زمعة بن الأسود ، وعقيل بن الأسود ، والحارث بن زمعة ، وكان يحبُّ أن يبكيَ على بنيه ، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل ، فقال

(١) أي تؤخروا فداءهم .

(٢) يارب : يشتد .

لغلامٍ له وقد ذهب بصره : انظر هل أُحِلَّ النَّحْبُ^(١) ! هل بكت قريشٌ على قتلها ؟ لعلِّي أبكي على أبي حكيمة - يعني زَمْعَة - فإنَّ جوني قد احترق ! فلما رجَعَ إليه الغلام قال : إنما هي امرأةٌ تبكي على بَعِيرٍ لها أضلَّته . فذلك حين يقول الأسود :

أُبكي أن يضلَّ لها بَعِيرٌ	ويمنعها من النوم السُّهودُ
فلا تبكي على بَكْرٍ ولكنْ	على بدرٍ تقاصرت الجدود ^(٢)
على بدرٍ سراة بني هُصَيص	ومخزوم ورهط أبي الوليد
وبكِي إن بكيتِ على عَقِيلٍ	وبكِي حارثاً أسدَ الأسود
وبكيتهم ولا تسمي جميعاً	وما لأبي حكيمة من نديد ^(٣)

ثم بعثت قريشٌ في فداء الأسارى . فقدم مِكرز بن حفص في فداء سُهَيْل ابن عمرو ، فلما قاوهم فيه مكرز وانتهى إلى رضاهم قالوا : هات الذي لنا . قال : اجعلوا رجلي مكان رجله واخلُّوا سبيلَه حتى يبعثَ إليكم بفدائه . فخلُّوا سبيل سُهَيْل ، وحبسوا مكرزاً مكانه عندهم .

وكان عمر بن الخطاب قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، دعني أنزعُ ثنيتي سُهَيْل بن عمرو ، ويدلَّع^(٤) لسأته فلا يقوم عليك خطيباً في موطنٍ أبداً . فقال رسول الله ﷺ : لا أمثلُ به فيمثلُ الله بي ، وإن كنت نبياً . وقد كان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى : ختنُ رسول الله ﷺ وزوج ابنته زينب ، وكان الإسلام فرَّقَ بين زينب حين أسلمت وبين أبي العاص بن الربيع ، إلا أن رسول الله ﷺ كان لا يقدر أن يفرق بينهما ، فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه ، حتى هاجر رسول الله ﷺ ، فلما سارت قريشٌ إلى بدر سار فيهم أبو العاص بن الربيع ، فأصيب في الأسارى يومَ بدر ، فكان بالمدينة عند رسول الله ﷺ .

(١) النحب : النحيب . وهو رفع الصوت بالبكاء .

(٢) البكر : الفتى من الإبل . وفي الشعر إقواء ظاهر .

(٣) لا تسمى : لا تسمي . النديد : المثيل .

(٤) يدلَّع : يخرج .

ولما بعث أهل مكة في فداء أسرائهم ، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها . فلما رآها رسول الله ﷺ رَقَّ لها رقة شديدة ، وقال : إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها وتردُّوا عليها مالها فافعلوا . فقالوا : نعم يا رسول الله . فأطلقوه وردوا عليها الذي لها .

وأقام أبو العاص بمكة ، وأقامت عند رسول الله ﷺ بالمدينة حتى فرَّق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام ، وكان رجلاً مأموناً ، بمال له وأموال لرجالٍ من قريش ، أبضعوها معه ، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً لقيته سرية لرسول الله ﷺ فأصابوا ما معه ، وأعجزهم هارباً . فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله ، أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ فاستجار بها فأجارته ، وجاء في طلب ماله ، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الصبح فكبر وكبر الناس معه ، صرخت زينب من صُفَّة النساء ^(١) : أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع . فلما سلَّم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعتُ ؟ قالوا : نعم . قال : أما والذي نفس محمد بيده ما علمتُ بشيء من ذلك حتى سمعتُ ما سمعتم ، إنه يجير على المسلمين أديانهم . ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته فقال : أي بُنية ، أكرمي مثواه ، ولا يَخْلُصَنَّ إليك ، فإنك لا تجلين له .

عن عبدالله بن أبي بكر ، أن رسول الله ﷺ بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص فقال لهم : إنَّ هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالاً ، فإن تحسنوا وتردُّوا عليه الذي له فإننا نحبُّ ذلك ، وإن آيتم فهو في الله الذي أفاء عليكم ، فأنتم أحقُّ به . فقالوا : يا رسول الله ، بل نرده عليه . فردَّوه عليه حتى إن الرجل ليأتي بالدَّلْو ، ويأتي الرجل بالشَّنة ^(٢) وبالإداوة ^(٣) حتى

(١) الصفة . السقيفة .

(٢) الشنة : السقاء البالي .

(٣) الإداوة : وعاء من الجلد صغير .

إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَأْتِي بِالشُّظَاظِ^(١) ، حَتَّى رَدُّوا عَلَيْهِ مَالَهُ بِأَسْرِهِ لَا يَفْقِدُ مِنْهُ شَيْئاً .
ثُمَّ احْتَمَلَ إِلَى مَكَّةَ فَأَدَّى إِلَى كُلِّ ذِي مَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ مَالَهُ ، وَمَنْ كَانَ أَبْضَعَ
مَعَهُ . ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، هَلْ بَقِيَ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ عِنْدِي مَالٌ لَمْ يَأْخُذْهُ ؟
قَالُوا : لَا ، فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْراً ، فَقَدْ وَجَدْنَاكَ وَفياً كَرِيماً . قَالَ : فَأَنَا أَشْهَدُ
أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ! وَاللَّهِ مَا مَنَعَنِي مِنَ الْإِسْلَامِ عِنْدَهُ
إِلَّا تَخَوُّفُ أَنْ تَظُنُّوا أَنِّي إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَكُلَ أَمْوَالَكُمْ ، فَلَمَّا أَذَاهَا اللَّهُ إِلَيْكُمْ
وَفَرَّغْتُ مِنْهَا أَسْلَمْتُ .

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ .

وَكَانَ مِنْ سَمِيِّي لَنَا مِنَ الْأَسَارِيِّ مَنْ مَنَّ عَلَيْهِ بِغَيْرِ فِدَاءٍ أَبُو الْعَاصِ بْنِ
الرَّبِيعِ وَالْمُطَلَبُ بْنُ حَنْطَبٍ ، وَصَيْفِيُّ بْنُ أَبِي رِفَاعَةَ ، وَأَبُو عَزَّةَ عَمْرُو بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ أَهْيَبَ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ ، كَانَ مُحْتَاجاً ذَا بَنَاتٍ ،
فَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ عَرَفْتَ مَالِي مِنْ مَالٍ ، وَإِنِّي
لَذُو حَاجَةٍ وَذُو عِيَالٍ فَاغْنُ عَنِّي . فَمَنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَخَذَ عَلَيْهِ أَلَا
يُظَاهِرَ عَلَيْهِ أَحَدًا فَقَالَ أَبُو عَزَّةَ فِي ذَلِكَ يَمْدَحُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيَذْكُرُ فَضْلَهُ
فِي قَوْمِهِ :

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الرَّسُولَ مُحَمَّدًا	بَأَنَّكَ حَقٌّ وَالْمَلِيكَ حَمِيدٌ
وَأَنْتَ أَمْرُؤٌ تَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى	عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ الْعَظِيمِ شُهُودٌ
وَأَنْتَ أَمْرُؤٌ بُوِثَتْ فِيْنَا مِبَاءَةٌ	لَهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وَصَعُودٌ ^(٢)
فَإِنَّكَ مِنْ حَارِبَتِهِ لِمَحَارَبُ	شَقِيٌّ وَمَنْ سَأَلَمْتَهُ لَسَعِيدٌ

وَكَانَ فِدَاءُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ لِلرَّجُلِ إِلَى أَلْفٍ دِرْهَمٍ ،
إِلَّا مَنْ لَا شَيْءَ لَهُ . فَمَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ .

وَجَمِيعٌ مِنْ شُهَدَاءِ بَدْرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَمَنْ ضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) الشُّظَاظُ : حَشَّةٌ تَدْخُلُ فِي عُرْوَةِ الْجَوَالِقِ . (٢) أَيِ أَنْزَلَتْ فِيْنَا مَنَزَلَةً عَظِيمَةً .

بسهمه وأجره ثلاثة وثمانون رجلاً . وجميع من شهد بدرًا من الأوس مع رسول الله ﷺ ومن ضرب له بسهمه وأجره واحد وستون رجلاً . وجميع من شهد بدرًا من الخزرج مائة وسبعون رجلاً .

فجميع من شهد بدرًا من المسلمين من المهاجرين والانصار ، من شهدا منهم ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلثمائة رجل وأربعة عشر رجلاً .

غزوة بني سُلَيم بالكدر

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة لم يقيم بها إلا سبع ليالٍ حتى غزا بنفسه يريد بني سُلَيم^(١) فبلغ ماءً من مياههم يقال له « الكُدْر » . فأقام عليه ثلاث ليالٍ ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة . وأهدى في إقامته تلك جُلَّ الأسارى من قريش .

غزوة السويق

ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السَّويق^(٢) في ذي الحِجَّة . وولى تلك الحِجَّة المشركون من تلك السَّنة ، فكان أبو سفيان حين رجع إلى مكة ورجع فل^(٣) قريش من بدر ، نذر ألا يمس رأسه ماءً من جَنَابَةٍ^(٤) حتى يغزو محمداً ﷺ . فخرج في مائتي راكب من قريش ليبراً يمينه ، فسلكت النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبلٍ يقال له « ثَيْب » من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النَّضِير تحت الليل ، فأتى حُيَيَّ بن أخطب فضرب عليه بابَه ، فأبى أن يفتح عليه بابه وخافه ، فانصرف إلى سلام بن مشكم ، وكان سيد

(١) واستعمل على المدينة حينئذ سباع بن عرفة الغفاري . وقيل : ابن أم كلثوم .

(٢) سميت بذلك لأن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم فيها السويق . فهجم المسلمون على كثير منه . والسويق : مطحون الحنطة أو الشعير . ويؤكل ممزوجاً باللبن والعسل والسمن . أو بالماء .

(٣) الفل : المنهزمون .

(٤) كان الغسل من الجنابة معمولاً به في الجاهلية . كالحج والنكاح .

بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كثرهم^(١) فاستأذن فأذن له فقراه^(٢) وسقاه ، وبطن له من خبر الناس^(٣) . ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه ، فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة ، فأتوا ناحية منها يقال لها العريض ، فحرقوا في أصوار^(٤) من نخل بها ، ووجدوا بها رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما ، فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين ، ونذروهم^(٥) بهم الناس ، فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم . واستعمل على المدينة بشير بن عبد المندر ، حتى بلغ « قرقرة الكدر » ، ثم انصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، وقد رأوا أزواداً من أزواد القوم قد طرحوها في الحرث ، يتخفّفون منها للنجاء ، فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ﷺ : يا رسول الله ، أتطمع لنا أن تكون غزوة ؟ قال : نعم .

غزوة ذي أمر

فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريباً منها ، ثم غزا نجدا ، يريد غطفان ، وهي غزوة ذي أمر^(٦) . فأقام بنجد صفراً كله أو قريباً من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فلبث بها شهر ربيع الأول كله ، أو إلاً قليلاً منه .

غزوة الفُرْع من بَحْران

ثم غزا رسول الله ﷺ يريد قريشاً^(٧) حتى بلغ بَحْران : معدناً بالحجاز من ناحية الفُرْع ، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

(١) يراد بالكفر ما كانوا يجمعونه من مال بينهم ، لتوائبهم وما يعرض لهم .

(٢) قراه : اطعمه القرى ، وهو طعام الضيف .

(٣) بطل له من خبرهم : أعلمه سرهم .

(٤) جمع صور ، بالفتح . وهو جماعة النخل .

(٥) نذروا بهم : علموا بهم .

(٦) واستعمل على المدينة عثمان بن عفان . (٧) واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

أمر بني قينقاع

كان من أمر بني قينقاع^(١) أَنَّ امرأةً من العرب قدمت بِجَلْبٍ^(٢) لها فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحكوا بها فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله - وكان يهودياً - وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع .

وكان بنو قينقاع أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ ، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسن في موالي ! فأبطأ عليه رسول الله ﷺ ، فقال : يا محمد ، أحسن في موالي ! فأعرض عنه ، فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ ، فقال له : أرسلني ! وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظلالاً^(٣) ، ثم قال : ويحك أرسلني . قال : لا ، والله ، لا أرسلك حتى تحسن في موالي : أربعمئة حاسر وتلثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود^(٤) تحصدهم في غداة واحدة ! إني والله امرؤ أخشى الدوائر . فقال رسول الله ﷺ : هم لك .

ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ ، وكان لهم من جلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي ، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ ، وتبرأ إلى الله عز وجل وإلى رسول الله ﷺ من جلفهم ، وقال : يا رسول الله ، أتوكل الله ورسوله ﷺ والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم .

ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت هذه القصة من المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

(١) بفتح القاف وتثنية النون ، شعب من اليهود .

(٢) الجلب ، بالتحريك : ما يجلب للأسواق لبيع فيها .

(٣) جمع ظلة ، وأصلها السحابة . عنى بذلك تغير الوجه إلى السواد حين يشتد الغضب .

(٤) أي العمم والعرب .

آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ . إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ . وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴿١٠٠﴾ ثُمَّ الْقَصَّةَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿١٠١﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿١٠٢﴾ . وَذَكَرَ لَتَوَلَّى عِبَادَةَ بَنِي الصَّامِتِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا . وَتَبَرَّيْهِ مِنْ بَنِي قَيْنِقَاعَ وَحَلَفَهُمْ وَوَلَايَتَهُمْ : ﴿١٠٣﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٠٤﴾ .

سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَى الْقَرَدَةِ

من مياه نجد

وكان من حديثها أن قريشاً حافوا طريقهم الذين كانوا يسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ، ومعه فضة كثيرة ، وهي عظم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بني بكر بن وائل يقال له فرات بن حيان ، يدلهم على ذلك الطريق . وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فلقاهم على ذلك الماء ، فأصاب تلك البعير وما فيها ، وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسول الله ﷺ .

غزوة أحد

لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ، ورجع فلهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، في رجال من قريش ، ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر . فكلّموا أبا سفيان بن حرب ، ومن كانت له في تلك البعير من قريش تجارة فقالوا : يا معشر قريش . إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم ،

فأعينونا بهذا المال على حربه ، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا . ففعلوا .
 فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان
 وأصحاب العير بأحايشها^(١) ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة وخرجوا
 معهم بالظعن^(٢) التماس الحفيظة ، وألا يفروا . فخرج أبو سفيان بن حرب ،
 وهو قائد الناس ، بهند بنت عتبة ، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت
 الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة
 بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود الثقفية
 وخرج عمرو بن العاص بریطة بنت منبه بن الحجاج .

فأقبلوا حتى نزلوا بعينين ، بجبل بيطن السبخة ، من قناة على شفير الوادي
 مقابل المدينة . فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا ،
 قال رسول الله ﷺ للمسلمين : إني قد رأيت والله خيراً ، رأيت بقرأ لي
 تذبح ، ورأيت في ذباب^(٣) سيني ثلماً ، ورأيت أنني أدخلت يدي في درع
 حصينة^(٤) ، فأولتها المدينة . فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ،
 فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها ! وكان رأي
 عبد الله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ ، يرى رايه في ذلك وألا
 يخرج إليهم ، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج ، فقال رجال من المسلمين ،
 ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره ، ممن كان فاته بدر : يا رسول الله .
 اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أننا جبنّا عنهم وصعفنا ! فقال عبد الله بن أبي بن
 سلول : يا رسول الله ، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى
 عدوّ لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فدعهم يا رسول
 الله ، فإن أقاموا أقاموا بشرّ محبس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم .

(١) الأحايش : من اجتمع إلى العرب وانضم إليهم من غيرهم .

(٢) جمع ظعينة ، وهي المرأة . (٣) ذباب السيف : حده .

(٤) قال ﷺ : « أما البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون وأما الثلم الذي رأيت في ذباب سمي فهو رجل من أهل بيتي يقتل » .

ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا . فلم يزل الناس برسول الله ﷺ ، الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم ، حتى دخل رسول الله ﷺ بيته ، فلبس لأمتة^(١) ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة . وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو ، فصلّى عليه رسول الله ﷺ ثم خرج عليهم ، وقد ندم الناس وقالوا استكرهنا رسول الله ﷺ ، ولم يكن لنا ذلك . فلما خرج عليهم رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله ، استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد صلي الله عليك . فقال رسول الله ﷺ : « ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمتة أن بضعها حتى يقاتل » . فخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه ، حتى إذا كانوا بالشوط ، بين المدينة وأحد ، انخزل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلاث الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندري علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس !

فرجع بمن اتبعه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام يقول : يا قوم ، أذكركم الله ألا تأخذوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم . فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكننا لا نرى أنه يكون قتال . فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيُغني الله عنكم نبيّه .

وقال الأنصار يوم أحد : يا رسول الله ، ألا نستعين بحلفائنا من يهود ؟ فقال : لا حاجة لنا فيهم .

ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد في غُدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال لا يقاتلن أحد منكم حتى تأمره بالقتال . وقد سرّحت قريش الظهر والكراع^(٢) في زروع كانت بالصمغة^(٣) من « قناة » للمسلمين ، فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن

(١) الأمتة : الدرع . وقيل : السلاح .

(٢) الظهر : الإبل . والكراع : الخيل .

(٣) الصمغة : أرض قرب أحد .

القتال : أترعى زروعُ بني قيلة^(١) ولما نُضارب !

وتعبى رسول الله ﷺ وهو في سبعمائة رجل . وأمر على الرماة عبدالله بن جبير ، وهو مُعَلِّمٌ يومئذ بشتاب بيض ، والرماة خمسون رجلاً . فقال : انضح الخيل عَنَّا بالنَّبل^(٢) ، لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا . فاثبت علينا لا تؤتين من قبلك . وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين^(٣) ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ، أخى بني عبد الدار .

وأجاز رسول الله ﷺ يومئذ سَمُرَةَ بن جندب ، ورافع بن خديج أخا بني حارثة ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان قد ردَّهما ، فقبل له : يا رسول الله ، إنَّ رافعاً رامٍ . فأجازه . فلمَّا أجاز رافعاً قيل له : يا رسول الله ، فإن سمرة يصرع رافعاً . فأجازه . وردَّ رسول الله ﷺ أسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر بن الخطَّاب ، وزيد بن ثابت ، والبراء بن عازب ، وعمر بن حزم ، وأُسَيْد بن ظهير ، ثم أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمس عشرة سنة .

وتعبأت قريش ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مائتا فرسٍ قد جَنَّبوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل . وقال رسول الله ﷺ : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجالٌ فأمسكه عنهم ، حتَّى قام إليه أبو دُجَانَةَ سِمْكَ بن خَرَشَةَ فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تضربَ به العدوَّ حتَّى ينحني . قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه . فأعطاه إياه . وكان أبو دُجَانَةَ رجلاً شجاعاً يَحْتال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أَعْلَمَ بعصاةٍ له حمراء فاعتصب بها علم النَّاسِ أنه سيقاتل . فلمَّا أخذ السيفَ من يد رسول الله ﷺ أخرجَ عصابته تلك فعَصَبَ بها رأسه . وجعل يتبختر بين الصَّفين ، فقال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دُجَانَةَ : إِنَّهَا لِمِشِيَّةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ .

وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على

(١) هم الأوس والخزرج . وقيلة أمهم .

(٢) انضحهم : ادفعهم .

(٣) ظاهر بينهما : لبس إحداهما فوق الأخرى .

القتال : يا بني عبد الدار ، إنكم قد ولّيتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ،
وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإما أن تُكفّونا لواءنا
وإما أن تحلّوا بيننا وبينه فنكفيكموه . فهِمُّوا به فتواعدوه ، وقالوا : نحن نُسلم
إليك لواءنا ، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع ! وذلك أراد أبو سفيان .

فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة
اللاتي معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرّضنهم ؛ فقالت هند
فيما تقول :

وَيْهًا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَيَهًا حُمَاةَ الْأَدْبَارِ (١)
ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارٍ (٢)

وتقول :

إِنْ تُقْبِلُوا نَعَانِقُ وَنَفْرَشِ النَّمَارِقِ (٣)

أَوْ تَدْبِرُوا نَفَارِقَ فِرَاقٍ غَيْرِ وَامِقٍ (٤)

وكان شعار (٥) أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد : أَمِتْ أَمِتْ !

فاقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دُجانة حتى أمعن في الناس ،
فجعل لا يلقي أحداً إلا قتلته وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحاً إلا ذفّف
عليه (٦) ، فجعل كل واحدٍ منهما يدنو من صاحبه ، فدعوتُ الله أن يجمعَ
بينهما ، فالتقيا فاختلعا ، ضربتين ، فضرب المشرك أبا دُجانة فاتقاه بدرقته
فعصّت بسيفه ، وضربه أبو دُجانة فقتله ، ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق
رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها (٧) .

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم

ابن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ، ثم مرّ به

(١) حماة الأدبار : الذين يحمون أعقابهم . (٢) البتار : السيف القطاع .

(٣) النمرقة : الوسادة . (٤) الوامق : المحب .

(٥) الشعار : علامة يتنادون بها في الحرب . ليعرف بعضهم بعضاً . (٦) ذفّف عليه : أجهز عليه .

(٧) قال أبو دُجانة : رأيت إنساناً يخمش الناس خمشا شديداً . فصمدت له . فلما حملت عليه السيف
ولول . فإذا امرأة ، فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة .

سباع بن عبد العزى الغُبشاني ، وكان يكنى بأبي نيار . فقال له حمزة : هلمَّ إليَّ يا ابنَ مقطَّعة البُطور ! وكانت أمه ختانة بمكة .

قال وحشيُّ غلام جبير بن مُطِيع : والله إنِّي لأنظرُ إلى حمزة يَهْدُ^(١) النَّاسَ بسيفه ما يُليقُ^(٢) به شيئاً ، مثلَ الجمل الأورق^(٣) ، إذ تقدَّمني إليه سباع ابن عبد العزى ، فقال له حمزة : هلمَّ إليَّ يا ابنَ مقطَّعة البُطور ! فضربه ضربة فكأنَّ ما أخطأ رأسه ، وهزرتُ حربتي حتى إذا رَضِيتُ منها دفعتها عليه ، فوقعت في ثُنْتِه^(٤) حتى خرجتُ من بين رجله ، فأقبل نحوي فغلب فوقع ، وأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذتُ حربتي ، ثم تنحيتُ إلى العسكر ، ولم تكن لي بشيء حاجةً غيره ، وإنما قتلته لأعتق ، فلما قدمت مكة أعتقت ، ثم أقمتُ حتى إذا افتتح رسولُ الله ﷺ مكة هربت إلى الطائف فمكثت بها ، فلما خرج وفدُ الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا تعيَّت عليَّ المذاهب ، فقلت : ألحق بالشام ، أو اليمن ، أو ببعض البلاد فوالله إنِّي لفي ذلك من همٍّ إذ قال لي رجل : ويحك ! إنَّه والله ما يقتل أحداً من الناس دخلَ في دينه ، وتشهدَ شهادته . فلما قال لي ذلك خرجتُ حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة ، فلم يرْعه إلَّا بي قائماً على رأسه أتشهدُ بشهادة الحقِّ فلما رأيَ قال : أوحشي؟ قلت : نعم ، يا رسول الله . قال : اقعد فحدثني كيف قتلتَ حمزة ؟ فلما فرغت من حديثي قال : ويحك ! غيَّبُ عني وجهك فلا أرينك ! فكنتُ أتنكبُّ عن رسول الله ﷺ حيث كان ، لئلا يراني حتى قبضة الله ، ﷺ .

وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قتل ، وكان الذي قتله ابن قمئة الليثي ، وهو يظن أنه رسولُ الله ﷺ ، فرجع إلى قريش فقال : قتلتُ محمداً ! فلمَّا قتل مصعب أعطى رسول الله ﷺ اللواءَ عليَّ بن أبي طالب ، وقاتل عليُّ بن أبي طالب ورجالُ من المسلمين .

(١) يَهْدُ : يسرع في قطع لحومهم بسيفه . وروى « يهد » بالمهمله . ومعناها يرددهم ويهلكهم .

(٢) ما يليقُ : ما يليق . (٣) الأورق : ما لونه إلى الغيرة .

(٤) الثنَّة : ما بين أسفل البطن إلى العانة .

ولما اشتد القتال يوم أحد ، جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار ، وأرسل رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب : أن قدم الراية . فتقدم عليٌّ فقال : أنا أبو القُصم^(١) ! فناداه أبو سعد بن أبي طلحة ، وهو صاحب لواء المشركين : أن هل لك يا أبا القُصم في البراز من حاجة ؟ قال : نعم . فبرز بين الصّفين فاختلفا ضربتين ، فضربه عليٌّ فصرعه ، ثم انصرف عنه ولم يجهز عليه ، فقال له أصحابه : : أفلا أجهزت عليه ؟ قال : إنه استقبلني بعورته فعطفتني عنه الرحم ، وعرفت أن الله عزّ وجلّ قد قتله .

وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، فقتل مسافع بن طلحة وأخاه الجلّاس بن طلحة ، كلاهما يُشعره سهماً^(٢) ، فيأتي أمّه سُلّافة ، فيضع رأسه في حِجْرها فتقول : يا بنيّ ، من أصابك ؟ فيقول : سمعتُ رجلاً حينَ رماني وهو يقول : خذها وأنا ابنُ أبي الأفلح . فنذرتُ إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر .

والتقى حنظلة بن أبي عامر الغسيلُ وأبو سفيان ، فلمّا استعلاه حنظلة بن أبي عامر رآه شدّاد بن الأسود - وهو ابن شعوب - قد علا أبا سفيان ، فضربه شدّاد فقتله ، فقال رسول الله ﷺ : إنّ صاحبكم - يعني حنظلة - لتغسله الملائكة . فسألوا أهله : ما شأنه ؟ فسئلتُ صاحبتُه عنه فقالت : خرج وهو جُنُب حين سَمِعَ الهاتفة .

ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدّقهم وعده ، فحسّوهم بالسيوف^(٣) ، حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لا شك فيها .

قال الزبير : وإلله لقد رأيتُ أنظر إلى خِدم هند بنت عتبة وصّواحبها ، مشمّرات هوارب ، مادون أخذهنّ قليل ولا كثير ، إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه ، وخلّوا ظهورنا للخيل ، فأتيننا من خلفنا ، وصرخ صارخ :

(١) القصم : الدواهي ، واحدها قصى . وإنما قال ذلك رداً على قول أبي سعد : أنا قاصم من يبارزني !

(٢) أشعره السهم : أصابه به في جسده فصار له كالشعار .

(٣) حسّوهم : قتلوهم واستأصلوهم .

ألا إنَّ محمداً قد قُتِلَ ! فانكفأنا^(١) وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحدٌ من القوم ، ولم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش ، فلا تُوا بد^(٢) .

وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو ، وكان يوم بلاء وتمحيص ، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة حتى خُلص إلى رسول الله ﷺ ، فرُث^(٣) بالحجارة حتى وَقَعَ لِسِقُّهُ^(٤) ، فأصيبت رباعيته^(٥) ، وشُجَّ^(٦) في وجهه . وكُلِّمت^(٧) شفته ، وكان الذي أصابه عُتْبَةُ بن أبي وقاص . فجعل الدم يسيل على وجهه ، وجَعَلَ يمسح الدم وهو يقول : « كيف يُفلح قوم خَضَبُوا وجهَ نبيِّهم وهو يدعوهم إلى ربِّهم ! » ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ في ذلك : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ .

وعن أبي سعيد الخدري ، أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته السفلى ، وأنَّ عبد الله بن شهاب الزهريَّ شجَّه في جبهته ، وأنَّ ابن قمئة جرحَ وجنته^(٨) ، ودخلت حَلَقَتَانِ من حَلَقِ المِغْفَرِ في وجنته ، ووقع رسولُ الله ﷺ في حُفْرَةٍ من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون ، وهم لا يعلمون ، فأخذَ عليُّ بن أبي طالب بيد رسول الله ﷺ ، ورفعَه طَلْحَةَ بن عُبَيْدِ الله حتى استوى قائماً . ومصرَّ مَالِكُ بنِ سِنَانٍ ، أبو أبي سعيد الخُدْريِّ ، الدم عن وجه رسول الله ﷺ ، ثم ازدردَه ، فقال رسول الله ﷺ : مَنْ مَسَّ دَمِي دَمَهُ لَمْ تُصَبِّهِ النَّارُ .

وقال رسول الله ﷺ ، حين غشيه القوم : مَنْ رَجُلٌ يَشْتَرِي لَنَا نَفْسَهُ ؟ فقام زياد بن السَّكَنِ في نفرٍ خمسة من الأنصار ، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ

(١) انكفأنا : رجعنا . (٢) لا تُوا بد : احتمعوا من حوله والتفوا .

(٣) رث : أصيب .

(٤) الشق : الجانب .

(٥) الرباعية : كثمانية : السن المجاورة للأناب .

(٦) الشج : الجرح في الوجه والرأس .

(٧) كلِّمت : جرحت .

(٨) الوجنة : أعلى الخد .

رجالاً ثم رجالاً ، يُقتلون دونه ، حتى كان آخرهم زياد ، أو عمارة بن يزيد بن السكن . فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، ثم فاءت فئة ^(١) من المسلمين ، فأجهضوهم عنه ^(٢) ، فقال رسول الله ﷺ : أدنوه مني . فأدنوه منه ، فوسّده قدمه فمات وخذّه على قدم رسول الله ﷺ .

وترسّ دون رسول الله ﷺ أبو دُجانة بنفسه ، يقع النبلُ في ظهره وهو منحني عليه ، حتى كثر فيه النبل . ورمى سعدُ بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ . قال سعد : فلقد رأيته يناولني النبل ، وهو يقول : ارم ، فإدراك أبي وأمي ! حتى إنه ليناولني السهم ماله نصل ، فيقول : ارم به .

وكان أول من عرف رسولَ الله ﷺ بعد الهزيمة ، وقول الناس : قُتل رسول الله ﷺ : كعب بن مالك ، قال : عرفت عينيّه تزهران ^(٣) من تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله ﷺ ! فأشار إليّ رسولُ الله ﷺ : أن أنصت .

فلما عرف المسلمون رسولَ الله ﷺ نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشعب ، معه أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعليّ بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيدالله ، والزبير بن العوام - رضوان الله عليهم - والحارث بن الصّمة ، ورهط من المسلمين .

فلما أسند رسولُ الله ﷺ في الشعب أدركه أبيّ بن خلف ، وهو يقول : أي محمد ، لا نجوت إن نجوت ! فقال القوم : يا رسولَ الله ، أيعطيف عليه رجلٌ مِنّا ؟ فقال رسول الله ﷺ : دَعَوِد فلما دنا تناول رسولُ الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصّمة فلما تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث ابن الصّمة ، يقول بعض القدم فيما ذكر لي : فلما أخذها رسول الله ﷺ منه استفضّ بها انتفاضةً تطايرنا عنه تطايرُ الشعراء ^(٤) عن ظهر البعير إذا انتفضَ بها . ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنةً تدأداً ^(٥) منها عن فرسه مِراراً .

(١) الفئة : الجماعة . (٢) أجهضوهم : أزالوهم وغلّبوهم .

(٣) تزهران : تلمعان . (٤) الشعراء : ذباب له لدغ . (٥) تدأداً : تدحرج .

وكان أبي بن خلف يلقى رسول الله ﷺ بمكة فيقول : يا محمد ، إن عندي العوذ^(١) : فرساً ، أعلفه كل يوم فرقاً^(٢) من ذرة ، أقتلك عليه . فيقول رسول الله ﷺ : بل أنا أقتلك إن شاء الله . فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير ، فاحتقن الدم ، قال : قتلني والله محمد ! قالوا له : ذهبَ والله فؤادك ! والله إن بك من بأس . قال : إنه قد كان قال لي بمكة : أنا أقتلك ، فوالله لو بصقَ عليّ لقتلني .

فمات عدو الله بسرف^(٣) وهم قافلون به إلى مكة .

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درقته^(٤) ماءً من المهراس^(٥) ، فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرّب منه ، فوجد له ريحاً ، فعافه فلم يشرب منه ، وغسلَ عن وجهه الدم ، وصبَّ على رأسه وهو يقول : اشتدَّ غضب الله على مَنْ دمى وجه نبيه .

ونهب رسول الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وقد كان بدن^(٦) رسول الله ﷺ ، وظاهرَ بين درعين ، فلما ذهب لينهب لينهب رسول الله ﷺ لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهب به حتى استوى عليها ، فقال رسول الله ﷺ يومئذ : أوجبَ طلحة^(٧) ! حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع .

وكان ممن قُتل يومَ أحدٍ مُخِيرِيق ، وكان أحد بني ثعلبة بن الفِطَيَوْن ، لما كان يوم أحد قال : يا معشرَ يهود ، والله لقد علمتم إن نصرَ محمدٍ عليكم لحق . قالوا : إن اليوم يوم السبت . قال : لا سبتَ لكم . فأخذَ سيفه وعُدَّتَه ، وقال : إن أصِبتُ فما لي لمحمدٍ يصنع فيه ما شاء . ثم غدا إلى رسول الله ﷺ فقاتلَ معه حتَّى قُتل ، فقال رسول الله ﷺ : مخيريق خير يهود .

(١) العوذ : اسم فرسه .

(٢) الفرق ، بالفتح والتحريك : مكبال يسع اثني عشر رطلا .

(٣) سرف . بفتح فكسر : موضع على ستة أميال من مكة .

(٤) الدركة : ترس من جلود .

(٥) المهراس : ماء بأحد . أو حجر ينقر ويجعل إلى جانب البئر ويودع فيه الماء .

(٦) بدن : أسن وضعف .

(٧) أي وجبت له الجنة .

وكان أبو هريرة يقول : حدثوني عن رجلٍ دخل الجنة لم يصل قط ؟
فإذا لم يعرفه الناس سألوه : من هو ؟ فيقول : أصيرم بني عبد الأشهل ، عمرو بن
ثابت بن وقش .

قال الحصين بن عبد الرحمن : فقلت لمحمود بن أسد : كيف كان شأن
الأصيرم ؟ قال : كان يابى الإسلام على قومه ، فلما كان يوم خرج رسول الله
ﷺ إلى أحد بدا له في الإسلام فأسلم ، ثم أخذ سيفه فعدا حتى دخل في عرض
الناس ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة^(١) . فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون
قتلاهم في المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأصيرم ، ما جاء به ؟
لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث . فسألوه : ما جاء به ؟ فقالوا : ما جاء
بك يا عمرو ؟ أحذب على قومك أم رغبة في الإسلام ؟ قال : بل رغبة في
الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ، ثم أخذت سيني فغدوت على رسول الله
ﷺ ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني . ثم لم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه
لرسول الله ﷺ فقال : إنه لمن أهل الجنة .

وكان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل
الأسد ، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا
حبسه وقالوا له : إن الله عز وجل قد عذرك ؟ فأتى رسول الله ﷺ ، فقال :
إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه ، فوالله إني
لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة . فقال رسول الله ﷺ : أما أنت فقد
عذرك الله فلا جهاد عليك . وقال لبنيه : ما عليكم ألا تمنعوه ، لعل الله أن
يرزقه الشهادة . فخرج معه فقتل معه يوم أحد .

ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها ، يمثلن بالقتلى من أصحاب
رسول الله ﷺ ، يجدعن الآذان والأنف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال
وأنفهم خدماً^(٢) وقلائد ، وأعطت خدماً وقلائدها وقرطتها وحشياً غلام

(١) أثبتته : أثقلته فلم يتحرك .

(٢) الخدم : جمع خدمة . وهي الخلخال .

جُبَيْر بن مطعم ، وَبَقَرَتْ عَنْ كَبِدِ حَمْزَةٍ ، فَلَا كَتَبَهَا^(١) فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُسَيِّغَهَا ، فَلَفِظَتْهَا^(٢) .

وَقَدْ كَانَ الْحُلَيْسُ بْنُ زَبَّانَ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ سَيِّدُ الْأَحَابِيْشِ ، قَدْ مَرَّ بِأَبِي سَفْيَانَ ، وَهُوَ يَضْرِبُ فِي شِدْقِ حَمْزَةٍ بِن عَبْدِ الْمَطْلَبِ بِزُجِّ الرَّمْحِ وَيَقُولُ : ذُقْ عُقْقُ^(٣) ! فَقَالَ الْحُلَيْسُ : يَا بَنِي كِنَانَةَ ، هَذَا سَيِّدُ قَرِيْشٍ يَصْنَعُ بَابْنَ عَمِّهِ مَا تَرَوْنَ لِحِمًّا^(٤) ! فَقَالَ : وَيَحْكُ ، اكْتَمَهَا عَنِّي فَإِنَّهَا كَانَتْ زَلَّةً .

ثُمَّ إِنَّ أَبَا سَفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ حِينَ أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ أَشْرَفَ عَلَى الْجَبَلِ ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ فَقَالَ : أَنْعَمْتَ فَعَالَ^(٥) ، إِنْ الْحَرْبُ سَجَالُ^(٦) يَوْمَ يَوْمَ ، أَعْلَى هُبْلٍ^(٧) أَيِ أَظْهَرَ دِينِكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قُمْ يَا عُمَرُ فَأَجِبْهُ فَقُلْ : اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلْ ! لَا سِوَاءَ^(٨) ، قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتَلَاكُمْ فِي النَّارِ . فَلَمَّا أَجَابَ عُمَرُ أَبَا سَفْيَانَ قَالَ لَهُ أَبُو سَفْيَانَ : هَلُمَّ إِلَيَّ يَا عُمَرُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ : ائْتَهُ فَانْظُرْ مَا شَأْنُهُ ؟ فَجَاءَهُ فَقَالَ لَهُ أَبُو سَفْيَانَ : أَنْشَدَكَ اللَّهُ يَا عُمَرُ أَقَتَلْنَا مُحَمَّدًا ؟ قَالَ عُمَرُ : اللَّهُمَّ لَا ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ كَلَامَكَ الْآنَ . قَالَ : أَنْتَ أَصْدَقُ عِنْدِي مِنْ ابْنِ قَمَيْثَةٍ وَأَبْرَ ! لَقَوْلِ ابْنِ قَمَيْثَةٍ لَهُمْ^(٩) : إِنِّي قَدْ قَتَلْتُ مُحَمَّدًا ! ثُمَّ نَادَى أَبُو سَفْيَانَ : إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي قَتْلَاكُمْ مَثَلٌ^(١٠) ، وَاللَّهِ مَا رَضِيتُ وَمَا سَخِطْتُ ، وَمَا نَهَيْتُ وَمَا أَمَرْتُ !

وَلَمَّا انْصَرَفَ أَبُو سَفْيَانَ وَمِنْ مَعِهِ نَادَى : إِنْ مَوْعِدُكُمْ بِدَرٍّ لِلْعَامِ الْقَابِلِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ : قُلْ : نَعَمْ ، هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَوْعِدٌ . ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : اخْرُجْ فِي آثَارِ الْقَوْمِ

(١) لَا كَتَبَهَا : مَضَعَتْهَا .

(٢) لَفِظَتْهَا : طَرَحَتْهَا .

(٣) يَا عَقْقُ ، أَيِ يَا عَاقُ .

(٤) أَيِ مِثْلًا لَيْسَتْ بِهِ قُدْرَةٌ عَلَى الْإِنْصِرَافِ .

(٥) أَنْعَمْتَ : بِالْفَتْحِ ، بَفَتْحِ النَّاءِ خُطَابٌ لِنَفْسِهِ ، وَبِكَسْرِهَا خُطَابٌ لِلْحَرْبِ أَوْ الْوَقِيعَةِ . عَالٍ : أَيِ ارْتَفَعَ ، وَعَالِي : ارْتَفَعِي . أَوْ فَعَالٍ : اسْمٌ لِلْفَعْلَةِ ، كَمَا قَالُوا فَجَارٌ لِلْفَجْرَةِ .

(٦) أَيِ مَدَاوِلَةٍ ، مَرَّةً لِهَذَا الْفَرِيقِ وَمَرَّةً لَذَلِكَ . (٧) هُبْلٌ : اسْمٌ صَنْمٍ .

(٨) أَيِ لَا نَحْنُ سِوَاءَ ، لَا نَسْتَوِي

(٩) أَنْظُرْ مَا سَبَقَ فِي ص ١٦١ .

(١٠) الْمَثَلُ : التَّمَثِيلُ بِالْقَتِيلِ .

فانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جَنَبُوا الخيل ^(١) وامتنطوا
الإبل فإنهم يريدون مكة ؛ وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون
المدينة . والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرنَّ إليهم فيها ثم لأناجزنَّهم . قال
علي : فخرجتُ في آثارهم أنظر ماذا يصنعون . فجَنَبُوا الخيل ، وامتنطوا الإبل ،
ووجهوا إلى مكة .

وفرغ الناس لقتلاهم ، فقال رسول الله ﷺ : مَنْ رجلٌ ينظرُ لي ما
فعلَ سعد بن الربيع ؟ أفي الأحياء هو أم في الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار ^(٢) :
أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد . فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه
رَمَقٌ . فقلت له : إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر ، أفي الأحياء أنت أم
الأموات ؟ قال : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام ، وقل
له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خيراً ما جزى نبياً عن أمته ،
وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذرَ
لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم ﷺ ومنكم عينٌ تطرف ^(٣) . قال : ثم لم
أبرحَ حتَّى مات ، فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره .

وخرج رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، يلتمس حمزة بن عبد المطلب ،
فوجده ببطن الوادي قد بُقِرَ بطنه عن كبده ومثُل به فجُدِعَ أنفه وأذناه ، فقال
رسول الله ﷺ حين رأى ما رأى : لولا أن تحزنَ صفية ويكون سنةٌ من
بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرني الله
على قريشٍ في موطنٍ من المواطن لأمثلنَّ بثلاثين رجلاً منهم ! فلما رأى المسلمون
حُزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعلَ بعمه ما فعلَ قالوا : والله لئن أظفرنا
الله بهم يوماً من الدهر لنمثلنَّ بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب .

عن ابن عباس أن الله عزَّ وجلَّ أنزل في ذلك من قول رسول الله ﷺ

(١) جنبوا الخيل : قادوها إلى جنوبهم .

(٢) هو محمد بن مسلمة الأنصاري .

(٣) تطرف : تضرب بجفنها الأعلى على الأسفل .

وقول أصحابه : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ . فعفا رسول الله ﷺ ، ونهى عن المثلة .

وأمر رسول الله ﷺ بحمزة فسُجِّي^(١) ، بُردةً ، ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ، ثم أمر بالقتلى يُوضعون إلى حمزة ، فصلى عليهم وعليه معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة .

قال ابن اسحاق : وقد أقبَلْتُ - فيما بلغني - صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه ، وكان أخاها لأبيها وأمها ، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام : ألقها فأرجعها لا ترى ما بأخيها . فقال لها : يا أمه ، إن رسول الله ﷺ يأمرُك أن ترجعي . قالت : ولم ؟ وقد بلغني أن مثل أخي ، وذلك في الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ! لأحسبن ولأصبرن إن شاء الله ! فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك قال : خلّ سبيلها . فأتته فنظرت إليه واسترجعت^(٢) واستغفرت له . ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن .

وكان قد احتمل ناسٌ من المسلمين قتلاهم إلى المدينة ، فدفنهم بها ، ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال : ادفنوهم حيث صرّعوا .

عن عبد الله بن ثعلبة أن رسول الله ﷺ لما أشرف على القتلى يوم أحدٍ قال : أنا شهيدٌ على هؤلاء ، إنه ما من جريح يُجرّح في الله إلا ويبعثه الله يوم القيامة يَدُمِّي جُرحه ، اللون لون دم ، والريح ريح مسك ! انظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه في القبر .

وكانوا يدفعون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد .

ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة ، فلقينته حمّة بنت جحش ، فلما لقيت الناس نعي إليها أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له . ثم نعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجعت واستغفرت له .

(٢) استرجعت : قالت : إيا الله وإيا إليه .

(١) سجي : غطي .

ثم نُعي لها زوجها مصعب بن عمير ، فصاحت وولولت ! فقال رسول الله ﷺ : إِنَّ زوج المرأة منها لِمَكَان ! لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

ومرَّ رسول الله ﷺ بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظفر ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ، فذرفت عينا رسول الله ﷺ فبكى ، ثم قال : « لكنَّ حمزة لا بواكي له » . فلما رجع سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، إلى دار بني عبد الأشهل ، أمرا نساءهم أن يتحزَّمن ثم يذهبن فيبكين على عمِّ رسول الله ﷺ . ولما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن على حمزة خرج عليهنَّ وهن على باب مسجده يبكين عليه ، فقال : ارجعن يرحمكن الله ، فقد آسيتن^(١) بأنفسكن .

ومرَّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينارٍ وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد ، فلما نُعوا لها قالت : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً يا أمَّ فلان ، هو بحمد الله كما تحبِّين . قالت : أروني حتى أنظرَ إليه . فأشير لها إليه ، حتى إذا رآته قالت كلُّ مصيبة بعدك جلَّل . تريد صغيرة . فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : اغسلي عن هذا دمه يا بنيَّة ، فوالله لقد صدقني اليوم . وناولها عليُّ بن أبي طالب سيفه فقال : وهذا أيضاً فاغسلي عنه دمه ، فوالله لقد صدقني اليوم . فقال رسول الله ﷺ : لئن كنتَ صدقتَ القتال لقد صدق معك سهلُ بن حنيف وأبو دُجانة .

وكان يوم أحدٍ يومَ السبت ، للنصف من شوال .

فلما كان الغد من يوم الأحد لستَ عشرة ليلة مضت من شوال ، أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو ، فأذن مؤذنه أن لا يخرجن معنا أحداً إلاَّ أحدُ حَضِر يومنا بالأمس . فكلَّمه جابر بن عبد الله بن عمرو

(١) المؤاساة : التمزية والمعاناة .

ابن حرام فقال : يا رسول الله ، إنَّ أبي كان خلَّفني على أخوات لي سبع ، وقال : يا بُني ، إنَّه لا ينبغي لي ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة لا رجلَ فيهنَّ ، ولستُ بالذي أوثرُك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي ، فتخلَّف على أخواتك . فتخلَّفتُ عليهنَّ . فأذن له رسول الله ﷺ فخرج معه . وإِنَّمَا خرج رسول الله ﷺ مُرهباً للعدوِّ ، وليبلِّغهم أنَّه خرج في طلبهم ليُظنُّوا به قوة ، وأنَّ الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوِّهم .

فخرج رسول الله ﷺ حتَّى انتهى إلى حمراء الأسد - وهي من المدينة على ثمانية أميال - واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فأقام بها الاثني والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

وقد مرَّ به معبد بن أبي معبد الخزاعي ، وكانت خزاعة مُسلمهم ومُشركهم عِيبَةً نصح^(١) لرسول الله ﷺ بتهامة ، صَفَقْتَهُمْ معه^(٢) ، لا يُخفون عنه شيئاً كان بها ، ومعبدٌ يومئذٍ مشرك ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عَزَّ علينا ما أصابك ، ولوددنا أنَّ الله عافاك فيهم . ثم خرج ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد ، حتَّى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء^(٣) ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، فقالوا : أصبنا حدَّ أصحابه ، وأُشرافهم وقادتهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ! لنكرِّنَّ على بقيتهم فلنفرغنَّ منهم . فلما رأى أبو سفيان معبدًا قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمعٍ لم أر مثله قط ، يتحرِّقون عليكم تحريقاً^(٤) ، قد اجتمع معه من كانَ تخلَّف عنه في يومكم ، وندِموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق^(٥) عليكم شيءٌ لم أر مثله قط ! قال : ويحك ، ما تقول ؟ قال : والله ما أرى أن ترتحل حتَّى ترى نواصي الخيل . قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم . قال : فإني أنهارك عن ذلك ، والله لقد حملني

(٢) الصفقة : الاجتماع .

(١) عيبة نصحه : موضع سره .

(٣) الروحاء : قرية لمزينة على ليلتين من المدينة .

(٥) الحنق : شدة الغيظ .

(٤) التحرق : الغيظ .

ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتاً من شعر . قال : وما قلت ؟ قال : قلت :
كادت تُهدُّ من الأصوات راحتي كادت تُهدُّ من الأصوات راحتي
تُردي بأسدٍ كرامٍ لا تنابله تُردي بأسدٍ كرامٍ لا تنابله
فظلتُ عدوًّا أظنُّ الأرض مائلة فظلتُ عدوًّا أظنُّ الأرض مائلة
فقلتُ ويل ابنِ حربٍ من لقائكم فقلتُ ويل ابنِ حربٍ من لقائكم
إنِّي نذيرٌ لأهل البسل ضاحيةٌ إنِّي نذيرٌ لأهل البسل ضاحيةٌ
من جيش أحمد لا وخشٍ قنابله من جيش أحمد لا وخشٍ قنابله
مثنى ذلك أبا سفيان ومن معه .

ومرَّ به ركبٌ من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة .
قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة^(٧) . قال : فهل أنتم مُبلغون عني محمداً رسالة
أرسلكم بها إليه ، وأحمل لكم هذه غداً زيباً بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا :
نعم . قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أننا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه
لنستأصل بقيتهم . فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه
بالذي قال أبو سفيان ، فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل .

وأخذ رسول الله ﷺ في جهة ذلك قبل رجوعه إلى المدينة معاوية بن
المغيرة بن أبي العاص ، وأبا عزة الجمحي ، وكان رسول الله ﷺ أسره
بيدر ثم منَّ عليه ، فقال : يا رسول الله ، أ قلني . فقال رسول الله ﷺ :
والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول : خدعتُ محمداً مرتين^(٨) ،

(١) تهد : تسقط لهول ما رأت . والجرد : جمع أجرد ، وهو الفرس القصير الشعر . الأبايل : الجماعات .
(٢) نردى : تسرع . التنايلة : القصار . الأميل : الذي لا يثبت على السرج . المعزال : الذي لا سلاح معه .
(٣) العدو : مشي سريع . سموا : ارتفعوا إلينا .
(٤) تغطمطت : اهتزت . الجبل : الصنف من الناس .
(٥) البسل : الحرام . والمراد قريش لأهم أهل مكة ، ومكة حرام . ضاحية : أي علانية . الإربة : العقل .
وكذلك المعقول .

(٦) الوخش : رذالة الناس والأخساء منهم . والقنابل : جمع قنبلة وقنبل . وهم الطائفة من الناس ومن الخيل .
(٧) الميرة : الطعام يجلب من بلد إلى آخر .
(٨) وقيل : قال له : إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ! اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت . فضرب عنقه .

اضرب عنقه يا زبير ! فضرب عنقه .

فلما قديم رسول الله ﷺ المدينة ، وكان عبدالله بن أبي بن سلول له مقام يقومه كل جمعة لا يُنكر ، شرفاً له في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس ، قام فقال : « أيها الناس ، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم ، أكرمكم الله وأعزكم به ، فانصروه وعزروه ^(١) ، واسمعوا له وأطيعوا » . ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحدٍ ما صنع ورجع بالناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا : اجلس أي عدو الله ، لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت ! فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما قلتُ بُجراً ^(٢) أن قمتُ أشد أمره ! فلقية رجل من الأنصار بباب المسجد فقال : مالك ويلك ! قال : قمت أشد أمره فوثب علي رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني ، لكأنما قلتُ بُجراً أن قمتُ أشد أمره . قال : ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ . قال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي .

قال ابن إسحاق :

وكان يرم أحد يومَ بلاءٍ ومصيبة وتمحيص ، اختبر الله به المؤمنين ومَحَن به المنافقين ، ممَّن كان يُظهر الإيمان بلسانه ، وهو مستخف بالكفر في قلبه ، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته .

يوم الرجيع في سنة ثلاث

قديم على رسول الله ﷺ بعد أحدٍ رهطٌ من عَصَل والقارة ^(٣) فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً ، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في

(٢) البجر : الشر والأمر العظيم .

(١) التعزير : النصر .

(٣) قبيلتان من الهون بن خزيمه بن مدركة

الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام . فبعث رسول الله ﷺ نفرأ من أصحابه ، وهم مرثد بن أبي مرثد ، وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت ، وخبيب بن عدي ، وزيد بن الدبنة ، وعبدالله بن طارق . وأمر رسول الله ﷺ على القوم مرثد بن أبي مرثد ، فخرج مع القوم حتى إذا كانوا على الرّجيع : ماء لهذيل بناحية الحجاز على صدور الهدأة^(١) ، غدروا بهم ، فاستصرخوا^(٢) عليهم هذيلأ ، فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف ، قد غشّوهم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم ، فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم .

فأما مرثد بن أبي مرثد ، وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت ، فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً . فقال عاصم بن ثابت :
 ما علّتي وأنا جلدُ نابل^(٣) والقوسُ فيها وترٌ عنابل^(٤)
 تزلُّ عن صفحتها المعابل^(٥) الموت حق والحياة باطل
 وكلُّ ماحمٍ الإلهُ نازل^(٦) بالمرء والمرء إليه آئل^(٧)
 ثم قاتل القوم حتى قُتل وقتل أصحابه .

فلما قُتل عاصم أرادت هذيلُ أخذَ رأسه لبيعهوه من سُلالة بنت سعد ابن شهيد ، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد : لئن قدرْتُ على رأس عاصم لتشربنَّ في قحفه الخمر ، فمنعته الدبّر^(٨) فلما حالت بينه وبينهم الدبّر قالوا : دَعَوْه حتّى يُمسيَ فذهبَ عنه فنأخذه . فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً فذهبَ به .

وقد كان عاصمٌ قد أعطى الله عهداً ألاّ يمسه مشركه ولا يمسه مشركاً

(٢) استصرخوا : استنصروا .

(١) الهدأة : موضع بين عسفان ومكة

(٤) العنابل الغليظ الشديد .

(٣) الجلد : الشديد . النابل : صاحب النبل .

(٦) حم الإله : قدره .

(٥) المعابل : جمع معبلة . وهو نصل عريض طويل .

(٨) الدبّر : الزنايب والنحل .

(٧) آئل : صائر .

أبداً ، تنجساً . فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أنَّ الدَّبْرَ منعه : يحفظ الله العبدَ المؤمن ، كان عاصم نذر ألاَّ يمسه مشرك ولا يمسه مشركاً أبداً في حياته ، فمنعه الله بعد وفاته ، كما امتنع منه في حياته .
 وأما زيد بن الدثينة وخبيب بن عديّ وعبدالله بن طارق ، فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة ، فأعطوا بأيديهم فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة ، لبيعوهم بها ، حتّى إذا كانوا بالظَّهرانِ انتزع عبدالله بن طارق يده من القرآن^(١) ، ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة ، فقبّره رحمه الله بالظَّهران .

وأما خبيب بن عديّ ، وزيد بن الدثينة ، فقدموا بهما مكة ، فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة ، فابتاع خبيباً حُجير بن أبي إهاب لعقبة بن الحارث بن عامر ، ليقتله بأبيه .

وأما زيد بن الدثينة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف . وبعث به صفوان بن أمية مع موالي له ، يقال له نسطاس ، إلى التنعيم^(٢) ، وأخرجوه من الحرّم ليقتلوه . واجتمع رهطٌ من قريش ، فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدّم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ، أتحبُّ أنَّ محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنت في أهلك ؟ قال : والله ما أحبُّ أنَّ محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي !

يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحبُّ أحداً كحبِّ أصحاب محمد محمداً !

ثم قتله نسطاس ، يرحمه الله .

عن ماوية مولاة حُجير بن أبي إهاب - وكانت قد أسلمت - قالت :

كان خبيب عندي ، حبس في بيتي ، فلقد اطلعت عليه يوماً وإن في يده

(١) القرآن : حبل يربط به الأسير .

(٢) التنعيم : موضع بين مكة وسرف ، على فرسخين من مكة .

لقِطْفاً من عنب مثل رأس الرجل ، يأكل منه ، وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل ، قال لي حين حضره القتل : ابْعَثِي إِلَيَّ بِحَدِيدَةٍ أَتَطَهَّرُ بِهَا لِلْقَتْلِ . فاعطيتُ غلاماً من الحيّ الموصى فقلت : ادخلُ بها على هذا الرجل البيتَ . قالت : فوالله ما هو إلاّ أن وكّى الغلامُ بها إليه ، فقلتُ : ماذا صنعتُ ! أصاب والله الرجلُ ثأره بقتل هذا الغلام ، فيكون رجلاً برجل ! فلما ناوله الحديدَ أخذَها من يده ثم قال : لعمرك ما خافتُ أمُّك غدري حين بعثتك بهذه الحديدَ إليّ ؟ ! ثم خَلَّى سبيله .

ثم خرجوا بخبيب حتى إذا جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه قال لهم : إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا . قالوا : دونك فاركع . فركع ركعتين أمّهما وأحسنهما ، ثم أقبلَ على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنني إنما طوّلت جزعاً من القتل لاستكثرتُ من الصلاة ! فكان خبيب بن عديّ أوّلَ من سنَّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين .

ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يُصنَع بنا ! ! ثم قال : اللهم أحصِهِم عدداً ، واقتلهم بدداً^(١) ، ولا تغادر منهم أحداً ! ! ثم قتلوه رحمه الله .

فكان معاوية بن أبي سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان ، فلقد رأيته يلقيني إلى الأرض فرقاً^(٢) من دَعْوَةِ خُبَيْب . وكانوا يقولون : إنّ الرجل إذا دُعِيَ عليه فاضطجعَ لجنبه زالت عنه .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعملَ سعيد بن عامر بن جذيم الجمحيّ على بعض الشام ، فكانت تصيُّهُ غَشِيَّةً وهو بين ظهرَي القوم ، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب ، وقيل إن الرجل مصاب . فسأله عمر في قَدَمَةٍ قَدِمَهَا عليه فقال : يا سعيد ، ما هذا الذي يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس ، ولكنّي كنت فيمن حضر خبيب بنَ عديّ حين

(١) بدداً : متفرقين .

(٢) الفرق . بالتحريك : الخوف والفرع .

قُتِلَ ، وسمعتُ دعوته فوالله ما خطرتُ على قلبي وأنا في مجلسٍ قطُّ إلا غشي عليَّ ! فزادته عند عمر خيراً .

قال ابن عباس : لما أُصِيبَت السريَّة التي كان فيها مرثد وعاصم بالرجيع ، قال رجالٌ من المنافقين : يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا ، لاهم قعدوا في أهلهم ، ولا هم أدّوا رسالة صاحبهم . فأنزل الله تعالى في ذلك من قول المنافقين : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ، أي يُظهر من الإسلام بلسانه ﴿ وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ﴾ وهو مخالف لما يقوله بلسانه ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ ، أي ذو جدالٍ إذا كَلَّمَكَ وراجعك . ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى ﴾ أي خرج من عندك ﴿ سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ ﴾ أي لا يحب عمله ولا يرضاه . ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ . وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ ، أي قد شَرَوْا أنفسهم من الله بالجهاد في سبيله ، والقيام بحقه ، حتى هلكوا على ذلك . يعني تلك السريَّة .

وكان ممَّا قيل في ذلك من الشعر قول خبيب بن عدي حين بلغه أن القوم قد اجتمعوا للصلبه :

لقد جمَّع الأحزاب حولي وألبوا وكلَّهم مُبْدي العدواة جاهداً وقد جمَّعوا أبناءهم ونساءهم إلى الله أشكو عُربتي ثم كُربتي فذا العرش ، صبرني على ما يراد بي وذلك في ذات الإله وإن يشأُ وقد خيَّروني الكُفْرَ والموتُ دونه	قبائلهم واستجمعوا كلَّ مَجْمَع ^(١) عليَّ لأني في وثاقٍ بمَضْضِع وقُربَت من جذعٍ طويل مَمْنَع وما أُرصد الأحزابُ لي عند مَصْرَعِي ^(٢) فقد بضَّعوا الحمي وقد ياسَ مطعمي ^(٣) يُبارِكُ على أوْصالِ شِلْوٍ ممزَّع ^(٤) وقد همَّلتُ عيناَي من غير مَجْرَع
---	--

(٢) أُرصدوا : أعدوا .

(١) ألبوا : جمَّعوا .

(٣) بضَّعوا : قطعوا . ياس : يش .

(٤) الشلو : الجسد . المزع : المقطع .

وما بي جذارُ الموت إني لميتٌ
فوالله ما أرجو إذا متُ مسلماً
فلمستُ بمبدٍ للعدو تخشعاً
ولكن جذاري جَحَمَ نارٍ ملْفَعٌ^(١)
على أيِّ جنبٍ كان في الله مصرعي^(٢)
ولا جَزَعاً إني إلى الله مرجعي

وقال حسان بن ثابت يبكي خبيباً :

ما بال عينك لا ترقا مدامعها
على خُبيبٍ فتى الفتيان قد علموا
فاذهبْ خبيبُ جزاك الله طيبة
ماذا تقولون إن قال النبيُّ لكسم
فيسمَ قتلتم شهيدَ الله في رجلٍ
سَحّاً على الصّدر مثل اللؤلؤ القَلِقِ^(٣)
لا فُشلَ حين تلقاه ولا نَزَقَ^(٤)
وجنّة الخلد عند الحُور في الرُّقِ^(٥)
حين الملائكةُ الأبرارُ في الأفق
طاغَ قَدَّ اوعَثَ في البلدان والرُّقِ^(٦)

حديث بثر معونة

في صفر سنة أربع

فأقام رسولُ الله ﷺ بقية شوال ، وذا القعدة ، وذا الحجة - وولي تلك الحجة المشركون - والمحرم ، ثم بعث رسولُ الله ﷺ أصحاب بثر معونة في صفر ، على رأس أربعة أشهر من أحد .

وكان قد قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأُسنة ، على رسول الله ﷺ المدينة ، فعرضَ عليه رسولُ الله ﷺ الإسلامَ ودعاه إليه ، فلم يُسلم ولم يبعُد من الإسلام وقال : يا محمد ، لو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجدٍ فدعَوهم إلى أمرك رجوتُ أن يستجيبوا لك . فقال رسول الله ﷺ : إني أخشى عليهم أهل نجد . قال أبو براء : أنا لهم جارٌ ، فابعثهم فليدعُوا الناسَ إلى أمرك .

(١) الجحيم : اضطراب النار . ملْفَع : يشله من جميع نواحيه . (٢) أرجو : أخاف .

(٣) ترقا : تسكن . السح : الصب . (٤) من النزق ، وهو التسرع والطيء .

(٥) الرق : جمع رقة . وهم الأصحاب . (٦) الرق ، بالتحريك : المرتع السهل المطلب .

فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو وأخا بني ساعدة ، « المعنق ليموت ^(١) » في أربعين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين ، منهم الحارث بن الصّمة ، وحرام بن ملحان ، وعروة بن أسماء ، ونافع بن بديل بن ورقاء ، وعامر ابن فهيرة مولى أبي بكر الصديق ، في رجالٍ مسمّين من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سلّيم ، كيلا البلدين منها قريب ، وهي إلى حرّة بني سلّيم أقرب .

فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل . فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرّجل فقتله ، ثم استصرخ ^(٢) عليهم بني عامر فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه ، وقالوا : لن نخفيّ أبا براء ^(٣) وقد عقّد لهم عقداً وجواراً . فاستصرخ عليهم قبائل من سلّيم فاجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غشّوا القوم فأحاطوا بهم في رحاهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ، ثم قاتلوهم حتى قُتلوا من عند آخرهم ، يرحمهم الله ؛ إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق ، فارتث ^(٤) من بين القتلى ، فعاش حتى قُتل يوم الخندق شهيدا ، يرحمه الله .

وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ، ورجلٌ من الأنصار أحد بني عمرو بن عوف ^(٥) ، فلم ينبتهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم حول العسكر ، فقالا : والله إنّ لهذه الطير لسانا . فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دمائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة ، فقال الأنصاريّ لعمرو بن أمية : ما ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله ﷺ ، فنخبره الخبر . فقال الأنصاريّ : ما كنت لأرغب بنفسني عن موطنٍ قُتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لتخبرني عنه الرجال ! ثم قاتل القوم حتى قُتل .

(١) أعنق : أسرع . وإنما سمي بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة .

(٢) استصرخهم : استعان بهم . (٣) خفّره : نقض عهده .

(٤) الارتث : أن يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد أثخنه الجراح .

(٥) هو المنذر بن محمد بن عقبة .

وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مُضَرَ أطلقه عامر ابن الطفيل ، وجزّ ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه ، فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة^(١) من صدر قناة^(٢) ، أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا معه في ظلّ هو فيه . وكان مع العامريّين عقد من رسول الله ﷺ وجوّار لم يعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا : مَن أنتم ؟ فقالا : من بني عامر فأملهما حتى إذا ناما عدا عليهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثورة^(٣) من بني عامر ، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ . فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، قال الرسول ﷺ : لقد قتلتَ قَتِيلَيْن لأَدِيَّتَهُمَا ! ثم قال رسول الله ﷺ : هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً ! فبلغ أبا براء فشقّ عليه إختفار عامر إياه ، وما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ بسببه وجواره .

وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة . عن هشام بن عروة عن أبيه ، أن عامر بن الطفيل كان يقول : مَن رجلٌ منهم لما قُتل رأيتُه بين السماء والأرض حتى رأيتُ السماء مِن دونه ؟ قالوا : هو عامر بن فهيرة .

إجلاء بني النضير

في سنة أربع

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القَتِيلَيْن من بني عامر ، اللذين قَتَلَ عمرو بن أمية الضمريّ ؛ للجّوار الذي كان رسول الله ﷺ عقده لهما ، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف ،

(١) قرقرة الكدر : بينها وبين المدينة ثمانية برد .

(٢) واد يصب في قرقرة الكدر .

(٣) الثورة . الثأر .

فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذنبك القاتلين قالوا : نعم ، يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببت فما استعنت بنا عليه .

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تهجدوا الرجل على مثل حاله هذه ... ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمن رجل يملو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحها منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جمحاش بن كعب ، أحدهم ، فقال : أنا لذلك . فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعلي ، رضوان الله عليهم .

فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة . فلما استلبث^(١) النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه ، فقال : رأيته داخل المدينة . فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر ، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به . وأمر رسول الله ﷺ بالتهيو لحربهم والسير إليهم ، ثم سار بالناس حتى نزل بهم ، فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه : أن يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعييه على من صنعه ، فما بال قطع النخيل وتحريقها !

وقد كان رهطاً من بني عوف بن الخزرج ، منهم عبدالله بن أبي بن سلول ، ووديعة ، ومالك بن أبي قوقل ، وسويد ، وداعس ، قد بعثوا إلى بني النضير ، أن اثبتوا وتمنعوا ، فإننا لن نسلمكم ؛ إن قوتلتم قاتلنا معكم ؛ وإن أخرجتم خرجنا معكم . فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وسألوا رسول الله ﷺ أن يجعلهم ويكف عن دمائهم ، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة^(٢) . ففعل ، فاحتملوا من

(١) استلبثه : استبطأه .

(٢) الحلقة : السلاح كله .

أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه^(١) فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به . فخرجوا إلى خير ، ومنهم من سار إلى الشام . فكان أشرفهم من سار منهم إلى خير سلام بن أبي الحقيق ، وكنانة ابن الربيع بن أبي الحقيق ، وحوي بن أخطب . فلما نزلوها دان لهم أهلها . حدثني عبدالله بن أبي بكر أنه حدث أنهم استقلوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدفوف والمزامير ، والقيان بعزفن خلفهم ، وإن فيهم لأم عمرو صاحبة عروة بن الورد العبسي التي ابتاعوا منه^(٢) ، بزهاء وفخر ما رُئي مثله من حي من الناس في زمانهم .

وخلّوا الأموال لرسول الله ﷺ ، فكانت له خاصة يضعها حيث يشاء ، فقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلا أن سهل ابن حنيف وأبا دجاجة سيمالك بن خرشة ذكرا فقرا ، فأعطاهما رسول الله ﷺ . ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها ، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نعمته ، وما سلط عليهم به رسول الله ﷺ وما عمل به فيهم ، فقال تعالى : ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم ما نعمتهم حصوئهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ﴾ وذلك لهدمهم بيوتهم عن نجف أبوابهم إذ احتملوها . ﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار . ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء ﴾ وكان لهم من الله نقمة ﴿ لعذبهم في الدنيا ﴾ ، أي بالسيف . ﴿ ولهم في الآخرة عذاب النار ﴾ مع

(١) النجاف : العتبة التي بأعلى الباب .

(٢) اسمها سلمى ، وكانت ناكحاً في مزيعة ، فأغار عليهم عروة بن الورد فسبها . وكان عروة يتردد على بني النضير فيستقرضهم إذا احتاج ويبيع منهم إذا غم . فرأوا عنده سلمى فاعجبته ، فسألوه أن يبيعها منهم فأبى ، فسقوه الخمر واحتالوا عليه حتى ابتاعوها منه وأشهدوا عليه . وفي ذلك يقول :

سقوني الخمر ثم تكنفوا عداة الله من كذب وزور
فيا للناس كيف غلبت نفسي على شيء ويكرهه ضميري

ذلك . ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ نَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا ﴾ واللينه : ما خالف العجوة من النخل ﴿ فَيَاذَنَ اللَّهُ ﴾ أي فبأمر الله قُطعت ، لم يكن فساداً ، ولكن كان نعمة من الله ﴿ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ . ﴾ وما أفاء الله على رُسُوله مِنْهُمْ ﴿ يعني من بني النضير ﴾ ﴿ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . ﴾ ما أفاء الله على رُسُوله من أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴿ : مَا يُوجِفُ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ بِالْخَيْلِ وَالرَّكَابِ وَفَتْحَ بِالْحَرْبِ عُنُودَهُ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ ولذي القُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ .

يقول : هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين على ما وضعه الله عليه .

ثم قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ يعني عبدالله بن أبي وأصحابه وَمَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ أَمْرِهِمْ ﴿ يقولون لإخوانهم الذين كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ يعني بني النضير ، الى قوله ﴿ كَمِثْلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يعني بني قَيْنُقَاعَ ، ثم القصّة الى قوله : ﴿ كَمِثْلَ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ .

غزوة ذات الرقاع

في سنة أربع

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهرَ ربيع الآخر وبعضَ جمادى . ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان ، واستعمل

على المدينة أبا ذَرِّ الغِفاريّ حتى نزل نَحْلاً^(١) ، وهي غزوة ذات الرقاع^(٢) .
فلقي بها جمعاً عظيماً من غطفان ، فتقارب الناسُ ولم يكن بينهم حرب ، وقد
خاف الناسُ بعضهم بعضاً حتّى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف ،
ثم انصرف بالناس .

عن جابر بن عبد الله قال :

خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل ، على جمل
لي ضعيف ، فلما قفل رسول الله ﷺ جعلت الرِّقاع تمضي ، وجعلتُ أنمَلِّفُ
حتّى أدركني رسول الله ﷺ فقال : مالك يا جابر ؟ قلتُ : يا رسول الله ،
أبطأ لي جملي هذا . قال : أنخه . فأنخته وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال :
أعطني هذه العصا من يلك ، أو اقطع لي عصاً من شجرة . فأتتها
رسول الله ﷺ فنخسه بها نخساتٍ ثم قال : اركب . فركبتُ فخرج ، والذي
بعثه بالحق ، يواهي ناقته مَواهقة^(٣) .

وتحدّثت مع رسول الله ﷺ فقال لي : أتبيعي جملك هذا يا جابر ؟
قلت : يا رسول الله ، بل أهبه لك . قال : لا ، ولكن يغييه . قلت : فسُئني
يا رسول الله . قال : قد أخذته بدرهم ! قلت : لا ، إذن تغبني يا رسول
الله . قال : بدرهمين ؟ قلت : لا . فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ في
ثمنه حتّى بلغ الأوقية . فقلت : أفقد رضيتَ يا رسول الله ؟ قال : نعم . قلت :
فهو لك . قال : قد أخذته . ثم قال : يا جابر ، هل تزوّجتَ بعد ؟ قلت :
نعم يا رسول الله . قال : أثيباً أم بكراً ؟ قلت : لا ، بل ثيباً . قال : أفلا
جاريةً تلاعبها وتلاعبك ؟ قلت : يا رسول الله إنّ أبي أصيبَ يومَ أحدٍ وترك

(١) نخل : موضع بنجد من أرض عطفان .

(٢) إنما قيل لها ذات الرقاع لأنهم رقعوا فيها راياتهم . وقيل : ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع يقال لها
ذات الرقاع . وقيل : لأن الحجارة أوهنت أقدامهم فشدوا رقاعاً ، فقيل لها : ذات الرقاع .

(٣) يواهيها : يعارضها في المشي لسرعته .

بناتٍ له سبعة ، فنكحتُ امرأةً جامعةً ، تجمع رءوسهنَّ وتقوم عليهنَّ . قال : أصبتَ إن شاء الله ، أمّا إنا لو قد جئنا صراراً^(١) أمرنا بجزورٍ فنُحِرت ، وأقمنا عليها يومنا ذاك ، وسمِعَتُ بنا فنفضتُ نمارقها^(٢) . فقلت : والله يا رسول الله مالنا من نمارق ! قال : إنها ستكون ، فإذا أنت قديمت فاعملْ عملاً كيّساً . فلما جئنا صراراً أمر رسولُ الله ﷺ بجزورٍ فنُحِرت ، وأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى رسولُ الله ﷺ دخلَ ودخلنا ، فحدثتُ المرأةَ الحديثَ وما قال لي رسولُ الله ﷺ . قالت : فدونك ، فسمِعُ وطاعة . فلما أصبحتُ أخذتُ برأسَ الجمل ، فأقبلتُ به حتى أنحتُهُ على باب رسول الله ﷺ ، ثم جلستُ في المسجد قريباً منه ، وخرج رسولُ الله ﷺ فرأى الجملَ فقال : ما هذا ؟ قالوا : يا رسول الله ، هذا جملٌ جاء به جابر . قال : فأين جابر ؟ فدُعيتُ له فقال : يا ابن أخي ، خذْ برأسَ جملك فهو لك . ودعا بلالاً فقال له : اذهبْ بجابر فأعطه أوقية . فذهبتُ معه فأعطاني أوقيةً وزادني شيئاً يسيراً ، فوالله ما زال يَنمى عندي ، ويُرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا - يعني يومَ الحرة . وعنه أيضاً قال :

خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل ، فأصاب رجلٌ امرأةً رجلٍ من المشركين ، فلما انصرف رسولُ الله ﷺ قافلاً أتى زوجها وكسان غائباً ، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يُهزق في أصحاب محمد ﷺ دماً ! فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ، فتزل رسول الله ﷺ منزلاً فقال : مَنْ رجلٌ يكلؤنا ليلتنا هذه ؟ فانتدبَ رجلٌ من المهاجرين ورجلٌ آخر من الأنصار فقالا : نحن يا رسول الله . قال : فكونا بفم الشعب . فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال الأنصاريُّ للمهاجري : أيَّ الليل تحبُّ أن

(١) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

(٢) النمارق : جمع نمرقة . وهي الوسادة الصغيرة .

أَكْفَيْكَه . أَوَّلُهُ أَمْ آخِرُهُ ؟ قَالَ : بَلْ أَكْفَنِي أَوَّلُهُ . فَاضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ فَنَامَ وَقَامَ الْأَنْصَارِيُّ يَصَلِّي .

وَأَتَى الرَّجُلَ ، فَلَمَّا رَأَى شَخْصَ الرَّجُلِ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيبَةُ الْقَوْمِ ، فَرَمَى بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ ، فَتَزَعَهُ وَوَضَعَهُ فَثَبَتَ فِيهِ قَائِمًا ثُمَّ عَادَ لَهُ بِالثَّالِثِ فَوَضَعَهُ فِيهِ ، فَتَزَعَهُ فَوَضَعَهُ ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ ، ثُمَّ أَهَبَّ صَاحِبَهُ^(١) فَقَالَ : اجْلِسْ قَدْ أَثْبَتَ^(٢) . فَوُثِبَ ، فَلَمَّا رَآهُمَا الرَّجُلُ عَرَفَ أَنَّ قَدْ نَذَرَا بِهِ^(٣) فَهَرَبَ .

وَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِيُّ مَا بِالْأَنْصَارِيِّ مِنَ الدَّمَاءِ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، أَفَلَا أَهْبَيْتَنِي أَوَّلَ مَا رَمَاكَ ؟ قَالَ : كُنْتُ فِي سُورَةٍ أَقْرؤها فَلَمْ أَحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّى أَنْفَدَهَا فَلَمَّا تَابَعَ عَلِيَّ الرَّمِيَّ رَكَعْتُ فَأَذْنَتُكَ . وَابَيْمُ اللَّهُ لَوْلَا أَنْ أَضِيعَ ثَغْرًا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِهِ لَقَطَعْتُ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا أَوْ أَنْفَدَهَا . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ مِنْ غَزْوَةِ الرَّقَاقِ أَقَامَ بِهَا بَقِيَّةَ جُمَادَى الْأُولَى ، وَجُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَرَجَبًا .

غزوة بدر الآخرة

في شعبان سنة أربع

ثُمَّ خَرَجَ فِي شَعْبَانَ إِلَى بَدْرَ ، لِمِيعَادِ أَبِي سَفْيَانَ ، حَتَّى نَزَلَ . فَأَقَامَ عَلَيْهِ ثَمَانِي لَيَالٍ يَنْتَظِرُ أَبَا سَفْيَانَ . وَخَرَجَ أَبُو سَفْيَانَ فِي أَهْلِ مَكَّةَ حَتَّى نَزَلَ مَجَنَّةً^(٤) ، مِنْ نَاحِيَةِ الظُّهْرَانِ ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ فِي الرُّجُوعِ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّهُ لَا يُصْلِحُكُمْ إِلَّا عَامٌ خَصِيبٌ تَرَعُونَ فِيهِ الشَّجَرِ ، وَتَشْرَبُونَ فِيهِ اللَّبَنَ ، وَإِنْ عَامَكُمْ هَذَا عَامٌ جَذْبٌ ، وَإِنِّي رَاجِعٌ فَارْجِعُوا . فَارْجَعَ النَّاسُ ، فَسَمَّاهُمْ أَهْلَ مَكَّةَ « جَيْشَ السَّوِيقِ » . يَقُولُونَ : إِنَّمَا خَرَجْتُمْ تَشْرَبُونَ السَّوِيقَ .

(١) أَهَبَهُ إِهْبَابًا : أَيْقَظَهُ . (٢) أَثْبَتَهُ : جَرَحَهُ جَرْحًا لَا يُمْكِنُهُ التَّحْرُكُ مَعَهُ .

(٣) نَذَرَا بِهِ : عَلِمَا بِهِ فَتَعَرَّزَا .

(٤) وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَرْزَاءٍ .

وأقام رسول الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده . فأتاه مَحْشِيٌّ بن عمرو الضَّمْرِيُّ ، وهو الذي كان وادَّعه على بني ضمرة في غزوة ودَّان ، فقال : يا محمد ، أجبْتَ للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم ، يا أبا بني ضمرة ، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك ، ثم جالدناك^(١) حتى يحكم الله بيننا وبينك . قال : لا والله يا محمد ، مالنا بذلك منك من حاجة .

فأقام رسول الله ﷺ ينتظر أبا سفيان ، فمرَّ به معبد بن أبي معبد الخزاعي ، فقال وقد رأى مكانَ رسول الله ﷺ وناقته تهوى به^(٢) :
 قد نَفَرْتُ من رُفَّقَتِي محمد وعَجْوَةٍ من يثربٍ كالْعَنْجَدِ^(٣)
 تهوى على دين أبيها الأتلد^(٤) قد جعلت ماءً قُدْ يدُر موعدي^(٥)
 وماء ضَجْنان لها ضَحَى الغدِ

وقال عبدالله بن رواحة في ذلك^(٦) :
 وعدنا أبا سفيان بدرأ فلم نجد
 فأقسيم لو وافيتنا فلقيتنا
 تركنا به أوصال عتبة وابنه
 عصيتم رسول الله أفٍ لدينكم
 فإني وإن عتفتُموني لقائلٌ
 أظعنناه لم نعدله فينا بغيره
 لميعاده صدقا وما كان وافيًا
 لأبت ذميما وافتقدت المواليا
 وعمرأ أبا جهل تركناه ثاويًا^(٧)
 وأمركم السيء الذي كان غاويا
 فدئى لرسول الله أهلي وماليا
 شهابا لنا في ظُلْمة الليل هاديا

(١) المجالدة : المضاربة بالسيوف .

(٢) تهوى به : تسرع .

(٣) العنجد : الزبيب الأسود .

(٤) الدين : الدأب والعادة . الأتلد : الأقدم .

(٥) قديد : موضع قرب مكة .

(٦) قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصاري ، لكعب بن مالك .

(٧) ثاويا : مقيما .

غزوة دُومة الجندل

في شهر ربيع الأول سنة خمس

ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فأقام بها شهراً حتى مضى ذو الحِجَّة ، وولي تلك الحِجَّة المشركون ، وهي سنة أربع من مَقْدَم رسول الله ﷺ المدينة .

ثم غزا رسول الله ﷺ دُومة الجندل^(١) ، ثم رجع قبل أن يصل إليها ، ولم يلق كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته .

غزوة الخندق

في شوال سنة خمس

ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس .

إنه كان من حديث الخندق أن نفرأ من اليهود ، منهم سلام بن أبي الحقيق النَّضْرِي ، وحيي بن أخطب النَّضْرِي ، وكِنانة بن أبي الحقيق النَّضْرِي ، وهوذة بن قيس الوائلي ، وأبو عَمَّار الوائلي ، في نفر من بني النَّضِير ونفر من بني وائل - وهم الذين حرَّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ - خرجوا حتى قدموا على قريش مكة فدعَّوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله . فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نخلف فيه نحن ومحمد ، أفديتُنا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه . فهُم الذين أنزل الله تعالى فيهم : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً ﴾

(١) بضم الدال ، وتفتح : من أعمال المدينة ، بينها وبينها خمس عشرة ليلة . وقد استعمل رسول الله ﷺ على المدينة في هذه الغزوة سبع بن عرفة .

إلى قوله ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي النبوة ﴿ فقد آتينا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾ .

فلَمَّا قالوا ذلك لقريشٍ ، سَرَّهم ونشِطوا لما دَعَوْهم إليه من حرب رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا لذلك واتَّعدوا له ، ثم خرج أولئك النفر من يهودَ حتى جاءوا غطفانَ ، فدعَوْهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأنَّ قريشاً قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه .

فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في بني فزارة ، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ، ومسعر بن رُخيلة فيمن تابعه من أشجع .

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ ، وما أجمعوا له من الأمر ، ضربَ الخندق على المدينة ، فعمل فيه رسولُ الله ﷺ ؛ ترغيباً للمسلمين في الأجر وعمل معه المسلمون فيه ، فدأبَ فيه ودأبوا ، وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم ذلك رجالٌ من المنافقين ، وجعلوا يُورُونَ^(١) . بالضعيف من العمل ، ويتسلَّلون إلى أهليهم بغير علمٍ من رسول الله ﷺ ولا إذن . وجعلَ الرجلُ من المسلمين إذا نابتَه من الحاجة التي لا بدَّ منها ، يذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، ويستأذنه في اللُّحوق بحاجته ، فيأذن له ، فإذا قَضَى حاجته رَجَعَ إلى ما كان فيه من عمله ، رغبة في الخبر واحتساباً له . فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فنزلت هذه الآية فيمن

(١) التورية . أن يسر شيئاً ويظهر غيره

كان من المسلمين من أهل الجسبة والرغبة في الخير ، والطاعة لله ولرسوله ﷺ .
ثم قال تعالى ، يعني المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون
بغير إذن من النبي ﷺ : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ
بَعْضًا ، قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ
أَمْرِه أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ - قال ابن هشام : اللواذ :
الاستتار بالشيء عند الهرب - ﴿ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ من صدق أو كذب ﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا
عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع
الأسياك من رومة ، بين الجرف وزغابة ، في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن
تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد ،
حتى نزلوا بذي نقيس إلى جانب أحد ، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون ،
حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك
عسكره ، والخندق بينه وبين القوم ، وأمر بالذراري والنساء فجعلوا في
الآطام^(١) .

وخرج عدو الله حيي بن أخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي ،
صاحب عقد بني قريظة وعهدهم . وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه
وعاقده على ذلك وعاهدته ، فلما سمع كعب يحيي بن أخطب أغلق دونه
باب حصنه ، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ، فناداه حيي : ويحك يا كعب !
افتح لي . قال : ويحك يا حيي . إنك امرؤ مشثوم ، وإني قد عاهدت محمداً
فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً . قال : ويحك !
افتح لي أكلمك . قال : ما أنا بفاعل . قال : والله إن أغلقت الحصن دوني
إلا ^{خوفاً} على جشيشتك^(٢) أن آكل منها معك ! فأحفظ الرجل ففتح له ، فقال :

(١) الآطام : الحصون ، جمع أطم .

(٢) الجشيشة : طعام من البر يطحن غليظاً .

ويحك يا كعب ! جثتك بعز الدهر ويبحر طام^(١) ، جثتك بقريش على قادتها
وساداتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قادتها وساداتها
حتى أنزلتهم بذنب نَقَمَى إلى جانب أحد ، قد عاهدوني وعاهدوني على أن
لا يبارحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . فقال له كعب : جثتي والله بذل
الدهر ، وبجهم قد هراق ماءه ، فهو يرعد ويرق ليس فيه شيء ، ويحك
يا حيي ! فدعني وما أنا عليه ، فإني لم أر من محمدٍ إلا صدقاً ووفاء . فلم يزل
حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب^(٢) حتى سمع له على أن أعطاه عهداً من
الله وميثاقاً ، لئن رجعت قریش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك
في حصنك حتى يُصيبني ما أصابك . فنقض كعب بن أسدٍ عهده ، وبرىء
مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ .

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبرُ وإلى المسلمين ، بعث رسول الله
ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان ، وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بن عبادة
ابن دليم ، وهو يومئذ سيد الخزرج ، ومعهما عبدالله بن رواحة وخوات بن
جبير ، فقال : انطلقوا حتى تنظروا ، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟
فإن كان حقاً فالحنوا^(٣) لي لحناً أعرّفه ، ولا تفتؤا في أعضاد الناس^(٤) ؛
وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس .

فخرجوا حتى أتوهم ، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم فيما نالوا
من رسول الله ﷺ . وقالوا : مَنْ رسولُ الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمدٍ
ولا عقد ! فشاتمهم سعد بن معاذٍ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حدة . فقال له
سعد بن عبادة : دع عنك مشاتمهم ، فما بيننا وبينهم أربى^(٥) من المشاتمة .

(١) طام : ممتلئ مرتفع الأمواج .

(٢) أي بخائله وبرأوه . وأصل المثل في البعير ، يفعل به ذلك ليسكن . يأس . الذروة : أعلى السنام .
والغارب : الكاهل ، وهو ما بين السنام إلى العنق .

(٣) اللحن : التعريض والإشارة في الكلام .

(٤) أربى : أزيد وأكثر .

(٥) فت في عضده : أوهنه وأضعفه .

ثم أقبل سعدٌ وسعدٌ ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم قالوا : عضل والقارة ^(١) ! أي كغدر عَظَل والقارة بأصحاب الرجيع : خبيب وأصحابه - فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين ! وعظم عند ذلك البلاء واشتدَّ الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كلَّ ظنٍّ ، ونجم النفاق من بعض المنافقين ، حتى قال معتب بن قشير : كان مُحَمَّدٌ يَعِدُّنا أن نأكل كنوز كسرى وقیصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط . وحتى قال أوس بن قیظي : يا رسول الله ، إن بيوتنا عَوْرَة من العدو - وذلك عن ملأٍ من رجال قومه - فأذن لنا أن نخرجَ فترجعَ إلى دارنا فإنها خارجٌ من المدينة . فأقام رسولُ الله ﷺ ، وأقام عليه المشركون بعضاً وعشرين ليلةً ، قريبا من شهر ، لم تكن بينهم حربٌ إلا الرَّمْيُ ^(٢) بالنبل ، والحصار .

فلما اشتدَّ على الناس البلاءُ بعث رسولُ الله ﷺ إلى عُيينة بن حصن ، وإلى الحارث بن عوف المري ، وهما قائدا غطفان ، فأعطاهما ثلثَ ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه . فجرى بينه وبينهما الصلح ، حتى كتبوا الكتابَ ، ولم تقع الشهادةُ ولا عزيمةُ الصلح ، إلا المراوضة في ذلك . فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعلَ بعثَ إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد ، فذكر ذلك لهما واستشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول الله ، أمراً تحبُّه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به لا بدَّ لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ قال : بل شيءٌ أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك ، إلا لأنني رأيت العربَ قد رمتكم عن قوسٍ واحدة ، وكألبوكم ^(٣) من كلِّ جانب ، فأردت أن أكبير عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ،

(١) انظر ما سبق في ص ١٧٣ . هامس ٣ رقبيلمان من الهون هم خزيمه بن مدركة

غدروا ببعضهم البعض

(٢) الرمي : المراماة بالسهم .

(٣) المكابة : المضايقة والتشديد .

قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على الشّرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرّى^(١) أو بيعاً ، أفحِينَ أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزّنا بك وبه نعطيهم أموالنا ، والله ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيْفَ حتى يحكم الله بيننا وبينهم . قال رسول الله ﷺ : فَأَنْتَ وَذَلِكَ . فتناول سعد بن مُعَاذ الصّحيفة ، فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا .

فأقام رسولُ الله ﷺ والمسلمون ، وعدوُّهم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود ، وعكرمة بن أبي جهل وهيرة بن أبي وهب المخزوميان ، وضرار بن الخطّاب الشاعر ، تلبّسوا^(٢) للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا : تهيّثوا يا بني كنانة للحرب ، فستعلمون من الفُرسانُ اليوم . ثم أقبلوا تُعْنِقُ^(٣) بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق ، فلمّا رأوه قالوا : والله إنّ هذه لمكيّدة ما كانت العربُ تكيدها^(٤) !

ثم تيمّموا مكاناً ضيقاً من الخندق فضربوا خيلهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم في السّبخة بين الخندق وسلْع ، وخرج عليُّ بن أبي طالب عليه السلام في نفرٍ من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثّغرة التي أقحموا منها خيلهم ، وأقبلت الفُرسانُ تُعْنِقُ نحوهم .

. وكان عمرو بن عبدودٍ قد قاتلَ يومَ بدر حتّى أثبتته الجراحة فلم يشهدْ يومَ أحد . فلما كان يوم الخندق خرج مُعِلِّماً^(٥) ليُزَي مكاثُه ، فلمّا وقف هو وخيله قال : مَنْ يُبَارِز ؟ فبرز له عليُّ بن أبي طالبٍ فقال له : يا عمرو ،

(١) القرى : طعام الصيف .

(٢) أي تهيّثوا له .

(٣) تُعْنِقُ : تسرع .

(٤) قال ابن هشام : يقال إن سلمان الفارسي أشار به على رسول الله ﷺ .

(٥) المعلم : الذي يجعل لنفسه علامة في الحرب يعرف بها .

إِنَّكَ كُنْتَ قَدْ عَاهَدْتَ اللَّهَ أَلَّا يَدْعوكَ رَجُلٌ مِنْ قَرِيشٍ إِلَى إِحْدَى خَلَّتَيْنِ إِلَّا أَخَذَتْهَا مِنْهُ . قَالَ لَهُ : أَجَلٌ ! قَالَ : فَإِنِّي أَدْعوكَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي بِذَلِكَ . قَالَ : فَإِنِّي أَدْعوكَ إِلَى النَّزَالِ ، فَقَالَ لَهُ : لَمْ يَا ابْنَ أَخِي ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ أَقْتَلَكَ . قَالَ لَهُ عَلِيٌّ : لَكِنِّي وَاللَّهِ أَحَبُّ أَنْ أَقْتَلَكَ ! فَحِمِيْ عَمْرُو عِنْدَ ذَلِكَ فَاقْتَحَمَ عَنْ فَرَسِهِ ، فَعَقَرَهُ وَضَرَبَ وَجْهَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ ، فَتَنَازَلَا وَتَجَاوَلَا ، فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَخَرَجَتْ خِيْلُهُمْ مِنْهَزِمَةٌ حَتَّى اقْتَحَمَتْ مِنَ الْخَنْدَقِ هَارِبَةً .
وَأَلْقَى عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ رُمَحَهُ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ مِنْهَزِمٌ عَنْ عَمْرُو ، فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي هَذَا :

فَرًّا وَأَلْقَى لَنَا رُمَحَهُ لَعَلَّكَ عِكَرْمَ لَمْ تَفْعَلْ
وَوَلَّيْتَ تَعْدُو كَعْدُو الظَّلِيلِ مِمَّا إِنْ تَجُورُ عَنِ الْمَعْدِلِ ^(١)
وَلَمْ تَلِيْ ظَهْرَكَ مُسْتَأْنَسًا كَأَنَّ قِفَاكَ قِفَا قُرْعُلٍ ^(٢)
وَكَانَ شِعَارُ ^(٣) أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَبَنِي قَرِيظَةَ :
« حَم . لَا يَنْصُرُونَ » .

وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فِيهَا وَصَفَ اللَّهُ مِنَ الْخَوْفِ وَالشَّدَةِ لَتَظَاهَرُ عَدُوَّهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَإِتْيَانِهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلِ مِنْهُمْ .
ثُمَّ إِنَّ نُعَيْمَ بْنَ مَسْعُودٍ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ ، وَإِنَّ قَوْمِي لَمْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي ، فَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، فَخُذْ عَنَّا ^(٤) إِنْ اسْتَطَعْتَ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ .

فَخَرَجَ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَتَى بَنِي قَرِيظَةَ ، وَكَانَ لَهُمْ نَدِيمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ،

(١) الظِّلْمُ . ذَكَرَ النِّعَامُ ، وَهُوَ الْمَثَلُ فِي الْجَبْنِ . تَجُورُ : تَحِيدُ . الْمَعْدِلُ : الطَّرِيقُ .

(٢) الْقُرْعُلُ . الصَّغِيرُ مِنَ الضَّبَاعِ .

(٣) الشِّعَارُ . الْعَلَامَةُ الَّتِي كَانُوا يَتَعَارَفُونَ بِهَا فِي الْحَرْبِ .

(٤) أَنْ يَدْخُلَ بَيْنَ الْقَوْمِ حَتَّى يَخْذُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا .

فقال : يا بني قريظة ، قد عرفتم ودي إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا : صدقت ، لستَ عندنا بمتَّهم . فقال لهم : إنَّ قريشاً وغطفانَ ليسوا كأنتم ، البلدُ بِلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم . لا تقدرون على أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإنَّ قريشاً وغطفانَ قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدُهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نُهْزَةً أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقةَ لكم به إن خلا بكم . فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهنًا من أشرافهم ، يكونون بأيديكم ، ثقةً لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تنجزوه فقالوا له : لقد أشرتَ بالرأي !

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرّقتُم ودي لكم وفراقى محمداً ، وإنه قد بلغني أمرٌ قد رأيت عليّ حقّاً أن أبلغكموه ، نصحاً لكم ، فاكتموا عني . فقالوا : نفعل . قال : تعلّموا أنَّ معشر يهودَ قد ندِموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه إنا قد ندمنّا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجلاً من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم . ثم نكون معك على مَنْ بقي منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : أن نعم . فإن بعثت إليكم يهودٌ يلتمسون منكم رهنًا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفانَ فقال : يا معشر غطفان ، إنكم أصلي وعشيرتي ، وأحب الناس إليّ ، ولا أراكم تتهموني . قالوا : صدقت ، ما أنتَ عندنا بمتَّهم : قال : فاكتموا عني . قالوا : نفعل . ثم قال لهم مثل ما قال لقريش ، وحذّرهم ما حذّرهم .

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صنع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفانَ إلى بني قريظة عكرمة

بن أبي جهل ، في نفر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخف والحافر ^(١) ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً . ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابه ما لم يخف عليكم ، ولنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تُعطونا رهنًا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا ، حتى نناجز محمداً ، فإنا نخشى إن ضَرستكم ^(٢) الحرب واشتدَّ عليكم القتال أن تُشَمروا ^(٣) إلى بلادكم ، وتركونا والرجل في بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه !

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان : والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا إلى بني قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا . فقالت بنو قريظة ، حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم لحق ! ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا ، فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشَمروا إلى بلادهم واخلَّوا بينكم وبين الرجل في بلادكم . فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى تُعطونا رهنًا . فأبوا عليهم وخذل الله بينهم ، وبعث الله عليهم الريح في ليلٍ شاتية بازدة شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم .

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم ، وما فرَّق الله من جماعتهم ، دعا حذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً . عن محمد بن كعب القرظي قال :

قال رجلٌ من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، أرايتم

(١) الخف : الإبل . والحافر : الخيل .

(٢) ضَرستكم : نالت منكم .

(٣) انشَمروا : انقبضوا وأسرعوا إلى بلادهم .

رسول الله ﷺ وصحبتموه ؟ قال : نعم ، يا ابن أخي . قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنّا نجهد . فقال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ، ولحملناه على أعناقنا . فقال حذيفة : يا ابن أخي ، والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق وصلى رسول الله ﷺ هَوِيّاً من الليل ^(١) ، ثم التفت إلينا فقال : مَنْ رجلٌ يقوم فينظر ما فعل القوم ثم يرجع - يشترط له رسول الله ﷺ الرجعة - أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة ؟ فما قام رجلٌ من القوم ، من شدة الخوف ، وشدة الجوع ، وشدة البرد . فلما لم يقم أحدٌ دعاني رسول الله ﷺ ، فلم يكن لي بدٌ من القيام حين دعاني ، فقال : يا حذيفة ، اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون ، ولا تُحدثن شيئاً حتى تأتينا ! فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنودُ الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تُقرُّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء . فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش ، لينظر امرؤٌ من جلسه ؟ فقال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي ، فقلت : من أنت ؟ قال : فلانُ ابن فلان ^(٢) .

ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدارٍ مُقام ، لقد هلك الكراعُ والخفُّ ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكرهُ ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئنُّ لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإني مرتحل .

ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلقَ عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهدُ رسول الله ﷺ إليَّ : « أن لا تحدث شيئاً حتى تأتيني » ثم شئتُ لقتلته بسهم .

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائمٌ يصلي في مرطٍ ^(٣)

(١) هويًا من الليل : قطعة منه .

(٢) في شرح المواهب : « فضربت بيدي على يد الذي عن يميني فأخذت بيده فقلت : من أنت ؟ قال : معاوية بن أبي سفيان . ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي ، فقلت : من أنت ؟ قال : عمرو بن

العاص . » (٣) المرط : الكساء .

لبعض نسائه مَراجل^(١) ، فلما رآني أدخلني إلى رجليه ، وطرح عليّ طرفَ المِرط ، ثم ركع وسجد وإني لفيه . فلما سلّم أخبرته الخبر .
وسمعتُ غطفان بما فعلت قریش فانشمروا راجعين إلى بلادهم .
ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرفَ عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح .

غزوة بني قريظة في سنة خمس

فلما كانت الظُّهر ، أتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ ، معتجراً بعمامة من إسترَق^(٢) ، على بغلةٍ عليها رحالة^(٣) ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أَوَقَدْ وضعتَ السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم . فقال جبريلُ : فما وضعتَ الملائكةُ السلاح بعد ، وما رجعتُ الآن إلا من طلب القوم . إن الله عز وجل يأمرُك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة ، فأبّي عامدٌ إليهم فمزّلزل بهم .
فأمرَ رسول الله ﷺ مؤذناً فأذّن في الناس : من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلّينَ العصر إلّا ببني قريظة .

وقدّم رسولُ الله ﷺ عليّ بن أبي طالب برأيته إلى بني قريظة وابتدراها الناس ، فسار علي بن أبي طالب حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالةً قبيحة لرسول الله ﷺ ، فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق فقال : يا رسول الله ، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث . قال : لِمَ ؟ أظنّك سمعت منهم لي أدّى . قال : نعم ، يا رسول الله . قال : لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً . فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال : يا إخوان

(١) المراجل : ضرب من وشي اليمن .

(٢) الإسترَق : ديباج غليظ .

(٣) الرحالة : السرج .

القردة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ قالوا : يا أبا القاسم ما كنت جهولاً .
ولما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية
أموالهم يقال لها : بئر أثا .

وتلاحق به الناس ، فأتى رجالٌ منهم من العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر ،
لقول رسول الله ﷺ : لا يصلين أحدُ العصر إلا ببني قريظة « فشغلهم فما
لم يكن منهم بُدٌّ في حربهم ، وأبوا أن يصلوا ، لقول رسول الله ﷺ : « حتى
تأتوا بني قريظة » . فصلُّوا العصر بها بعد العشاء الآخرة ، فما عابهم الله بذلك
في كتابه ، ولا عَنَّفهم به رسول الله ﷺ .

وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلةً حتى جَهدهم الحصار ،
وقذفَ الله في قلوبهم الرعب .

وقد كان حُيَّي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم
قريش وغطفان ، وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه . فلما أيقنوا بأنَّ
رسولَ الله ﷺ غير منصرفٍ عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد لهم :
يا معشرَ يهود ، قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإني عارضٌ عليكم خلاًلاً
ثلاثاً فخذوا أيها شتم . قالوا : وما هي ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدقَه ،
فوالله لقد تبَيَّنَ لكم أنه لنبي مرسل ، وأنه للذي تَجِدُونَه في كتابكم ، فتأمنون
على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لا نفارق حكم التوراة
أبدأً ولا نستبدل به غيره . قال : فإذا أبيتم عليَّ هذه فهلُم نقتلُ أبناءنا ونساءنا ،
ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف ، لم نترك وراءنا ثَقَلًا ،
حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً
نخشى عليه ، وإن نظهَر فلعمري لنجدنَّ النساء والأبناء . قالوا : نقتل هؤلاء
المساكين ! فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإن أبيتم عليَّ هذه فإن الليلة ليلة
السيِّئ ، وإنه عسى أن يكون محمدٌ وأصحابه قد أمنونا فيها ، فانزلوا لعنا
نصيب من محمد وأصحابه غِرَّة . قالوا : تُفسِد سبتنا علينا ، ونُحدث فيه ما

لم يحدث مَنْ كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخفَ عليك من المسخ !
قال : ما بات رجلٌ منكم منذ ولدته أمه ليلةً واحدةً من الدهر حازماً !
ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ : ابعث إلينا أبا لُبابة بن عبد المنذر ،
لنستشيره في أمرنا . فأرسله رسول الله ﷺ إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال ،
وجَهَّشَ إليه النساء والصبيانُ يبكون في وجهه ، فرقَّ لهم وقالوا له : يا أبا
لُبابة ، أترى أن تنزل على حكم محمد^(١) ؟ قال : نعم - وأشار بيده إلى حلقة -
إنه الدَّبَحُ^(٢) .

قال أبو لُبابة : فوالله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت أنني قد
خُنت الله ورسوله ﷺ .

ثم انطلق أبو لُبابة على وجهه ، ولم يأت رسولَ الله ﷺ حتى ارتبطَ في
المسجد إلى عمود من عمده ، وقال : لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليَّ
مما صنعت . وعاهدتُ الله ألا أطأُ بني قريظة أبداً ، ولا أرى في بلدي خنتُ
الله ورسوله فيه أبداً .

فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره ، وكان قد استبطأه قال : أما إنه
لو جاءني لاستغفرت له ، فأما إذ فعلَ ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه
حتى يتوب الله عليه .

عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال : تيبَ على أبي لُبابة . قلت : أفلا
أبشّره يا رسول الله ؟ قال : بلى إن شئت . فقامت على باب حجرتها - وذلك
قبل أن يضرب عليهن الحجاب - فقالت : يا أبا لُبابة ، أبشّر فقد تاب الله عليك !

(١) وذلك أنهم لما حوصروا حتى أيقنوا بالهلكة ، أنزلوا شأس بن قيس ، فكلّمه رسول الله ﷺ أن
ينزلوا على ما نزل بنو النضير ، من ترك الأموال والحلقة ، والخروج بالنساء والذراري وما حملت
الإبل إلا الحلقة . فأبى رسول الله ﷺ . فقال : تحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية ، ولا حاجة
لنا فيما حملت الإبل . فأبى رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكمه . فعاد شأس إليهم بذلك .
« عن شرح المواهب للزرقاني » .

(٢) في شرح المواهب : كأن أبا لُبابة فهم ذلك من عدم إجابة الرسول ﷺ لهم بحقن دمائهم ، وعرف أن
رسول الله سيذبحهم إن نزلوا على حكمه . وبهذا أشار إلى بني قريظة .

قالت : فثار الناس إليه ليطلقوه ، فقال : لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده . فلما مرّ عليه رسول الله ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه .

قال ابن هشام : أقام أبو كُبابة مرتبطاً بالجذع ست ليال ، تأتيه امرأته في كل وقت صلاة فتحلّه للصلاة ، ثم يعود فيرتبط بالجذع .

فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ . فتواثبت الأوس فقالوا : يا رسول الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت - وقد كان رسول الله ﷺ قبّل بني قريظة قد حاصر بني قينقاع ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه .. فسأله إياهم عبدالله بن أبيّ بن سلول فوهبهم له - فلما كلمته الأوس قال رسول الله ﷺ : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجلٌ منكم ؟ قالوا : بلى . قال رسول الله ﷺ : فذاك إلى سعد بن معاذ .

وكان رسول الله قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم ، يقال لها رُفيدة ، في مسجده ، كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكان رسول الله قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه في خيمة رُفيدة حتى أعوده من قريب . فلما حكمه رسول الله ﷺ في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على حمارٍ قد وطّؤوا له بوسادة من آدم ، وكان رجلاً جسيماً جميلاً ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك لتحسن فيهم ! فلما أكثروا عليه قال : لقد أنى لسعدٍ ألا تأخذه في الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد ، عن كلمته التي سمع منه (١) .

فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين ، قال رسول الله ﷺ :

(١) أي ما فهمه من قوله : « أنى لسعدٍ ألا تأخذه في الله لومة لائم » ، أن سعداً رأى قتلهم ، ، فنهاهم ، قبل موتهم .

قوموا إلى سيدكم - فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار . وأما الأنصار فيقولون : قد عمَّ بها رسول الله ﷺ - فقاموا إليه فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله ﷺ قد ولَّك أمر مواليك لتحكم فيهم . فقال سعد بن مُعَاذ : عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه ، أنَّ الحكمَ فيهم لِمَا حكمتُ ؟ قالوا : نعم . قال : وعلى مَنْ هاهنا ؟ - في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ ، وهو مُعْرِضٌ عن رسول الله ﷺ إجلالاً - فقال رسول الله ﷺ : نعم . قال سعد فإني أحكم فيهم ، أن تُقتل الرجال ، وتقسَّم الأموال ، وتسبى الذراري والنساء .

قال رسول الله ﷺ لسعد : « لقد حكمتَ فيهم بحكم الله سن فوق سبعة أَرْقعة ^(١) » .

ثم استنزِلوا ، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث ^(٢) ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سُوقِ المدينة - التي هي سوقها اليوم - فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق يُخرج بهم إليه أرسالا ^(٣) ، وفيهم عدو الله حُيَّي بن أخطب ، وكعب بن أسد رأس القوم ، وهم ستمائة أو سبعمائة ، والمكثّر لهم يقول : كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة ، وقد قالوا لكعب بن أسدٍ وهم يُذهَبُ بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالا : يا كعب ، ما تراه يصنع بنا ؟ قال : أفي كل موطنٍ لا تعقلون ألا ترون الداعي لا ينزع ، وإنَّه من ذهب به منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ .

وأُتي بحبي بن أخطبَ عدوَّ الله ، وعليه حُلَّةٌ له فُقَّاحِيَّةٌ ^(٤) قد شقَّها عليه من كل ناحية قدرَ أُمْلَةٍ ، لثلاثٍ يُسَلَّبُهَا ، مجموعةٌ يداه إلى عنقه بحبل . فلما نظر

(١) جمع رقيق ، وهي السماء .

(٢) اسمها كيسة بنت الحارث .

(٣) أرسالا : جماعات .

(٤) فُقَّاحِيَّةٌ . على لون الورد هم أن يفتتح .

إلى رسول الله ﷺ قال : أما والله ما لمتُ نفسي في عداوتك ولكنه من يَحْذِلُ الله يُحْذِلُ ! ثم أَقْبَلَ على الناس فقال : يا أيُّها الناس ، إِنَّه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة^(١) كتبها الله على بني إسرائيل . ثم جلس فَضْرَبَ عنقه . عن عائشة أم المؤمنين قالت : لم يقتل من نساءهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنها لعندي تَحَدَّثُ معي وتضحك ظَهْراً وبطناً ، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق إذ هتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قلت ها : ويلك ! مالك ؟ قالت : أُقْتَل . قلت : ولم ؟ قالت : لحدثٍ أحدثته^(٢) . قالت : فانطَلِقْ بها فضربت عنقها .

فكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسى ، عجباً منها ، طيبَ نفسها ، وكثرة ضحكها وقد عرقتُ أنها تُقْتَل .

وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل كلٍّ من أنبت منهم . عن عطية القرظي قال : كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يقتل من بني قريظة كل من أنبت منهم ، وكنت غلاماً فوجدوني لم أنبت ، فخللوا سبيلي . (أنبت أي نبت شجر طيسته) وعن أيوب بن عبد الرحمن ، أن سلمى بنت قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ قد صلت معه القبليتين ، وبايعته بيعة النساء - سألته رفاعة ابن سموءل القرظي ، وكان رجلاً قد بلغ ، فلاذ بها^(٣) وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت : يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، هب لي رفاعة ، فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لجم الجمل . فوهبه لها فاستحيته .

ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبنائهم على المسلمين .

ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل ، بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً .

(١) الملحمة : الواقعة العظيمة القتلى .

(٢) قال ابن هشام : هي التي طرحت الرحي على خلاد بن سويد فقتلته .

(٣) لاد بها : التجأ إليها .

وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة ، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى تُوفِّي عنها وهي في ملكه . وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب ، فقالت : يا رسول الله ، بل تتركني في ملكك فهو أخفُّ عليّ وعليك . فتركها . وقد كانت حين سبأها قد تعصّت بالإسلام وأبت إلا اليهودية ، فعزها رسول الله ﷺ ووجد في نفسه لذلك من أمرها ، فبينما هو مع أصحابه إذ سمع نعين خلقه ، فقال : إنّ هذا لثعلبة بن سعية يبشّرني بإسلام ريحانة . فجاءه فقال : يا رسول الله ، قد أسلمت ريحانة ! فسرّه ذلك من أمرها .

وأنزل الله تعالى في أمر الخندق وأمر بني قريظة من القرآن القصة في سورة الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ، ونعمته عليهم ، وكفابته إياهم ، حين فرّج ذلك عنهم ، بعد مقالة من قال من أهل النفاق : ﴿ يا أيّها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾ . والجناد قريش وغطفان وبنو قريظة . وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة . يقول الله تعالى : ﴿ إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ﴾ . فالذين جاؤوهم من فوقهم : بنو قريظة ، والذين جاؤوا من أسفل منهم : قريش وغطفان . يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ هُنا لك ابتلي المؤمنين وزلزلوا زلزالاً شديداً . وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ﴾ ، لقول معتب بن قشير ^(١) إذ يقول ما قال : ﴿ وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ، ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إنّ بيوتنا عورة ، وما هي بعورة إنّ يريدون إلا فراراً ﴾ لقول أوس بن قيطي ومن كان على رأيه من قومه . ﴿ ولو دخلت عليهم من أقطارها ﴾ أي المدينة ﴿ ثم سئلوا

(١) انظر ما مضى في صفحة ١٩٢ طبر ٦

الْفِتْنَةَ ﴿١﴾ أي الرجوع إلى الشرك ﴿لَا تَوَّهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ . ولقد كانوا عاهدوا الله مَنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْثُولًا ﴿فَهُمْ بَنُو حَارِثَةٍ ، وَهُمْ الَّذِينَ هُمُوا أَنْ يَفْشَلُوا يَوْمَ أَحَدٍ﴾ مع بني سلمة حين هَمَّتْ بِالْفِشْلِ يَوْمَ أَحَدٍ ، ثُمَّ عَاهَدُوا اللَّهَ أَنْ لَا يَعُودُوا لِمِثْلِهَا أَبَدًا ، فَذَكَرَ لَهُمُ الَّذِي أُعْطُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ . قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا . قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعُوقِينَ مِنْكُمْ ﴿أَيِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ﴾ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿أَيِ إِلَّا دَفْعًا وَتَعْذِيرًا﴾ (١) ، ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ أَيِ لِلضُّغْنِ الَّذِي فِي أَنْفُسِهِمْ ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أَيِ إِعْظَامًا لَهُ وَفَرَقًا مِنْهُ ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّينَةِ حِدَادٍ﴾ أَيِ فِي الْقَوْلِ بِمَا لَا تَحِبُّونَ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ آخِرَةَ ، وَلَا تَحْمِلُهُمْ حِسْبَةٌ (٢) ، فَهُمْ يَهَابُونَ الْمَوْتَ هَيْبَةً مِنْ لَا يَرْجُو مَا بَعْدَهُ . ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ قَرِيشٌ وَغُطَفَانٌ ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُونُ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أَيِ لثَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلَا عَنْ مَكَانٍ هُوَ بِهِ .

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُؤْمِنِينَ وَصَدَقَهُمْ وَتَصَدَّقَهُمْ بِمَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْبَلَاءِ يَخْتَبِرُهُمْ بِهِ ، فَقَالَ : ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادُوهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ ، أَيِ صَبْرًا عَلَى الْبَلَاءِ ، وَتَسْلِيمًا وَتَصَدِيقًا لِلْحَقِّ ، لِمَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى وَعَدَهُمْ وَرَسُولُهُ ﷺ . ثُمَّ قَالَ : ﴿مِنْ

(١) التَّعْذِيرُ : أَنْ يَفْعَلَ الشَّيْءَ إِنَّمَا يَرِيدُ أَنْ يَقِيمَ الْعُذْرَ عِنْدَ مَنْ يَرَاهُ

(٢) الْحِسْبَةُ : الْأَجْرُ .

المؤمنين رجالٌ صدَقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ ﴿١﴾ أي فرغ من عمله ورجع إلى ربّه كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد ﴿٢﴾ ومنهم مَن ينتظر ﴿٣﴾ أي ما وعد الله به من نصره والشهادة على ما مضى عليه أصحابه ، يقول الله تعالى ﴿٤﴾ وما بدّلوا تبديلاً ﴿٥﴾ أي ما شكّوا وما تردّدوا في دينهم وما استبدلوا به غيره ﴿٦﴾ ليجزي الله الصّادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً . وردّ الله الذين كفروا بغيظهم ﴿٧﴾ ، أي قريشاً وغطفان ﴿٨﴾ لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتالَ وكان الله قوياً عزيزاً . وأنزل الذين ظهروهم من أهل الكتاب ﴿٩﴾ أي بني قريظة ﴿١٠﴾ من صياصبيهم ﴿١١﴾ والصياصي : الحصون والآطام التي كانوا فيها ﴿١٢﴾ وقذف في قلوبهم الرُّعبَ فريقاً تقتلون وتأسرونَ فريقاً ﴿١٣﴾ أي قتل الرجال وسبي الذراري والنساء . ﴿١٤﴾ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطّووها ﴿١٥﴾ يعني خيبر ﴿١٦﴾ وكان الله على كل شيء قديراً ﴿١٧﴾ .

فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر بسعد بن مُعاذٍ جُرحه فمات منه شهيداً . عن الحسن البصري قال : كان سعدٌ رجلاً بادناً ، فلما حمله الناس وجدوا له خِفةً ، فقال رجالٌ من المنافقين : والله إن كان لبادناً ، وما حملنا من جنازةٍ أخفّ منه ! فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « إنَّ له حملةً غيركم ، والذي نفسي بيده لقد استبشرت الملائكةُ بروح سعد ، واهتزَّ له العرش » . وقتل من المشركين ثلاثة نفر : منبّه بن عثمان بن عبيد . أصابه سهم فمات منه بمكة . ومن بني مخزوم بن يقظة : نوفل بن عبد الله بن المغيرة ، سألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده ، وكان اقتحم الخندق ، فتورط فيه فقتل ، فغلب المسلمون على جسده ، فقال رسول الله ﷺ : « لا حاجة لنا في جسده ولا بثمنه » فخلّى بينهم وبينه .

ومن بني عامر بن لؤي : عمرو بن عبد ودٍ ، قتله علي بن أبي طالب . واستشهد يوم بني قريظة من المسلمين : خلاد بن سويد . طرحت عليه رَحَى

فشدخته شدخاً شديداً . فزعموا أن رسول الله ﷺ قال ؛ « إِنَّ لَهُ لِأَجَرٍ شَهِيدِينَ » .

ومات أبو سنان بن مِحْصَن بن حُرْثان ، ورسولُ الله ﷺ محاصِرُ بني قريظة ، فدفن في مقبرة بني قريظة .

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله ﷺ فيما بلغني : « لَنْ تَغْزَوْكُمْ قَرِيشٌ بَعْدَ عَامِكُمْ هَذَا ، وَلَكِنَّكُمْ تَغْزُونَهُمْ » .

فلم تغزهم قريشٌ بعد ذلك ، وكان هو الذي يغزوها ، حتى فتح الله عليه مكة .

غزوة بني لِحْيَان

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهري ربيع ، وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة ، إلى بني لِحْيَان ، يَطْلُبُ بِأَصْحَابِ الرَّجِيعِ : خُبَيْب بن عَدِيٍّ وَأَصْحَابِهِ ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يَرِيدُ الشَّامَ ؛ لِيَصِيبَ مِنَ الْقَوْمِ غِرَّةً ^(١) .

فخرج من المدينة ^(٢) فسلَّك على غُرَابٍ : جَبَلَ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ عَلَى طَرِيقِهِ إِلَى الشَّامِ ، ثُمَّ عَلَى مَخِيضٍ ، ثُمَّ عَلَى الْبَتْرَاءِ ، ثُمَّ صَفَقَ ^(٣) ذَاتَ الْيَسَارِ فَخَرَجَ عَلَى بَيْنٍ ^(٤) ثُمَّ عَلَى صُخَيْرَاتِ الْيَمَامِ ، ثُمَّ اسْتَقَامَ بِهِ الطَّرِيقُ عَلَى الْمَحْجَّةِ مِنْ طَرِيقِ مَكَّةَ فَأَغْدَتِ السَّيْرَ سَرِيعًا حَتَّى نَزَلَ عَلَى عُثْرَانَ ، وَهِيَ مَنَازِلُ بَنِي لِحْيَانِ - وَعُثْرَانُ : وَادٌ بَيْنَ أَمَجٍ وَعُسْفَانَ ، إِلَى بَلَدٍ يُقَالُ لَهُ سَايَةٌ - فَوَجَدَهُمْ قَدْ حَذَرُوا وَتَمَنَّعُوا فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ ، فَلَمَّا نَزَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَخْطَاهُ مِنْ غِرَّتِهِمْ لَمَّا أَرَادَ قَالَ : لَوْ أَنَّا هَبَطْنَا عُسْفَانَ لَرَأَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنَّا قَدْ جِئْنَا مَكَّةَ . فَخَرَجَ فِي مَائَتِي رَاكِبٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى نَزَلَ عُسْفَانَ . ثُمَّ بَعَثَ فَارِسَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى بَلَّغَا

(٣) صفق : عدل وانصرف .

(١) الغرة : الغفلة .

(٢) واستعمل عليها ابن أم مكتوم . (٤) بين . بالكسر : واد قرب المدينة .

كُرَاعَ الغُمِيمِ ، ثُمَّ كَتَرُوا وَرَاحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَافِلًا .
فَكَانَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ :

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ حِينَ وَجَّهَ رَاجِعًا :
آيِبُونَ تَائِبُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، لَرَبِّنَا حَامِدُونَ . أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ (١)
وَكَاثِبَةِ الْمُنْقَلَبِ ، وَسَوْءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ .

غزوة ذي قرد

ثُمَّ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، فَلَمْ يَقُمْ بِهَا إِلَّا لِيَالِي قَلَاتِلٍ حَتَّى أَغَارَ
عُيَيْنَةُ بْنُ حَصْنِ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ ، فِي خَيْلٍ مِنْ غَطَفَانَ عَلَى لِقَاحٍ (٢)
لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْغَابَةِ (٣) وَفِيهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ (٤) وَامْرَأَةٌ لَهُ ، فَقَتَلُوا
الرَّجُلَ وَاحْتَمَلُوا الْمَرْأَةَ فِي اللَّقَاحِ .

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ نَذَرَ بِهِمْ (٥) سَلْمَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْأَكْوَعِ السُّلَمِيُّ ، غَدَا يُرِيدُ
الْغَابَةَ مَتَوَشِّحًا قَوْسَهُ وَنَبْلَهُ ، وَمَعَهُ غَلَامٌ لَطْلَحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، مَعَهُ فَرَسٌ لَهُ
يَقُودُهُ . حَتَّى إِذَا عَلَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ نَظَرَ إِلَى بَعْضِ خِيُولِهِمْ ، فَأَشْرَفَ فِي نَاحِيَةِ
سَلْعٍ ثُمَّ صَرَخَ . وَاصْبُحَاهُ ! ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ فِي آثَارِ الْقَوْمِ ، وَكَانَ مِثْلَ السَّبْعِ ،
حَتَّى لَحِقَ بِالْقَوْمِ ، فَجَعَلَ يَرُدُّهُمْ بِالنَّبْلِ ، وَيَقُولُ إِذَا رَمَى : « خَذْهَا وَأَنَا
ابْنُ الْأَكْوَعِ ، الْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ » (٦) . فَإِذَا وَجَّهَتِ الْخَيْلُ نَحْوَهُ انْطَلَقَ هَارِبًا
ثُمَّ عَارَضَهُمْ ، فَإِذَا أَمَكْنَهُ الرَّمِيُّ رَمَى ثُمَّ قَالَ : « خَذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ ،
الْيَوْمَ يَوْمَ الرُّضْعِ » . فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ : أَوْيَكِعُنَا هُوَ أَوَّلَ النَّهَارِ .

(١) أَيِ مَشَقَّتِهِ وَشِدَّتِهِ

(٢) اللَّقَاحُ . بِكَسْرِ اللَّامِ : الْإِبِلُ الْحَوَامِلُ ذَوَاتِ الْأَلْبَانِ .

(٣) الْغَابَةُ : مَوْقِعٌ قَرِبَ الْمَدِينَةِ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِ .

(٤) هُوَ ابْنُ أَبِي ذَرٍّ

(٥) نَذَرَ بِهِمْ : عَلِمَ بِهِمْ .

(٦) جَمَعَ رَاضِعٌ ، وَالرَّاضِعُ : اللَّثِيمُ . وَالْمَعْنَى : الْيَوْمَ يَهْلِكُ اللَّثَامُ .

وبلغ رسول الله ﷺ صياحُ ابن الأَكوع ، فصرخ بالمدينة : الفرع الفرع ! فترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ .

وكان أول من انتهى إلى رسول الله ﷺ من الفرسان المقداد بن عمرو ، ثم عبَّاد بن بشر بن وقش . وسعد بن زيد . وأسيد بن ظهير ، وعُكَّاشة بن محصن ، ومحرز بن نضلة . وأبو قتادة الحارث بن ربعي . وأبو عيَّاش عبَّيد بن زيد . فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أمر عليهم سعد بن زيد ، ثم قال : اخرج في طلب القوم حتى ألقك بالناس .

ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة الحارث بن ربعي ، حبيب بن عينة ابن حصن . وغشاه ببرده . ثم لحق بالناس .

وأقبل رسول الله ﷺ في المسلمين . فإذا حبيب مسجى يرد أبي قتادة . فاسترجع الناس وقالوا : قُتل أبو قتادة ! فقال رسول الله ﷺ : ليس بأبي قتادة . ولكنه قتل لأبي قتادة وضع عليه برده لتعرفوا أنه صاحبه .

وأدرك عُكَّاشة بن محصن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار . وهما على بعير واحد ، فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعاً . واستنقذوا بعض اللقاح ، وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قرد ، وتلاحق به الناس ، فنزل رسول الله ﷺ به وأقام عليه يوماً وليلة . وقال سلمة بن الأكوع : يا رسول الله ، لو سرتني في مائة رجل لاستنقذت بقية السرح ، وأخذت بأعناق القوم . فقال رسول الله ﷺ : إنهم الآن ليغبقون في غطفان^(١)

فقسم رسول الله ﷺ في أصحابه . في كل مائة رجل جزوراً وأقاموا عليها . ثم رجع رسول الله ﷺ قافلاً حتى قدم المدينة .

وأقبلت امرأة الغفاري على ناقة من إبل رسول الله ﷺ حتى قدمت عليه ، فأخبرته الخبر ، فلما فرغت قالت : يا رسول الله ، إني قد نذرت لله أن أنحرها إن نجاني الله عليها ! فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : « بشس ما

(١) يغبقون : يسقون الغبوق . وهو اللبن يشرب في العشي .

جزئيتها ان حَمَلَكِ اللهُ عليها ونجّاه بها ثم تنحّرينها ! إنه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا تملكين ، إنما هي ناقةٌ من إبلي ، فارجعي إلى أهلك على بركة الله .

غزوة بني المصطلق^(١)

تَاقَام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جُمادى الآخرة ورجباً ، ثم غزا بني المصطلق من خزاعة ، في شعبان سنة ست .

بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارثُ بن أبي ضرار ، أبو جويرية بنت الحارث زوج رسول الله ، فلما سمع رسول الله ﷺ بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء يقال له : المُرَيْسِيع ، من ناحية قديد إلى الساحل ، فتزاحف الناسُ واقتتلوا ، فهزم الله ، بني المصطلق وقتل من قتل منهم ، ونَقَلَ رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه . وقد أصيب رجلٌ من المسلمين من بني كعب بن عوف ، يقال له هشام بن ضبابة ، أصابه رجلٌ من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت ، وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ .

فبينما رسول الله ﷺ على ذلك الماء ، وردت واردةُ الناس ، ومع عمر ابن الخطاب أجيرٌ له من بني غِفَار يقال له : جهجاه بن مسعود ، يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسان بن وَبْر الجهني على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار . وصرخ . جهجاه : يا معشر المهاجرين فغضب عبد الله بن أبي بن سنوب - وعنده رهطٌ من قومه فيهم زيد بن أرقم ، غلام حدث - فقال : أوقد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعدُّنا وجلايبَ قريش^(٢) إلا كما قال الأول . سَمْنٌ كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ ! أما والله لئن رجعنا إلى المدينة لُيُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ ! ثم أقبلَ على مَنْ حضَّره من قومه فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ! وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم !

(١) وتسمى أيضاً غزوة المريسيع . (٢) لقب كان المشركون يلقبون به من أسلم من المهاجرين .

فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله ﷺ ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه ، فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مر به عبّاد بن بشر فليقتله . فقال رسول الله ﷺ : فكيف يا عمر إذا تحدّث الناس أنّ محمداً يقتل أصحابه ! لا ولكن أذن بالرحيل . وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها . فارتحل الناس .

وقد مشى عبدالله بن أبيّ بن سلول إلى رسول الله ﷺ حين بلغه أنّ زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه ، فحلف بالله : ما قلت ما قال ولا تكلمت به ! وكان في قومه شريفاً عظيماً ، فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله ، عسى أن يكون الغلام قد أوهّم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل ! حدّباً على ابن أبيّ بن سلول ، ودفعاً عنه .

فلما استقل رسول الله ﷺ وسار ، لقيه أسيد بن حضير ، فحيّاه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال : يا نبي الله ، والله لقد رُحّت في ساعة منكراً ما كنت تروح في مثلها ! فقال له رسول الله ﷺ : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأيّ صاحبٍ يا رسول الله ؟ قال : عبدالله بن أبيّ . قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إنّ رَجَعَ إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ . قال : فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ! ثم قال : يا رسول الله ، ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك وإنّ قومه لينظّمون له الخرز ليتوجّوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته مُلكاً .

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتّى أمسى ، وليلتهم حتّى أصبح ، وصدر يومهم ذلك ، حتّى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مَسَّ الأرض فوقعوا نياماً ، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس بالحديث الذي كان بالأمس ، من حديث عبدالله بن أبيّ . ثم راح رسول الله ﷺ بالناس وسلك الحجاز حتّى نزل على ماء بالحجاز فويق النّقيع يقال له بقعاء ، فلما راح رسول الله ﷺ هبّت على

الناس ريحُ آذتهم وتخوفوها ، فقال رسول الله ﷺ : لا تتخافوها ، فإنما هبَّت لموت عظيم من عظماء الكفار . فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن الثابت ، أحد بني قينقاع - وكان عظيماً من عظماء يهود ، وكهفياً للمنافقين - مات في ذلك اليوم .

ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أبيّ ومن كان على مثل أمره ، فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد بن أرقم ، ثم قال : هذا الذي أوفى الله بأذنه . وبلغ عبدالله بن أبيّ الذي كان من أمر أبيه فقال : يا رسول الله ، إنه بلغني أنك تريد قتل عبدالله بن أبيّ فيما بلغك عنه ، فإن كنت لا بد فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرجُ ما كان لها من رجل أبرّ بوالده مني ، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبدالله بن أبيّ يمشي في الناس ، فأقتله فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر فأدخل النار . فقال رسول الله ﷺ : بل تترقق به وتحسين صحبته ما بقي معنا .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه ، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب ، حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته . قال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري .

وقدِم ميثيس بن ضبابة من مكة مسلماً فيما يُظهر ، فقال : يا رسول الله ، جئتكم مسلماً ، وجئتكم أطلب دية أخي . قُتل خطأ ! فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام بن ضبابة ، فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير ، ثم غدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتداً . وأصيب من بني المصطلق يومئذ ناس^(١) ، وقتل عليُّ بن أبي طالب منهم

(١) قال ابن هشام : « وكان شعار المسلمين يوم بني المصطلق : يا منصور ، أمت ، أمت » .

رجلين : مالكاً وابنه . وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلاً من فرسانهم يقال له أحمر ، أو أحيمير .

وكان رسول الله ﷺ قد أصاب منهم سيئاً كثيراً ، فشا قسمه في المسلمين . وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار . زُوج رسول الله ﷺ .

قالت عائشة : لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له . فكاتبتة على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاحية^(١) ولا يراها أحد إلا أخذت بنفسه . فأنت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها . فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها . وعرفت أنه سيري منها رسول الله ﷺ ما رأيت . فدخلت عليه فقالت : يا رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، سيد قومه . وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك . فوقعت في السهم لثابت قيس بن الشماس - أو لابن عم له - فكاتبتة على نفسي . فجتتلك أستعينك على كتابتي . قال : فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضي عنك كتابتك وأتزوجك . قالت : نعم يا رسول الله . قال : قد فعلت .

وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية ابنة الحارث ابن أبي ضرار ، فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ . وأرسلوا ما بأيديهم . قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق . فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها .

وعن يزيد بن رومان : أن رسول الله ﷺ بعث إليهم بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم هابهم ، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره أن القوم قد هموا بقتله ومنعوه

(٢) أي شديدة الملاحه .

ما قبلهم من صدقتهم . فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم حتى همَّ رسول الله ﷺ بأن يغزوهم . فبينما هم على ذلك قديم وفدَّهم على رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله . سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لنكرمه ، وتؤدِّي إليه ما قبلنا من الصدقة . فانشمرَ راجعاً^(١) . فبلغنا أنه زعم لرسول الله ﷺ أنا خرجنا إليه لنقتله . ووالله ما جئنا لذلك .

فأنزل الله تعالى فيه وفيهم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا أن تُصيبوا قوماً بجهالةٍ فتصيبوا على ما قَعَلْتُمْ نَادِمِينَ . واعلموا أنَّ فيكم رسول الله لو يُطِيعُكُمْ في كثيرٍ من الأمر لَعَنِمَ ﴾ إلى آخر الآية . وقد أقبل رسول الله ﷺ من سفره ذلك حتى إذا كان قريباً من المدينة ، وكانت معه عائشة في سفره ذلك . قال فيها أهل الإفك ما قالوا .

خبر الإفك ، في غزوة بني المصطلق

سنة ست

عن عائشة قالت :

كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرعَ بين نسائه . فأيتهنَّ خرج سهمها خرجَ بها معه ، فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرعَ بين نسائه كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهنَّ معه ، فخرج بي رسول الله ﷺ .

وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العَلَقَ^(٢) لَمْ يُهَبَّجْهُنَّ اللحمُ فيثقلن^(٣) ، وكنت إذا رُحِل لي بعيري جلست في هودجي ، ثم يأتي القوم الذين يرحلون لي ويحملونني ، فيأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به .

(١) انشمر : جد وأسرع .

(٢) العلق : جمع علقة ، بالضم ، وهو ما يتبلغ به من الطعام .

(٣) -الهيج : الورم . هبجه تهيجاً : ورمه .

فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك وجّه قافلاً ، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات فيه بعض الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل . فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي ، فيه جِرْعُ ظَفَار^(١) ، فلما فرغت انسلت من عنقي ولا أدري ، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه في عنقي فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل ، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافي ، الذين كانوا يرحلون لي البعير^(٢) ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج وهم يظنون أنني فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه فشدّوه على البعير ، ولم يشكّوا أنني فيه . ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به . فرجعت إلى العسكر وما فيه من داعٍ ولا مجيب . قد انطلق الناس ، فتلقّفت بجلبائي ثم اضطجعت في مكاني . وعرفت أن لو قد افتقدت لرُجع إليّ . فوالله إنني لمضطجعة إذ مرّ بي صفوان بن المعطل السلمي ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته . فلم يبت مع الناس . فرأى سوادي فأقبل حتى وقف عليّ . وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب فلما رآني قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، طعيته رسول الله ﷺ ! وأنا متلفّفة في ثيابي . قال : ما خلّفتك برحمتك الله ؟ فما كلّمته . ثم قرب البعير فقال : اركبي . واستأخر عني . فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس وما افتقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلما اطمأنّوا طلع الرجل يقودني ، فقال أهل الإفك ما قالوا فارتعج^(٣) العسكر ، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك .

ثم قدِمنا المدينة ، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة^(٤) ، ولا يبلغني من ذلك شيء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبيي لا

(١) الجرع : الخرز . وظفار : مدينة باليمن قرب صنعاء

(٢) رحل البعير : وضع عليه الرحل .

(٣) ارتعج : تحرك واضطرب .

(٤) الشكوى : المرض .

يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً ، إلا أنني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي ، كنت إذا اشتكيت رحماني ولطف بي . فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك . فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل عليّ وعندي أمي^(١) تمرّضني قال : كيف تيكّم ؟ لا يزيد على ذلك . حتي وجدت^(٢) في نفسي فقلت : يا رسول الله - حين رأيت ما رأيت من جفائه لي - لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي فمرّضتني ؟ قال : لا عليك .

قالت : فانتقلت إلى أمي ولا علم لي بشيء مما كان ، حتى نكّفت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة .

وكنا قوماً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكُنُفَ التي تتخذها الأعاجم . نعافها ونكرهها . إنما كنا نذهب في فُسح المدينة . وإنما كانت النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن . فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعني أم مسطح بنت أبي رهم ابن المطلب بن عبد مناف ، فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مرطها^(٣) . فقالت : تعس مسطح ! قالت : بش لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرأ ! قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ؟ قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك . قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت : نعم والله لقد كان .

قالت : فوالله ما قدّرت على أن أقضي حاجتي ، ورجعت ، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع^(٤) كبدي ، وقلت لأمي : يغفر الله لك ، تحدّث الناس بما تحدّثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ! قالت : أي بني ، خفضي عليك الشأن^(٥) ، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل

(١) اسمها زينب بنت عبد دهمان ، فيما قال ابن هشام

(٢) الوجد : الحزن .

(٣) المرط : الكساء .

(٤) يصدع : يشق .

(٥) أي هوني عليك الأمر .

يحبُّها ، لها ضرائر ، إلا كثُرَ الناس عليها^(١) .

قالت : وقد قام رسول الله ﷺ في الناس يخطبهم - ولا أعلم بذلك - فحميد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيُّها الناس ، ما بال رجال يؤذونني في أهلي . ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت منهم إلا خيراً . ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما يدخل بيتاً من بيوتِي إلا وهو معي » . قالت : وكان كثير ذلك^(٢) عند عبدالله بن أبي بن سلول ، في رجالٍ من الخزرج ، مع الذي قال مسطح وحمّنة بنت جحش . وذلك أنّ أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ . ولم تكن من نسائه امرأةً تناصيني^(٣) في المنزلة عنده غيرها . فأما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقلّ إلا خيراً . وأما حمّنة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت . تضادّني لأختها . فشقيتُ بذلك .

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة قال أسيد بن حضير : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفيكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهلٌ أن تضرب أعناقهم ! فقام سعد بن عبادة . وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً . فقال : كذبتَ لعمر الله . لا تضرب أعناقهم ، أمّا والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج . ولو كانوا من قومك ما قلتَ هذا ! فقال أسيد : كذبتَ لعمر الله . ولكئنك منافق تجادلُ عن المنافقين !

قالت : وتساوَرَ الناس^(٤) حتّى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر ، ونزل رسول الله ﷺ^(٥) ودخل عليّ ، فدعا علي بن أبي

(١) أي كثُرُوا القول فيها والعنت عليها . ويروى : « كبرن » من الكبر وهو الإثم .

(٢) كبر ذلك ، أي معظم ذلك الإثم .

(٣) المناصاة : المساواة .

(٤) تساورا : تواءموا .

(٥) أي من المنبر .

طالب وأسامه بن زيد فاستشارهما ، فأما أسامه فأتى عليّ خيراً وقاله ثم قال : يا رسول الله ، أهلك ولا نعلم إلا خيراً ، وهذا الكذب والباطل ! وأما عليّ فإنه قال : يا رسول الله ، إنّ النساء لكثير ، وإنك لقادرٌ على أن تستخلف ، ولسرّ الجارية فإنها تصدّك .

فدعا رسول الله ﷺ بُريرة^(١) ليسألها ، فقام إليها علي بن أبي طالب فضربها ضرباً شديداً وقال : اصدّقي رسول الله ﷺ . فتقول : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلا أنّي كنت أعجن عجيني فأمرها أن تحفظه ، فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله !

قالت : ثم دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي أبوي ، وعندي امرأة من الأنصار ، وأنا أبكي وهي تبكي معي . فجلس فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : يا عائشة . إنه كان ما بلغك من قول الناس فاتّقي الله . وإن كنت قد قارفتِ سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله . فإنّ الله يقبل التوبة عن عباده ! فوالله ما هو إلا أن قال لي ذلك فقلص دمعي^(٢) حتى ما أحسُّ منه شيئاً . وانتظرت أبوي أن يجيئا عني رسول الله ﷺ . فلم يتكلّما ! وإيمُ الله لأنّا كنت أحقر في نفسي وأصغر شأنًا من أن يُنزلَ الله فيّ قرآنًا يُقرأ به في المساجد ويصلّى به ، ولكي قد كنت أرجو أن يرى رسولُ الله ﷺ في نومه شيئاً يكذبُ به الله عني ، لما يعلمُ الله من براءتي ، أو يخبر خبراً ؛ فأما قرآن يُنزلُ فيّ فوالله لئنفسني أحقر عندي من ذلك !

فلما لم أر أبوي يتكلمان قلتُ لهما : ألا تجيبان رسول الله ﷺ ؟ فقالا : والله ما ندري بماذا نجيبه . ووالله ما أعلم أهل بيتٍ دخل عليهم ما دخل عليّ آل أبي بكر في تلك الأيام !

فلما أن استعجما عليّ^(٣) استعبرت فبكيت ، ثم قلت : والله لا أتوب إلى

(١) بُريرة : مولاة عائشة .

(٢) قلص : ارتفع وأمسك .

(٣) استعجم . لم ينطق .

الله ممَّا ذكرتَ أبداً ! والله إنِّي لأعلمُ لئن أقررتُ بما يقولُ الناسُ والله يعدُّ أنَّي منه بريئة لأقولنَّ ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوني

قالت : ثم التمسيت اسم يعقوب فما أذكره ، فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ . فوالله ما برح رسولُ الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه ، فسُجِّي بثوبه ووضعت له وسادةً من آدم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيتُ من ذلك ما رأيتُ فوالله ما فرعتُ ولا باليت ، قد عرفتُ أنَّي بريئة ، وأن الله عز وجل غير ظالمي . وأما أبواي فوالذي نفسُ عائشة بيده ما سُري عن رسول الله ﷺ حتى ظننتُ لتخرجنَّ أنفسهما ، قرأاً من أن يأتي من الله تحقيقُ ما قال الناس .

قالت : ثم سُري عن رسول الله ﷺ فجلس وإنه ليتحدَّر منه مثلُ الجُمَان^(١) في يوم شاتٍ ، فجعل يمسح العرقَ عن حبينه ويقول : أبشري يا عائشة . فقد أنزل الله براءتك . قلت : بحمد الله !

ثم خرج إلى الناس فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك . ثم أمر بمسطح بن أثاثه ، وحسان بن ثابت . وحمئة بنت جحش . وكانوا ممن أفصح بالفاحشة ، فضربوا حدَّهم .

قال : ابن إسحاق ، عن بعض رجال بني النجار : أن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب ، أسمع ما يقول الناسُ في عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب ، أكنتِ يا أم أيوب فاعلة ؟ قالت : والله ما كنت لأفعله . قال : فعائشة والله خير منك !

قالت : فلما نزل القرآن ذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإفك فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ - وذلك حسان بن ثابت وأصحابه الذين قالوا

(١) الجمان : حب كالدر يصع من الفضة .

ما قالوا - ثم قال تعالى : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظنَّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ﴾ ، أي فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبه .

ثم قال : ﴿ إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علمٌ وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيمٌ ﴾ .

فلما نزل هذا في عائشة وفيمن قال لها ما قال ، قال أبو بكر ، وكان يُنفق على مسطح لقرابته وحاجته : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً ، ولا أنفعه بنفع أبداً بعد الذي قال لعائشة وأدخل علينا .

قالت : فأنزل الله في ذلك : ﴿ ولا يأتلِ أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيلِ الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفورٌ رحيمٌ ﴾ . فقال أبو بكر : بلى والله إني لأحبُّ أن يغفر الله لي . فرجع إلى مسطح نفقته التي كان يُنفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً .

قال ابن إسحاق : وقال قائل من المسلمين في ضرب حسَّان وأصحابه

لقد ذاق حسَّانُ الذي كان أهله :	وحَمْنُهُ إذ قالوا هَجيراً ، ومسطح ^(١)
تعاطوا بَرَجَمَ الغيب زوجَ نبيهم	وسَخَطَةَ ذي العرش الكريم فأَنرَحُوا ^(٢)
وآذوا رسولَ الله فيها فجَلَّلُوا	مَخَازِيَ تَبَقَى عُمُومُهَا وقُضُّحُوا
وصُبَّتْ عليهم مُحْصَدَاتُ كَأَنها	شَايِبُ قَطَرٍ من دُرَى المزن تَسْفَحُ ^(٣)

أمر الحُدَيْيَةِ

في آخر سنة ست

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشوالاً ، وخرج في ذي

(١) الهجير : الهجر ، والقول الفاحش القبيح .

(٢) الرجم : القول بالظن . أترحوا : أحزنوا . الترح : الحزن .

(٣) المحصّدات : السباط المحكمة القتل الشديدة . الشايب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر الذرى : الأعالي . المزن : السحاب . تسفح : تسيل .

القعدة معتمراً لا يريد حرباً^(١) واستنفر العربَ ومَن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا : أن يعرضوا له بحربٍ أو يصدُّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعراب ، وخرج رسولُ الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومَن لحقَ به من العرب ، وساقَ معه الهدْي^(٢) ، وأحرمَ بالعمرة ، ليأمنَ الناسُ من حربه ، وليعلم الناسُ أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له .

وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بعُسفان^(٣) لقيه بشر بن سفيان الكعبيُّ ، فقال : يا رسول الله ، هذه قريشٌ قد سمعتُ بمسيرك ، فخرجوا معهم العوذ المطافيل^(٤) ، وقد نزلوا بذي طوى^(٥) يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدَّموها إلى كُراع الغميم^(٦) . فقال رسول الله ﷺ : يا ويحَ قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلَّوا بيني وبين سائر العرب ، فإنَّهم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرَّين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظنُّ قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني به حتى يُظهره الله أو تنفردَ هذه السالفة^(٧) !

ثم قال : مَن رجلٌ يخرج بنا على طريقٍ غيرِ طريقهم التي هم بها ؟ وإن رجلاً من بني أسلم قال : أنا يا رسول الله . فسلك بهم طريقاً وعرّاً أُجْرَل^(٨) بين شعاب ، فلما خرجوا منه وقد شقَّ ذلك على المسلمين وأفضَّوا إلى أرضٍ

(١) قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نيلة بن عبد الله الليثي .

(٢) كان سبعين بدنة ، وكان الناس سبعمائة رجل ، فكانت كل بدنة عن عشرة نفر .

(٣) عسفان : منهل من مكة على مرحلتين .

(٤) العوذ : جمع عائد ، وهي الحديثة التاج من الإبل . المطافيل : التي معها أولادها . يريد أنهم خرجوا بدوات الألبان من الإبل ليتزودوا ألبانها ولا يرجعوا حتى يناجزوا محمداً .

(٥) ذو طوى : موضع قرب مكة .

(٦) كُراع الغميم : واد أمام عسفان بشامية أميال .

(٧) السالفة : صفحة العنق . (٨) الأجرل : الكثير الحجارة .

سهلة عند منقطع الوادي قال رسول الله ﷺ للناس : قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه . فقالوا ذلك . فقال : والله إنها للخطئة ^(١) التي عُرِضَتْ على بني إسرائيل فلم يقولوها .

فأمر رسول الله ﷺ الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظَهْرَي الحمض ، في طريقٍ تخرجهم على ثنية المَرار ، مهبط الحديدية من أسفل مكة . فسلك الجيشُ ذلك الطريق ، فلما رأتُ خيلُ قريشٍ قَتْرَةَ الجيش ^(٢) ، قد خالفوا عن طريقهم ، رجعوا راكضين إلى قريش . وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا سلك في ثنية المَرار بركت ناقته ، فقالت الناس : خلأت ^(٣) الناقة . قال : ما خلأت ، وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابسُ الفيل عن مكة . لا تدعوني قريشُ اليومَ إلى خُطّةٍ يسألونني فيها صلّة الرحم إلا أعطيتُهم إياها . ثم قال للناس : انزلوا . قيل له : يا رسولَ الله ، ما بالوادي ماءً تنزل عليه . فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل به في قلب من تلك القلب ^(٤) فغرزَه في جوفه ، فجاش بالروء ^(٥) حتى ضرب الناس عنه بَعَطَن ^(٦) .

فلما اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءِ الْخَزَاعِي فِي رَجُلٍ مِنْ خَزَاعَةَ ، فكلّموه وسألوه : ما الذي جاء به ؟ فأخبرهم أنّه لم يأتِ يريد حرباً ، وإنما جاء زائراً للبيت ، ومعظماً لحرمة ، ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش ، إنكم تعجلون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتالٍ وإنما جاء زائراً هذا البيت .

(١) إشارة إلى قوله تعالى : (وقولوا حطة) ، ومعناه : اللهم حط عنا ذنوبنا .

(٢) القترّة : الغبار .

(٣) خلأت : بركت ولم تنهض .

(٤) القلب : البئر .

(٥) جاش : ارتفع . الروء : الكثير .

(٦) العطن . مبرك الإبل حول الماء .

فأتهموهم وجبّوهم^(١) وقالوا : وإن كان جاء لا يريد قتلاً ، فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ، ولا تحدّث بذلك عنّا العرب .
وكانت خزاعة عيّبة نصيح^(٢) رسول الله ﷺ ، مسلمها ومشرکها ، لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة .

ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال : هذا رجلٌ غادر . فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلمه قال له رسول الله ﷺ نحوا مما قال لبديل وأصحابه . فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ .

ثم بعثوا إليه الحُلَيْس بن علقمة - أو ابن زبان - وكان يومئذ سيد الأحابيش فلما رآه رسول الله ﷺ قال : إنّ هذا من قوم يتأهلّون^(٣) ، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه ، فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي^(٤) في قلائده^(٥) ، وقد أكمل أوباره من طول الحبس عن مَحِلّه^(٦) ، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ ، إعظاماً لما رأى . فقال لهم ذلك ، فقالوا له : اجلس فإِنما أنت أعرابيٌّ لا علم لك . فغضب عند ذلك وقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أَيْصَدُّ عن بيت الله مَنْ جاء معظماً له ! والذي نفس الحُلَيْس بيده لتُخلنَّ بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفِرَنَّ بالأحابيش نفرة رجل واحد ! فقالوا له : مه ، كفّ عنّا يا حُلَيْس حتّى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي ، فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد ، أجمعت أوشاب

(١) حبهه : خاطبه بما يكره . (٣) يتأهلّون : يتعبدون ويعظمون الله .

(٢) أي خاصته وأصحات سره . (٤) عرض الوادي : جانبه .

(٥) القلادة : ما يعلق في عنق الهدى إعلالاً له .

(٦) المحل : الموضع الذي ينحر فيه من الحرم .

الناس^(١) ثم جث بهم إلى بيضتك^(٢) لتفضها بهم^(٣) ، إنها قريشٌ قد خرجت معها العوذ المطافيل^(٤) ، قد لبسوا جلود النمرور ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عَنوةً أبداً . وإيّم الله لكائي بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً ! وأبو بكر الصديقُ خلفَ رسول الله ﷺ قاعد ، فقال : امصصُ بظُر اللات ، أنحن نكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبي قحافة . قال : أما والله لو لا يدٌ قد كانت لك عندي لكأفأتك بها ، ولكن هذه بها . .

ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه ، والمغيرة ابن شعبة واقفٌ على رأس رسول الله ﷺ في الحديد ، فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله ﷺ ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله قبل أن لا تصل إليك ! فيقول عروة : ويحك ! ما أفضّك وأغلظك ! فتبسّم رسول الله ﷺ ، فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة ابن شعبة . قال : أي غدر ، وهل غسّلتُ سوءتُك إلا بالأمس^(٥) ! فكلمه رسول الله ﷺ بنحو مما كلّم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً . فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ إلا وابتدروا وضوءه ، ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شيءٌ إلا أخذوه . فرجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش ، إني قد جثتُ كسرى في ملكه ، وقبصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيتُ ملكاً في قومٍ قطّ مثل محمد في أصحابه ! وقد رأيتُ قوماً لا يُسلمونه لشيءٍ أبداً ، قرّوا رأيكم .

وإن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي ، فبعثه إلى قريش

(١) الأوشاب : الأخطا .

(٢) بيضة الرجل : قبيلته وعشيرته

(٣) تفضها : تكسرها

(٤) انظر ما سبق في صفحة ٢٢١ .

(٥) قال ابن هشام : أراد عروة بهذا أن المغيرة بن شعبة قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك من ثقيف ، فنهاج الحيان من ثقيف . بنو مالك رهط المقتولين ، والأحلاف رهط المغيرة ، فودي عروة المقتولين ثلاث عشرة دية ، وأصلح ذلك الأمر .

بمكة ، وحمله على بعير له يقال له : « الثعلب » ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعفروا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله . فمنعته الأحابيش فحلوا سبيله ، حتى أتى رسول الله ﷺ .

ثم دعا عمر بن الخطاب ليعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ، إني أخاف قريشاً على نفسي ، وليس بمكة من بني عديّ بن كعب أحدٌ يمنعني ، وقد عرفتُ قريشُ عداوتي إياها ، وغلظتي عليها ، ولكني أدلك على رجل أعزّ بها ممي : عثمان بن عفان .

فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وأنه إنما جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمة . فخرج عثمان إلى مكة فلقه أبان بن سعيد بن العاص ، حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطُف . فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ . واحتبسته قريشُ عندها ، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قُتل .

بيعة الرضوان

قال ابن اسحاق : فحدثني عبدالله بن أبي بكر : أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قُتل : لا نبرح حتى نناجز القوم . فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة .

فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت . وكان جابر ابن عبدالله يقول : إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على ألا نفر .

فبايع رسول الله ﷺ الناس^(١) ، ولم يتخلف عنه أحدٌ من المسلمين حضرها ، إلا الجُدُّ بن قيس ، أخو بني سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأنني أنظر إليه لاصقاً يابط ناقة ، قد ضبأ إليها^(٢) يستتر بها من الناس . ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل .

أمر الهدنة (صلح الحديبية)

ثم بعث قريش سهيل بن عمرو ، أخا بني عامر بن لؤي ، إلى رسول الله ﷺ وقالوا له : انت محمداً فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً . فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح . فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ، قال : بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى قال : أليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلام تُعطي الدنية^(٣) في ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر ، الزم غرزَه^(٤) فإني أشهد أنه رسول الله . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله .

ثم أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أَلستَ برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أولسنا بالمسلمين قال : بلى . قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلام تُعطي الدنية في ديننا ؟ قال : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف

(١) ذكر ابن هشام أن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي .

(٢) ضبأ إليها : لصق بها واستتر .

(٣) الدنية : الذل والأمر الخسيس .

(٤) أي الزم أمره . والغرز للرحل ، بمنزلة الركاب للسرير .

أمره ولن يُضيّعني .

فكان عمر يقول : ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعتُ يومئذ ، مخافة كلامي الذي تكلمتُ به ، حتى رجوت أن يكون خيراً .

ثم دعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم . فكتبها .

ثم قال : اكتب « هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ بن عمرو » . فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب : اسمك واسم أبيك . فقال رسول الله ﷺ : اكتب :

« هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ﷺ بن عمرو . اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهنّ الناس ويكفّ بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذنٍ وليه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمداً لم يرده عليه . وإن بيننا عيبة مكفوفة^(١) . وإنه لا إسلال ولا إغلال^(٢) . وإنه من أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه » .

فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده . وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم ، وإنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وإنه إذا كان عامٌ قابلٌ خرجنا عنها فدخلتها بأصحابك فأقمنا بها ثلاثاً ، معك سلاح الرّاكب ، السيوف في القُرب ، لا تدخلها بغيرها .

فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسفُ في الحديد ، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا ، وهم يشكّون في الفتح ، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع . وما تحمّل

(١) أصل العيبة وعاء من جلد يكون فيه المتاع . مكفوفة : أشرجت على ما فيها وأقفلت . ضرب ذلك مثلاً للقلوب التي طويت على ما تعاقدوا عليه .

(٢) الإسلال : السرقة الخفية . والإغلال : الخيانة .

عليه رسول الله ﷺ في نفسه دخل على الناس من ذلك أمرٌ عظيم حتى كادوا يهلكون . فلما رأى سهيلُ أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتليبيه^(١) ، ثم قال : يا محمد ، قد لَجَّت القضية^(٢) بيني وبينك قبل أن يأتِكَ هذا . قال : صدقت . فجعل يَنْتُرُه^(٣) بتليبيه ويجره ليردَّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أَرُدُّوا إلى المشركين يفتنوني في ديني ؟ ! فزاد ذلك الناسَ إلى ما بهم ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا جندل ، اصبر واحتسب ، فإنَّ الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ! إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم علي ذلك وأعطينا عهد الله ، وإنا لا نغدر بهم .

فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول : اصبر يا أبا جندل فإنهم المشركون ، وإِنَّمَا دَمٌ أَحَدُهُمْ دَمٌ كَلْب ! ويدني عمر قائمَ السيف منه ، يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيفَ فيضرب به أباه ! فضن الرجلُ بآبيه ، ونفذت القضية .

فلما فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة ، ومكرز بن حفص وهو يومئذ مشرك ، وعلي بن أبي طالب وكتَّابٌ ، وكان هو كاتبَ الصحيفة .

وكان رسول الله ﷺ مضطرباً في الحِلِّ ، وكان يصلي في الحرم فلماً فرغ من الصلح قام إلى هديه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ، فلما رأى الناسُ أن رسول الله ﷺ قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون . ثم انصرف رسول الله ﷺ من وجهه ذلك قافلاً ، حتى إذا كان بين

(١) التلييب : مجمع الثياب عند الصدر والتحر ؛ أخذ بتليبيه : جمع عليه ثوبه عند صدره وقبض عليه يجره .

(٢) لجت القضية : تم الحكم . (٣) نتره : جذبه جذباً شديداً .

مكة والمدينة نزلت سورة الفتح : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ .
ثم قال تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ ، مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ . فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ﴾ أي لرؤيا رسول الله ﷺ التي رأى ، أنه سيدخل مكة آمناً لا يخاف . يقول : محلقين رؤوسكم ومقصرين معه لا تخافون ، فعلم من ذلك ما لم تعلموا ﴿ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ : صلح الحديبية . يقول الزهري : فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس . فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب . وأمين الناس بعضهم بعضاً ، والتفوا تفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلّم أحدٌ بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه . ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر ^(١) .

ذكر المسير إلى خيبر

في المحرم سنة سبع

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ، وولي تلك الحجة المشركون . ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبر .
عن أبي معتب بن عمرو :
أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم : قفوا .
ثم قال :

« اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَمَا أَظْلَلْنَ ، وَرَبَّ الْأَرْضِينَ وَمَا أَقْلَلْنَ ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ ، وَرَبَّ الرِّيَّاحِ وَمَا أَدْرَيْنَ ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ

(١) قال ابن هشام : والدليل على قول الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربع مائة ، في قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين في عشرة آلاف .

وخَيْرَ أهلها وخَيْرَ ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها .
أَقْدِمُوا بِاسْمِ اللَّهِ .

قال : وكان يقولها عليه السلام لكل قريةٍ دخلها .

وعن أنس بن مالك قال :

كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يُغِرْ عليهم حتى يصبح ، فإن سَمِعَ
أذاناً أَمَسَكَ ، وإن لم يسمع أذاناً أغار . فنزلنا خير ليلاً ، فبات رسول الله
ﷺ ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذاناً ، فركب وركبنا معه ، فركبتُ خلفَ
أبي طلحة وإنَّ قدمي لَتَمَسَ قدمَ رسول الله ﷺ ، واستقبلنا عُمَالُ خير
غادين ، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم ^(١) ، فلما رأوا رسول الله ﷺ
والجيشَ قالوا : محمد والخميس ^(٢) ! فأدبروا هُرَّاباً ، فقال رسول الله
ﷺ : الله أكبر ، خربت خير ، إنا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساء صباحُ
المتأثرين .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خير
سلك على عِصْرٍ ^(٣) ، فُبني له فيها مسجد ، ثم على الصهباء ^(٤) . ثم أقبل رسول
الله ﷺ بجيشه حتى نزل بوادٍ يقال له الرجيع ، فنزل بينهم وبين غطفان .
ليحولَ بينهم وبين أن يمدُّوا أهل خير ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله
ﷺ .

فبلغني أن غطفان لما سمعت بمَنَزَلِ رسول الله ﷺ من خير جمعوا له .
ثم خرجوا ليظاهروا ^(٥) يهود عليه ، حتى إذا ساروا مَنَقَلَةً ^(٦) سمعوا خلفهم في
أموالهم وأهلهم حساً ، ظنُّوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ،
فأقاموا في أهلهم وأموالهم ، وخلَّوا بين رسول الله ﷺ وبين خير .

(١) المساحي : جمع مسحاة ، وهي مجرقة من حديد . والمكتل : ففة كبيرة .

(٢) الخميس : الجيش ، لانتظامه خمس فرق : اليمنة ، والميسرة ، والمقدمة ، والمؤخرة ، والقلب

(٣) جبل بين المدينة ووادي الفرع .

(٤) موضع بينه وبين خير روحة .

(٥) ليظاهروا : ليعاونوا وينصروا .

(٦) منقلة : مرحلة .

وتدنى^(١) رسول الله ﷺ الأموال يأخذها مالا مالا ، ويفتحها حصناً حصناً . فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم . وعنده قُتل محمود بن مسلمة ، أُلقيت عليه منه رَحَى فقتلته . ثم القموص حصن بني أبي الحُقَيْق ، وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا منهن صفية بنت حُيَّ بن أخطب - وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيْق - وبنِّي عم لها ، فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه .

وكان دحية بن خليفة الكلبي قد سأل رسول الله ﷺ صفية ، فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنِّي عمها . وفشت السبايا من خير في المسلمين .

ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح ، وحاز من الاموال ما حاز انتهبوا إلى حصنهم : الوطيح والسُّلالم ، وكان آخر حصون خير افتتاحا . فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة .

وخرج مَرَحَبُ اليهوديُّ من حصنهم قد جمع سلاحه ، يرتجز ويقول :
 قد علمتُ خيبرُ أنِّي مَرَحَبُ شاكِي السلاح بطلُ مجرَّب^(٢)
 أطعنُ أحياناً وحيناً أضربُ إذا الليوثُ أقبلت تُحرَّبُ^(٣)
 إنَّ حمايَ للحمى لا يُقَرَّبُ

وهو يقول : مَنْ يبارز ؟ فأجابه كعب بن مالك :

قد علمتُ خيبرُ أنِّي كعبُ مفرَّجُ الغمى جريءُ صلبُ^(٤)
 إذ شَبَّتْ الحربُ تلتها الحربُ معي حُسامُ كالعقيقِ غضبُ^(٥)
 نطوكم حتَّى يذلَّ الصعبُ نُعطي الجزاءَ أو يفِيءُ النهبُ
 بكفِّ ماضٍ ليس فيه عتبُ

فقال رسول الله ﷺ : من لهذا ؟ قال محمد بن مسلمة . يا رسول

(١) تدنى : أخذ الأدنى فالأدنى .

(٢) الشاكِي السلاح : التام السلاح الحديدية .

(٣) تحرب : أي مغضبة .

(٤) الغمى : الشدة والكرب .

(٥) العقيق : شعاع البرق .

الله ، أنا والله الموتور الثائر . قُتل أخي بالأمس . قال : فقم إليه . اللهم أعنه عليه .

فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عُمريّة^(١) من شجر العُشْر^(٢) فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه ، كلما لاذ بها اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها ، حتّى برز كل واحدٍ منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرجل القائم ، ما فيها فتن . ثم حمل مرحبٌ على محمد بن مسلمة ، فضربه فأتقاه بالدَّرَقَة ، فوقع سيفه فيها ، فعضّت به فأمسكته . وضربه محمد بن مسلمة حتّى قتله .

ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يقول من يبارز ؟ فزعم هشام بن عروة أن الزبير بن العوام خرج إلى ياسر فقالت أمّه صفية بنت عبد المطلب : يُقتل ابني يا رسول الله ! فقال : أبل ابنك يقتله إن شاء الله ! فخرج الزبير فالتقيا ، فقتله الزبير .

وعن سلمة بن عمرو بن الأكوع قال :

بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه برابته ، إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل فرجع ولم يك فتح وقد جُهد . ثم بعث الغدّ عمر بن الخطاب ، فقاتل ثم رجع ولم يك فتح وقد جُهد . فقال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، ليس بفَرَّار . فدعا رسول الله ﷺ عليّاً رضوان الله عليه ، وهو أُرْمَد ، فتقلّ في عينيه ثم قال : خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك !

يقول سلمة : فخرج والله بها يأنح ، يُهرول هرولةً ، موائنا لخلفه يتبع أثره ، حتى ركز رايته في رَضْمٍ^(٤) من حجارة الحصن ، فاطّلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا عليّ بن أبي طالب .

(١) عمريّة : قديمة .

(٢) العُشْر : شجر أملس ضعيف العود .

(٣) يأنح : أي به نفس شديد من الإعياء في العدو

(٤) الرضم : الحجارة المجمعّة .

يقول اليهودي : علوئتم وما أنزل على موسى !

فما رجّع حتى فتح الله على يديه .

وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر في حصينهم : الوطيج والسّلام ، حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم ^(١) وأن يحقن لهم دماءهم . ففعل - وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها : الشّق ، ونطاة ، والكتيبة ، وجميع حصونهم إلا ما كان من ذينك الحصنين - فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا ، بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم ويحلّوا له الأموال ، ففعل .

وكان فيمن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك مُحِيَصَّة ^(٢) بن مسعود ، أخو بني حارثة ، فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف . وقالوا : نحن أعلم بها منكم وأعمرُ لها . فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف ، على أنّا إن شئنا أن نخرجكم أخرجناكم . فصالحه أهل فدك على مثل ذلك ، فكانت خيبر فيئاً بين المسلمين ، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب . فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب ابنة الحارث ، امرأة سَلَام بن مشكم ، شاةً مصليةً ^(٣) ، وقد سألت : أيُّ عضوٍ من الشاة أحبُّ إلى رسول الله ﷺ ؟ فقليل لها : الذراع . فأكثرَت فيها من السمِّ ثم سمّت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع فلاك منها مُضغَةً فلم يُسغها ، ومعه بشرُّ بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ . فأما بشرُّ فأساغها ، وأما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال : إنّ هذا العظم ليُخبرني إنه مسموم ، ثم دعا بها فاعترفت ، فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومي ما لم يحفَ عليك ،

(١) يسيرهم : يخرجهم ويجلبهم عن بلدهم .

(٢) انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٤١ .

(٣) المصلية : المشوية .

فقلتُ : إن كان ملكاً استرحتُ منه ، وإن كان نبياً فسيُخبرُ . فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ، ومات بشرٌ من أكلته التي أكل .

فلما فرغ رسول الله ﷺ من خير انصرف إلى وادي القرى ، فحاصر أهله ليالي ، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة .

ولما أعرس رسول الله ﷺ بصفية ، بخير أو ببعض الطريق ، وكانت التي جمعتها لرسول الله ﷺ ومشطتها وأصلحت من أمرها ، أم سليم بنت ملحان . أم أنس بن مالك ، فبات بها رسول الله ﷺ في قبة له ، وبات أبو أيوب خالد بن زيد متوشحاً سيفه ، يحرس رسول الله ﷺ ويُطيف بالقبّة ، حتى أصبح رسول الله ﷺ ، فلما رأى مكانه قال : مالك يا أبا أيوب ؟ قال : يا رسول الله ، خِفْتُ عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قَتَلَت أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهدٍ بكفر ، فخفْتُها عليك

فرعِموا أن رسول الله ﷺ قال : اللهم احفظ أبا أيوب . كما بات يحفظني ! ولما انصرف رسول الله ﷺ من خير فكان ببعض الطريق قال من آخر الليل : مَنْ رجلٌ يحفظُ علينا الفجرَ لعلنا ننام ؟ قال بلال : أنا يا رسول الله أحفظُه عليك . فنزل رسول الله ﷺ ونزل الناس فناموا ، وقام بلالٌ يصلي فصلّى ما شاء الله عز وجلّ أن يصلي ، ثم استند إلى بعيره واستقبل الفجرَ يرمقه ، فغلَبته عينُه فنام ، فلم يوقظهم إلّا مسُّ الشمس . وكان رسول الله ﷺ أولَ أصحابه هباً فقال : ماذا صنعتَ بنا يا بلال ؟ قال : يا رسول الله ، أخذتُ بنفسي الذي أخذتُ بنفسك . قال : صدقت . ثم اقتاد رسول الله ﷺ بعيره غير كثير ، ثم أناخ فتوضأ وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة ، فصلّى رسول الله ﷺ بالناس ، فلما سلّم أقبل على الناس فقال : إذا نسيتُم الصَّلَاةَ فصلُّوها إذا ذكرتُموها ، فإنَّ الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ .

وكان رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، قد أعطى ابن لقيم العبسي حين

افتتح خيبر ، ما بها من دجاجة أو داجن^(١) ، وكان فتح خيبر في صفر ، فقال ابن لقيم العسبي في خيبر :

رُميت نطاة من النسبي بفيلق^(٢) شهباء ذات مناكب وفقار^(٣)
واستيقنت بالذل لما شيعت^(٤) ورجال أسلم وسطها وغفار^(٥)
صبحت بني عمرو بن زُرعة غدوة^(٦) والشق أظلم أهله بنهار^(٧)
جرت بأبطحها الذبول فلم تدع^(٨) إلا الدجاج تصيح في الأسحار^(٩)
ولكل حصن شاغل من خيلهم^(١٠) من عبد أشهل أو بني النجار^(١١)
ومهاجرين قد أعلموا سيماهم^(١٢) فوق المغافر لم يتوا لفرار^(١٣)
ولقد علمت ليغلين محمد^(١٤) وليثوين بها الى أصفار^(١٥)
فرت يهود يوم ذلك في الوغى^(١٦) تحت العجاج غمام الأبرار^(١٧)

قدوم جعفر بن ابي طالب إلى الحبشة

وحديث المهاجرين إلى الحبشة

قال ابن هشام

عن الشعبي : أن جعفر بن ابي طالب قدِم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر ، فقبل رسول الله ﷺ بين عينيه والتزمه وقال : ما أدري بأيهما أنا أسر ، بفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر ؟

-
- (١) الداجن : ما يَألف بيوت الناس ، كالشاة والحمامة .
(٢) نطاة : حصن بخيبر . الفيلق : الكتيبة . الشهباء : البيضاء ، الكثيرة السلاح .
(٣) شيعت : فرقت . أسلم وغفار : قبيلتان .
(٤) الشق : حصن بخيبر .
(٥) الأبطح : المكان السهل .
(٦) قبيلتان من الأنصار وفي البيت إقواء .
(٧) المعمر : ما يكون على الرأس وقاية لها في الحرب .
(٨) ليثوين : لقيمن . أصفار : جمع صفر ، وهو اسم الشهر الذي فتحت فيه .
(٩) فرت : كشفت ، كما تفر الدابة عن أسنانها . وغمام الأبرار : أراد بها الجفون

قال ابن إسحاق :

وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ حتى بعث فيهم إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري ، فحملهم في سفينتين فقدم بهم عليه وهو بخير بعد الحديبية :

من بني هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب ، معه امرأته أسماء بنت عميس الخثعمية ، وابنه عبدالله بن جعفر ، وكانت ولدته بأرض الحبشة .

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ابن عبد شمس ، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد ، وابناه سعيد بن خالد ، وأمة بنت خالد ، ولدتهما بأرض الحبشة ؛ وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ؛ ومعيقب بن أبي فاطمة ، خازن عمر بن الخطاب على مال المسلمين ؛ وأبو موسى الأشعري .

ومن بني أسد عبد العزى : الأسود بن نوفل بن خويلد .

ومن بني عبد الدار بن قصي : جهم بن قيس .

ومن بني زهرة بن كلاب : عامر بن أبي وقاص ، وعتبة بن مسعود .

ومن بني تميم بن مر : الحارث بن خالد بن صخر .

ومن بني جُمح بن عمرو : عثمان بن ربيعة بن أهبان .

ومن بني سهم بن عمرو : محمية بن الجزء .

ومن بني عدي بن كعب : معمر بن عبدالله بن نضلة .

ومن بني عامر بن لؤي : أبو حاطب بن عمرو ، ومالك بن ربيعة .

ومن بني الحارث بن فهر بن مالك : الحارث به عبد قيس بن لقيط .

وقد كان حُمَل معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك هنالك من

المسلمين .

فهؤلاء الذين حمل النجاشي مع عمرو بن أمية الضمري في السفينتين .

فجميع من قدم في السفينتين إلى رسول الله ﷺ ستة عشر رجلا . وجميع من

تخلف عن بدر ولم يقدّم على رسول الله ﷺ مكة ومن قدم بعد ذلك ، ومن لم يحمل النجاشي في السفينتين أربعة وثلاثون رجلاً .

عمرة القضاء

في ذي القعدة سنة سبع

فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خير أقالم بها شهري ربيع وجماديين ، ورجبا وشعبان ، ورمضان وشوالا ، بيعت فيما بين ذلك من غزوه وسراياه .

ثم خرج في ذي القعدة في الشهر الذي صدّه فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء ، مكانَ عمرته التي صدّوه عنها ، وخرج معه المسلمون ممن كان صدّه معه في عمرته تلك ، وهي سنة سبع . فلما سمع به أهل مكة خرجوا ، وتحدثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه في عسرة وجهدٍ وشدة .

قال ابن عباس :

صَفُّوا له عند دار الندوة ، لينظروا إليه وإلى أصحابه ، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطجع بردائه^(١) وأخرج عضده اليمنى ثم قال : رحم الله امرأً أراه من اليوم من نفسه قوة ! ثم استلم الركن ، وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا واروه البيت منهم واستلم الركن اليماني ، مشى حتى يستلم الركن الأسود . ثم هروا كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرهما .

وعنه أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك وهو حرام . وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب .

فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً ، فأتاه حُوَيْطِب بن عبد العزى في نفرٍ من قريش ، في اليوم الثالث ، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله ﷺ

(١) اضطجع : أدخل رداءه من تحت إبطه الأيمن ، وجعل طرفه على منكبه الأيسر فبدأ بذلك أحد ضبعيه . والضبع يسكون الباء : وسط العضد بلحمه .

من مكة ، فقالوا له : إنه قد انقضى أجلك ^(١) فاخرج عنا . فقال النبي ﷺ : وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم وصنعت لكم طعاماً فحضرتموه ! قالوا : لا حاجة لنا في طعامك ، فاخرج عنا .

فخرج رسول الله ﷺ وخلف أبا رافع مولاه على ميمونة حتى أتاه بها بسرف ^(٢) فبنى رسول الله ﷺ هنالك ، ثم انصرف إلى المدينة .

قال ابن هشام : فأنزل الله عز وجل - فيما حدثني أبو عبيدة : ﴿ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ، فَبَجَلَّ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحاً قَرِيباً ۝ ﴾ .

غزوة مؤتة ^(٣)

في جمادى الأولى سنة ثمان

فأقام بها ^(٤) بقية ذي الحجة - وولى تلك الحجة المشركون - والمحرم وصفرأ وشهري ربيع . وبعث في جمادى الأولى بعثته إلى الشام ، الذين أصيبوا بمؤتة ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة على الناس .

فجهز الناس ثم تهيئوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم ، فلما ودع عبدالله بن رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله ﷺ بكى ، فقالوا له : ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بي حب الدنيا ، ولا صباة بكم ، ولكني سمعت رسول الله يقرأ آية من كتاب الله عز وجل ، يذكر فيها النار : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ

(١) أي الأجل الذي اتفق عليه في صلح الحديبية ، وهو ثلاثة أيام .

(٢) سرف : موضع قرب التنعيم .

(٣) مؤتة : قرية من أرض البلقاء بالشام .

(٤) أي بالمدينة .

إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿١﴾ ، فَلَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ لِي بِالصَّدْرِ
بعد الورود !

فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردكم إلينا صالحين !
فقال عبدالله بن رواحة :

لَسَكُنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذَاتَ قَرْعٍ تَقْذِفُ الزُّبْدَا (١)
أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيَّ حَرَّانَ مُجَهَّزَةً بِحَرْبَةٍ تَنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبْدَا (٢)
حَتَّى يَقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَّتِي أَرْشَدَهُ اللَّهُ مِنْ غَايٍ وَقَدْ رَشَدَا (٣)
ثم خرج القوم وخرج رسول الله ﷺ ، حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم
قال عبدالله بن رواحة

خَلَفَ السَّلَامُ عَلَى امْرِيٍّ وَدَعْتَهُ فِي النَّخْلِ خَيْرَ مَشِيعٍ وَخَلِيلٍ (٤)
ثم مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل
مآب من أرض البلقاء في ألف من الروم ، وانضم إليهم من لخم وجذام والقين
وبهراء وبلي مائة ألف منهم ، عليهم رجل من بلي ثم أحد إراشة ، يقال له
مالك بن رافلة ، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في
أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا ، فإما أن
يُمِدَّنَا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له .

فشجع الناس عبدالله بن رواحة وقال : يا قوم ، والله إن التي تكرهون
لتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة .
ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى
الحُسنيين : إما ظُهور ، وإما شهادة .
فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة .

(١) الفرج : السعة والريد : رغبة الدم .

(٢) مجهرة : سريعة القتل . تنفذها : تحرقها .

(٣) الحدث : القبر . ويروى : « يا أرشد الله » .

(٤) خلف السلام . أي كان السلام خلفا .

فمضى الناس حتى إذا كانوا بتُخوم^(١) البلقاء لقيتهم جموع هِرقل من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها : مَشَارِف ، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الناس عندها ، فتعباً لهم المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عُذرة يقال له قُطبة بن قَتادة ، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عَبَاية بن مالك .

ثم التقى الناس واقتتلوا ، فقاتلَ زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط^(٢) في رماح القوم .

ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا ألحمت القتال^(٣) اقتحم عن فرس له شقراء فعمرها^(٤) ، ثم قاتل القوم حتى قُتل وهو يقول :

يا حَبْذا الجنة واقتراؤها طيبة وبارداً شرابها
والرُّوم زومٌ قد دنا عذابها كافرةٌ بعيدةٌ أنسابها
عليّ إذ لاقيتها ضرابها

قال ابن هشام : وحدّثني من أثق به من أهل العلم : أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء يمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى قُتل . رضي الله عنه ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء . ويقال : إن رجلاً من الرُّوم ضربه يومئذ ضربة فقطعه بنصفين

قال ابن إسحاق :

فلما قتل جعفر أخذ عبدالله بن رواحة الراية ، ثم تقدّم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض الترّد ، ثم قال :
أقسمتُ يا نفسُ لتنزليّ لتنزليّ أو لا تُكرهني

(١) التخوم . الحدود الفاصلة بين أرض وأرض ، واحداً : تخم

(٢) شاط : سال دمه فهلك .

(٣) ألحمت القتال : نشب فيه فلم يجد مخلصاً .

(٤) اقتحم عنها : رمى بنفسه عنها . عمّرها . ضرب قوائمها بالسيف وهي تالفة .

إن أجلبَ الناسُ وشدُّوا الرِّثَّةَ^(١) مالي أراكِ تكرهين الجَنَّةَ
قد طال ما قد كنتِ مطمئنة هل أنتِ إلَّا نُطفةٌ في شَنَّةٍ^(٢)
وقال ايضاً :

يا نفسِ إلَّا تُقتلي تموتي هذا حِمَامُ الموتِ قد صليتِ
وما تمنيتِ فقد أعطيتِ أنْ تفعلي فِعْلَهُمَا هُديتِ

ثم نزل . فلما نزل أتاها ابنُ عمرَ له بَعْرُقٍ من لحم^(٣) فقال : شدِّ بهذا صُلبَكَ ،
فإنَّكَ قد لقيتَ في أيامِكَ هذه ما لقيتِ ! فأخذه من يده ثم انتَهَسَ منه نَهْسَةً^(٤)
ثم سمع الحَطْمَةَ^(٥) في ناحية الناس فقال : وأنتِ في الدنيا ! ! ثم ألقاه من
يده ثم أخذ سيفه فتقدَّم ، فقاتلَ حتَّى قُتِلَ .

ثم أخذ الرايةَ ثابت بن أقرم ، أخو بني العَجْلان ، فقال : يا معشر
المسلمين اصطليحوا على رجلٍ منكم . قالوا : أنت . قال : ما أنا بفاعل .
فاصطليح الناس على خالد بن الوليد . فلما أخذ الراية دافع القومَ وحاشى بهم^(٦)
ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس .

ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ فيما بلغني : أخذ الراية زيد بن
حارثة فقاتل بها حتَّى قُتِلَ شهيداً ، ثم أخذها جعفرُ فقاتلَ بها حتَّى قُتِلَ شهيداً .
ثم صمَّت رسول الله ﷺ حتَّى تغيَّرت وجوه الأنصار ، وظنُّوا أنَّه قد كان
في عبدالله بن رواحة بعضُ ما يكرهون . ثم قال : « ثم أخذها عبدالله بن رواحة
فقاتلَ بها حتَّى قُتِلَ شهيداً » . ثم قال : « لقد رُفِعوا إليَّ في الجنة فيما يرى النائم

(١) أجلبوا : صاحوا واجتمعوا . الرنة : صوت فيه ترجيع شبيه بالبكاء .

(٢) النطفة : الماء القليل الصافي . الشنة : السقاء البالي .

(٣) العروق : بالفتح : العظم عليه بعض اللحم .

(٤) انتَهَسَ : أخذ منه بفمه يسيراً .

(٥) الحطمة : زحام الناس وحطم بعضهم بعضاً .

(٦) حاشى بهم : انحاز .

على سُرُرٍ من ذهب ، قرأيت في سرير عبدالله بن رواحة ازوراراً^(١) عن سريري صاحبيه ، فقلت : عمّ هذا ؟ فقيل لي : مضياً ، وتردّد عبدالله بعض التردّد ثم مضى .

فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلاً .

ولما دنوا من المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون ، ولقيهم الصبيان يشددون^(٢) ، ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر . فأتي بعبدالله بن جعفر فأخذه فحمله بين يديه .

وجعل الناس يحثّون على الجيش التراب ويقولون : يا قرار ! فررت في سبيل الله !

فيقول رسول الله ﷺ : ليسوا بالقرار ، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى .

وكان ممّا بُكي به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله ﷺ قول حسان بن ثابت :

تأوَّبني ليلٌ بيثربَ أعسرُ	وهم إذا ما نَوْمُ الناسُ مُسهرُ ^(٣)
لذكرى حبيبٍ هيَّجست لي عبْرَةً	سَفوحاً وأسبابُ البكاءِ التذكُرُ ^(٤)
بلى ، إنّ فِقدانَ الحبيبِ بليّةٌ	وكم من كريمٍ يُبتلى ثم يصبر ^(٥)
رأيتُ خيارَ المسلمين تواردوا	شعوبَ وخلفاً بعدهم يتأخّرُ
فلا يُبعدنَّ الله قتلى تتابعوا	بمؤتةٍ منهم ذو الجناحين جعفرُ
وزيدٌ وعبدالله حين تتابعوا	جميعاً وأسبابُ المنية تخطرُ ^(٦)

(١) ازورارا : ميلا وعوجا .

(٢) يشددون : يسرعون في العدو .

(٣) تأوَّبني : عادني . أعسر : عسير . نَوْمُ الناس : ناموا .

(٤) سفوح : سائلة غريرة .

(٥) ويروى : « بلاء وفقدان » .

(٦) تخطر : أصل معناه تختال وتهتر .

غداة مَضُوا بالمؤمنين يقودهم
أغر كضوء البدر من آل هاشم
فطاعن حتى مال غير مؤسّد
فصار مع المستشهدين ، ثوابه
وكنّا نرى في جعفر من محمد
فما زال في الإسلام من آل هاشم
همُ جبلُ الإسلام والناسُ حولهم
بَهَائِلُ منهم جعفرُ وابنُ أمّه
وحمزةُ والعبّاسُ منهم ومنهم
بهم تُفرّج الأواء في كل مازق
همُ أولياء الله أنزل حكمه
إلى الموت ميمونُ النقية أزهَرُ
أبيُّ إذا سيمَ الظّلامةُ مجسّرُ^(١)
بمعترك فيه قنأ مُتَكسّرُ^(٢)
جنانٌ وملنفُ الحقائق أخضر
وفاءٌ وأمرأ حازماً حين يأمر
دعائم عزٍّ لا يزُلنَ ومفخر
رِضامٌ إلى طودٍ يروق ويهر^(٣)
عليٌّ ومنهم أحمدُ المتخير^(٤)
عَقِيلٌ وماء العود من حيث يعصر^(٥)
عمّاس إذا ماضاق بالناس مصدر^(٦)
عليهم وفيهم ذا الكتابُ المطهر

فتح مكة

في شهر رمضان سنة ثمان

ثم أقام رسول الله ﷺ بعد بَعثِهِ إلى مؤتة ، جمادى الآخرة ورجبا .
ثم إن بني بكر بن عبد مناة بن كنانة عَدَتْ على خزاعة ، وكان الذي هاج
ما بين بكرٍ وخزاعة أن رجلاً من بني الحضرمي ، واسمه مالك بن عباد -
وحليف الحضرمي يومئذ إلى الأسود بن رَزْن - خرج تاجراً ، فلما توسَّط

(١) ميمون النقية : مسعود الجد . أزهَر : أبيض .

(٢) سيم الظّلامة : حمل على قبول الظلم . المجسر : المقدام الجسور .

(٣) المعترك : موضع الحرب .

(٤) الرضام : الحجارة . الطود : الجبل . يروق : يعلو .

(٥) البهلول : السيد الوضي الوجه .

(٦) يعصر : يخطر .

(٧) الأواء : الشدة . العمّاس : المظلم . يريد الظلام من كثرة النقع المثار في الحرب .

أَرْضَ خَزَاعَةَ عَدَوْا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا مَالَهُ ، فَعَدَّتْ بَنُو بَكْرٍ عَلَى رَجُلٍ مِنْ خَزَاعَةَ فَقَتَلُوهُ ، فَعَدَّتْ خَزَاعَةُ قَبِيلَ الْإِسْلَامِ عَلَى بَنِي الْأَسُودِ بْنِ رَزْنٍ الدِّيلِيِّ : سلمى ، وكلثوم ، وذؤيب ، فقتلوه عند أنصاب الحرم^(١) .

فبينما بنو بكر وخزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به . فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين قريش ، كان فيما شرطوا لرسول الله ﷺ وشرط لهم : أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه . فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده .

فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الدليل من بني بكر ، من خزاعة ، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم بني الأسود بن رزن فخرج نوفل بن معاوية الديلي ، في بني الدليل ، وهو يومئذ قائدهم ، وليس كل بني بكر تابعه ، حتى بيّت خزاعة وهم على الوتير : ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلاً ، وتحاوزوا^(٢) واقتتلوا ، ورفدت بني بكر قريش بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً ، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم ، فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر : يا نوفل ، إنا قد دخلنا الحرم ، إلهك إلهك ! فقال كلمة عظيمة : لا إله له اليوم^(٣) ! يا بني بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمري إنكم لتسرقون^(٤) في الحرم ، أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟ !

وقد أصابوا منهم ليلة يئتهم بالوتير رجلاً يقال له « منبه » ، وكان منبه

(١) أنصاب الحرم : حجارة تجعل علامة بين الحل والحرم .

(٢) تحاوزوا ، يعني انحاز كل منهم إلى قبيلة .

(٣) أي لا إله لنوفل ، نطق بها كفراً .

(٤) ويروى : « لتسرفون » بالفاء .

رجلاً مفثوداً^(١) ، خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد ، فقال له منبه : يا تميم ، انج بنفسك ، فأما أنا فوالله إني لميت ، قتلوني أو تركوني ، لقد انبت فؤادي^(٢) !

وانطلق تميم فأفلت ، وأدركوا منبه فقتلوه .
فلما دخلت خزاعة مكة لجثوا إلى دار بُديل بن ورقاء ، ودار مولى لهم يقال له رافع .

فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق ، بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عهده وعقده ، خرج عمرو بن سالم الخزاعي ثم أحد بني كعب ، حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة ، وكان ذلك مما هاج فتح مكة ، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهرائي الناس ، فقال :

يا رب إني ناشد محمداً	حلف أئينا وأبيه الأتلدا ^(٣)
قد كنتم ولداً وكثنا والدا	ثمست أسلمنا فلم نترع يدا
فانصر هداك الله نصراً أعتدا ^(٤)	وادعُ عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا	إن سيم خسفاً وجهه تربدا ^(٥)
في قَيْلَى كالبحر يجري مزبدا	إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضو ميثاقك المؤكدا	وجعلوا لي في كداء رصدا ^(٦)
وزعموا أن لست أدعو أحدا	وهم أذل وأقل عددا
هم يئسونا بالوتير هجدا	وقتلونا ركعاً وسجدا

(١) المفثود : الضعيف الفؤاد .

(٢) انبت ابتاتا : انقطع .

(٣) ناشد : طالب ومذكر . الأتلد : القديم .

(٤) أعتد ، من العتيد ، وهو الحاضر .

(٥) سيم الخسف : كلف الذل تريد : تغير إلى السواد .

(٦) كداء : موضع بأعلى مكة . رصدا : جمع راصد ، وهو المرتقب .

فقال رسول الله ﷺ : نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم !
ثم عَرَضَ لرسول الله ﷺ عَنانٌ^(١) من السماء فقال : إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةُ
لَتَسْتَهْلُ بِنَصْرِ بَنِي كَعْب .

ثم خرج بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي نَفَرٍ مِنْ خِزَاعَةَ حَتَّى قَدَمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ الْمَدِينَةَ ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَا أَصِيبَ مِنْهُمْ ، وَبِمُظَاهَرَةِ قَرِيشِ بْنِ بَكْرٍ عَلَيْهِمْ ،
ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ إِلَى مَكَّةَ . وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنَّاسِ : كَأَنكُمْ بَأَبِي
سَفْيَانَ قَدْ جَاءَ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ .

وَمَضَى بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ وَأَصْحَابُهُ ، حَتَّى لَقُوا أَبَا سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بِعُسْفَانَ^(٢) ،
قَدْ بَعَثَهُ قَرِيشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ ، وَقَدْ رَهَبُوا
الَّذِي صَنَعُوا . فَلَمَّا لَقِيَ أَبُو سَفْيَانَ بُدَيْلَ بْنَ وَرْقَاءَ قَالَ : مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا
بُدَيْلُ ؟ وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . قَالَ : تَسَيَّرْتُ فِي خِزَاعَةَ فِي هَذَا
السَّاحِلِ وَفِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي . قَالَ : أَوْ مَا جِئْتَ مُحَمَّداً ؟ قَالَ : لَا . فَلَمَّا
رَاحَ بُدَيْلٌ إِلَى مَكَّةَ قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : لَئِنْ جَاءَ بُدَيْلُ الْمَدِينَةَ لَقَدْ عَلَفَ بِهَا النَّوَى !
فَأَتَى مَبْرَكَ رَاحِلَتِهِ فَأَخَذَ مِنْ بَعْرِهَا فَفَتَّهَ فَوَجَدَ فِيهِ النَّوَى ، فَقَالَ : أَحْلَفَ بِاللَّهِ
لَقَدْ جَاءَ بِدَيْلٌ مُحَمَّداً !

ثُمَّ خَرَجَ أَبُو سَفْيَانَ حَتَّى قَدَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلَ عَلَى
ابْنَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سَفْيَانَ ، فَلَمَّا جَلَسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَوَتْهُ
عَنْهُ فَقَالَ : يَا بُنَيَّةُ ، مَا أَدْرِي ، أَرُغِبْتَ بِي عَنْ هَذَا الْفِرَاشِ ، أَمْ رُغِبْتَ بِهِ
عَنِّي ؟ قَالَتْ : بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَنْتَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ نَجَسٌ ،
وَلَمْ أَحِبَّ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَكَ
يَا بُنَيَّةُ بَعْدِي شَرٌّ !

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ فَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ شَيْئاً ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى

(١) العنان : السحاب .

(٢) عسفان : موضع على مرحلتين من مكة .

أبي بكر فكلمه أن يكلمه له رسول الله ﷺ فقال : ما أنا بناعل !
ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ ،
فوالله لو لم أجد إلا الدّر^(١) لجاهدتكم به !

ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها ، وعندها حسن بن علي غلام يدب بين يديها ، فقال : يا علي ، إنك أمس القوم بي رحماً ، وإني قد جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت خائفاً ، فاشفع لي إلى رسول الله . فقال : ويحك يا أبا سفيان ! والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : يا ابنة محمد ، هل لك أن تأمريني بنبك هذا فيجبر بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما بلغ بئي ذلك : أن يجبر بين الناس ، وما يجبر أحد على رسول الله ﷺ .

قال : يا أبا الحسن ، إني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحني . قال : والله ما أعلم لك شيئاً يُغني عنك شيئاً ، ولكنك سيد بني كنانة . فقم فأجز بين الناس ، ثم الحق بأرضك . قال : أو ترى ذلك مُغنياً عني شيئاً ؟ قال : لا والله ما أظن ، ولكني لا أجد لك غير ذلك .

فقام أبو سفيان في المسجد فقال : أيها الناس ، إني قد أجرت بين الناس . ثم ركب بعيره فانطلق ، فلما قدم على قريش قالوا : ما وراءك ؟

قال : جئت محمداً فكلمته ، فوالله ما رد علي شيئاً ؛ ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيراً ، ثم جئت ابن الخطأب فوجدته أدنى العدو ، ثم جئت عليا فوجدته ألين القوم ، وقد أشار علي بشيء صنعته ، فوالله ما أدري هل يُغني ذلك شيئاً أم لا ؟

قالوا : وبم أمرك ؟ قال : أمرني أن أجبر بين الناس ، ففعلت . قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا . قالوا : ويلك ! والله إن زاد الرجل

(١) الدّر : صغار النمل .

على أن لعب بك ، فما يُغني عنك ما قلت ؟ ! قال : لا والله ما وجدتُ غير ذلك .

وأمر رسول الله ﷺ بالجهاز ، وأمر أهله أن يجهّزوه ، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها وهي تحرك بعض جهاز رسول الله ﷺ ، فقال : أي بُنية ، أأمركم رسول الله ﷺ أن يجهّزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهّز . قال : فأين تريته يُريد ؟ قالت : لا والله ما أدري .

ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجدّ والتهيؤ ، وقال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها ^(١) في بلادها » . فتجهّز الناس .

ولما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة كتب حاطبُ بن أبي بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة ، وجعل لها جُعلاً على أن تبغّه قريشاً ، فجعلته في رأسها ثم قتلت عليه قرونها ^(٢) ثم خرجت به

وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث عليّ ابن أبي طالب والزيير بن العوام رضي الله عنهما ، فقال : أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتابٍ إلى قريش يُحدّثهم ما أجمعنا له في أمرهم .

فخرجا حتى أدركاها بالخلِيقَة ، خَلِيقَة بني أبي أحمد ، فاستنزلاها ، فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيئا ، فقال لها علي بن أبي طالب : إني أحلف بالله ما كُذِبَ رسولُ الله ﷺ ولا كُذِّبنا ، ولتُخرجنّا لنا هذا الكتابَ أو لنكشفنّك ! فلما رأت الجدّ منه قالت : أعرض . فأعرضَ فحلّت قرونها ، فاستخرجت الكتابَ منها ، فدفعته إليه فأتى به رسول الله ﷺ .

(١) نبغتها ، أي نفجوها .

(٢) القرون : الضفائر .

فدعا رسول الله ﷺ حاطبا فقال : يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟ فقال : أمّا والله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيّرت ولا بدّلت ، ولكي كنت امرأ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليه . فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دعني فلاضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق ! فقال رسول الله ﷺ : وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد أطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

فأنزل الله تعالى في حاطب : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ﴾ إلى قوله : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ، وبدآ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ إلى آخر القصة .

ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره ، واستخلف على المدينة أبا رهم الغفاري ، وخرج لعشر مضي من رمضان ، فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه ، حتى إذا كانوا بالكديد ، بين عسفان وأمج ، أفطر .

ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ، فسبعت سليم ، وبعضهم يقول : آلفت^(١) سليم وآلفت مزيعة ، وفي كل القبائل عدد وإسلام . وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار لم يتخلف عنه منهم أحد .

فلما نزل رسول الله ﷺ مر الظهران وقد عُميت الأخبار عن قريش فلم يأتهم خبر عن رسول الله ﷺ ، ولا يدرون ما هو فاعل . وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبديل

(١) سبعت : بلغت سبعمائة • وآلفت : بلغت ألفا .

بن ورقاء ، يتحسسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به .
وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله ببعض الطريق ، وقد كان
أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة
قد لقيا رسول الله ﷺ أيضاً بين العقاب ، فيما بين مكة والمدينة ، فالتمسا
الدخول عليه ، فكلّمته أم سلمة فيهما ، فقالت : يا رسول الله ، ابن عمك
وابن عمّك وصهرك . قال : لا حاجة لي بهما ، أما ابن عمي فهتّك عِرْضي ،
وأما ابن عمّتي وصهري فهو الذي قال بمكة ما قال .

فلما خرج الخبر إليهما بذلك ، ومع أبي سفيان بُنيُّ له ، فقال : والله
ليأذن لي أو لأخذن بُنيّ هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت جوعاً وعطشاً !
فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رقى لهما ، ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما ،
وأنشد أبو سفيان بن الحارث قوله في إسلامه . واعتذر إليه مما كان مضى منه ،
فقال :

لعمرك إني يوم أحملُ رايةً	لتغلب خيلُ السلات خيلَ محمد ^(١)
لكالمدلج الحسير ان أظلم ليله	فهذا أواني حين أهدى واهتدي ^(٢)
هدى بي هادٍ غير نفسي ونالني	مع الله من طردت كل مطردٍ
أصدُّ وأناى جاهداً عن محمد	وأدعى وإن لم أنتسب من محمد ^(٣)
هم ما هم من لم يقتل بهوهم	وإن كان ذا رأيٍ يلم ويقتل ^(٤)
أريد لأرضيهم ولست بلائط	مع القوم ما لم أهد في كل مقعد ^(٥)
فقل لثقيف لا أريد قتالها	وقل لثقيف تلك غيري أو عدي ^(٦)

(١) أحمل راية : أي أقود الناس للحرب . خيل اللات : يعني جيوش الكفر والوثنية .

(٢) المدلج : الذي يسير ليلاً .

(٣) أنى : أبعد .

(٤) يصد : يكذب .

(٥) لائط : ملصق .

(٦) أو عدي . من الإبعاد .

فما كنتُ في الجيش الذي نالَ عامِراً وما كانَ عن جَرَّالسَّاني ولا يدي^(١)
قبائل جاءت من بلاد بعيـدة نرائعَ جاءت من سَهَامٍ وسُرَدَدَ^(٢)

فزعـموا أنه حين أنشد رسولَ الله ﷺ قوله : « ونالني مع الله من
طُرَدَت كلَّ مطرَد » ضربَ رسولُ الله ﷺ في صدره وقال : أنت طُرَدَتني
كل مطرَد !

فلما نزل رسولُ الله ﷺ مرَّ الظَّهران قال العباس بن عبد المطلب :
واصبحَ قريش ! والله لئن دخل رسولُ الله ﷺ مَكَّةَ عنوةً قَبْلَ أن يأتوه
فيستأمنوه إثمَ هلاكِ قريش إلى آخر الدهر !

قال العباس : فجلستُ على بغلة رسول الله ﷺ : البيضاء ، فخرجت
عليها حتى جئت الأراك ، فقلت : لعلي أجد بعض الحطابة ، أو صاحب لبن ،
أو ذا حاجة ، يأتي مَكَّةَ فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ، ليخرجوا إليه
فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوةً .

قال : فوالله إني لأسيرُ عليها وألتمس ما خرجتُ له إذ سمعتُ كلام أبي
سفيان وبُديل بن ورقاء وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة
نيراناً قط ولا عسكراً . ويقول بُديل : هذه والله خُزاعة حَمَشَتها الحرب^(٣) !
ويقول أبو سفيان : خُزاعة أذلُّ وأقلُّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكراها !
قال : فعرفت صوته فقلت : يا أبا حنظلة ! فعرفَ صوتي فقال : أبو
الفضل ؟ قلت : نعم . قال : مالك فذاك أبي وأمي ؟ قلتُ : ويحك يا أبا
سفيان ! هذا رسولُ الله ﷺ في الناس ، واصْبَاحَ قريش والله ! قال :
فما الحيلة ، فذاك أبي وأمي ؟ قلتُ : والله لئن ظفر بك ليضربنَّ عنقك ،
فأركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسولَ الله ﷺ ، فأستأمنه لك .

(١) عن جراً : أي من جراء ذلك .

(٢) سهام وسردد : موضعان في بلاد عك .

(٣) حمشتها الحرب : أحرقتها وعليت بنارها .

فركبَ خلفي ورجع صاحباه . فجئت به كلَّما مررتُ بنارٍ من نيران المسلمين قالوا : مَنْ هذا ؟ فإذا رأوا بغلةَ رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا : عمُّ رسول الله ﷺ على بغلته .

حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : من هذا ؟ وقام إليَّ . فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد .

ثم خرج يشتدُّ نحو رسول الله ﷺ ، وركضتُ البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء . فاقتحمتُ عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ ، ودخل عليه عمر فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد ، فدعني فلاضربُ عنقه .

قلتُ : يا رسول الله ، أني قد أجرتَه ! ثم جلستُ إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه فقلت : والله لا ينجيه الليلة دوني رجل ! فلما أكررُ عمرُ في شأنه قلت : مهلاً يا عمر ، فوالله أن لو كان من بني عدي بن كعب ما قلتَ هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف . فقال : مهلاً يا عباس ، فلا سلامك يومَ أسلمتَ كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطاب لو أسلم . فقال رسول الله ﷺ : اذهب به يا عباسُ إلى رحلك ، فإذا أصبحتَ فاتني به .

فذهبتُ به إلى رحلي فبات عندي ، فلما أصبحَ غدوتُ به إلى رسول الله ﷺ قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأنَ لك ^(١) أن تعلم أنَّه لا إله إلا الله ؟ قال : بأبي أنت وأمي . ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعدُ ! قال : ويحك يا أبا سفيان ألم يأنَ لك أن تعلم أني رسول الله ؟ قال : بأبي أنت وأمي ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أمّا هذه والله فإنَّ في النفس منها حتى الآن شيئاً !

(١) ألم يأنَ لك : أي ألم يحن لك .

فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله ، قبل أن تُضرب عنقك .

قال : فشهد شهادة الحق فأسلم .

قال العباس : قلتُ يا رسول الله ، إنَّ أبا سفيانَ رجلٌ يحبُّ هذا الفخرَ فاجعلْ له شيئاً . قال : « نَعَمْ » ، مَنْ دَخَلَ دارَ أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن .

فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ : يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل ^(١) حتَّى تمرَّ به جنودُ الله فيراها .

قال : فخرجتُ حتَّى حبسْتُهُ بمضيق الوادي حيث أمرني رسولُ الله ﷺ أن أحبسه .

ومرَّت القبائل على راياتها ، كلما مرَّت قبيلة قال : يا عباس ، من هذه ؟ فأقول : سليم . فيقول : مالي ولسليم . ثم تمرُّ القبيلة فيقول : يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مزيّنة . فيقول : مالي ولمزيّنة . حتّى نفذت القبائل ، ما تمرُّ به قبيلةٌ إلّا يسألني عنها ، فإذا أخبرته بهم قال : مالي ولبني فلان ، حتّى مرَّ به رسول الله ﷺ في كتيبته « الخضراء » ^(٢) ، فيها المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم ، لا يُرى منهم إلا الحدّاق من الحديد ، فقال : سبحان الله يا عباس ، مَنْ هؤلاء ؟ قلت : هذا رسولُ الله ﷺ في المهاجرين والأنصار . قال : ما لأحدٍ بهؤلاء قَبْل ولا طاقة ! والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلك ابنِ أخيك الغداة عظيماً ! ! قلت : يا أبا سفيان ، إنّها النبوة . قال : فنعم إذن . قلت : النّجاء ^(٣) إلى قومك !

حتّى إذا جاءهم صرخَ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا محمدٌ قد جاءكم فيما لا قَبْل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن !

(١) خطم الجبل : أنف يخرج منه يضيق به طريق .

(٢) ابن هشام : إنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

(٣) النّجاء : الإسراع .

فقامت إليه هند بنت عتبة . فأخذت بشاربه فقالت : اقتلوا الحَمِيَّت
الدَّسَمَ الأَحْمَسَ ^(١) . قُبَّحَ من طليعة القوم ^(٢) !

قال . ويلكم . لا تغرَّكُم هذه من أنفسكم . فإنَّه قد جاءكم ما لا قِبَل
لكم به . فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن !
قالوا : قاتلك الله . وما تُغني عنا دارك ؟

قال : ومن أغلق عليه بابَه فهو آمن . ومن دخل المسجد فهو آمن !
فتفرق الناس إلى دُورهم وإلى المسجد .

عن عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذي طُوى
وقف على راحلته معتجراً ^(٣) بشُقَّة بُرد حَبْرَةٍ ^(٤) حمراء . وإن رسول الله ﷺ
ليضع رأسَه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح . حتى إنَّ عُثُونَه
ليكاد يمسُّ واسطة الرجل .

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت :

لما وقف رسول الله ﷺ بذي طُوى قال أبو قحافة لابنَه من أصغر
ولده : أيُّ بِنَةٍ ، اظهري بي على أبي قُبَيْس ^(٥) - وقد كُفَّ بصره - فأشرقتُ
به عليه فقال : أيُّ بِنَةٍ ماذا تريسن ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً . قال :
تلك الخيل . قالت : وأرى رجلاً يسعى بين يديّ ذلك مُقبلاً ومدبراً . قال :
أيُّ بِنَةٍ . ذلك الوازع - يعني الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها - ثم قالت : قد
والله انتشر السَّواد . فقال : قد والله إذن دُفعت الخيل . فأسرعي بي إلى بيتي .
فانحطَّت به ، وتلقاه الخيلُ قبل أن يصلَ إلى بيته . وفي عنق الجارية
طويقٌ من وَرَقٍ ^(٦) . فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها .

(١) الحَمِيَّت : زق السنن الدَّسَم : الكثير الودك . الأَحْمَس : الشايد اللحم . شبهته بالزق لضحمته وسمته

(٢) الطليعة : الذي يحرس القوم .

(٣) الاعتجار : التعمم بغير ذؤابة

(٤) الشُقَّة : النصف . والحبرة : ضرب من برود اليمن .

(٥) اظهري بي : اصعدي . أبو قُبَيْس : جبل بمكة .

(٦) الطويق : القلادة . الورق : الفضة .

قالت : فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : هلاً تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه ؟ ! قال أبو بكر : يا رسول الله ، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت .

فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ثم قال له : أسلم . فأسلم .
فدخل به أبو بكر وكان رأسه ثغامة^(١) فقال رسول الله ﷺ : غيروا هذا من شعره :

ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته وقال : أنشد الله والإسلام طوقَ أختي ! فلم يجبه أحد ، فقال : أي أختي ، احتسبي طوقك فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل !

* * *

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وحنين والطائف : شعار المهاجرين : يا بني عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يا بني عبد الله ، وشعار الأوس : يا بني عبيد الله .

وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة ألا يقاتلوا ، إلا أنه قد عهد في نفر ستمهم ، أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد أخو عامر بن لؤي . وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله لأنه كان أسلم وكان يكتبه لرسول الله ﷺ الوحي ، فارتدَّ مشركاً راجعاً إلى قريش ، ففرَّ إلى عثمان بن عفان ، وكان أخاه للرضاعة ، فغيبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أن أطمأنَّ الناس وأهل مكة ، فاستأمن له . فزعموا أن رسول الله ﷺ صمت طويلاً ثم قال : نعم . فلما انصرف عنه عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله من أصحابه : لقد صمتُ ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه . فقال رجل من الأنصار :

(١) الثغامة : واحدة الثغام ، نبت أشد ما يكون بياضاً إذا أمحل ، يشبهون به الشيب .

فهلأ أو مات إلي يا رسول الله ؟ قال : إنَّ النبي لا يقتل بالإشارة (١) .
و« عبدالله بن خَطَل » : رجل من بني تيم بن غالب . إنما أمر بقتله أنه
كان مُسْلِماً ، فبعثه رسول الله ﷺ مصدقاً (٢) وبعث معه رجلاً وكان معه مولى
له يخدمه ، وكان مسلماً ، فنزل منزلاً وأمر المولى أن يذبح له تيساً فيصنع
طعاماً ، فنام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً . فغدا عليه فقتله ثم ارتدَّ مشركاً .
وكانت له قينتان : قرنتى وصاحبتهما ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله
ﷺ ، فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما معه .
و« الحويرث بن نُقيذ » وكان ممن يؤذيه بمكة .
و« مقيس بن صُبابَة (٣) » : وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله لقتل الأنصاري
الذي كان قد قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى قريش مشركاً .
و« سارة » : مولاة لبني عبد المطلب .
و« عكرمة بن أبي جهل » .
وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة .
فأما عكرمة فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث
ابن هشام ، فاستأمنت له من رسول الله ﷺ فأمنه ، فخرجت في طلبه
إلى اليمن حتى أتت به رسول الله ﷺ ، فأسلم .
وأما عبدالله بن خَطَل فقتله سعيد بن حريث المخزومي ، وأبو بَرزّة
الأسلمي ، اشتركا في دمه .
وأما مقيس بن صُبابَة فقتله نُميلة بن عبدالله ، رجل من قومه ، فقالت
أخت مقيس في قتله :

لعمري لقد أخزى نُميلة رهطه وفجع أضياف الشتاء بمقيس
فلله عينا من رأى مثل مقيس إذا النفساء أصبحت لم تُخرس (٤)

(١) قال ابن هشام : ثم أسلم بعد ولادته عمر بن الخطاب بعض أعماله ، ثم ولده عثمان بن عفان بعد عمر ، .
(٢) المصدق : جامع الصدقات ، وهي الزكوات .
(٣) انظر جمهرة أنساب العرب ١٨٢ .
(٤) لم تخرس : لم يصنع لها طعام الولادة ، واسمه الخرس والخرسة ، بضم الخاء . أرادت شدة الزمان .

وَأَمَّا قَيْنَتَا ابْنِ خُطَلٍ فَقَتَلَتْ إِحْدَاهُمَا ، وَهَرَبَتِ الْآخَرَى حَتَّى اسْتَوَيْنَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ ، فَأَمَّنَهَا .

وَأَمَّا سَارَةُ فَاسْتَوَيْنَ لَهَا فَأَمَّنَهَا ، ثُمَّ بَقِيَتْ حَتَّى أَوْطَأَهَا رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ فَرَسًا ، فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، بِالْأَبْطَحِ فَقَتَلَهَا .
وَأَمَّا الْحَوِيرِثُ بْنُ نُقَيْدٍ فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ بِهِ أَبِي طَالِبٍ .

»

عَنْ أُمِّ هَانِيَةَ ابْنَةِ أَبِي طَالِبٍ قَالَتْ :
لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَعْلَى مَكَّةَ قَرَّ إِلَيَّ رَجُلَانِ مِنْ أَحْمَانِيٍّ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ - وَكَانَتِ عِنْدَ هَبِيرَةَ بْنِ أَبِي وَهَبٍ الْمَخْزُومِيِّ - قَالَتْ : فَدَخَلَ عَلَيَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَخِي فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا قَتْلَئِهِمَا ! فَأَغْلَقْتُ عَلَيْهِمَا بَابَ بَيْتِي ، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ مِنْ جَفْنَةٍ إِنَّ فِيهَا لِأَثَرَ الْعَجِينِ ، وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتَرُهُ بِثَوْبِهِ ، فَلَمَّا اغْتَسَلَ أَخَذَ ثَوْبَهُ فَتَوَشَّحَ ثُمَّ صَلَّى ثَمَانِيَّ رَكَعَاتٍ مِنَ الضُّحَى ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيَّ فَقَالَ : مَرْحَبًا وَأَهْلًا يَا أُمُّ هَانِيَّةُ ، مَا جَاءَ بِكَ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ وَخَيْرِ عَلِيٍّ . فَقَالَ : قَدْ أَجَرْنَا مِنْ أَجْرٍ ، وَأَمَّا مَنْ أَمَّنْتَ ، فَلَا يَقْتُلُهُمَا !

عَنْ صَفِيَّةِ بِنْتِ شَيْبَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا نَزَلَ مَكَّةَ وَاطْمَأَنَّ النَّاسُ خَرَجَ حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ فَطَافَ بِهِ سَبْعًا عَلَى رَاِحِلَتِهِ يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنِ^(١) فِي يَدِهِ . فَلَمَّا قَضَى طَوَافَهُ ، دَعَا عِثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ ، فَفُتِحَتْ لَهُ فَدَخَلَهَا ، فَوَجَدَ فِيهَا حَمَامَةً مِنْ عِيدَانٍ ، فَكَسَرَهَا بِيَدِهِ ثُمَّ طَرَحَهَا ، ثُمَّ وَقَفَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ وَقَدْ اسْتَكْفَى لَهُ النَّاسُ^(٢) فِي الْمَسْجِدِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ :

فَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ : صَدَقَ وَعْدُهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ

(١) المِحْجَنُ : عَوْدٌ مَعْوَجُ الطَّرْفِ ، يُمْسِكُهُ الرَّائِكِبُ لِلْبُعِيرِ فِي يَدِهِ .

(٢) اسْتَكْفَوْا : اسْتَجْمَعُوا .

الأحزابَ وحده . الأكلُ ماثرةٌ أو دم أو مالٍ يُدَّعى فهو تحت قدميَّ هاتين ،
إلا سدانة البيت ^(١) وسقاية الحاج .

ألاً وقتيل الخطأ شبه العمد بالسُّوط والعصا ، ففيه الدية مغلظةً ، مائة من
الإبل ، أربعون منها في بطونها أولادها .

يا معشر قريش ، إنَّ الله قد أذهبَ عنكم نخوةَ الجاهلية وتعظُّمَها بالآباء .
الناس من آدم ، وآدمُ من تراب .

ثم تلا هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .

ثم قال : يا معشر قريش ، ما ترون أُنِي فاعلُ فيكم ؟ قالوا : خيراً ،
أخُ كريم وابنُ أخٍ كريم .
قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ثم جلس رسولُ الله ﷺ في المسجد ، فقام إليه عليُّ بن أبي طالب ومفتاح
الكعبة في يده ، فقال : يا رسولَ الله ، اجتمعَ لنا الحِجَابَةُ مع السَّقَايَةِ صَلَّى
اللهُ عليك . فقال رسول الله ﷺ : أين عثمانُ بن طلحة ؟ فدعي له . فقال :
هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يومُ برٍّ ووفاء .

قال هشام : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل البيتَ
يومَ الفتح ، فرأى صُورَ الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم عليه السلام مُصَوَّراً
في يده الأُزْلَامَ يَسْتَقْسِمُ بها . فقال : قَاتِلْهُمْ الله ! جعلوا شيخنا يَسْتَقْسِمُ بالأُزْلَامِ ^(٢) !
ما شأن إبراهيم والأُزْلَامَ ! ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ، وَلَكِنْ كَانَ
حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

ثم أمر بتلك الصُّور كُلِّهَا فطمست .

وأنَّ رسولَ الله ﷺ دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذُنَ ،
وأبو سفيان بن حرب وعُتَابُ بن أُسَيْدٍ والحارث بن هشام جلوسُ بفناء

(١) سدانة البيت : خدمته .

(٢) الأُزْلَام : السهام التي كانوا يستقسمون بها ، يستشيرونها في أمورهم .

الكعبة . فقال عتاب بن أسيد : لقد أكرم الله أسيداً ألا يكون سميع هذا فيسمع منه ما يغيظه ! فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محق لا تبعته ! فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً ، لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى ! فخرج عليهم النبي ﷺ فقال : قد علمت الذي قلتم . ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول الله ، ما أطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك !

قال ابن هشام :

عن ابن عباس قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته ، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالترصاص ، فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ (١) إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً . فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع . وحدثني من أثق به من أهل الرواية أن فضالة بن عمير الليثي أراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : أفضالة ؟ قال : نعم ، فضالة يا رسول الله . قال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء ، كنت أذكر الله ! فضحك النبي ﷺ ثم قال : استغفر الله . ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه . فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه .

قال فضالة : فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها ، فقالت : هلم إلى الحديث . فقلت : لا . وانبعث فضالة يقول :

يا بني عليك الله والإسلام	قالت هلم إلى الحديث فقلت لا
بالفتح يوم تكسر الأصنام	لو ما رأيت محمداً وقبيله
والشرك يفتى وجهه الإظلام	لرأيت دين الله أضحي يناً

قال ابن إسحاق :

(١) زهق : اضمحل وبطل .

وكان جميع مَنْ شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف ، من بني سليم سبعمائة ، ويقول بعضهم : ألف . ومن بني غفار أربعمائة ، ومن بني مُزينة ألف وثلاثة نفر ، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد .

وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت الأنصاري :
عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءُ إِلَى عَذْرَاءٍ مَتَرِلَهَا خَلَاءُ ^(١)
دِيَارُ مَنْ بَنَى الْحَسْحَاسُ قَفْرُ تَعْقِيهَا الرُّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ ^(٢)
وَكَانَتْ لَا يَزَالُ بِهَا أَنْيْسُ خِلَالَ مُرُوجِهَا نَعْمٌ وَشَاءُ ^(٣)
فَدَعُ هَذَا وَلَكِنْ مَنْ لَطِيفٍ يُوَرِّقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ
لَشَعْنَاءِ السِّيِّ قَدْ تَيَمَّشُهُ فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شَفَاءُ
كَأَنَّ خَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مَزَاجِهَا عَسَلٌ وَمَاءُ ^(٤)
إِلَى مَا الْأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا فَهِنَّ لَطِيبُ الرَّاحِ الْفَدَاءُ
تُوَلِّيَهَا الْمَلَامَةَ إِنْ أَلْمَسَا إِذَا مَا كَانَ مَعْتُ أَوْ لَحَاءُ ^(٥)
وَنَشْرِبَهَا فَتَرَكْنَا مَلُوكًا وَأُسْدًا مَا يَنْهِنُنَا اللَّقَاءُ ^(٦)
عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُشِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ ^(٧)
يَنَازِعَنَّ الْأَعْنَةَ مُصْغِيَاتٍ عَلَى أَكْتَفَاهَا الْأَسْلُ الْظَّمَاءُ ^(٨)
تَظَلُّ جِيَادُنَا مَتَمَطُّرَاتٍ يَلْطَمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النَّسَاءُ ^(٩)
فَإِذَا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ

(١) عفت : تغيرت ودرست . ذات الأصابع والجواء : موضعان بالشام ، وبالجواء كان منزل الحارث

بن أبي شمر الغساني ممدوح النابغة . وعذراء : قرية على يريد من دمشق .

(٢) بنو الحسحاس : حي من بني أسد . الروامس : الرياح تطمس الآثار . السماء : المط

(٣) النعم : المال الراعي ، وأكثر ما يطلق على الإبل . والشاء : جمع شاة .

(٤) الخبيثة : الخمر المصونة المضمون . بيت رأس : موضع بالأردن مشهور بالخمر الجيدة .

(٥) ألما : فعلنا ما نستحق عليه اللوم . المعث : الضرب باليد : اللحاء : السباب .

(٦) ينهنها : يزجرنا ويردنا .

(٧) النقع : الغبار . كدء : ثنية بأعلى مكة .

(٨) الأعنة : جمع عنان ، وهو اللجام . الأسل : الرماح . الظماء : الذوايل .

(٩) متمطرات : مسرعات . الخمر : جمع خمار .

وإلا فاصبروا لجلاد يوم
وجبريل رسول الله فينا
وقال الله : قد أرسلت عبداً
شهدتُ به فقوموا صدقوه
وقال الله : قد سرتُ جنداً
لنا في كل يومٍ مع معدٍ
فَنَحْكُمُ بالقوافي مَن هجانا
ألا أبلغُ أبا سفيانَ عني
بأنَّ سيوفنا تركتك عبداً
هجوتَ محمداً وأجبتُ عنه
أتهجوه ولستَ له بكفٍ
هجوتَ مباركاً براً حنيفاً
أَمَنَ يهجو رسولَ الله منكم
فإنَّ أبي ووالده وعرضي
لساني صارمٌ لا عيبَ فيه

يُعين الله فيه من يشاء
وروحُ القدس ليس له كفاء^(١)
يقول الحقُّ إنَّ نفعَ البلاء
قلتم : لا نقوم ولا نشاء
هم الأنصارُ عُرِضَتْهَا اللقاء^(٢)
سيابٌ أو قتالٌ أو هجاء
ونضرب حينَ تَخْلُطُ الدماءُ^(٣)
مغلِقَلةً فقد برح الخفاء
وعبدُ الدار سادتها الإمامُ
وعِندَ الله في ذاكَ الجزاء
فشركما لخيركما الفداء
أَمِينَ الله شيمتُه الوفاء^(٤)
ويعدُّه وينصرُه سواء
لعرَضِ محمدٍ منكم وقاءُ
وبحري لا تكدره الدلاءُ

غزوة حنين

في سنة ثمان ، بعد الفتح

وما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة ، جمعها
مالك بن عوفِ النُضْرِيّ ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها ، واجتمعت
نصر وجُشْمُ كلها ، وسعد بن بكر ، وناسٌ من بني هلال وهم قليل ، ولم

(١) ليس له كفاء : الكفء والنظير والمثل .

(٢) عرضتها اللقاء ، أي عادتُها أن تتعرض للقاء ، فهي قادرة عليه .

(٣) نحكم : نمنع ونكف .

(٤) الحنيف : المسلم ، سمي حنيفاً لأنه مال عن الباطل إلى الحق الشيمة : الطبيعة .

يشهدها من قيس عيلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن
كعب ولا كلاب ، ولم يشهدها منهم أحد له اسم .

وفي بني جثم دريد بن الصمة ، شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه
ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مجرباً . وفي ثقيف سيدان لهم . وفي الأحلاف
قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب . وفي بني مالك ذو الخمار سبيع بن
الحارث بن مالك ، وأخوه أحمر بن الحارث . وجماع أمر الناس إلى مالك
ابن عوف النصرى .

فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حطّ مع الناس أموالهم ونساءهم
وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس^(١) اجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصمة
في شجار له^(٢) يُقاد به . فلما نزل قال : بأي وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاس .
قال : نعم مجال الخيل ، لا حزنٌ ضرس^(٣) ولا سهل دهنس^(٤) ، مالي أسمع
رغاء البعير ، ونهاق الحمير وبكاء الصغير ، ويُعار الشاء^(٥) ؟ قالوا : ساق
مالك ابن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك ؟
قيل : هذا مالك . ودُعِيَ له ، فقال : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس
قومك ، وإن هذا يومٌ كائنٌ له ما بعده من الأيام ! مالي أسمع رغاء البعير ،
ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويُعار الشاء ؟ قال : سقتُ مع الناس أموالهم
ونساءهم . قال : ولم ذاك ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجلٍ منهم أهله
وماله ليقاتل عنهم .

فأنقضَ به^(٦) ثم قال : راعي ضأنٍ والله ! وهل يردُّ المنهزم شيء ؟ إنها

(١) أوطاس : واد في ديار هوازن .

(٢) الشجار : شبه الهودج مكشوف الأعلى .

(٣) الحزن : المرتفع من الأرض : الضرس : الذي فيه حجارة محددة .

(٤) للدهنس : اللبن الكثير التراب .

(٥) يعار الشاء : صوتها .

(٦) أنقض به ، من الإيقاض ، وهو أن يلصق لسانه بالحنك ثم يصوت في حافتيه ، يفعلون ذلك عند
إنكار القول أو العمل .

إِنْ كَانَتْ لَكَ لَمْ يَنْفَعَكَ إِلَّا رَجُلٌ بِسَيْفِهِ وَرَمَحِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ فَضِيحَتْ
فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ .

ثُمَّ قَالَ : مَا فَعَلْتَ كَعْبُ وَكَلَابُ ؟ قَالُوا : لَمْ يَشْهَدْهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ . قَالَ :
غَابَ الْحَدُّ^(١) وَالْعَجْدُ ، وَلَوْ كَانَ يَوْمَ عِلَاقٍ وَرَفْعَةٍ لَمْ تَغِبْ عَنْهُ كَعْبُ وَلَا كَلَابُ !
وَلَوْ دِدْتُ أَنْكُمْ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُ كَعْبُ وَكَلَابُ ، فَمَنْ شَهِدَهَا مِنْكُمْ ؟ قَالُوا :
عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ ، وَعَوْفُ بْنُ عَامِرٍ . قَالَ : ذَانِكَ الْجَذَعَانِ^(٢) مِنْ عَامِرٍ ،
لَا يَنْفَعَانِ وَلَا يَضُرَّانِ ! يَا مَالِكَ ، إِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ بِتَقْدِيمِ الْبَيْضَةِ^(٣) بَيْضَةَ هَوَازِنَ
إِلَى نَحُورِ الْخَيْلِ شَيْئًا . أَرْفَعُهُمْ إِلَى مَتَمَنٍّ بِلَادِهِمْ وَعُلْيَا قَوْمِهِمْ ، ثُمَّ الْقَى
الصُّبَا^(٤) عَلَى مُتُونِ الْخَيْلِ ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ لِحِقْ بِكَ مَنْ وَرَاءَكَ ، وَإِنْ كَانَتْ
عَلَيْكَ أَلْفَاكَ ذَلِكَ وَقَدْ أَحْرَزْتَ أَهْلَكَ وَمَالِكَ . قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ ،
إِنَّكَ قَدْ كَبِرْتَ وَكَبِرَ عَقْلُكَ ! وَاللَّهِ لَتَطِيعَنِي بِأَمْرٍ مَعِشَرِ هَوَازِنَ أَوْ لَا تُكَيِّنَنَّ عَلَيَّ
هَذَا السَّيْفَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي - وَكَرِهَ أَنْ يَكُونَ لِلدَّرِيدِ بْنِ الصَّمَةِ فِيهَا
ذِكْرٌ أَوْ رَأْيٌ - فَقَالُوا : أَطْعَمْنَاكَ . فَقَالَ دَرِيدُ بْنُ الصَّمَةِ : هَذَا يَوْمٌ لَمْ أَشْهَدْهُ
وَلَمْ يَقْتَتِي .

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ^(١) أَخُصِبُ فِيهَا وَأَضْمَعُ^(٥)
أَقُودَ وَطُفَاءَ الزَّمْعِ^(٦) كَسَاءَهَا شَاءَ صَدْعُ^(٧)
ثُمَّ قَالَ مَالِكُ لِلنَّاسِ : إِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَاسْكُرُوا جَفُونَ سَيُوفِكُمْ ، ثُمَّ شَدُّوا
شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ !

(١) الحد : الشجاعة والحدة .

(٢) الجذع : الضعيف في الحرب ، كأنه الجذع من الإبل .

(٣) البيضة : الجماعة .

(٤) جمع صابئ ، كانوا يسمون المسلمين بذلك لأنهم خرجوا عن دين الوثنية إلى الإسلام .

(٥) الجذع : الشاب .

(٦) الخشب والوضع : ضربان من السير .

(٧) الوطفاء : الطويلة الشعر . الزمع : الشعر الذي فوق مربوط القيد .

(٨) الشاة : الوعل . الصدع : الوسط بين العظيم والحقير .

ولما سمع بهم نبي الله ﷺ بعث إليهم عبدالله بن أبي حذرد الأسلمي .
وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم .
فانطلق ابن حذرد فدخل فيهم فأقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له
من حرب رسول الله ﷺ ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ،
ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر .

فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ليلقاهم ذكر له أن عند
صفوان بن أمية أدراعاً له وسلاحاً ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال :
يا أبا أمية . أعرنا سلاحك هذا نلحق فيه عدونا غداً . فقال صفوان : أغضباً
يا محمد ؟ قال : بل عارية مضمونة حتى تؤديها إليك . قال : ليس بهذا بأس !
فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله ﷺ
سأله أن يكفيهم حملها ، ففعل .

ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة ، مع عشرة آلاف
من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم ، فكانوا اثني عشر ألفاً . واستعمل
رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على
مكة ، أميراً على من تخلف عنه من الناس . ثم مضى رسول الله ﷺ على وجهه
يريد لقاء هوازن .

عن الحارث بن مالك قال :

خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهدٍ بالجاهلية ،
فسرنا معه إلى حنين ، وكانت لكفار قريش ومن سيواهم من العرب شجرة
عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط ، يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم
عليها ، ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً ، فرأينا ونحن نسير مع رسول
الله ﷺ سيدة خضراء عظيمة ، فتنادينا من جبات الطريق : يا رسول الله ،
اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . قال رسول الله ﷺ : الله أكبر !
قلتُم - والذي نفس محمد بيده - كما قال قوم موسى لموسى : ﴿ اجعل لنا

إِلَهُكُمْ قَالُوا إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١﴾. إِنَّمَا السُّنَّ ، لَتَرْكَبَنَّ سَنَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ .
عن جابر بن عبد الله قال :

لَمَّا اسْتَقْبَلْنَا وَادِي حُنَيْنٍ انْحَدَرْنَا فِي وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ تِهَامَةِ أَجُوفٍ حَطُوطٍ ^(١)
إِنَّمَا نَنْحَدِرُ فِيهِ انْحِدَاراً ، وَفِي عَمَايَةِ الصُّبْحِ ^(٢) ، وَكَانَ الْقَوْمُ قَدْ سَبَقُونَا إِلَى
الْوَادِي فَكَمَنُوا لَنَا فِي شِعَابِهِ وَأَحْنَائِهِ ^(٣) وَمُضَابِقِهِ ، وَقَدْ أَجْمَعُوا وَتَهَيَّأُوا
وَأَعَدُّوا ، فَوَاللَّهِ مَا رَاعَنَا وَنَحْنُ مَنْحَطُّونَ إِلَّا الْكَتَائِبُ قَدْ شَدُّوا عَلَيْنَا شِدَّةً
رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَانْشَمَرَ النَّاسُ ^(٤) رَاجِعِينَ لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ .

وَانْحَازَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ الْيَمِينِ ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا
إِلَيَّ ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ! فَلَأَيَّ شَيْءٍ ^(٥) حَمَلْتُمُ الْإِبِلُ
بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، فَاَنْطَلَقَ النَّاسُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ بَقِيَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَفَرٌ
مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ .

قَوْلُ ابْنِ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا انْهَزَمَ النَّاسُ وَرَأَى مَنْ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
مِنْ جُفَاةِ أَهْلِ مَكَّةَ الْهَزِيمَةَ ، تَكَلَّمَ رَجَالٌ مِنْهُمْ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الضُّغْنِ ،
فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ : لَا تَنْتَهِي هَزِيمَتُهُمْ دُونَ الْبَحْرِ ! وَإِنَّ الْأَزْلَامَ ^(٦)
لَمَعَهُ فِي كِنَانَتِهِ .

وَصَرَخَ جَبَلَةُ بْنُ الْحَنْبَلِ : أَلَا بَطَلَ السَّحَرُ الْيَوْمَ !
وَقَالَ شَيْبَةُ بْنُ عَثْمَانَ : قُلْتُ : الْيَوْمَ أَدْرُكُ ثَأْرِي مِنْ مُحَمَّدٍ ! الْيَوْمَ
أَقْتُلُ مُحَمَّدًا ! فَأَدْرَتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَقْتُلَهُ ، فَأَقْبَلَ شَيْءٌ حَتَّى تَغَشَّى
قَوَادِي فَلَمْ أَطِيقْ ذَلِكَ ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ مَمْنُوعٌ مِنِّي .

(١) أَجُوفٌ : مَتَسَعٌ . حَطُوطٌ : مَنَحْدَرٌ .

(٢) عَمَايَةُ الصُّبْحِ : ظِلَامُهُ قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ .

(٣) الْأَحْنَاءُ : الْجَوَانِبُ .

(٤) انْشَمَرُوا : انْفَضُّوا وَانْهَزَمُوا .

(٥) أَيُّ لَشَيْءٍ عَظِيمٍ .

(٦) الْأَزْلَامُ : السَّهَامُ الَّتِي كَانُوا يَسْتَقْسِمُونَ بِهَا وَيَخْضَعُونَ لِحُكْمِهَا .

(٧) كَانَ أَبُوهُ قَدْ قَتَلَ يَوْمَ أَحُدٍ .

وحدثني بعض أهل مكة أنَّ رسول الله ﷺ قال حينَ فَصَلَ من مكة إلى حنين ، ورأى كثرةَ مَنْ معه من جنود الله : لن نُغَلِبَ اليومَ من قلة !
عن العباس بن عبد المطلب قال :

إني لمع رسول الله ﷺ آخِذٌ بِحَكْمَةٍ^(١) بغلته البيضاء ، قد شجرُها^(٢) بها ، وكنت امرأً جسيماً شديد الصوت ، ورسول الله يقول حين رأى ما رأى من الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أر الناسَ يَلوونَ على شيء ، فقال : يا عباس ، اصرخ : يا معشر الأنصار يا معشر أصحاب السَّمرَةِ . قال : فأجابوا : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ !

فيذهب الرجل ليشيَ بغيره فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ، ويأخذ سيفه وترسه ويفتحهم عن بغيره ويخلى سبيله ، فيؤمُّ الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ ، حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا . وكانت الدعوى أوَّلَ ما كانت : يا للأنصار ! ثم خلصت أخيراً : يا للخزرج ! وكانوا صُبراً عند الحرب ، فأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه ، فظفر إلى مجتلد القوم^(٣) وهم يجتلدون ، فقال : الآنَ حمي الوطيس^(٤) !
عن جابر بن عبد الله قال :

بينما ذلك الرجل من هوازن ، صاحبُ الراية ، على جملة يصنع ما يصنع ، إذ هوى له علي بن أبي طالب رضوانُ الله عليه ورجلٌ من الأنصار يريد أنه ، فيأتيه علي بن أبي طالب من خلفه ، فضربَ عرقوبَي الجمل فوقَ علي عجزَه ، ووثبَ الأنصاري على الرجل فضربه ضربةً أطنَّ قدمه^(٥) بنصف ساقه ، فأنجفع^(٦) عن رحله ، واجتلد الناسُ ، فوالله ما رجعت راجعةُ الناس من

(١) الحكمة : اللجام .

(٢) شجرها بها : وضعها في شجرها ، وهو مجتمع اللحين .

(٣) مجتلد القوم : موضع حلادهم بالسيوف ، حيث تكون المعركة .

(٤) الوطيس : المعركة ، وهي كلمة لم تسمع إلا من الرسول .

(٥) أطن قدمه : أطارها وسمع لضربه طنين أو دوي .

(٦) أنجفع : سقط سريعاً .

هزيمتهم حتّى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ .

والتفت رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله ﷺ ، وكان حسن الإسلام حين أسلم ، وهو آخذٌ بثَمَرِ بغلته^(١) ، فقال : من هذا ؟ قال : أنا ابنُ أمِّك يا رسول الله !
عن عبدالله بن أبي بكر :

أن رسول الله ﷺ التفت فرأى أمَّ سُلَيم بنتِ ملحان ، وكانت مع زوجها أبي طلحة ، وهي حازمةٌ وسطها يُردُّ لها ، وإنها لحاملٌ بعبدالله من أبي طلحة ، ومعها جملُ أبي طلحة ، وقد خشيتُ أن يعزّها الجمل^(٢) ، فأدنتُ رأسه منها ، فأدخلتُ يدها في خِزامته^(٣) مع الخطام ، فقال لها رسول الله ﷺ : أمَّ سُلَيم . قالت : نعم ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك ، فإنهم لذلك أهل ! فقال رسول الله ﷺ : أو يكفي الله يا أمَّ سُلَيم ؟ قال : ومعها خنجر ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنجر معك يا أم سليم ؟ قالت : خنجر أخذته ، إن دنسا مني أحدٌ من المشركين بعَجَّتْه به^(٤) . يقول أبو طلحة : الا تسمع يا رسول الله ما تقول الرميضاء^(٥) !

عن أبي قتادة قال :

رأيت يومَ رجلين حُنين يقتتلان : مسلماً ومشرکاً ، وإذا رجلٌ من المشركين يريد أن يُعين صاحبه المشرك على المسلم ، فأتيته فضربت يده فقطعتها . واعتقني بيده الأخرى ، فوالله ما أرسلني حتّى وجدتُ ریح الدم : وكاد يقتلني . فلولا أنَّ الدم تَزَفَّه لقتلني ، فسقط فضربته فقتلته ، وأجهضني عنه القتال^(٦) . ومَرَّ

(١) الثمر : السير في مؤخر السرج .

(٢) يعزها : يغلبها .

(٣) الخزامة : حلقة من شعر تجعل في أنف البعير .

(٤) بعج بطنه بالسكين : شقه وحضضه فيه .

(٥) مصعر الرميضاء : من الرمص ، وهو القذى يكون في العين

(٦) أجهضني عنه : شعلني وضيق علي وغلبني .

به رجلٌ من أهل مكة فسلبه . فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ » . فقلت : يا رسول الله والله لقد قُتِلَ رجلاً ذا سلبٍ ، فأجهضني عنه القتال فما أدري مَنْ استلبه ؟ فقال رجلٌ من أهل مكة : صدقَ يا رسول الله ، وسَلَبُ ذلك القَتيلِ عندي ، فأرضه عني من سَلْبِهِ . فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لا والله ، لا يُرضيه منه ، نَعِمِدُ إلى أسدٍ من أسد الله يقاتل عن دين الله ، تقاسمه سَلْبُهُ ؟ ! اَرُدُّدْ عليه سَلْبَ قَتِيلِهِ . فقال رسول الله ﷺ : صدقَ ، اَرُدُّدْ عليه سَلْبَهُ . قال أبو قتادة :

فأخذته منه فبعته فاشتريت بثمانه مِئْزَراً^(١) ، فإنه لأوَّلُ مالٍ اعتقدته^(٢) . قال ابن إسحاق :

فلما انهزمت هوازن استحرَّ^(٣) القتل من ثقيف في بني مالك ، فقتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب وكانت رايتهم مع ذي الخِمار^(٤) ، فلما قُتِلَ أخذها عثمان بن عبد الله ، فقاتل بها حتَّى قُتِلَ .

ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجّه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن توجّه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف ، وتبع خيلُ رسول الله ﷺ من سلك في نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا .

وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجّه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري ، فأدرك من الناس بعض من انهزم ، فناوشوه القتالَ ، فرمى أبو عامر بسهم فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري ، وهو ابن عمه ، فقاتلهم ففتح الله

(١) المخرف : نخلة واحدة ، أو نخلات يسيرة إلى عشر . وما فوق ذلك فهوستان أو حديقة .

(٢) اعتقدته ، أى ملكته .

(٣) استحر : اشتد .

(٤) ذو الخمار ، هو عوف بن الربيع .

على يديه وهزمهم .

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة فوقف في فوارس من قومه على ثنية^(١) من الطريق وقال لأصحابه : قفوا حتى تمضي ضعفاؤكم ، وتلحق أخراكم . فوقف هناك حتى مضى من كان لحق بهم من منهزمة الناس .

ومر رسول الله ﷺ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد . والناس متقصّون^(٢) عليها ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد . فقال رسول الله ﷺ لبعض من معه : أدرك خالداً فقل له : إن رسول الله ينهك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيفاً^(٣) .

وإن رسول الله ﷺ قال يومئذ : إن قدرتم على إيجاد رجل من بني سعد بن بكر - فلا يُفلتَنَّكم ، وكان قد أحدث حدثاً ، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة ، فعنفوا عليها في السياق ، فقالت للمسلمين : تعلّموا والله إني لأختُ صاحبكم من الرضاعة ! فلم يصدّقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله ﷺ .

فلما انتهي بها إلى رسول الله ﷺ قالت : يا رسول الله ، إني أختك من الرضاعة . قال : وما علامة ذلك ؟ قالت : عضّة عضضتنيها في ظهري وأنا متورّكتك^(٤) . فعرف رسول الله ﷺ العلامة ، فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخبرها وقال : إن أحببت فعندي محبة مكرّمة ، وإن أحببت أن أمتّعك^(٥) وترجعني إلى قومك فعلت . فقالت : تمتعني وتردني إلى قومي . فتّعها رسول الله ﷺ وردّها إلى قومها .

(١) الثنية : موضع مرتفع بين جبلين

(٢) متقصّون : مزدحمون .

(٣) العسيف : الأجير والعبد المستعان به

(٤) توركته : حملته على وركها .

(٥) أمتّعك : أعطيك ما يكون به التمتع ، أي الانتفاع .

فرزعت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً له يقال له مكحول ، وجارية ، فزوّجت أحدهما الأخرى ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية .

قال ابن هشام :

وأنزل الله عزّ وجلّ في يوم حنين : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَذَلِكَ جِزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ . قال ابن إسحاق .

ثم جُمعت إلى رسول الله ﷺ سبائا حُنين وأموالها ، وكان على المغنم مسعود بن عمرو الغفاري ، وأمر رسول الله ﷺ بالسبائا والأموال إلى الجعرانة فحبست بها

غزوة الطائف

في سنة ثمان

ولما قدم قلّ ثقيف^(١) الطائف أغلقوا عليهم أبوابَ مدينتها ، وصنعوا الصنائع للقتال .

ولم يشهد حُنيئاً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ، ولا غيلان بن سلمة ، كانا بُجَرَشَ يتعلّمان صنعة الدَّبَابَاتِ^(٢) والمجانيق^(٣) والضُّبور^(٤) .

ثم سار رسولُ الله ﷺ إلى الطائف حين فرغ من حنين ، فقال كعب بن مالك حين أجمع رسولُ الله ﷺ السيرَ إلى الطائف :

قضينا من تِهامة كلَّ ريبٍ	وخيرَ ثم أجمَعنا السيَوفَ ^(٥)
نخيرُها ، ولو نطقَت لقالست	قواطعهنّ ، دوساً أو ثقيفاً
فلستُ لحاصِنٍ إن لم تَروها	بساحة داركم منا ألُوفاً
ونتزع العُروشَ بيطن وجّ	وتصبح داركم منكم خلُوفاً ^(٦)

(١) القل : الجماعة المنهزمون .

(٢) الدبابة : آلة من آلات الحرب ، يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها .

(٣) جمع منجنيق ، وهي من آلات الحصار ، يرمى بها الحجارة الثقيلة ونحوها .

(٤) الضبور : مثل رؤوس الأسفاط ، يتقى بها في الحرب عند الانصراف .

(٥) الريب : الشك . أجمعنا السيوف : أرحناها .

(٦) العروش : سقف البيوت . وج : موضع بالطائف . خلوف : تغيب عنها أدبارها .

فسلک رسول الله ﷺ على نخلة اليمانية ، ثم على قرن ثم على الملیح ، ثم على بؤرة الرعاء من لبة^(١) فابتى بها مسجداً فصلی فيه ، ثم سلک فی طریق یقال لها الضیقة ، ثم خرج منها على نخب حتى نزل تحت سدره یقال لها : « الصادرة » قریباً من مال رجل من ثقیف ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ : إما أن تخرج وإما أن نُخربَ عليك حائطك . فأبى أن یمرح . فأمر رسول الله ﷺ بإخراجه .

ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل قریباً من الطائف ، فضرب به عسكره^(٢) ، فقتل به ناسٌ من أصحابه بالنبل ؛ وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف فكانت النبل تنالهم ، ولم یقدر المسلمون على أن یدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم . فلما أصیب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم ، فحاصره بضعاً وعشرين ليلة ، ومعه امرأتان من نسائه ، إحداهما أم سلمة ابنة أبي أمية ، فضرب لهما قبتین ثم صلی بین القبتین . ثم أقام فلماً أسلمت ثقیف بنی على مصلى رسول الله ﷺ عمرو بن أمية بن وهب مسجداً ، وكانت فی ذلك المسجد سارية فیما یزعمون ، لا تطلع الشمس عليها يوماً من الدهر إلا سُمعَ لها نقیض^(٣) ، فحاصره رسول الله ﷺ وقاتلهم قتالاً شديداً ، وتراموا بالنبل^(٤) .

حتى إذا كان يومُ الشدخة عند جدار الطائف ، دخل نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دبابة ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف لیخرقوه ، فأرسلت عليهم ثقیف سیکک الحديد محمأةً بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمهم ثقیف بالنبل فقتلوا منهم رجالاً ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقیف ،

(١) قرن ، وملیح ، وبؤرة الرعاء ، ولية : مواضع بالطائف .

(٢) أي نصب الخيام للجنود .

(٣) النقیض : الصوت .

(٤) قال ابن هشام : « ورماهم رسول الله ﷺ بالمنجنیق . حدثني من أتى به أن رسول الله ﷺ أول من رمى فی الإسلام بالمنجنیق رمى أهل الطائف » .

فوقع الناس فيها يقطعون .

وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر الصديق وهو محاصرٌ ثقيفاً :
يا أبا بكر ، إني رأيت أني أهديت لي قعبة^(١) مملوءة زبدًا ، فنقرها ديك فهرأق
ما فيها . فقال أبو بكر : ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد . فقال رسول
الله ﷺ : وأنا لا أرى ذلك .

ثم إن خويلة بنت حكيم السلمية ، وهي امرأة عثمان ، قالت : يا رسول الله ،
أعطني إن فتح الله عليك الطائف حُلِّيَ بادية بنت غيلان أو حلي الفارغة بنت
عقيل - وكانتا من أحلى نساء ثقيف^(٢) - فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال لها :
وإن كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلة ؟ فخرجت خويلة فذكرت ذلك
لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ما حدث
حدثني خويلة زعمت أنك قُلت ؟ قال : قد قُلت . قال : أو ما أذن لك فيهم
يا رسول الله ؟ قال : لا . قال : أفلا أؤذن بالرحيل ؟ قال : بلى . قال : فأذن
عمر بالرحيل .

فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد : ألا إن الحيَّ مقيم .

ويقول عيينة بن حصن : أجلُ والله مجدةً كراماً . فقال له رجلٌ من
المسلمين : قاتلك الله يا عيينة ، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ ،
وقد جئت تنصر رسول الله ؟ فقال : إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم ،
ولكنني أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أتطئها ، لعلها
تلد لي رجلاً ، فإن ثقيفاً قومٌ منا كبير .

ونزل على رسول الله ﷺ في إقامته بمن كان محاصراً بالطائف عبيد ،
فأسلموا فأعتقهم رسول الله ﷺ .

ولما أسلم أهل الطائف تكلم نفرٌ منهم في أولئك العبيد . فقال رسول الله

(١) القعبة : القدح .

(٢) أي من أكثر من حليا .

(٣) مناكير : ذوو دهاء وفطنة .

ﷺ : « لا ، أولئك عتقاء الله » .

وكان ممن تكلم فيهم الحارث بن كلدة .

وجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلاً :
سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من ليث .

فلما انصرف رسول الله ﷺ عن الطائف بعد القتال والحصار قال بُجَيْر بن
زهير بن أبي سلمى يذكر حنيناً والطائف :

وَعْدَاةُ أَوْطَاسٍ وَيَوْمَ الْأُبْرُقِ ^(١)	كَانَتْ عُلَّالَةٌ يَوْمَ بَطْنِ حُنَيْنٍ
فَتَبَدَّدُوا كَالطَّائِرِ الْمَتَمَزِقِ ^(٢)	جَمَعَتْ بِإِغْوَاءٍ هَوَازُنُ جَمْعَهَا
إِلَّا جِدَارَهُمْ وَبَطْنَ الْخَنْدَقِ	لَمْ يَمْنَعُوا مِنَّا مَقَاماً وَاحِداً
فَتَحَصَّنُوا مِنَّا بِيَابِ مَغْلَقِ	وَلَقَدْ تَعَرَّضْنَا لَكَيْمًا يَخْرُجُوا
شُهَبَاءُ تَلْمَعُ بِالْمَنَايَا فَيَلْقِ ^(٣)	تَرْتَدُّ حَسْرَانَا إِلَى رَجْرَاجَةٍ
حَضَنَّا لَظْلًا كَأَنَّهُ لَمْ يَخْلُقِ ^(٤)	مَلْمُومَةٍ خَضْرَاءَ لَوْ قَذَفُوا بِهَا
قُدْرٌ تَفَرَّقُ فِي الْقِيَادِ وَتَلْتَقِي ^(٥)	مَشَى الضَّرَاءُ عَلَى الْهَرَّاسِ كَأَنَّا
كَالْتَّهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ الْمَتَرَقِرِ ^(٦)	فِي كُلِّ سَابِغَةٍ إِذَا مَا اسْتَحْصَنْتِ
مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ وَآلِ مُحَرَّقِ ^(٧)	جُدُلٌ تَمَسُّ فُضُولَهُنَّ نَعَالُنَا

(١) العلالة : جري بعد جري ، أو قتال بعد قتال . حنين : تصغير حنين .

(٢) الإغواء : الإضلال . والغي : خلاف الرشد .

(٣) حسرى : جمع حسير . الرجراجة : الكتيبة الفخمة . الشهباء : البيضاء لما فيها من لمعان الحديد .

(٤) ملمومة : مجتمعة خضراء ، لما بها من السلاح . حضن : جبل بأعلى نجد .

(٥) مشى الضراء : أي في استخفاء واختل . الهراس : بيات له شوك . قدر : جمع قدور ، وهي الخيل

تجعل أرجلها في مواضع أيديها إذا مشت . وبرى : قدر ، بالفاء ، وهي الوعول المسنة .

(٦) السابغة : الدرع التامة . والنهي : الغدير من الماء .

(٧) الجدل : جمع جدلاء ، وهي الدرع الجيدة النسج . آل محرق : آل عمرو بن هند ملك الحيرة .

أمر أموال هوازن وسباياها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها ، وإنعام رسول الله ﷺ فيها

ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دحنا^(١) حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس ، ومعه من هوازن سبي كثير ، وقد قال رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف : يا رسول الله ، أدع عليهم ! فقال رسول الله ﷺ : اللهم اهد ثقيفاً وأتر بهم .

ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة ، وكان مع رسول الله ﷺ من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ، ومن الإبل والشاء ما لا يُدرى ما عدته . فقالوا : يا رسول الله ، إنا أصل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يحفّ عليك ، فامنن علينا من الله عليك .

وقام رجل من هوازن ثم أحد بني سعد بن بكر ، يقال له زهير ، يكنى أبا صرد ، فقال : يا رسول الله ، إنما في الحظائر^(٢) عماتك وخالاتك وحواضنك^(٣) اللاتي كنّ يكفلنك ، ولو أننا ملّحنا^(٤) للحارث بن أبي شمر ، أو للنعمان بن المنذر ثم نزل متاً بمثل الذي نزلت به ، رجونا عطفه وعائدته^(٥) علينا ، وأنت خير المكفولين !

فقال رسول الله ﷺ : أبنائكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا : يا رسول الله ، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا ، بل ترد إلينا نساءنا وأبنائنا ، فهو أحب إلينا . فقال لهم : أمّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وإذا ما أنا صليت الظهر الظهر بالناس فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول

(١) دحنا : مخلاف من مخاليف الطائف .

(٢) الحظائر : جمع حظيرة ، وهي الزرب يصنع للابل والغنم ليكفها . وكان السبي يوضع في حظائر .

(٣) حواضنك : اللاتي أرضعنك . وكان حاضنة الرسول من بني سعد بن بكر ، من هوازن .

(٤) ملحنا : أرضعنا . والملح : الرضاع .

(٥) العائدة : الفضل العائد .

الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا ، فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم .

فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به ، فقال رسول الله ﷺ : أما ما كان لي ولبي عبد المطلب فهو لكم . فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو إلى رسول الله ﷺ . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . فقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا . وقال عيينة بن حصن : أما أنا وبنو فزارة فلا . وقال عباس بن مرداس : أما أنا وبنو سليم فلا . فقالت بنو سليم : بلى ، ما كان لنا فهو إلى رسول الله ﷺ .

يقول عباس بن مرداس لبني سليم : وَهْتَمُونِي ^(١) . فقال رسول الله ﷺ : أَمَا مَنْ تَمَسَّكَ مِنْكُمْ بِحَقِّهِ مِنْ هَذَا السَّبْيِ فَلَهُ بِكُلِّ إِنْسَانٍ سِتُّ فَرَائِضٍ . مِنْ أَوَّلِ سَبْيٍ أَصَابَهُ ، فُرِدُّوا إِلَى النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ .

وقال رسول الله ﷺ لوفد من هوازن وسألهم عن مالك بن عوفٍ ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف . فقال رسول الله ﷺ : أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل . فأني مالكٌ بذلك فخرج إليه من الطائف . وقد كان مالك خافَ ثقيفاً على نفسه أن يعلموا أن رسول الله ﷺ قال ما قال فيحبسوه ، فأمر براحلته فهُيِّتَ له ، وأمر بفرسٍ له فأني به إلى الطائف ، فخرج ليلاً فجلس على فرسه ، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تُحَبَسَ ، فركبها فلحق برسول الله ﷺ ، فأدركه بالجعرانة أو بمكة ، فردَّ عليه أهله وماله ، وأعطاه مائة من الإبل ، وأسلم فحسُنَ إسلامه ، فقال مالك بن عوفٍ حين أسلم : ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله في الناس كلهم بمثل محمد

(١) وهتموني : أضعفتوني .

أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى ومتى تشأً يخبرك عما في غد
 وإلى الكتيبة عرّدت أنيابها بالسهمري وضرب كل مهتد^(١)
 فكأنه ليثٌ على أشباله وسط الهبأة خادر في مرصد^(٢)
 فاستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه وتلك القبائل : ثمالة ،
 وسليمة ، وقهم ، فكان يقاتل بهم ثقيفاً ، لا يخرج لهم سرحاً إلا أغار عليه ،
 حتى ضيق عليهم ، فقال أبو محجن الثقفي :

هابت الأعداء جانبنا ثم تغزونا بنو سليمة
 وأتانا مالكٌ بهم ناقضاً للعهد والحرمه
 وأتوننا في منازلنا ولقد كنّا أولي نقمه

* * *

واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله ، اقيم علينا فيثنا من الإبل والغنم !
 حتى ألبنوه إلى شجرة فاخطففت عنه رداءه ، فقال : ردّوا عليّ ردائي أيها
 الناس ، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعاماً لقسمته عليكم ، ثم ما
 ألفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاً أباً .

ثم قام إلى جنب بعير فأخذ وبرةً من سنامه فجعلها بين إصبعه ، ثم رفعها
 ثم قال : « أيها الناس ، والله مالي من فيثكم ولا هذه البرة إلا الخمس ،
 والخمس مردود عليكم ، فأدّوا الخياط والمخييط^(٣) ؛ فإن الغلول يكون على
 أهله عاراً وناراً وشناراً^(٤) يوم القيامة » .

فجاء رجلٌ من الأنصار بكبة^(٥) من خيوط شعر ، فقال : يا رسول الله ،

(١) عرّدت : أحجمت وفرت . والأنياب : سادات القوم . السهمري : الرمح . المهتد : السيف المنسوب
 إلى الهند .

(٢) الهبأة : الغبار يثور عند اشتداد الحرب . الخادر : الذي في عرينه : المرصد : المكان يرقب منه .
 ينعت باليقظة .

(٣) الخياط : الخيط . والمخييط : الابرة .

(٤) الشنار : أقبح العار .

(٥) الكبة : ما جمع من الغزل ونحوه .

أخذتُ هذه الكُبةَ أعملُ بها بَرْدَعةَ بعيرٍ لي دَبَرٌ ^(١) . فقال : أَمَا نصيبي منها فلكَ ! قال : أَمَا إِذْ بَلَغْتَ هذا فلا حاجةَ لي بها . ثم طَرَحَهَا من يده .

وأعطى رسولُ الله ﷺ المؤلَّفةَ قلوبهم ، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس ، يتألَّفهم ويتألَّف بهم قومهم ، فأعطى أبا سفيان بن حربِ مائةَ بعير ، وأعطى ابنه معاويةَ مائةَ بعير ، وأعطى حكيم بن حزام مائةَ بعير ، وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدةَ مائةَ بعير ، وأعطى سُهيل بن عمرو مائةَ بعير ، وأعطى حُوَيْطِب بن عبد الغزَّى مائةَ بعير ، وأعطى العلاء بن جاريةَ الثقفي مائةَ بعير ، وأعطى عيينة بن حصن مائةَ بعير ، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائةَ بعير ، وأعطى مالك بن عوفِ النصري مائةَ بعير ، وأعطى صفوان بن أميةَ مائةَ بعير ، فهؤلاء أصحاب المِثْن .

وأعطى دون المائةَ رجالاً من قريش ، منهم مَخْرمة بن نوفل الزُّهري ، وعُمَيْر بن وهبِ الجمحي ، وهشام بن عمرو وأخو بني عامر بن لُؤي لا أحفظ ما أعطاهم وقد عرفت أنَّها دون المائة . وأعطى سعيد بن يربوع بن عَنَكَّةَ خمسين من الإبل ، وأعطى السهميَّ خمسين من الإبل .

وأعطى عباس بن مرداسٍ أبا عَرفَسَ خِطَها ، فعاتبَ فيها رسولَ الله ﷺ ،

فقال عباس بن مرداس يعاتب رسول الله ﷺ :

كانت نهباً تلافئُها	بكرِّي على المهر في الأجرع ^(٢)
وإيقاظي القوم أن يرقسوا	إذا هجعَ الناسُ لم أهجع ^(٣)
فأصبح نهيي ونهبُ العيب	لدي بين عيينة والأقرع ^(٤)
وقد كنتُ في الحرب ذا تُدرأٍ	فلم أعطَ شيئاً ولم أُمْنَع ^(٥)

(١) الدبر : الذي به الدبر ، وهي القروح .

(٢) النهاب : جمع نهب ، وهو ما ينهب ويغنم . والأجرع : المكان السهل .

(٣) لم أهجع : لم أنم .

(٤) العيب : اسم فرس العباس .

(٥) ذا تُدرأٍ : ذا دفع عن قومي . لم أعط شيئاً ، أي شيئاً طائلاً .

إلا أفائل أعطيتها عديد قوائمها الأربع^(١)
وما كان حصن ولا حابس^(٢) يفوقان شيخي في المجمع^(٣)
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يُرفع
فقال رسول الله ﷺ : اذهبوا به فاقطعوا عني لسانه . فأعطوه حتى
رضي . فكان ذلك قطع لسانه الذي أمر به رسول الله ﷺ^(٤) .
عن أبي سعيد الخدري قال :

لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل
العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وجد هذا الحي من الأنصار في
أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة^(٤) ، حتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله
ﷺ قومه ! فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله ، إن هذا الحي
من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت ،
قسمت في قومك ، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ، ولم يك في هذا
الحي من الأنصار منها شيء ! قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال :
يا رسول الله ، ما أنا إلا من قومي . قال : فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة .
فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة ، فجاء رجال من المهاجرين
فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردّهم . فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال :
قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار .
فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

- (١) الأفائل : جمع أفيل ، وهو الصغير من الإبل .
(٢) شيخي ، يريد به أباه مرداسا . ويروى : « شيخي » بتشديد الياء ، يريد أباه وجده . ويروى : « يفوقان
مرداس » .
(٣) قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم أن عباس بن مرداس أتى رسول الله ﷺ فقال له :
أنت القائل : فأصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة ؟ فقال أبو بكر الصديق : بين عيينة والأقرع
فقال رسول الله ﷺ : هما واحد . فقال أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله : « وما علمناه الشعر
وما ينبي له » .
(٤) القالة : الكلام الرديء .

يا معشر الأنصار ، ما قاله بلغتنى عنكم ، وجدة^(١) وجدتموها عليّ في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلّالاً فهذاكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ! قالوا : بلى ، والله ورسوله آمن وأفضل^(٢) !

ثم قال : ألاّ تجيبونني يا معشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ ولرسوله المنّ والفضل . قال ﷺ : أما والله لو شتم لقتلتم ، فلصدّقتهم ولصدّقتهم : أتيناك مكذباً فصدّقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فأويناك ، وعائلاً فأسيناك^(٣) . أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعاة^(٤) من الدنيا تألفتُ بها قوماً يُسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ! ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكُم ؟ فوالذي نفسُ محمدٍ بيده لولا الهجرة لكنتُ أمراً من الأنصار ، ولو سلّك الناس شعباً^(٥) وسلكت الأنصار شعباً لسلكتُ شعب الأنصار ! اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار ؟

قال : فبكى القوم حتّى أخضّلوا لحاهم^(٦) ، وقالوا : رضينا برسول الله قسماً وحظاً .

ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرّقوا .

عمرة رسول الله ﷺ من الجعرانة

واستخلافه عتّاب بن أسيد على مكة ، وحجّ عتّاب بالمسلمين سنة ثمان
قال ابن إسحاق :

(١) الحدة : الغضب .

(٢) أمن : أكثر منة ، وهي النعمة .

(٣) آسيناك : أعطيناك حتّى جعلناك كأحدنا .

(٤) اللعاة ، بالضم : البقية السيرة .

(٥) الشعب : الطريق بين جبلين .

(٦) أخضّلوها : بلّلوها .

ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً ، وأمر ببقايا الفياء فحُبِسَ بِمَجَنَّةَ بِنَاحِيَةِ مَرَّ الظَّهْرَانِ ، فلما فرغ رسول الله ﷺ من عُمرته انصرف راجعاً إلى المدينة واستخلف عتاب بن أسيد على مكة ، وخلف معه مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يُفَقِّهُ النَّاسَ فِي الدِّينِ وَيَعْلَمُهُمُ الْقُرْآنَ ، وَاتَّبَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَقَايَا الْفِيَاءِ (١) . وكانت عُمرَةُ رسول الله ﷺ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فِي بَقِيَةِ ذِي الْقَعْدَةِ ، أَوْ فِي أَوَّلِ ذِي الْحِجَّةِ .

قال ابن إسحاق : وحجَّ الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه ، وحج بالمسلمين تلك السنة عَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ ، وَهِيَ سَنَةُ ثَمَانٍ ، وَأَقَامَ أَهْلَ الطَّائِفِ عَلَى شِرْكِهِمْ وَامْتِنَاعِهِمْ فِي طَائِفِهِمْ ، مَا بَيْنَ ذِي الْقَعْدَةِ إِذْ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، إِلَى شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ .

أمر كعب بن زهير

بعد الانصراف عن الطائف

ولما قدم رسول الله ﷺ مِنْ مُنْصَرَفِهِ عَنِ الطَّائِفِ كَتَبَ بُجَيْرُ بْنُ زُهَيْرٍ بَنَ أَبِي سُلَيْمٍ إِلَى أَخِيهِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ يُخْبِرُهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَتَلَ رَجُلًا بِمَكَّةَ مِمَّنْ كَانَ يَهْجُوهُ وَيُؤْذِيهِ ، وَإِنْ مِنْ بَقِيٍّ مِنْ شُعْرَاءِ قُرَيْشٍ : ابْنُ الزَّبْعَرِيِّ وَهُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ ، قَدْ هَرَبُوا فِي كُلِّ وَجْهِ ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ فَطِرْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَإِنَّهُ لَا يَقْتُلُ أَحَدًا جَاءَهُ تَائِبًا ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ قَانِجٌ إِلَى نَجَائِكَ مِنَ الْأَرْضِ .

وكان كعب قد قال :

أَلَا أَبْلِغًا عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتُ وَيَحَكَ هَلْ لَكَ

(١) قال ابن هشام : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل النبي ﷺ عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما ، فقام فخطب الناس ، فقال : أيها الناس أجاج الله كبد من جاع على درهم ، فقد رزقني رسول الله ﷺ درهما كل يوم ، فليست بي حاجة إلى أحد .

فَبُنَّ لَنَا إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفَاعِلٍ عَلَى خُلُقٍ لَمْ تُلَفْ أَمْ لَا أَبَا
عَلَى أَيِّ شَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ دَلَّكَ
عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَخَا لَكَ
وَلَا قَائِلٍ إِمَّا عَثَرْتَ لَعًا لَكَ (١)
سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأَسَاءَ رَوِيَّةً
فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ (٢)

قال : وبعث بها إلى يُجَيْر ، فلما أتت يُجَيْراً كره أن يكتبها رسول الله ﷺ ، فأنشده إياها ، فقال رسول الله ﷺ لما سمع « سقاك بها المأمون » : « صدق وإنه لكذوب » ، أنا المأمون .

ولما سمع « على خُلُقٍ لَمْ تُلَفْ أَمْ لَا أَبَا عَلَيْهِ » قال : أَجَلُ لَمْ يُلَفْ عَلَيْهِ أَبَاهُ وَلَا أُمَّهُ .

قال ابن اسحاق :

فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف به من كان في حضرته من عدوه ، فقالوا : هو مقتول . فلما لم يجد من شيء بدأ قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ثم خرج حتى قدم المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة ، كما ذكر لي ، فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صلى الصبح ، فصلى مع رسول الله ﷺ ، ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ ، فقال : هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه . فذكر لي أنه قام إلى رسول الله ﷺ حتى جلس إليه ، فوضع يده في يده ، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله ، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابلٌ منه إن أنا جئتُك به ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم » . قال : أنا يا رسول الله كعب بن زهير .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من

(١) بآسف : بنادم . وقوله « لعا لك » كلمة تقال للعائر . يدعى له بها ، ومعناها قم وانتعش .

(٢) أنهلك : سقاك النهل ، وهو الشرب الأول ، وعلك : سقاك العلل . والعلل : الشرب الثاني .

الأنصار ، فقال : يا رسول الله ، دَعِنِي وَعَدُّوْهُ اللهُ أَضْرَبُ عَنْقَهُ ! فقال رسول الله ﷺ « دَعُهُ عَنْكَ فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ تَائِبًا نَازِعًا عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ » . فغضب كعبٌ على هذا الحيِّ من الأنصار لما صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله ﷺ :
بَانتُ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَثْبُولُ مَتِّمَ إِثْرَهَا لَمْ يُقَدِّ مَكْبُولُ^(١)
نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِي والعفو عند رسول الله مأمولُ
مهلاً هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً أَلْ قرآن فيها مواعِظٌ وتفصيلُ
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاقِ وَلَمْ أذنبُ ولو كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ
لَقَدْ أَقُومُ مَقَاماً لَوْ يَقُومُ بِهِ يَرَى وَيَسْمَعُ مَا قَدْ أَسْمَعُ الْفِيلُ
لَظُلٌّ يُرْعَدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ من الرسولِ بِإِذْنِ اللهِ تَنْوِيلُ
مَا زِلْتُ أَقْتَطِعُ الْبِيدَاءَ مُدَّرِعاً جُنْحُ الظَّلَامِ وَثُوبُ اللَّيْلِ مَسْدُولُ^(٢)
حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أَنَا زَعُهَا فِي كَفٍّ ذِي نَقَمَاتٍ قِيلُهُ الْقِيلُ^(٣)
فَلَهُوَ أَخْشَوْفٌ عِنْدِي إِذَا أَكَلَّمَهُ وَقِيلَ إِنَّكَ مَنُوبٌ وَمَسْئُولُ
مِنْ ضَيْغَمٍ بِضَرَاءِ الْأَرْضِ مَخْذَرُهُ فِي بَطْنِ عَثَرٍ غِيلٌ دُونَهُ غِيلُ^(٤)
يَعْدُو فَيُلْجِمُ ضِرْغَامِينَ عَيْشُهُمَا لَحْمٌ مِنَ النَّاسِ مَعْفُورٌ خِرَادِيلُ^(٥)
إِذَا يَسَاوِرُ قِرْنًا لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتْرُكَ الْقِرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَفْلُولُ^(٦)
مِنْهُ تَظَلُّ سِبَاعُ الْجَوِّ نَافِرَةً وَلَا تَمْشِي بِوَادِيهِ الْأَرَاجِيلُ^(٧)

(١) البين : الفراق ، وبانت : ذهبت وفارقت . وسعاد : اسم صاحبه . ومتبول : هالك ، والتبل ،

بفتح فسكون ، هو الهلاك وطلب الثأر . ومتيم : معبد مدلل . ويروى « متيم عندها لم يجز » .

(٢) مدرعا : لابسا . والمراد شمول الظلام له .

(٣) أي قوله هو قول الحق .

(٤) الضيغم : الأسد . ضراء الأرض : ما وارك من شجر ونحوه . مخدر الأسد : أجمته وغابته .

عثر : موضع مشهور بالأسد . الغيل : الأجمة .

(٥) يلحم : يطعم اللحم . معفور : ممرغ في العفر ، وهو التراب . خراديل : قطع .

(٦) يساور : يواظب . مفلول : مكسور منهزم .

(٧) الجو : اسم موضع . والأراجيل : الجماعات من الرجال .

ولا يزال بواديه أخو ثَقَـةٍ
 إِنَّ الرُّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
 فِي عَصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ
 زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ
 شَمَّ الْعِرَانِينَ أَبْطَالُ لَبُوسُهُمْ
 بِيضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ
 لَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمْ
 يَمْشُونَ مَشْيَ الْجِمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ

مُضَرَّجٌ الْبَزُّ وَالْدَّرْسَانِ مَاكُولٌ (١)
 مُهَنْدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوكٌ (٢)
 يَبْطِنُ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا : زَوَلُوا (٣)
 عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مَيْلٌ مَعَاذِلُ (٤)
 مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَائِلُ (٥)
 كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ (٦)
 قَوْمًا ، وَلَيْسُوا مَجَازِيْعًا إِذَا نِيلُوا
 ضَرْبُ إِذَا عَرَدَ السُّودُ التَّنَائِيلُ (٧)

- (١) مضرّج : مخضب بالدماء . والبز : السلاح . والدّرسان - بكسر الدال وسكون الراء - جمع درس ، وهو الثوب الخلق النالي .
- (٢) سيوف الهند مضرب المثل في الجودة . يستضاء به . أي يتهدى به إلى الحق .
- (٣) « في عصبه » يروى أيضاً : « في فتيه » . وزولوا : انتقلوا من مكان إلى مكان .
- (٤) أنكاس : جمع نكس بالكسر ، وهو الرجل الضعيف . سمي بذلك تشبيهاً بالنكس من السهام وهو الذي انكسر فوقه . والكشف : جمع أكشف ، وهو الذي لا ترس معه في الحرب . والميل : جمع أميل ، وهو الذي لا سيف معه ، أو هو الذي لا يحسن ركوب الخيل ولا يستقر على السرج . والمعازيل : جمع معزال ، وهو الذي لا سلاح معه .
- (٥) الشم : جمع أشم ، وهو الذي في قصبة أنفه علو مع استواء أعلاه ، وذلك من علامات السيادة والكرم . والعراين : جمع عرين ، وهو الأنف ، والأبطال : جمع بطل ، وهو الرجل الشجاع ، وسمي بذلك لأنه تبطل عنده الدماء وتهدر ولا ينال منه ثأر . ونسج داود أراد به الدروع . والهيجا : الحرب ، وأصله ممدود فقصره . والسرايل : جمع سرايل .
- (٦) بيض : جمع أبيض ، وسوابغ : جمع سابغ ، وهو الطويل الثام ، وهذان وصفان للسرايل في البيت السابق . وشكت : أراد نسجت ، وأصل الشك إدخال الشيء في الشيء . ويروى : « سكت » بالسين المهملة ، ومعناه ضيقت . والحلق : جمع حلقة ، بفتح فسكون . والقفعاء : شجر ينسبط على وجه الأرض يشبه حلق الدروع . ومجدول : محكم الصنعة .
- (٧) مفاريج : جمع مفراح ، ومجازيع : جمع مجزاع ، وكلاهما صيغة مبالغة من الفرّج ومن الجزع . يريد أنهم إذا تغلبوا على عدوهم لم يفرحوا لذلك ؛ لأن هذا أمر تعودوه ، وإذا غلبهم أحد لم يجزعوا ، لأنهم يعلمون أن الأمور بيد الله وأنهم منتصرون عليه فيما بعد .
- (٨) الزهر : جمع أزهر ، وهو الأبيض . وعرد : نكب عن قرنه وهرب منه . والتنايل : جمع تنبال ، وهو القصير .

لا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نَحْوِهِمْ وَمَالَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلٌ^(١)
 قال عاصم بن عُمر بن قتادة : فلما قال كعب « إِذَا عَرَّذَ السُّودُ التَّنَابِيلُ »
 - وإنما يريدنا معشر الأنصار لما كان صاحبنا صنع به ما صنع ، وخصَّ المهاجرين
 من قريش من أصحاب رسول الله ﷺ بِمَدْحَتِهِ - غَضِبَتْ عَلَيْهِ الْأَنْصَارُ ،
 فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ويذكر بلاءهم مع رسول الله ﷺ ،
 وموضعهم من اليَمَن :

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ^(٢)
 وَرَثُوا الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ إِنَّ الْخِيَارَ هُمْ بَنُو الْإِخْيَارِ
 الْمُكْرِهِينَ السَّهْرِيَّ بِأَذْرَعِ كَسَوَافِلِ الْهِنْدِيِّ غَيْرِ قِصَارِ^(٣)
 وَالنَّاطِرِينَ بِأَعْيُنٍ مُحَمَّرَةٍ كَالْجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الْإِبْصَارِ
 وَالبَائِعِينَ نَفُوسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ لِلْمَوْتِ يَوْمَ تَعَانَتِي وَكَرَّارِ
 وَالذَّائِدِينَ النَّاسَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ بِالْمُشْرِفِيَّ وَبِالْقَنَا الْخَطَّارِ^(٤)
 يَتَطَهَّرُونَ بِرُوحِهِ نُسْكَاءَ لَهُمْ بِذِمَاءِ مَنْ عَلِقُوا مِنَ الْكُفَّارِ
 دَرَبُوا كَمَا دَرَبْتُ بِبَطْنِ خَفِيَّةٍ غَلَبُ الرُّقَابِ مِنَ الْأَسُودِ ضَوَارِي^(٥)
 وَإِذَا حَلَلْتُ لِيَمْنَعُوكَ إِلَيْهِمْ أَصْبَحْتَ عِنْدَ مَعَاقِلِ الْأَغْفَارِ^(٦)
 ضَرَبُوا عَلَيَّ يَوْمَ بَدْرِ ضَرْبَةً دَائِبَ لَوْقَعَتَهَا جَمِيعُ نِزَارِ^(٧)

(١) وصفهم بأنهم لا يفرون فيقع الطعن في ظهورهم ، بل من شأنهم الإقدام على أعدائهم فيقع الطعن في
 نحورهم وصدورهم . تهليل : فرار . هلل عن قرنه تهليلا ، إذا فر .

(٢) أصل المِقْنَب الجماعة من الخيل ، وجمعه المقائب ، أراد الفرسان .

(٣) السهري : الرمح . « كسوافل الهندي » ، يريد به الرماح . والرماح قد تنسب إلى الهند كما تنسب
 إلى الخط . انظر ديوان كعب ص ٢٦ .

(٤) الذائدين : المانعين والدافعين . وقد وقع في نسخة « والقائدين » . والمشرفي : السيف . والخطار : المهتر .

(٥) دربوا : تعودوا . وخفية : موضع تنسب إليه الأسود . وغلب الرقاب : اغلاظها . وضوار : متعودة
 الصيد ، جمع ضار .

(٦) معاقل : جتمع معقل ، وهو الموضع الذي يمتنع فيه من احتله . والأغفار : جمع غفر ، وهو ولد
 الوعل . ويضرب بها المثل في الامتناع .

(٧) عليا : أراد به علي بن مسعود بن مازن الغساني . وإليه تنسب بنو كنانة لأنه كفل ولد أخيه عبد مناة
 ابن كنانة بعد وفاته ، فنسبوا إليه .

لَوْ يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ عِلْمِي كُلَّهُ فِيهِمْ لَصَدَّقَتِ الَّذِينَ أَمَارِي (١)
 قَوْمٌ إِذَا خَوَّتِ النُّجُومُ قَائِهِمْ لِلطَّارِقِينَ النَّازِلِينَ مَقَارِي (٢)
 فِي الْغُرِّ مِنْ غَسَّانٍ مِنْ جُرْثُومَةٍ أَعْيَتْ مَحَافِرُهَا عَلَى الْمَنَقَارِ (٣)
 قال ابن هشام :

ويُقال : إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده :
 « بَأْتِ سَعَادُ قَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولٌ »
 « لَوْلَا ذَكَرْتُ الْأَنْصَارَ بِخَيْرٍ فَإِنَّهُمْ لِدَكَ أَهْلٌ » ؟ فقال كعب هذه
 الأبيات وهي في قصيدة له .
 وذكر لي عن علي بن زيد بن جُدعان أنه قال : أنشد كعبُ بن زهير
 رسول الله ﷺ في المسجد :
 « بَأْتِ سَعَادُ قَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولٌ »

غزوة تبوك في رجب سنة تسع

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذي الحجة إلى رجب ، ثم أمر
 الناس بالتهيؤ لغزوة الروم .
 وقد ذكر لنا الزُّهْرِيُّ ، ويزيد بن رومان ، وعبدالله بن أبي بكر ، وعاصم
 ابن عمر بن قتادة ، وغيرهم من علمائنا ، كُلُّ حَدَّثٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ مَا بَلَغَهُ
 عَنْهَا ، وَبَعْضُ الْقَوْمِ يُحَدِّثُ مَا لَا يَحْدُثُ بَعْضٌ .
 أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمن
 عُسْرَةٍ مِنَ النَّاسِ ، وَشِدَّةٍ مِنَ الْحَرِّ ، وَجَذَبٍ مِنَ الْبَرَدِ ، وَحِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ ،
 (١) أماري : أجادل .

(٢) خوت النجوم : سقطت ولم تمطر في نوحها . والطارقين : الذين يأتون ليلاً . والمقاري : جمع مقري ،
 وهو الكثير الإطعام للضيف .

(٣) المحافر : مواضع الحفر . والمنقار : حديدة كالفأس ينقر بها .

والناس يُجِئُونَ الْمُقَامَ فِي ثَمَارِهِمْ وَظِلَالِهِمْ ، ويكرهون الشُّخُوصَ عَلَى الْحَالِ مِنْ الزَّمَانِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَلَمًا يُخْرِجُ فِي غَزْوَةٍ إِلَّا كَتَبَ عَنْهَا ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ غَيْرَ الْوَجْهِ الَّذِي يَصِيدُ لَهُ ^(١) ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ ، فَإِنَّهُ بَيْنَهَا لِلنَّاسِ ، لِبَعْدِ الشُّقَّةِ ^(٢) وَشِدَّةِ الزَّمَانِ ، وَكَثْرَةِ الْعَدُوِّ الَّذِي يَصِيدُ لَهُ ؛ لِيَتَأَهَّبَ النَّاسُ لَذَلِكَ أَهْبَتُهُ ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالْجَهَازِ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ يُرِيدُ الرُّومَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ فِي جَهَازٍ ذَلِكَ لِلْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ ، أَحَدِ بَنِي سَلَمَةَ : « يَا جَدُّ هَلْ لَكَ الْعَامَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ ^(٣) » ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْ تَأْذَنُ لِي وَلَا تَفْتِنِّي ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفَ قَوْمِي أَنَّهُ مَا مِنْ رَجُلٍ بِأَشَدَّ عُجْبًا بِالنِّسَاءِ مِنِّي ، وَإِنِّي أَخْشَى إِذَا رَأَيْتُ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَنْ لَا أَصْبِرَ . فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . وَقَالَ : « قَدْ أَذِنْتُ لَكَ » . فَفِي الْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ أَيُ : إِنْ كَانَ إِنَّمَا خَشِيَ الْفِتْنَةَ مِنْ نِسَاءِ بَنِي الْأَصْفَرِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِهِ ، فَمَا سَقَطَ فِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ أَكْبَرَ ، بِتَخَلُّفِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَالرَّغْبَةِ بِنَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ . يَقُولُ : وَإِنَّ جَهَنَّمَ لِمَنْ وَرَاءَهُ . وَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ! زَهَادَةٌ فِي الْجِهَادِ ، وَشُكَّاكَ فِي الْحَقِّ ، وَإِزْجَافًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

قال ابن إسحاق :

ثم إن رسول الله ﷺ جَدَّ فِي سَفَرِهِ وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْجَهَازِ وَالْإِنْكَمَاشِ ، وَحَضَّ أَهْلَ الْغَنَى عَلَى النِّفْقَةِ وَالْحُمْلَانِ ^(٤) فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَحَمَلَ رِجَالٌ مِنْ

(١) يصيد إليه : يقصده .

(٢) الشقة : بعد المسير .

(٣) بنو الأصفر : هم الروم .

(٤) الحملان : مصدر حمل يحمل . وقد يراد به ما يحمل عليه من الدواب .

أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم يُنفق أحدٌ مثلها ^(١) .

ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ ، وهم البكاؤون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم : من بني عمرو بن عوف : سالم بن عمير ، وعُلبَة بن زيد أخو بني حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب أخو بني مازن ابن النَّجَّار ، وعمرو بن حُمَام بن الجموح أخو بني سَلَمَة ، وعبدالله بن المغفل المزني ، وبعض الناس يقول : بل هو عبدالله بن عمرو المزني ، وهَرَمِي بن عبدالله أخو بني واقف ، وعِرْبَاض بن سارية الفزازي - فاستحملوا ^(٢) رسول الله ﷺ ، وكانوا أهل حاجة ، فقال : « لا أجِدُ ما أحملكم عليه » فتولَّوا وأعينُهُم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون .

فبلغني أن ابن يامين بن عمير بن كعب النَّضري لقي أبا ليلي عبد الرحمن ابن كعب وعبدالله بن مغفل ، وهما يبيكيان فقال : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه . فأعطاهما ناضحاً له ^(٣) ، فارتحلا ^(٤) ، وزودهُما شيئاً من تمر ، فخرجا مع رسول الله ﷺ . وقد ذكر أنهم نفر من بني غفار . وجاءه المُعَذَّرُونَ من الأعراب ، فاعتذروا إليه ، فلم يعذرهم الله تعالى . ثم استتب ^(٥) برسول الله ﷺ سفره ، وأجمع السَّير . وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النِّية عن رسول الله ﷺ حتى تخلفوا عنه ، عن غير شك ولا ارتياب ، منهم كعب بن مالك بن أبي كعب ، ومُرارة بن ربيع ، وهلال بن أمية ، وأبو خيثمة ، وكانوا نفرَ صدقٍ لا يتَّهمون في إسلامهم ،

(١) قال ابن هشام : حدثني من أثق به أن عثمان بن عفان أنفق في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم ارض عن عثمان ، فاني عنه راض » .

(٢) استحملوه : طلبوا أن يحملهم على الدواب .

(٣) الناضح : الجمل الذي يستقى عليه الماء .

(٤) ارتحلاه : وضعوا عليه الرجل .

(٥) استتب : تابع واستمر .

فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع^(١) .
 وضرب عبد الله بن أبي معه على حدة عسكره أسفل منه ، نحو ذباب^(٢) ،
 وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين ، فلما سار رسول الله ﷺ
 تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الرّيب ، وخلف رسول
 الله ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ،
 فأرجف به المنافقون^(٣) ، وقالوا : ما خلفه إلا استثقلاً وتخففاً منه . فلما
 قال ذلك المنافقون أخذ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه سلاحه ثم خرج
 حتى أتى رسول الله ﷺ ، وهو نازل بالجرف^(٤) ، فقال : يا نبي الله ،
 زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقلتني وتخففت مني ! فقال
 « كذبوا » ، ولكنني خلفتك لما تركت ورائي ، فارجع فاخلفني في أهلي
 وأهلك . أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؛ إلا أنه
 لا نبي بعدي » . فرجع علي إلى المدينة ، ومضى رسول الله ﷺ على سفره .
 ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله في يوم
 حار ، فوجد امرأتين له في عريشتين^(٥) لهما في حائطه^(٦) قد رشت كل واحدة
 منهما عريشها ، وبردت له فيه ماء ، وهيات له فيه طعاما ، فلما دخل قام
 على باب العريش فنظر إلى امرأته وما صنعتا له ، فقال : رسول الله ﷺ
 في الضح والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد ، وطعام مهيا ، وامرأة

(١) ثنية الوداع : ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة .

(٢) ذباب : جبل بالمدينة .

(٣) الإرجاف : توليد الأخبار الكاذبة .

(٤) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام . به كانت أموال لعمر بن الخطاب ولأهل المدينة .

(٥) العريش : شبيه بالخيمة ؛ يظلل فيكون أبرد الأخبية والبيوت .

(٦) الحائط : الحديقة ، أو بستان من النخل قد دار حوله بناء .

(٧) الضح : الشمس .

حدثنا ، في ماله مقيم ؟ ! ما هذا بالنصف^(١) . ثم قال : والله لا أدخل عريشاً واحداً منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ ، فهيناً لي زاداً . ففعلنا ، ثم قدم ناضجته فارتحلته^(٢) ، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك ، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق يطلب رسول الله ﷺ ، فترافقا ، حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لي ذنباً فلا عليك أن تحلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ . ففعل ، حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك قال الناس : هذا راكب على الطريق مقبل . فقال رسول الله ﷺ : « كُنْ أبا خيثمة ! » فقالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو خيثمة . فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : « أوى لك يا أبا خيثمة^(٣) » . ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر ، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ، ودعا له بخير .

وقد كان رسول الله ﷺ حين مرَّ بالحجر^(٤) نزها واستقى الناس من بئرها ، فلما راحوا قال رسول الله ﷺ : « لا تشربوا من ماءها شيئاً ولا تتوضؤوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئاً . ولا يخرج أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له » . ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ ، إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بغير له ، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خفي على مذهبه^(٥) ، وأما الذي ذهب في طلب بغيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبل طييء ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ ، فقال : « ألم أنهكم أن

(١) النصف ، بالكسر : الإنصاف .

(٢) الناضج : البعير يستقى عليه . ارتحلته : وضع عليه الرحل .

(٣) أولى لك : كلمة فيها معنى التهديد ، وهي اسم سمي به الفعل . ومعناها فيما قال المفسرون دنوت من الهلا

(٤) الحجر : قرية من نواحي المدينة بها عيون وآبار لبني سليم خاصة .

(٥) يقال لموضع الغائط : الخلاء ، والمذهب .

يُخْرِجُ مِنْكُمْ أَحَدًا إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبُهُ ؟ » . ثم دعا رسول الله ﷺ للذي أصيب على مذهبه فشفّى ، وأما الآخر الذي وقع ببجلي طيء فإن طيئاً أهدته لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة .

فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ ، فأرسل الله سحابة فأمطرت ، حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء .

ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلّت ناقته ، فخرج أصحابه في طلبها ، وعند رسول الله ﷺ رجلٌ من أصحابه يقال له عُمارة بن حُزم ، وكان عَقَبِيًّا بِدْرِيًّا ، وهو عمُّ بني مرو بن حُزم ، وكان في رحله زيد بن اللُصَيْتِ الْقَيْنُقَاعِيُّ ، وكان منافقاً .

فقال زيد بن اللُصَيْتِ وهو في رَحْلِ عُمارة ، عند رسول الله ﷺ :
أليس محمد يزعم أنه نبيٌّ ويُخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته ؟
فقال رسول الله ﷺ وعُمارة عنده : « إِنَّ رَجُلًا قَالَ : هَذَا مُحَمَّدٌ يُخبرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَيزعمُ أَنَّهُ يُخبرُكم بِأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته ، وإني والله ما أعلمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللهُ ، وقد دَلَّنِي اللهُ عليها ، وهي في هذا الوادي في شعبٍ كذا وكذا ، قد حَبَسْتُهَا شَجَرَةً بِزَمَامِهَا ، فانطلقوا حتّى تأتونني بها » .
فذهبوا فجاءوا بها ، فرجع عُمارة بن حُزم إلى رحله ، فقال : والله لَعَجَبٌ من شيء حَدَّثَنَاهُ رسولُ اللهِ ﷺ آنفاً ، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا - للذي قال زيد بن لُصَيْتِ - فقال رجلٌ ممن كان في رَحْلِ عُمارة ولم يحضر رسولَ الله ﷺ : زَيْدٌ والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي . فأقبل عُمارة على زيد ينجأ في عُنُقِهِ ^(١) ويقول : إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ ، إن في رَحْلِي لَدَاهِيَةً وما أشعر ! اخرج أي عدو الله من رحلي فلا تصحبني !

فرزع بعضُ الناس أن زيدا تاب بعد ذلك ، وقال بعضُ الناس : لم

(١) ينجأ في عنقه : يطعن فيها .

يزل مَتَّهَمًا بِشَرٍّ حَتَّى هَلَكَ .

ثم مضى رسول الله ﷺ سائراً ، فجعل يتخلف عنه الرجل ، فيقولون : يا رسول الله ، تخلف فلان ! فيقول : « دَعُوهُ فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَيُسَلِّحْهُ اللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ » . حتى قيل : يا رسول الله ، قد تخلف أبو ذر ، وأبطأ به بعيره ، فقال : « دَعُوهُ فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَيُسَلِّحْهُ اللَّهُ بِكُمْ ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ » .

وَتَلَوُمٌ^(١) أَبُو ذَرٍّ عَلَى بَعِيرِهِ ، فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ أَخَذَ مَتَاعَهُ فَحَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ يَتَّبِعُ أَثَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَاشِياً ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ مَنَازِلِهِ ، فَنَظَرَ نَازِئًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ هَذَا لَرَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ وَحْدَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كُنْ أَبَا ذَرٍّ » . فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ الْقَوْمُ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ وَاللَّهِ أَبُو ذَرٍّ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ ، يَمْشِي وَحْدَهُ ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ » .

عن عبدالله بن مسعود ، قال : لَمَّا نَفَى عُمَانُ أَبَا ذَرٍّ إِلَى الرَّبَذَةِ ، وَأَصَابَهُ بِهَا قَدْرُهُ ، لَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتُهُ وَغُلَامُهُ ، فَأَوْصَاها : أَنْ اغْسِلَانِي وَكَفِّنَانِي ، ثُمَّ ضَعَانِي عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، فَأَوَّلَ رَكْبٍ يَمُرُ بِكُمْ فَقُولُوا : هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ . فَلَمَّا مَاتَ فَعَلَا ذَلِكَ بِهِ ، ثُمَّ وَضَعَاهُ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ؛ وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فِي رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عُمَّارٌ^(٢) فَلَمْ يَرُعْهُمْ إِلَّا بِالْجَنَازَةِ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ ، قَدْ كَادَتْ الْإِبِلُ تَطَوُّهَا ، وَقَامَ إِلَيْهِمُ الْغُلَامُ ، فَقَالَ : هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ . قَالَ : فَاسْتَهَلَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَبْكِي وَيَقُولُ : صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : تَمْشِي وَحْدَكَ ، وَتَمُوتُ وَحْدَكَ ، وَتُبْعَثُ وَحْدَكَ ! ثُمَّ نَزَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَوَارَوْهُ .

(١) تلوم : تمكث وانتظر .

(٢) العمار : المعتزمون ، أي المحرمون بالعمرة .

ثم حدثهم عبدالله بن مسعود حديثه وما قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك .

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يُحَنَّةُ بن رُوْبَةَ صاحبُ أَيْلِهِ ، فصالح رسول الله ﷺ ، وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ فَأَعْطَوْهُ الجزية ، فكتب رسول الله ﷺ لهم كتاباً ، فهو عندهم .
فكتب يُحَنَّةُ بن رُوْبَةَ :

« بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذِهِ أَمَنَةٌ مِنَ اللَّهِ وَمُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لُيْحَنَةَ بنِ رُوْبَةَ وَأَهْلِ أَيْلِهِ سَفِينِهِمْ وَسَيَّارَتِهِمْ^(١) فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، لَهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ . وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْبَحْرِ ، فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا فَإِنَّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ . وَإِنَّهُ طَيِّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ . وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يُمْنَعُوا مَاءَ يَرِدُونَهُ وَلَا طَرِيقاً يُرِيدُونَهُ ، مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحَرٍ » .

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أَكِيدِرِ دُومَةَ

ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أَكِيدِرِ دُومَةَ ، وهو أَكِيدِرِ بن عبد الملك ، رجل من كندة كان ملكاً عليها ، وكان نصرانياً ، فقال رسول الله ﷺ لخالد : « إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ » .

فخرج خالدٌ حتَّى إِذَا كَانَ مِنْ حِصْنِهِ بِمَنْظَرِ الْعَيْنِ ، وَفِي لَيْلَةٍ مَقْمِرَةٍ صَائِفَةٍ ، وَهُوَ عَلَى سَطْحٍ لَهُ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ ، فَبَاتَتِ الْبَقْرُ تَحْكُ بِقُرُونِهَا بَابَ الْقَصْرِ ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : هَلْ رَأَيْتَ مِثْلَ هَذَا قَطُّ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ . قَالَتْ : فَمَنْ يَتْرُكُ هَذِهِ ؟ قَالَ : لَا أَحَدٌ . فَتَزَلُ فَأَمْرُ بَفَرْسِهِ فَأَسْرَجَ لَهُ ، وَرَكِبَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فَيَهْمُ أَخٌ لَهُ يَقَالُ لَهُ حَسَانٌ ، فَرَكِبَ وَخَرَجُوا مَعَهُ بِمِطَارِدِهِمْ^(٢) ، فَلَمَّا خَرَجُوا

(١) السيارة : القافلة ، والقوم يسرون .

(٢) المطارد : جمع مطرد . بكسر الميم . رمح قصير يطارد به الوحش .

تلقَّتهم خيل رسول الله ﷺ فأخذته ، وقتلوا أخاه ، وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب^(١) ، فاستلبه خالد . فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه به عليه

عن أنس بن مالك ، قال : رأيت قباء أكيدر حين قدم به على رسول الله ﷺ فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه ، فقال رسول الله ﷺ : « أتعجبون من هذا ، فالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا » .

قال ابن إسحاق : ثم إن خالدا قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ : فحقن له دمه^(٢) ، وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته . فأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضعة عشرة ليلة لم يجاوزها ، ثم انصرف قافلا إلى المدينة ، وكان في الطريق ماء يخرج من وشل^(٣) : ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة ، بوادٍ يقال له وادي المشقق ، فقال رسول الله ﷺ : « مَنْ سَبَقَنَا إِلَى ذَلِكَ الْوَادِي فَلَا يَسْتَقِينْ مِنْهُ شَيْئاً حَتَّى نَأْتِيَهُ » . قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه . فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه ، فلم ير فيه شيئا ، فقال : « مَنْ سَبَقَنَا إِلَى هَذَا الْمَاءِ ؟ » . فقل له : يا رسول الله ، فلان وفلان . فقال : أو لم أنهم أن يستقوا منه شيئا حتى آتاه ؟ . ثم لعنهم رسول الله ﷺ ، ودعا عليهم ، ثم نزل فوضع يده تحت الوشل ، فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب ، ثم نضح به ، ومسح بيده ، ودعا رسول الله ﷺ بما شاء أن يدعو به ، فانخرق من الماء - كما يقول من سمعه - ما إن له حيسا كحس الصواعق ، فشرب الناس ، واستقوا حاجتهم منه ، فقال رسول الله

(١) مخوص بالذهب : منسوج به كخوص النخل ، وهو ورقه .

(٢) حقن دمه : أنقذه من القتل .

(٣) الوشل ، بفتح الواو والشين : حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلا قليلا ، والوشل أيضا : القليل من الماء .

ﷺ : « لئن بقيتم أو من بقي منكم لتسمعن بهذا الوادي وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه » .

قال ابن إسحاق :

وذكر ابن شهاب الزهري ، عن ابن أكيمة الليثي ، عن ابن أخي أبي رهم الغفاري ، أنه سمع أبا رهم كلثوم بن الحصين ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ الذين بايعوا تحت الشجرة ، يقول : غزوت مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك ، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر^(١) قريباً من رسول الله ﷺ ، وألقى الله علينا النعاس ، فطففت أستيقظ وقد دنت راحتي من راحلة رسول الله ﷺ ، فيفرغني دنوها منه مخافة أن أصيب رجله في الغرز^(٢) ، فطففت أحوز راحتي عنه حتى غلبتني عيني في بعض الطريق ونحن في بعض الليل ، فزاحمت راحتي راحلة رسول الله ﷺ ورجله في الغرز ، فما استيقظت إلا بقوله « حس^(٣) » ، فقلت : يا رسول الله ، استغفر لي . فقال : « سر » . فجعل رسول الله ﷺ يسألني عما تخلف من بني غفار فأخبره به ، فقال وهو يسألني : « ما فعل النفر الأحمر الطوال^(٤) الثطاط^(٥) ؟ » . فحدثته بتخلفهم ، قال : « فما فعل النفر السود القصار ؟ » . قلت : والله ما أعرف هؤلاء منا . قال : « بل الذين لهم نعم بشبكة شدخ^(٥) » . فتذكرتهم في بني غفار ، ولم أذكرهم حتى ذكرت أنهم رهط من أسلم كانوا حلفاء فينا . فقلت : يا رسول الله ، أولئك رهط من أسلم كانوا حلفاء فينا . فقال رسول الله ﷺ : « ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله امرأً نشيطاً في سبيل الله . إن أعز أهلي علي أن يتخلف عني المهاجرون من قريش ، والأنصار ، وغفار وأسلم » .

(١) موضع قرب تبوك ، بينه وبين وادي القرى .

(٢) الغرز للرحل بمنزلة الركاب للسرير .

(٣) حس : كلمة معناها أنألم .

(٤) الثطاط بالكسر : جمع ثط . وهو القليل شعر اللحية والحاجين .

(٥) شبكة شدخ : من منازل غفار وأسلم بالحجاز .

أمر وفد ثقيف وإسلامها في شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق :

وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان ، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم اتبع أثره عروة بن مسعود الثقفي حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم ، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله ﷺ ، كما يتحدث قومك : « إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ » . وعرف رسول الله ﷺ أَنَّ فِيهِمْ نَخْوَةَ الامتناع الذي كان منهم ، فقال عروة : يا رسول الله ، أنا أحب إليهم من أبكارهم ^(١) .

وكان فيهم كذلك مُحِبًّا مطاعا ، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام ؛ رجاء ألا يخالفوه ، لمزلته فيهم ، فلما أشرف لهم على عَلِيَّةَ له ^(٢) ، وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رَمَوْهُ بِالنَّبْلِ من كل وجه ، فأصابه سهمٌ فقتله . فترعمُ بنو مالك أنه قتله رجل منهم يقال له : أَوْسُ بْنُ عَوْفٍ ، أخو بني سالم بن مالك . وترعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم من بني عَتَّاب بن مالك يقال له : وهب بن جابر . فقيل لعروة : ما ترى في دمك ؟ قال : كَرَامَةٌ أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله إليَّ ؛ فليس فيَّ إِلَّا مَا فِي الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنوني معهم .

فزعموا أَنَّ رسول الله ﷺ قال فيه : « إِنَّ مَثَلَهُ فِي قَوْمِهِ لَكَمَثَلِ صَاحِبِ يَسَ فِي قَوْمِهِ » .

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عُرْوَةَ أشهرا ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ، ورأوا

(١) قال ابن هشام : « ويقال : من أبصارهم » .

(٢) العلية : الغرقة .

أنه لا طاقة لهم بحَرْبَ مَنْ حَوْلَهُمْ من العرب ، وقد بايعوا وأسلموا .
فَأْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ ، وَأَجْمَعُوا أَنْ يَرْسِلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا كَمَا أَرْسَلُوا عُرْوَةَ ،
فَكَلِمُوا عَبْدَ يَلِيلَ بْنَ عمرو بن عمير ، وكان سنَّ عُرْوَةَ بْنِ مسعود ، وعرضوا
ذلك عليه فأبى أَنْ يَفْعَلَ ، وَخَشِيَ أَنْ يُصْنَعَ بِهِ - إِذَا رَجَعَ - كَمَا صُنِعَ بِعُرْوَةَ ،
فَقَالَ : لَسْتُ فَاعِلًا حَتَّى تُرْسِلُوا مَعِيَ رَجُلًا . فَأَجْمَعُوا أَنْ يَبْعَثُوا مَعَهُ رَجُلَيْنِ
مِنَ الْأَحْلَافِ ، وَثَلَاثَةَ مِنْ بَنِي مَالِكٍ ، فَيَكُونُوا سِتَّةً . فَبَعَثُوا مَعَ عَبْدِ يَلِيلِ
الْحَكَمَ بْنَ عمرو بن وهب بن مُعْتَبٍ ، وَشُرَحْبِيلَ بْنَ غَيْلَانَ بْنَ سلمة بن مُعْتَبٍ ،
وَمِنْ بَنِي مَالِكٍ : عَثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ بْنِ بَشَرَ بْنَ عَبْدِ دُهْمَانَ أَخَا بَنِي يَسَارٍ ،
وَأَوْسَ بْنَ عَوْفٍ أَخَا بَنِي سَالِمٍ ، وَنُمَيْرَ بْنَ خَرَّشَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَخَا بَنِي الْحَارِثِ ،
فَخَرَجَ بِهِمْ عَبْدُ يَلِيلٍ ، وَهُوَ نَابُ الْقَوْمِ ^(١) وَصَاحِبُ أَمْرِهِمْ ، وَلَمْ يَخْرُجْ بِهِمْ
إِلَّا خَشْيَةً مِنْ مِثْلِ مَا صُنِعَ بِعُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، لَكِي يَشْغَلَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِذَا
رَجَعُوا إِلَى الطَّائِفِ رَهْطُهُ .

فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ وَنَزَلُوا قَنَازَةَ أَلْفَوْا بِهَا الْمَغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَرْعَى فِي نَوْبَتِهِ
رِكَابَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَكَانَتْ رِعْبَتُهَا نُوبًا عَلَى أَصْحَابِهِ ﷺ -
فَلَمَّا رَأَوْهُمْ تَرَكَ الرِّكَابَ عِنْدَ الثَّقَفِيِّينَ وَضَبَرَ يَشْتَدُ ^(٢) ، لِيَشِيرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ ، فَلَقِيَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
فَأَخْبَرَهُ عَنْ رَكْبٍ ثَقِيفٍ أَنْ قَدْ قَدَمُوا يَرِيدُونَ الْبَيْعَةَ وَالْإِسْلَامَ ، بَأَنْ يَشْرِطَ
لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شُرُوطًا ، وَيَكْتَتِبُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كِتَابًا فِي قَوْمِهِمْ
وَبِلَادِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمَغِيرَةِ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ لَا تَسْبِقْنِي
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحَدُهُ . فَفَعَلَ الْمَغِيرَةُ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَخْبَرَهُ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ خَرَجَ الْمَغِيرَةَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَرَوَّحَ

(١) نَابُ الْقَوْمِ : سَيِّدُهُمْ وَالْمُدَافِعُ عَنْهُمْ .

(٢) ضَبَرَ يَشْتَدُ : أَيِ وَثَبَ . ضَبَرَ الْفَرَسَ ، إِذَا جَمَعَ قَوَائِمَهُ وَوَثَبَ .

الظَّهَرُ مَعَهُمْ ، وَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ يُحْيُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية .

ولما قدموا على رسول الله ﷺ ضَرَبَ عَلَيْهِمْ قَبَةً فِي نَاحِيَةِ مَسْجِدِهِ ، كَمَا يَزْعُمُونَ ، فَكَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْعَاصِ هُوَ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى اكْتَتَبُوا كِتَابَهُمْ ، وَكَانَ خَالِدٌ هُوَ الَّذِي كَتَبَ كِتَابَهُمْ بِيَدِهِ ، وَكَانُوا لَا يَطْعَمُونَ طَعَاماً يَأْتِيهِمْ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَأْكُلَ مِنْهُ خَالِدٌ ، حَتَّى أَسْلَمُوا وَفَرَّغُوا مِنْ كِتَابِهِمْ ، وَقَدْ كَانَ فِيمَا سَأَلُوهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدْعَ لَهُمْ (الطَّاعِيَةُ) ، وَهِيَ اللَّاتُ ، لَا يَهْدِمُهَا ثَلَاثَ سِنِينَ . فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، فَمَا بَرَحُوا يَسْأَلُونَهُ سَنَةً سَنَةً وَيَأْبَى عَلَيْهِمْ : حَتَّى سَأَلُوا شَهْراً واحداً بَعْدَ مَقْدَمِهِمْ ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ أَنْ يَدْعَهَا شَيْئاً مُسَمًّى ، وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ بِذَلِكَ ، فِيمَا يُظْهِرُونَ ، أَنْ يَتَسَلَّمُوا بِتَرْكِهَا مِنْ سُفَهَائِهِمْ وَنَسَائِهِمْ وَذُرَارِيهِمْ . وَيَكْرَهُونَ أَنْ يُرَوِّعُوا قَوْمَهُمْ بِهَدْمِهَا حَتَّى يَدْخُلَهُمُ الْإِسْلَامُ . فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا أَنْ يَبْعَثَ أَبَا سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَالْمَغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ فِيهِمَا . وَقَدْ كَانَ سَأَلُوهُ - مَعَ تَرْكِ الطَّاعِيَةِ - أَنْ يُعْفِيَهُمْ مِنَ الصَّلَاةِ ، وَأَنْ لَا يَكْسِرُوا أَوْتَانَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَّا كَسْرُ أَوْتَانِكُمْ بِأَيْدِيكُمْ فَسَنُعْفِيكُمْ مِنْهُ ، وَأَمَّا الصَّلَاةُ فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَا صَلَاةَ فِيهِ » . فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، فَسَنُوتِيكُمَا وَإِنْ كَانَتْ دَنَاءَةً .

فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَكَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِتَابَهُمْ أَمَرَ عَلَيْهِمْ عُمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ ، وَكَانَ مِنْ أَحَدَتِهِمْ سَيِّئاً ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَحْرَصَهُمْ عَلَى التَّفَقُّهِ فِي الْإِسْلَامِ وَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ هَذَا الْغُلَامَ مِنْهُمْ مِنْ أَحْرَصِهِمْ عَلَى التَّفَقُّهِ فِي الْإِسْلَامِ وَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ .

فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ أَمْرِهِمْ وَتَوَجَّهُوا إِلَى بِلَادِهِمْ رَاجِعِينَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُمْ أَبَا سَفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَالْمَغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ فِي هَدْمِ الطَّاعِيَةِ ، فَخَرَجَا مَعَ الْقَوْمِ ، حَتَّى إِذَا قَدَمُوا الطَّائِفَ أَرَادَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ أَنْ يُقَدِّمَ أَبَا سَفْيَانَ ،

فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : ادخل أنت على قومك . وأقام أبو سفيان بماله بذى الهدم^(١) فلما دخل المغيرة بن شعبة علّاهما يضربها بالمعول ، وقام قومه دونه ، بنو مُعْتَبٍ ، خَشِيةً أن يُرْمَى أو يصاب كما أصيب عُرْوَةُ ، وخرج نساء ثقيف حُسْرًا^(٢) يَبْكِينَ عليها ، وَيَقُلْنَ :

لَتُبَكِّينَ دَفَاعًا^(٣) أَسْلَمَهَا الرُّضَاعُ^(٤)

* لَمْ يُحْسِنُوا الْمِصَاعَ^(٥) *

ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس : واهأ لك^(٦) آها لك !
فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحلّيتها أرسل إلى أبي سفيان : وحلّيتها مجموع . وما لها من الذهب والجزع^(٧) .

وقد كان أبو مُلَيْح بن عروة وقاربُ بن الأسود قدما على رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف - حين قُتل عروة - يريدان فراق ثقيف ، وأن لا يُجامِعاهم على شيء أبداً ، فأسلما ، فقال لهما رسول الله ﷺ : « تَوَكَّيَا مَن شِئْتُمَا » . فقالا : نتولّى الله ورسوله . فقال رسول الله ﷺ : « وَخَالِكُمَا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ ؟ » ، فقالا : وخالنا أبا سفيان . فلما أسلم أهل الطائف ووجّه رسول الله ﷺ أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية سأل رسول الله ﷺ أبو مُلَيْح ابن عروة أن يَقْضِيَ عن أبيه عُرْوَةَ دَيْنًا كان عليه من مال الطاغية ، فقال له رسول الله ﷺ : نَعَمْ . فقال له قارب بن الأسود : وعن الأسود يا رسول

(١) ماء لبلي ، وراء وادي القرى .

(٢) حُسْرًا : جمع حاسرة ، وهي المكشوفة الوجه

(٣) دفاع : هو صيغة مبالغة في الدفع ، وإنما سموا طاغيتهم دفاعاً لأنهم كانوا يعتقدون أن الأصنام تدافع عنهم أعداءهم وتدفع عنهم البلاء .

(٤) الرضاع : جمع راضع . وأردت بهم اللثام . من قولهم : لثيم راضع . أي لم يدافعوا عن طاغيتهم وتركوها للمغيرة يهدمها .

(٥) المصاع . بكسر الميم : المجالدة والمضاربة بالسيوف .

(٦) واهأ لك : كلمة تقال في معنى التأسف .

(٧) الجزع ضرب من الخرز . فيه بياض وسواد .

الله فاقضه - وعُروَةُ والأسود أخوان لأب وأم - فقال رسول الله ﷺ :
إِنَّ الْأَسْوَدَ مَاتَ مُشْرِكًا ، فقال قارب لرسول الله ﷺ : يا رسول الله
لكن تصِلُ مسلماً ذا قرابة - يعني نفسه - إنما الدينُ عليَّ ، وإنما أنا الذي أُطْلَبُ
به . فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيان أن يقضيَ دينَ عروة والأسود من مال
الطاغية .

فلما جمع المغيرة ماها قال لأبي سفيان : إن رسول الله ﷺ قد أمرَكَ
أن تقضيَ عن عروة والأسود دينَهما . فقضى عنهما .
وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لهم :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ . إِنَّ
عِصَاةَ ^(١) وَجٍّ لَا يُعْصَدُ ^(٢) . مَنْ وَجِدَ يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُجْلَدُ وَتُنَزَعُ
ثِيَابُهُ ، فَإِنْ تَعَدَّى ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ فَيُبَلِّغُ بِهِ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ . وَإِنْ هَذَا أَمْرُ النَّبِيِّ
مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبدالله . فلا يتعدّه أحدٌ
فيظلم نفسه فيما أمره به محمد رسول الله ﷺ . »

ذكر سنة تسع

وتسميتها سنة الوفود ، ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق : لما افتتح رسول الله ﷺ مكة ، وفرغ من تبوك ،
وأسلمت ثقيف وبابعت ، ضربت إليه وفودُ العرب من كل وجه ^(٣) .
وإنما كانت العرب تَرَبَّصُ بالإسلام أمر هذا الحي من قريش ، كانوا

(١) العِصَاة : شجر له شوك ، واحدته عصاة . ووج : اسم موضع بالطائف . وهو بفتح الواو وتشديد
الجيم .

(٢) يعصد : يقطع .

(٣) قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة أن ذلك في سنة تسع . وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

إمام الناس وهاديهم ، وأهل البيت والحرم . وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم . عليهما السلام . وقادة العرب ، لا يُنكروَنَ ذلك ، وكانت قريش هي التي نَصَبَتْ لحرب رسول الله ﷺ وخلافه ، فلما أَفْتُتِحَتْ مكة ودانت له قريش ودَوَّخَهَا الإسلام^(١) ، عَرَفَت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله ، كما قال الله عز وجل أفواجا ، يضربون إليه من كل وجه . يقول الله تعالى لنبية ﷺ : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ أي : فاحمد الله على ما أظهر من دينك واستغفره إنه كان توابا .

قدوم وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات

فقدمت على رسول الله ﷺ وفود العرب ، فقدم عليه عطارذ بن حاجب ابن زُرارة بن عُدُس التميمي في أشراف بني تميم : منهم الأقرع بن حابس التميمي ، والزُبَيْرِقَانُ بن بدر التميمي أحد بني سعد ، وعمرو بن الأهتم ، والحبحاب بن يزيد .

وفي وفد بني تميم : نُعَيْم بن يزيد ، وقيس بن الحارث ، وقيس بن عاصم أخو بني سعد ، في وفد عظيم من بني تميم ، ومعهم عِيْنَةُ بن حِصْن بن حذيفة ابن بدر الفزاري . وقد كان الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحُنين والطائف ، فلما قدم وفد بني تميم كانا معهم فلما دخل وفد بني تميم المسجد نادوا رسولَ الله ﷺ من وراء حُجُرَاتِهِ : أن اخرج إلينا يا محمد ! فأذَى ذلك رسولَ الله ﷺ من صياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك نفاخرك فأذنْ لشاعرنا وخطيبنا . قال :

(١) دوحها الإسلام : ذلها وأخضعها .

« قَدْ أَذِنْتُ لِخَطِيْبِكُمْ فَلْيَقُلْ » . فقام عطار د بن حاجب ، فقال :
الحمد لله الذي له علينا الفضلُ والمَن ، وهو أهله ، الذي جعلنا ملوكاً ،
ووهبَ لنا أموالاً عِظَماً نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزَّ أهل المَشْرِق ،
وأكثره عَدَداً وأيسرهُ عُدَّةً ، فمن مِثْلنا في الناس ؟ ألسنا برؤوس الناس وأولي
فضلهم ؟ فمن فَاخَرْنَا فليعدُّ مثل ما عددنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام .
ولكنَّا نحيا^(١) من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نُعرَف بذلك . أقول هذه لأن
تأتوا بمثل قولنا ، وأمرٍ أفضل من أمرنا .

ثم جلس فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشماس ، أخي بني
الحارث بن الخزرج : « قُمْ فَأَجِبِ الرَّجُلَ فِي خُطْبَتِهِ » فقام ثابت ، فقال :
الحمد لله الذي السموات والأرض خلقهُ ، قضى فيهن أمره ، ووسع
كرسيه علمه^(٢) ، ولم يك شيء قط إلا من فضله . ثم كان من قدرته أن جعلنا
ملوكاً ، واصطفى من خير خلقه رسولاً أكرمهُ نسباً^(٣) . وأصدقهُ حديثاً ،
وأفضله حسبا ، فأنزل عليه كتابه ، واثمنه على خلقه ، فكان خيرة الله من
العالمين . ثم دعا الناس إلى الإيمان به ، فأمن برسول الله المهاجرون من قومه
وذوي رحمته ، أكرم الناس حسباً ، وأحسن الناس وجوهاً ، وخيرُ الناس
فعالاً . ثم كان أولُ الخلق إجابةً ، واستجاب الله حين دعاه رسولُ الله نحن .
ففتح أنصار الله ، ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن
بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً ، وكان قتله
علينا يسيراً . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات . والسلام
عليكم .

(١) يقال : حييت منه احيا ، اي استحييت .

(٢) الكرسي : ما أحاط بالسموات والأرضين ، كما فسره السهيلي هنا .

(٣) أي أكرم الخلق .

فقام الزبرقان بن بدر ، فقال :

نحن الكرام فلاحي يعادلنا
وكم قسرنا من الأحياء كلهم
ونحن يطعم عند القحط مطعمنا
بما ترى الناس تأتينا سرائهم
ففتح الكوم عبطاً في أرومتنا
فلا ترانا إلى حي نفاخرهم
فمن يفاخرنا في ذلك نعرفه
إننا أئمتنا ولا يأتينا أحد

وكان حسان غائباً ، فبعث إليه رسول الله ﷺ . قال حسان : جاءني
رسوله فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم ، فخرجت إلى رسول
الله ﷺ وأنا أقول :

منعنا رسول الله إذ حلّ وسطننا
منعناه لما حلّ بين بيوتنا
بيت حريد عزه وئراؤه
هل المجد إلا السؤدد والندى
على أنف راضٍ من معدٍ وراغم
بأسافنا من كل باغ وظالم
بحابة الجولان وسط الأعاجم
وجاه الملوك واحتمال العظام

قال : فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ وقام شاعر القوم فقال ما قال ،
عرضت في قوله ^(٧) ، وقلت على نحو ما قال ، فلما فرغ الزبرقان قال

(١) البيع : مواضع الصلوات والعبادات للنصارى . وقيل لليهود . واحدها بيعة بكسر الباء .

(٢) القرع : سحاب رقيق يكون في الخريف . واحده قرعة . بفتح القاف والزاي فيهما .

(٣) هوياء : سراعا .

(٤) الكوم : جمع كرماء . وهي الناقة العظيمة السنام . وعطا : أي من غير علة . والأرومة : الأصل .
أي إن الكرم أصيل فينا .

(٥) الحريد : المفرد . لا يختلط بغيره لعزته . حابية الجولان : بلد بالشام . يريد أن أهمهم متصل بجاه
الغساسنة ملوك الشام .

(٦) السؤدد العود : المحدث القديم .

(٧) أراد : قلت على مثل عروضه . والعروض ميزان الشعر .

رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت : « قُمْ يَا حَسَّانُ فَأَجِبِ الرَّجُلَ فِيمَا قَالَ » .
فقام حسان ، فقال :

إِنَّ الذَّوَائِبَ مِنْ فِيهِمْ وَإِخْوَتَهُمْ
يَرْضَى بِهِمْ كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ
سَجِيَّةُ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ
لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أُوْهَتْ أَكْفُهُمْ
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْقُهُمْ
أَعْقَةُ ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عِفَّتُهُمْ
لَا يَتَخَلُّونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ
إِذَا نَصَبْنَا لِحَيٍّ لَمْ نَدِبْ لَهُمْ
نَسْمُوا إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنَا مَخَالِبُهَا
لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ
كَانَتْهُمْ فِي الْوَغَى وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعٌ

قَدْ يَبْنُونَ سُنَّةً لِلنَّاسِ تُبَعُّ^(١)
تَقْوَى الْإِلَهِ وَكُلُّ الْخَيْرِ يَصْطَنِعُ
أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
إِنَّ الْخَلَائِقَ فَأَعْلَمَ شَرُّهَا الْبِدْعُ^(٢)
فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعُ
عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَفَعُوا^(٣)
أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِاللَّدَى مَتَعُوا^(٤)
لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يُرْدِيهِمْ طَبَعُ^(٥)
وَلَا يَمْسُهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ^(٦)
كَمَا يَدِبُ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ^(٧)
إِذَا الرِّعَانُفُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا^(٨)
وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا خُورٌ وَلَا هُلَعُ^(٩)
أَسَدٌ بِحَلِيَّةٍ فِي أَرْسَاقِهَا فَدَعُ^(١٠)

(١) الذوائب : الأعالي ، واحداها ذؤابة ، وأراد ههنا السادة .

(٢) السجية : الطبيعة والخلقة .

(٣) أوهت : أضعفت وهدمت .

(٤) متعوا : زادوا وظهروا عليهم . من قولهم : متع النهار ، إذا ارتفع .

(٥) لا يطبعون : أي لا يتدنسون .

(٦) الطبع ، بفتح الطاء والباء : الدنس .

(٧) نصبنا : أظهرنا لهم العداوة ولم سرها في أنفسنا . والذرع ، بفتح الحاء ، ولد البقرة الوحشية .

(٨) نسمو : نهض . الرعانف : أطراف الناس وأتباعهم . وخشعوا : خضعوا وتذللوا .

(٩) الخور : جمع أخور ، وهو الضعيف . والهلع : جمع هلوع ، وهو الجبان الخائف .

(١٠) مكتنع : دان قريب ، تقول : اكتنع منه ، إذا دنا . وحلية : اسم موضع تنسب إليه الأسود .

والأرساغ : جمع رسخ ، وهو موضع مربوط القيد . وفدع : اعوجاج إلى ناحية .

خُذْ مِنْهُمْ مَا آتَى عَفْوًا إِذَا غَضِبُوا
فَإِنَّ فِي حَرَبِهِمْ ، فَأَتْرُكُ عِدَاوَتَهُمْ ،
أَكْرِمُ بِقَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ شِيَعَتَهُمْ
أَهْدَى لَهُمْ مِدْحَتِي قَلْبُ يَوَازِرُهُ
فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ

فلما فرغ القوم أسلموا ، وجوزهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم (٥) .
وكان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم في ظهرهم (٦) ، وكان أصغرهم
سنًا ، فقال قيس بن عاصم ، وكان يبغض عمرو بن الأهتم : يا رسول الله ،
إنه قد كان رجلًا منّا في رحالنا ، وهو غلام حدثٌ - وأزرى به - فأعطاه
رسول الله ﷺ مثل ما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأهتم - حين بلغه أن
قيسًا قال ذلك - يهجوهُ :

ظَلَلْتَ مُقَرَّرَ شَهِبٍ الْهَلْبَاءِ تَشْتِمُنِي
عِنْدَ الرَّسُولِ فَلَمْ تُصَدِّقْ وَلَمْ تَصْبِرِ (٧)
سُدْنَاكُمْ سُودَدًا رَهَوًّا وَسُودَدُكُمْ
بَادَ نَوَاجِدُهُ مَقْعٌ عَلَى الذَّنْبِ (٨)
قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ
وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

(١) عفوا : أي من غير طلب ولا مشقة

(٢) السلع : نبات مسموم .

(٣) صنع ، بفتح الصاد والنون : صانع ماهر يتقن ما يصنعه ويحسن عمله .

(٤) شمعوا : هزلوا ، وأصل الشمع الطرب واللهور ، ومنه قولهم : جارية شموع ، إذا كانت كثيرة
الطرب .

(٥) الجوائز : العطايا ، واحدها جائزة .

(٦) ظهرهم : إبلهم .

(٧) الهلباء : شعر الذنب ، وقد استعاره ههنا للإنسان ، كنى بذلك عن خلفه .

(٨) رهوا ، بالراء المهملة : متسما . والنواجذ : الأسنان ، واحدها ناجذ .

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس

في الوفاة عن بني عامر

وقدم على رسول الله ﷺ وفد من بني عامر ، فيهم عامر بن الطفيل . وأربد بن قيس بن جَزء بن خالد بن جعفر ، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم . فقدم عامر بن الطفيل عَدُوَّ الله على رسول الله ﷺ ، وهو يريد الغدْرَ به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن الناس قد أسلموا فأسلم . قال : والله لقد كنت آليت أن لا أنتهي حتى تتبعَ العربُ عَقْبِي ، أفأنا أتبع عَقِبَ هذا الفتى من قريش ؟ ثم قال لأربدَ : إذا قدمنا على الرجل فإني سأشغل عَنْكَ وجهه . فإذا فعلتُ ذلك فاعله بالسيف^(١) . فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل : يا محمد ، خالني^(٢) ، قال : « لا وَاللَّهِ حتى تؤمِّنَ باللهِ وحده » قال : يا محمد . خالني . وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به . فجعل أربد لا يُحِيرُ شيئاً^(٣) ، فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال : يا محمد خالني ، قال : « لا وَاللَّهِ حتى تؤمِّنَ باللهِ وحده لا شريك له » . فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال : أما والله لأملأَنَّها عليك خَيْلاً ورجالاً ! فلما ولى قال رسول الله ﷺ : « اللَّهُمَّ اكْفني عامرَ بنَ الطُّفَيْلِ » .

فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر لأربد : ويلك يا أربد ! ! أين ما كنتُ أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجلاً هو أَخَوْفُ عندي على نفسي منك ، وإيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً ! قال : لا أَبَالُكَ ، لا

(١) . فاعله بالسيف : يريد اقتله ، ويروى فاعله بالسيف « بالغين المعجمة » وهو من الغيلة . وهي القتل خديعة وخفية .

(٢) خالني : يروي بكسر اللام مخففة . وبتشديد هاء مكسورة . فالأول معناه تفرد لي خالياً حتى أحدثك على انفراد ، والثاني معناه اتخذني خليلاً : من المخالة ، وهي الصداقة .

(٣) أي لا يرد جواباً

تَعَجَّلْ عَلَيَّ ، والله ما هممتُ بالذي أمرتني به من أمره إلا دخلتَ بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بَعَثَ الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه ، فقتله الله في بيت امرأة من بني سُلُول ، فجعل يقول : يَا بَنِي عامر ، أَغْدَةً كَغُدَّةِ^(١) الْبَكْرِ في بيت امرأة من بني سُلُول ؟ ! ثم خرج أصحابه حين وَاَرَوْهُ حتى قدموا أرض بني عامر شَاتَيْنِ ، فلما قدموا أتاها قومهم فقالوا : مَا وَرَاءَكَ يَا أَرَبْدُ ؟ قال : لا شيء ، والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لَوَدِدْتُ أَنَّهُ عِنْدِي الْآنَ فَأَرْمِيهِ بِالنَّبْلِ حتى أَقْتَلَهُ !

فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين ، معه جمل له يتبعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جملة صاعقةً فأحرقتهما . وكان أَرَبْدُ بن قيس أَخَا لبيد بن ربيعة لأمه ، فقال لبيد يبكي أَرَبْدَ :

مَا إِنْ تَعَدَّى الْمُنُونُ مِنْ أَحَدٍ	لَا وَالِدٍ مُّشْفِقٍ وَلَا وَلَدٍ ^(٢)
أَخْشَى عَلَى أَرَبْدَ الْحُثُوفَ وَلَا	أَرْهَبُ نَوَى السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ
فَعَيْنُ هَلَا بِكَيْتِ أَرَبْدَ إِذْ	قُمْنَا وَقَامَ النِّسَاءُ فِي كَبَدٍ ^(٣)
إِنْ يَشْعَبُوا لَا يُيَالِ شَعْبُهُمْ	أَوْ يَقْصِدُوا فِي الْحُكُومِ يَقْتَصِدِ
حُلُوْ أَرِيبُ وَفِي حَلَاوَتِهِ	مُرٌّ لَطِيفُ الْأَحْشَاءِ وَالْكَدِ ^(٤)
وَعَيْنُ هَلَا بِكَيْتِ أَرَبْدَ إِذْ	أَلَوْتُ رِيأَحُ الشُّتَاءِ بِالْعُضْدِ ^(٥)
وَأَصْبَحَتْ لَاقِحًا مُصَرَّمَةً	حِينَ تَجَلَّتْ غَوَابِرُ الْمُدَدِ ^(٦)

(١) الغدة : داء يصيب البعير في حلقه فيموت منه . وهو شبيه بالذبحة التي تصيب الإنسان . والبكر بالفتح : الفتى من الإبل . وسلول : قوم يصفهم العرب باللؤم والدناءة ، قال السموءل : وإنا أناس لا ترى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول

(٢) تعدى : أراد به تترك وتجاوز .

(٣) الكبد : بفتح الكاف والباء : الجهد والمشقة .

(٤) الأريب : العاقل .

(٥) العضد : الشجر ذهب الريح بأوراقه ، وهذا كناية عن الجذب في الشتاء .

(٦) المصرة : التي لا لبن لها . والغواير : البقايا ، واحدها غابرة .

أَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ غَابَةِ لَحْمٍ دُو نَهْمَةٍ فِي الْعُلا وَمُنْتَقَدٍ ^(١)
لَا تَبْلُغُ الْعَيْنُ كُلَّ نَهْمَتِهَا لَيْلَةٌ تُنْمِي الْجِيَادَ كَالْقِدَدِ ^(٢)
الْبَاعِثُ النَّوْحَ فِي مَائِمِهِ مِثْلَ الظُّبَاءِ الْأَبْكَارِ بِالْجَرَدِ ^(٣)
فَجَعَنِي الْبَرْقُ وَالصَّوَاعِقُ بِالْ فَارِسِ يَوْمَ الْكَرِيمَةِ النَّجْدِ ^(٤)
وَالْحَارِبِ الْجَابِرِ الْحَرِيبِ إِذَا جَاءَ نَكِيئاً وَإِنْ يَعْدُ يَعْدِ ^(٥)
يَعْقُو عَلَى الْجَهْدِ وَالسُّوَالِ كَمَا يَنْبُتُ غَيْثُ الرَّيِّعِ دُو الرِّصْدِ ^(٦)
كُلُّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرُهُمْ قُلٌّ ، وَإِنْ أَكْثَرَتْ مِنَ الْعَدَدِ ^(٧)
إِنْ يُغْبَطُوا يَهْطُوا وَإِنْ أَمُرُوا يَوْمًا فَهُمْ لِلْهَلَاكِ وَالْقَدْرِ ^(٨)

قدوم الجارود في وفد عبد القيس

وقدّم على رسول الله ﷺ الجارود بن عمرو بن حنش أخو عبد القيس ^(١)
عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلمه ، فعرض عليه
رسول الله ﷺ الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغبه فيه ، فقال : يا محمد ، إني

-
- (١) لحم بفتح فكسر : كثير الأكل للحم . وذو نهمة : أي له ولوع وحب في بلوغ غاية الشيء . ويروى « ذو نهية » بالياء المثناة . وهي العقل وجمعها مئى . ومُنْتَقَدٍ . أي بصر بالأمور .
(٢) القدد بكسر ففتح : جمع قدة ، وهي السير الذي يقطع من الجلد . شبه الخيل بالسير في تحولها وضعفها .
(٣) النوح : جماعة النساء النائحات . المائِم : جمع مأتم . وهو جماعة النساء يجتمعن في خير أو شر . والجرود : الأرض لا نبات فيها .
(٤) النجد . بفتح فضم : الشجاع .
(٥) الحارب : السالب . والحريب : المسلوب . والنكيب : المنكوب الذي أصابه نكبة .
(٦) الجهد : المشقة ، يريد أنه يعطي ويكثر عطاؤه مع المشقة . والرصد : الكلا القليل .
(٧) قل . بضم القاف : أي قليل .
(٨) يغبطوا : هو من الغبطة ، وهو كناية عن حسن حالهم حتى يغبطهم الناس . يهبطوا : ينزلوا ، أي تضعف حالهم بعد ذلك ويلحقهم الذل بعد العزة . وأمروا ، بكسر الميم : كثروا . والنفذ : انقطاع الشيء وزواله .
(٩) قال ابن هشام : « الجارود : ابن بشر بن المعلى في وفد عبد القيس ، وكان نصرانياً » .

قد كنت على دين ، وإني تارك ديني لدينك ، أفتضمن لي ديني ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نَعَمْ أَنَا ضَامِنٌ لَكَ أَنْ قَدْ هَدَاكَ اللَّهُ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ » .
 فأسلم وأسلم أصحابه ، ثم سأل رسول الله ﷺ الحُمْلَانِ ، فقال : « والله ما عندي ما أحملكُم عليه » . قال : يا رسول الله ، فإنَّ بيننا وبين بلادنا ضَوَالٌ من ضَوَالِ النَّاسِ ^(١) أفتبَلِّغُ عليها إلى بلادنا ؟ قال : « لا ، إِيَّاكَ وَإِيَّاهَا ، فَإِنَّمَا تِلْكَ حَرَقُ النَّارِ ^(٢) » .

فخرج من عنده الجارودُ راجعاً إلى قومه ، وكان حسنَ الإسلامِ صُلْباً على دينه حتى هلك . وقد أدرك الرُّدَّةَ .

فلما رجع من قومه مَنْ كَانَ أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الغُرُورِ بن المنذر بن النعمان بن المنذر ، قام الجارود فتكلَّم فتشَهَّدَ شهادة الحق ، ودعا إلى الإسلام ، فقال : أيها الناس إني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأكفر من لم يشهد ^(٣) .

قدوم بنن حنيفة ، ومعهم مُسَيْلِمَةُ الكَذَّاب

وقدم على رسول الله ﷺ وَفْدُ بني حنيفة ، فيهم مُسَيْلِمَةُ بن حبيب الحنفي الكذاب ^(٤) .

فكان منزلهم في دار بنت الحارث ^(٥) امرأة من الأنصار ، ثم من بني النجار . فحدثني بعض علمائنا من أهل المدينة أن بني حنيفة أتت به رسول الله ﷺ تَسْرُهُ بالثياب . ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه ، معه عَسِيبٌ من سَعَفِ النخل ، في رأسه خُوصَات ^(٦) ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وهم

(١) يعني الإبل الصالة . (٢) أي لهب النار أي تؤدي إلى ذلك .

(٣) قال ابن هشام : « ويروى وأكفى من لم يشهد » .

(٤) قال ابن هشام . « مسيلم بن ثمامة . ويكنى أبا ثمامة » .

(٥) قال أبو ذر . « يقال : إن هذه المرأة اسمها كيسة بنت الحارث » .

(٦) العسيب : جريد النخل . والسعف ، بفتح السين : أغصان النخلة . والخوصات : جمع خوصة ، ورق النخل والدوم .

يسترونه بالثياب كلمه وسأله ، فقال له رسول الله ﷺ : « لَوْ سَأَلْتَنِي هَذَا الْعَسِيبَ مَا أَعْطَيْتَكَه » .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة ، أن حديثه كان على غير هذا :

زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ ، وخَلَفُوا مُسَيْلِمَةَ فِي رِحَالِهِمْ ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا ذَكَرُوا مَكَانَهُ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا قَدْ خَلَفْنَا صَاحِبًا لَنَا فِي رِحَالِنَا وَفِي رِكَابِنَا يَحْفَظُهَا لَنَا . قَالَ : فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ مَا أَمَرَ بِهِ لِلْقَوْمِ ، وَقَالَ : « أَمَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِشَرِّكُمْ مَكَانًا » أَيِ لِحَفَظِهِ ضَيْعَةَ أَصْحَابِهِ . ذَلِكَ الَّذِي يَرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . قَالَ : ثُمَّ انصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَاءُوهُ بِمَا أَعْطَاهُ ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى الْيَمَامَةِ ارْتَدَّ عَدُوُّ اللَّهِ ، وَتَنَبَّأَ . وَتَكَذَّبَ لَهُمْ ، قَالَ : إِنِّي قَدْ أَشْرَكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَهُ . وَقَالَ لَوْفَدِهِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ : أَلَمْ يَقُلْ لَكُمْ حِينَ ذَكَرْتُمُونِي لَهُ : « أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ بِشَرِّكُمْ مَكَانًا » ؟ ! مَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَا كَانَ يَعْلَمُ أَنِّي قَدْ أَشْرَكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَهُ .

ثُمَّ جَعَلَ يَسْجَعُ لَهُمُ الْأَسَاجِنِجَ ، وَيَقُولُ لَهُمْ فِيمَا يَقُولُ مُضَاهَاةً لِلْقُرْآنِ : لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْحُبْلَى ، أَخْرَجَ مِنْهَا نَسَمَةً تَسْعَى ، مِنْ بَيْنِ صِفَاقٍ ^(١) وَحَشَا .

وَأَحْلَى لَهُمُ الْخَمْرَ وَالزَّيْنَةَ ، وَوَضَعَ عَنْهُمْ الصَّلَاةَ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَشْهَدُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ .

فَأَصْفَقَتْ مَعَهُ حَنِيفَةُ عَلَى ذَلِكَ ^(٢) . فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ .

أَمْرُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ

وَأَمَّا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ فَكَانَ يَقُولُ - فِيمَا بَلَغَنِي - : مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ

(١) الصفاق : مارق من البطن . (٢) أصفقت معه : اجتمعوا عليه .

كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به مني . أمّا أنا فكنت امرأ شريفاً ، وكنت نصرانياً ، وكنت أسيرُ في قومي بالمرباع ^(١) ، فكنت في نفسي على دين ، وكنت ملكاً في قومي لما كان يُصنع بي ، فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته ، فقلت لغلام كان لي عربيّ وكان راعياً لإبلي : لا أبالك ، أعدد لي من إبلي أجماً ذُللاً ^(٢) سِمَاناً ، فاحتسبها قريباً مني ، فإذا سمعت بجيشٍ لمحمد قد وطئ هذه البلاد فأذني ^(٣) . ففعل .

ثم إنه أتاني ذاتَ غداةٍ فقال : يا عدي ، ما كنت صانعاً إذا غَشِيَتْكَ خيلُ محمد فاصنعه الآن ، فإني قد رأيت راياتٍ ، فسألتُ عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . فقلت : فقرب إليّ أجماً لي . فقربها ، فاحتملت بأهلي وولدي ، ثم قلت : ألحق بأهل ديني من النصارى بالشام . فسلكت الجوشية ^(٤) - ويقال : الجوشية فيما قال ابن هشام - وخلفتُ بنتاً لحاتم في الحاضر ^(٥) ، فلما قدمت الشام أقمت بها ، وتخالفتني خيلُ لرسول الله ﷺ فتصيب ابنة حاتم فيمن أصابت ، فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طيء . وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام ، فجعلتُ بنت حاتم في حظيرة بباب المسجد ، كانت السبايا يُحبسنَ فيها ، فمرَّ بها رسول الله ﷺ ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جزلةً ، فقالت : يا رسول الله ، هلك الوالدُ ، وغاب الوافد ، فامنن عليّ من الله عليك ! قال : « ومن وافدك » ؟ قالت : عدي بن حاتم . قال : « الفار من الله ورسوله » ؟ قالت : ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني ، حتى إذا كان من الغد مرَّ بي ، فقلت له مثل ذلك ، وقال لي مثل ما قال بالأمس ، حتى إذا كان بعد الغد مرَّ بي ، وقد يشئتُ منه ، فأشار إليّ رجُلٌ من خلفه :

(١) أي أخذ الربع من الغنائم ، وكان العرب يجعلون ذلك للرئيس .

(٢) ذللاً : جمع ذلول ، وهو الجمل السهل الذي قد ارتاض .

(٣) أي أعلمني . آذنه : أعلمه .

(٤) الجوشية : جبل للضباب قرب ضرية من أرض نجد .

(٥) اسمها : سفانة فيما يرجع السهلي . والحاضر : الحي القديم .

أَنْ قَوْمِي فَكَلَّمِيهِ . فَقَمْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْكَ الْوَالِدُ ، وَغَابَ الْوَاغِدُ ، فَاثْمُنُ عَلَيَّ مَنْ اللَّهُ عَلَيْكَ . فَقَالَ ﷺ : « قَدْ فَعَلْتُ » . فَلَا تَعْجَلِي بِخُرُوجِي حَتَّى تَجِدِي مِنْ قَوْمِكَ مَنْ يَكُونُ لَكَ ثِقَةً حَتَّى يُبَلِّغَكَ إِلَى بِلَادِكَ . ثُمَّ أَذِنِي . » . فَسَأَلْتُ عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أَكَلِمَهُ . فَقِيلَ : عَلِيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِوانَ اللَّهُ عَلَيْهِ . وَأَقَمْتُ حَتَّى قَدِمَ رَكِبَ مِنْ بَلَاءٍ أَوْ قَضَاعَةٍ ، وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ آتِيَ أَخِي بِالشَّامِ . فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِي لِي فِيهِمْ ثِقَةٌ وَبَلَاغٌ . فَكَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَحَمَلَنِي ، وَأَعْطَانِي نَفَقَةً . فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ .

قَالَ عَدِي : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَقَاعِدٌ فِي أَهْلِي إِذْ نَظَرْتُ إِلَى ظُعِينَةٍ ^(١) تَصُوبُ إِلَيَّ تَوْمُنًا فَقُلْتُ : ابْنَةُ حَاتِمٍ . قَالَ : فَإِذَا هِيَ هِيَ . فَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَيَّ انْسَحَلَتْ ^(٢) تَقُولُ : الْقَاطِعُ . الظَّالِمُ . احْتَمَلْتُ بِأَهْلِكَ وَوَلَدَكَ وَتَرَكْتُ بَقِيَّةَ وَالِدِكَ عَوْرَتَكَ ! قُلْتُ : أَيُّ أَخِيَّةٍ لَا تَقُولِي إِلَّا خَيْرًا . فَوَاللَّهِ مَا لِي مِنْ عَذْرِ . لَقَدْ صَنَعْتُ مَا ذَكَرْتَ . ثُمَّ نَزَلْتُ فَأَقَامْتُ عِنْدِي . فَقُلْتُ لَهَا - وَكَانَتْ امْرَأَةً حَازِمَةً : مَاذَا تَرَيْنَ فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ ؟ قَالَتْ : أَرَأَيْتَ إِنْ تَلَحَّقَ بِهِ سَرِيعًا . فَإِنْ يَكُنِ الرَّجُلُ نَبِيًّا فَلِلْسَابِقِ إِلَيْهِ فَضْلُهُ . وَإِنْ يَكُنْ مُلْكًا فَلَنْ تَذِلَّ فِي عِزِّ الْيَمَنِ وَأَنْتِ أَنْتِ ! قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنْ هَذَا الرَّأْيُ .

فَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْدَمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ . فَقَالَ : مَنْ الرَّجُلُ ؟ فَقُلْتُ : عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ . فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَانْطَلَقَ بِي إِلَى بَيْتِهِ . فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لِعَامِدٌ بِي إِلَيْهِ ^(٤) إِذْ لَقِيْتَهُ امْرَأَةً ضَعِيفَةً كَبِيرَةً . فَاسْتَوْقَفْتَهُ . فَوَقَفَ لَهَا طَوِيلًا تَكَلَّمَهُ فِي حَاجَتِهَا ،

(١) الظُعِينَةُ . الْمَرْأَةُ فِي هَوْدَجِهَا . وَقَدْ يُقَالُ لَهَا ظُعِينَةٌ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي الْهَوْدَجِ . وَتَصُوبُ إِلَى : تَقْبِلُ سَحْرِي وَتَوْمُنًا : تَقْصِدُنَا .

(٢) حَمَلِي : أَعْطَانِي مَا يَحْمِلُنِي مِنْ دَاءٍ أُرْكِنُهَا .

(٣) انْسَحَلَتْ . أَخَذَتْ فِي اللَّوْمِ وَمَصَتْ فِيهِ بَحْدَةً .

(٤) عَمِدَ إِلَيْهِ : قَصَدَ إِلَيْهِ .

قلتُ في نفسي : والله ما هذا بملك .

ثم مضى بي رسول الله ﷺ ، حتى إذا دخل بي بيته تناول وسادةً من آدمٍ محشوةً ليفاً ، فقفها إليّ ، فقال : اجلس على هذه . قلت : بل أنت فاجلس عليها . فقال بل أنت . فجلستُ عليها . وجلس رسول الله ﷺ بالأرض .

قلت في نفسي : والله ما هذا بأمرٍ ملك . ثم قال : إيه يا عديّ بن حاتم ، ألم تك ركوسياً^(١) ؟ قلت : بلى . قال : « أَوَلَمْ تَكُنْ تَسِيرُ فِي قَوْمِكَ بِالْمِربَاعِ ؟ » . قلت : بلى . قال : « فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَحِلُّ فِي دِينِكَ » ، قلت : أجل والله ! وعرفتُ أنه نبيٌّ مرسل يعلم ما يُجْهَل . ثم قال :

« لَعَلَّكَ يَا عَدِيّ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولِ فِي هَذَا الدِّينِ مَا تَرَى مِنْ حَاجَتِهِمْ ، فَوَاللَّهِ لَيُوشِكُنَ الْمَالُ أَنْ يَفِيضَ فِيهِمْ حَتَّى لَا يَوْجَدَ مَنْ يَأْخُذَهُ . وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولِ فِيهِ مَا تَرَى مِنْ كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ وَقَلَّةِ عِدَدِهِمْ . فَوَاللَّهِ لَيُوشِكُنَ أَنْ تَسْمَعَ بِالْمَرْأَةِ تَخْرُجُ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا حَتَّى تَزُورَ هَذَا الْبَيْتَ لَا تَخَافُ . وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولِ فِيهِ أَنَّكَ تَرَى أَنَّ الْمَلِكَ وَالسُّلْطَانَ فِي غَيْرِهِمْ . وَآيُمُ اللَّهِ لَيُوشِكُنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْقُصُورِ الْبَيْضِ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ » . قال : فأسلمت .

وكان عدي يقول : قد مضت اثنتان ، وبقيت الثالثة ، والله لتكوننَّ : قد رأيتُ القصورَ البيضَ من أرضِ بابلَ قد فُتِحَتْ ، وقد رأيتُ المرأةَ تخرجُ من القادسية على بعيرِها لا تخافُ حَتَّى تحجَّ هذا البيتَ ، وآيُمُ الله لتكوننَّ الثالثة : لَيَفِيضَنَّ الْمَالُ حَتَّى لَا يَوْجَدَ مَنْ يَأْخُذَهُ .

قدوم فروة بن مسيك المرادي

قال ابن إسحاق :

وقدم فروة بن مسيك المرادي على رسول الله ﷺ ، مُقَارِقاً لِلْمُلُوكِ كِنْدَهُ ،

(١) الركوسية : قوم لهم دين بين النصاري والصابئين .

ومباعداً لهم ، إلى رسول الله ﷺ . وقد كان قبيل الإسلام بين مُراد وهَمْدان وَفَعَةٌ أَصَابَتْ فِيهَا هَمْدان من مرادٍ ما أرادوا . حتى أَتَخْنُوهُمْ^(١) . في يوم كان يقال له يوم الرِّدَم ، فكان الذي قاد هَمْدان إلى مرادٍ الأجدع بن مالك . في ذلك اليوم^(٢) .

ولما توجه قَرَوَةُ بن مُسَيْك إلى رسول الله ﷺ مفارقاً للملك كعدة قال :
لَمَّا رَأَيْتُ مُلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضْتُ

كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلَ عِرْقُ نَسَائِهَا^(٣)
قَرَّبْتُ رَاحِلَتِي أَوْمٌ مُحَمَّداً

أَرْجُو قَوَاضِيَهَا وَحُسْنَ ثَرَايَا^(٤)

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال له رسول الله ﷺ فيما بلغني : يَا قَرَوَةُ ، هَلْ سَأَلَكَ مَا أَصَابَ قَوْمَكَ يَوْمَ الرِّدَمِ ؟ قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ ذَا يَصِيبُ قَوْمَهُ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمِي يَوْمَ الرِّدَمِ لَا يَسُوءُهُ ذَلِكَ ؟ فقال رسول الله ﷺ له : « أَمَّا إِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزِدْ قَوْمَكَ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا خَيْرًا » . واستعمله النبي ﷺ على مُراد وزَيْدٍ ومَذْحِجَ كُلِّهَا ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصَّدَاقَةِ ، فكان معه حتى توفي رسول الله ﷺ .

قدوم عمرو بن معد يكرب

في أناس من زَيْدٍ

وقدم على رسول الله ﷺ عَمْرُو بن مَعْدٍ يَكْرَبُ في أناس من بني زَيْدٍ . فأسلم ، وكان عَمْرُو قد قال لقيس بن مَكْشُوح المُرَادِيّ - حين انتهى إليهم

(١) أَتَخْنُوهُمْ : أَكْثَرُوا فِيهِمُ الْقَتْلَ .

(٢) قال ابن هشام : الذي قاد همدان في ذلك اليوم مالك بن حريم الهمداني .

(٣) النسا : عرق مستبطن في الفخذ . وأصله مقصور فعده للشعر .

(٤) أَوْمٌ : أَقْصَدُ . ثَرَايَا : يعني به الجود والعطية . ويروى « ثنائها » ، وهو الذي يتحدث به عن الرجل من خير أو شر .

أمر رسول الله ﷺ - يا قيسُ ، إِنَّكَ سيدُ قومك ، وقد ذُكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد ، قد خرج بالحجاز يقول : إنه نبي ، فانطلق بنا إليه حتَّى نعلم علمه ، فإن كان نبياً كما يقول فإنه لن يخفى عليك ، وإذا لقيناه اتبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا علمه . فأبى عليه قيسُ ذلك ، وسفّه رأيه ، فركب عمرو بن معد يكرب حتى قدم على رسول الله ﷺ ، فأسلم وصدّقه ، وآمن به ، فلماً بلغ ذلك قيسَ بن مكشوح أوعدَ عمرأً وتَحَطَّم عليه^(١) ، وقال : خالفني وترك رأبي ! فقال عمرو بن معد يكرب في ذلك :

أمرُكَ يومَ ذي صنعا	أمرأً بادياً رشده ^(٢)
أمرُكَ باتقاء الد	والمعروف تتعده
خرجت من المني مثل ال	حُمير غزّه وتده
تمناني على فرس	عليه جالساً أسده
عليّ مفاضة كالنهر	ني أخلص ماءه جدده ^(٣)
تردّ الرمح مُثنّي ال	سنان عوائراً قصده ^(٤)
فلو لا قيتني للقي	تَ ليثاً فوقه لبده ^(٥)
تلاقي شنبثاً شثن ال	برائثن ناشراً كتده ^(٦)
يسامي القرن إن قرن	تيممه فيعتضده ^(٧)
فأخذه فيرفعه	فيخفضه فيقتصده ^(٨)

(١) تحطم عليه . اشتد عليه .

(٢) ذو صنعا : بلدة باليمن ، وهي صنعا . والعرب يزدون « ذو » في كثير من أعلام البلدان .

(٣) المفاضة : الدرع الواسعة . والنهي : الغدير . والجدد : الأرض الصلبة .

(٤) عوائر : أي متطايرة . والقصد ، بكسر القاف وفتح الصاد : جمع قصدة ، وهو ما تكسر من الرمح .

(٥) اللبد ، بكسر ففتح : جمع لبدة ، وهي ما على كتفي الأسد من الشعر .

(٦) الشنبث ، بزنة جعفر : الذي يتغلق بقرنه ولا يزايله . وشثن : أي غليظ الأصابع . والبرائثن : جمع برثن ، وهو للبع بمتزلة الإصبع للإنسان . وناشراً : مرتفعاً . والكتد : ما بين الكتفين .

(٧) يسامي القرن : يعلوه ويرتفع عليه . والقرن ، بالكسر : الذي ينازل في الشجاعة . وتيممه : قصده .

ويعتضده : يجعله تحت عضده ، معناه يفوقه ويتغلب عليه .

(٨) يقتصده : يقتله .

فَيَدْمَغُهُ فَيَحْطِمُهُ فَيَخْضِمُهُ فَيَزْدَرْدُهُ^(١)
 ظَلُومُ الشَّرِكِ فِيمَا أَحَدَ رَزَتْ أُنْيَابُهُ وَيَدُهُ
 فَأَقَامَ عَمْرُو بْنُ مَعَدٍ يَكْرِبُ فِي قَوْمِهِ مِنْ بَنِي زُبَيْدٍ ، وَعَلَيْهِمْ قُرُوءَةٌ بَنُ
 مُسَيِّكَ . فَلَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ارْتَدَّ عَمْرُو بْنُ مَعَدٍ يَكْرِبُ . وَقَالَ حِينَ
 ارْتَدَ :

وَجَدْنَا مُلْكَ قُرُوءَةٍ شَرَّ مُلْكِ
 حِمَارًا سَافَ مَخِرُهُ بِثَقَرٍ^(٢)
 وَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ
 تَرَى الْحَوْلَاءَ مِنْ خَبَثٍ وَغَدَرٍ^(٣)

قَدُومُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ فِي وَفْدِ كِنْدَةَ

قال ابن إسحاق :
 وقدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس في وفد كِنْدَةَ .
 فحدثني الزُّهْرِيُّ بْنُ شُهَابٍ ، أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ثَمَانِينَ رَاكِبًا
 مِنْ كِنْدَةَ ، فَدَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَسْجِدَهُ وَقَدْ رَجَلُوا جُمَمَهُمْ^(٤) .
 وَتَكَحَّلُوا ، عَلَيْهِمْ جُبُّ الْحَبْرَةِ^(٥) ، وَقَدْ كَفَّفُوهَا بِالْحَرِيرِ^(٦) ، فَلَمَّا دَخَلُوا
 عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : أَلَمْ تُسَلِّمُوا ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالَ : فَمَا بَالُ هَذَا الْحَرِيرِ
 فِي أَعْنَاقِكُمْ ؟ قَالَ : فَشَقُّوه مِنْهَا فَأَلْقَوْهُ . ثُمَّ قَالَ لَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ : يَا رَسُولَ
 اللَّهِ ، نَحْنُ بَنُو آكَلِ الْمُرَارِ ، وَأَنْتَ ابْنُ آكَلِ الْمُرَارِ . قَالَ : فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) يدمغه : يجرح دماغه . ويحطمه . يكسره . ويخضمه : يأكله . ويزدردده . يتلعه .

(٢) ساف : شم . والثقر في البهائم بمنزلة الرحم في الناس .

(٣) الحولاء : الجلدة التي يخرج فيها ولد الناقة .

(٤) رجلوا حممهم : يريد مشطوا شعورهم وسرحوها . والجمع جمع جمعة وهي مجتمع شعر الرأس .

(٥) الحبيب : جمع جبة ، وهي ضرب من الثياب . والحبرة : ضرب من يرود اليمن ذو خطوط .

(٦) كففوها : أي جعلوها طرازا .

ﷺ ، وقال ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث - وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين ، وكانا إذا شاعا^(١) في بعض العرب فسئلا مِمَّنْ هُما قالا : نحن بنو آكل المرار ! يَتَغَزَّانِ بذلك ، وذلك أن كندة كانوا ملوكاً - ثم قال لهم : لا ، بل نحنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ ، لا نَقْفُو^(٢) أُمَّنا ولا نتني من أبنينا ؛ فقال الأشعث بن قيس : هل فرغتم يا معشر كندة ؟ والله لا أسمع رجلاً يقولها إلا ضربته ثمانين !

قدوم صرد بن عبد الله الأزدي

وقدم على رسول الله ﷺ صرد بن عبد الله الأزدي ، فأسلم وحسن إسلامه ، في وفدٍ من الأزد ، فأمره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن . فخرج صرد بن عبد الله يسيرُ بأمر رسول الله ﷺ حتى نزل بجُرش ، وهي يومئذ مدينة مُغلقة ، وبها قبائل من قبائل اليمن ، وقد ضوت إليهم^(٣) خنعمٌ ، فدخلوها معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريباً من شهر ، وامتنعوا فيها منه ، ثم إنه رجع عنهم قافلاً ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له « شكر » ظنَّ أهل جُرش أنه وليَّ عنهم مُنْهَزِماً ، فخرجوا في طلبه ، حتى إذا أدركوه عطفَ عليهم فقتلهم قتلاً شديداً .

وقد كان أهل جُرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يَرْتَادَانِ وينظران ، فبيناهما عند رسول الله ﷺ عشيَّة بعد صلاة العصر إذ قال رسول الله ﷺ : بأيُّ بلادِ الله شكر ؟ فقام الجُرشيان فقالا : يا رسول الله ، ببلادنا جبَلٌ يقال له كَشَرٌ - وكذلك يسميه أهل جُرش - فقال : « إِنَّهُ لَيْسَ

(١) شاعا : بعدا .

(٢) لا نقفو أُمَّنا : لا نتبعها في نسبها ، لأن نسب الرجل إلى أبيه لا إلى أمه .

(٣) ضوت : انضمت ولجأت واتصلت بهم .

بكَشَر وَلَكِنَّهُ شَكَرَ . قالوا : فما شأنه يا رسول الله ؟ قال : « إِنَّ بُدْنَ اللَّهِ لَتَنَحَرَ عنده الآن » .

فجلس الرجلان إلى أبي بكر ، أو إلى عثمان ، فقال لهما : ويحكما !! إن رسول الله ﷺ الآن لَيَنْعَى قَوْمَكُمَا ، فقوموا إلى رسول الله ﷺ فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما . فقاما إليه فساءلاه ذلك . فقال : اللَّهُمَّ ارفعْ عنهم ! فخرجوا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما . فوجدوا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صُرْد بن عبد الله ، في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال ، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر .

وخرج وفدٌ جَرَشَ حتى قدموا على رسول الله ﷺ . فأسلموا ، وَحَمَى لهم حِمَىً حولَ قريتهم ، على أعلام معلومة : للفرس ، والراحلة^(١) وللمثيرة^(٢) بَقَرَةَ الْحَرِثِ ، فمن رعاه من الناس فماله^(٣) سُحْتٌ .

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

وقَدِمَ على رسول الله ﷺ كتابُ ملوكِ حِمِيرٍ مَقْدَمَهُ من تَبُوكَ ، ورسولُهُم إليه^(٤) بإسلامهم : الحارثُ بن عبد كَلَالٍ ، ونُعَيْمُ بن عبد كَلَالٍ والنُّعْمانُ قَبِيلُ ذِي رُعَيْنٍ^(٥) ومَعَاظِرُ وَهْمَدَانِ .
وَبَعَثَ إليه زُرْعَةُ ذُو يَزَنَ ، مالكُ بن مَرَّةَ الرَّهَويِّ بإسلامهم ، ومفارقتهم الشرك وأهله .

فكتب إليهم رسول الله ﷺ :

(١) المثيرة : النقرة ، لأنها تقلب الأرض .

(٢) الراحلة : واحدة الرواحل ، وهي الإبل .

(٣) سُحْتٌ : حرام لا يحل له أن يأكله .

(٤) في بعض النسخ « رسل ملوك » بصيغة الجمع ، و « رسلهم إليه » كذلك . والرسول من الألفاظ التي يستوي فيها المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث .

(٥) القيل ، يقال : هو الملك ، ويقال . بل هو الذي دون الملك الأعلى ، وهذا هو الأكثر .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . من محمد رسول الله النبي ، إلى الحارث بن عبد كلال ، وإلى نعيم بن كلال ، وإلى النعمان قَيْلِ ذِي رُعَيْن وَمَعَاظِرٍ وَهَمْدَانِ . أما بعدَ ذلكم فإني أَحمدُ الله الذي لا إِلَهَ إِلاَّ هو ، أمّا بعد فإنه قد وَقَعَ بنا رسولُكم مُنْقَلَبًا مِنْ أَرْضِ الرُّومِ ، فَلَقَيْنَا بِالْمَدِينَةِ ، فَبَلَّغَ مَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ، وَخَبَرَنَا مَا قَبِلَكُمُ وَأَنْبَأَنَا بِإِسْلَامِكُمْ وَقَتْلِكُمُ الْمُشْرِكِينَ . وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ هَدَاكُمْ بِهِدَاهِ ، إِنْ أَصْلَحْتُمْ وَأَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَعْطَيْتُمُ مِنَ الْمَغَانِمِ خُمُسَ اللَّهِ وَسَهْمَ النَّبِيِّ ﷺ وَصَفِيَّهِ ^(١) وَمَا كُتِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الصَّدَقَةِ ، مِنَ الْعَقَارِ ^(٢) عَشْرًا مَا سَقَتِ الْعَيْنُ وَسَقَتِ السَّمَاءُ ، وَعَلَى مَا سَقَى الْغَرْبُ ^(٣) نِصْفَ الْعُشْرِ . وَإِنَّ فِي الْإِبِلِ الْأَرْبَعِينَ ابْنَةَ لُبُونٍ . وَفِي ثَلَاثِينَ مِنَ الْإِبِلِ ابْنُ لُبُونٍ ذَكَرٌ ، وَفِي كُلِّ خُمْسٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاةٌ ، وَفِي كُلِّ عَشْرِ مِنَ الْإِبِلِ شَاتَانِ ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْبَقَرِ بَقْرَةٌ ، وَفِي كُلِّ ثَلَاثِينَ مِنَ الْبَقَرِ تَبِيعٌ جَدَعٌ أَوْ جَدْعَةٌ ^(٤) ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْغَنَمِ سَائِمَةٌ وَحَدَا شَاةٌ . وَإِنِهَا فَرِيضَةُ اللَّهِ الَّتِي فَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ ، فَمَنْ زَادَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَمَنْ أَدَّى ذَلِكَ وَأَشْهَدَ عَلَى إِسْلَامِهِ وَظَاهَرَ الْمُؤْمِنِينَ ^(٥) عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَهُ مَا لَهُمْ ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ ، وَلَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ .

وَإِنَّهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ : لَهُ مَا لَهُمْ ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ . وَمَنْ كَانَ عَلَى يَهُودِيَّةٍ أَوْ نَصْرَانِيَّةٍ فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ عَنْهَا ، وَعَلَيْهِ الْجُزْيَةُ ، عَلَى كُلِّ حَالٍ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ، حُرٌّ أَوْ عَبْدٌ ، دِينَارٌ وَاقِفٌ مِنْ قِيَمَةِ الْمَعَاظِرِ ^(٦)

(١) الصفي : ما يصطفيه الرئيس من الغنمة .

(٢) العقار ، ههنا الأرض ، وهو بفتح العين .

(٣) الغرب ، بفتح وسكون : هي الدلو العظيمة .

(٤) التبيع : ما استكمل سنة من ولد البقر ، فإذا استكمل ستين فهو جدع .

(٥) ظاهر المؤمنين : عاونهم وقواهم وكان معهم على من سواهم .

(٦) المعافر : ثياب من ثياب اليمن .

أَوْ عَوَضَهُ ثِيَابًا ؛ فَمَنْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّ لَهُ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ ،
وَمَنْ مَنَعَهُ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ .

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ مُحَمَّدًا النَّبِيَّ أَرْسَلَ إِلَى زُرْعَةَ ذِي يَزْنَ : أَنْ إِذَا
أَتَاكُمْ رُسُلِي فَأَوْصِيكُمْ بِهِمْ خَيْرًا : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ ، وَمَالِكُ
بْنُ عُبَادَةَ ، وَعُقْبَةُ بْنُ نَمِيرٍ ، وَمَالِكُ بْنُ مَرَّةٍ ، وَأَصْحَابُهُمْ . وَأَنْ أَجْمَعُوا مَا
عِنْدَكُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالْجَزْيَةِ مِنْ مَخَالِفِكُمْ ^(١) ؛ وَأَيْلُغُوا رُسُلِي . وَإِنَّ أَمِيرَهُمْ
مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ . فَلَا يَنْقَلِبَنَّ إِلَّا رَاضِيًا .

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّهُ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .
ثُمَّ إِنَّ مَالِكَ بْنَ مَرَّةَ الرَّهَاطِيَّ قَدْ حَدَّثَنِي أَنَّكَ أَسْلَمْتَ مِنْ أُولِ حَمِيرٍ ، وَقَتَلْتَ
الْمُشْرِكِينَ ، فَأَبَشَرُ بِخَيْرٍ ، وَأَمْرُكَ بِخَيْرٍ خَيْرًا ، وَلَا تَخُونُوا وَلَا تَخَاضُوا .
فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ هُوَ مَوْلَى غَنِيِّكُمْ وَفَقِيرِكُمْ ، وَإِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ ، وَلَا لِأَهْلِ
بَيْتِهِ ، إِنَّمَا هِيَ زَكَاةٌ يَزْكِي بِهَا عَلَى فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ .
وَإِنَّ مَالَكًا قَدْ بَلَغَ الْخَبَرَ وَحَفِظَ الْغَيْبَ ، وَأَمْرُكُمْ بِهِ خَيْرًا . وَإِنِّي قَدْ أَرْسَلْتُ
إِلَيْكُمْ مِنْ صَالِحِي أَهْلِي وَأُولِي دِينِهِمْ وَأُولِي عِلْمِهِمْ ، وَأَمْرُكُمْ بِهِمْ خَيْرًا ؛
فَإِنَّهُمْ مَنظُورٌ إِلَيْهِمْ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وصية الرسول معاذًا حين بعثه إلى اليمن

قال ابن إسحاق :

وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حدث ، أن رسول الله ﷺ - حين
بعث معاذًا - أوصاه وعهد إليه ، ثم قال له : « يَسِّرْ وَلَا تُعَسِّرْ ، وَبَشِّرْ وَلَا
تُنَفِّرْ . وَإِنَّكَ سَتَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَسْأَلُونَكَ مَا مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ ؟
فَقُلْ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . »

(١) جمع مخلاف ، وهو لأهل اليمن كالخند لأهل الشام ، والكورة لأهل العراق ، والرساق لأهل
الجبال ، والطرسوج لأهل الأهواز .

إسلام بني الحارث بن كعب على يدي خالد بن الوليد لما سار إليهم

قال ابن إسحاق :

ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر ، أو جمادى الأولى ، سنة عشر ، إلى بني الحارث بن كعب بنجران ، وأمره أن يدعَوْهم إلى الإسلام ، قبل أن يقاتلهم ، ثلاثاً ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم .

فخرج خالد حتى قدم عليهم ، فبعث الرُكبانَ يضربون في كل وجه ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون : أيها الناس أسلمُوا تسلموا . فأسلم الناس ودخلوا فيما دُعُوا إليه ، فأقام فيهم خالد يُعَلِّمُهُم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وبذلك كان أمره رسول الله ﷺ إن هم أسلموا ، ولم يقاتلوا .

ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم . لمحمد النبي رسول الله ﷺ من خالد بن الوليد ، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد يا رسول الله صلى الله عليك ، فإنك بعثني إلى بني الحارث بن كعب ، وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعَوْهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا أقمتُ فيهم وقبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم ، وإني قدِمْتُ عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله ﷺ ، وبعثتُ فيهم رُكبانا قالو : « يا بني الحارث ، أسلمُوا تسلموا » فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيمٌ بين أظهرهم أمرهم بما أمرهم الله به ، وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي ﷺ . والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

* * *

فكتب إليه رسول الله ﷺ :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي رسول الله ، إلى خالد بن الوليد . سلام عليك . فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإن كتابك جاءني مع رسولك ، تخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه . فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل وليقبل معك وفدهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . »

* * *

فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ ؛ وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب : منهم قيس بن الحصين ذي الغصة ، ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن المحجل ، وعبد الله بن قراد الزياتي ، وشداد بن عبد الله القناني ، وعمر بن عبد الله الضبابي . فلما قدموا على رسول الله ﷺ فرآهم قال : مَنْ هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ؟ قيل : يا رسول الله ، هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب . فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سَلَّمُوا عليه ؛ وقالوا : نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله . قال رسول الله ﷺ : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله . ثم قال رسول الله ﷺ : أتم الذين إذا زُجروا استَقْدَمُوا ؟ فسكتوا ، فلم يراجعهم منهم أحد ؛ ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعهم منهم أحد ؛ ثم أعادها الثالثة فلم يراجعهم منهم أحد ؛ ثم أعادها الرابعة ؛ فقال يزيد بن عبد المدان : نعم يا رسول الله ، نحن الذين إذا زُجروا استَقْدَمُوا ، قالها أربع مرار ؛ فقال رسول الله ﷺ : لو أن خالدا لم يكتب إلي أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم . قال يزيد بن عبد المدان : أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدا قال : فَمَنْ حَمِدْتُمْ ؟ قالوا : حمدنا الله عز وجل الذي هدانا بك يا رسول الله . قال : صدقتم . ثم قال رسول الله ﷺ : يَمُ كُنتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحدا . قال : بلى ، قد كنتم تغلبون

من قاتلكم . قالوا : كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله أنا كنا نجتمع ولا نفرق ،
ولاً نبداً أحدا بظلم . قال : صدقتم .

وأمر رسول الله ﷺ على بني الحارث بن كعب قيس بن الحُصَيْن .
فرجع وفد بني الحارث إلى قومهم في بقية من شوال ، أو في صدر ذي
القعدة ، فلم يَمَكُثُوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول
الله ﷺ ورحمَ وباركَ ، ورضي وأنعم .

وقد كان رسول الله ﷺ قد بعث إليهم بعد أن ولى وفدُهم عمرو بن
حزم ؛ لِيُفَقِّهَهُمْ في الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم
صدقاتهم ، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده ، وأمره فيه بأمره :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا بيانٌ من الله ورسوله ، يا أيها الذين آمنوا
أوفُوا بالعُقُودَ ، عَهْدٌ من محمد النبي رسول الله لعمر و بن حزم حين بعثه إلى
اليمن . أمره بتقوى الله في أمره كله . فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .
وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله ، وأن يبشر الناس بالخير ، ويأمرهم به ،
ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم فيه ، وينهى الناس فلا يَمَسَّ القرآن إنسانٌ إلا
وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم ، ويلين للناس في الحق ،
ويشتد عليهم في الظلم ، فإن الله كره الظلم ونهى عنه ، فقال : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ
الله على الظالمين ﴾ ويبشر الناس بالجنة وبعمَلِها ، وينذر الناس النار وعمَلِها ،
ويستألف الناس حتى يفقهوا في الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته ،
وما أمر الله به ، والحجُّ الأكبر الحجُّ الأكبر ، والحجُّ الأصغر هو العمرة .
ونهى الناس أن يصليَ أحد في ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوباً يثنى طرفه
على عاتقيه . وينهى الناس أن يحتبيَ أحد في ثوب واحد يُفْضِي بفرجه إلى
السماء ؛ وينهى أن يعقِصَ أحدُ شعر رأسه في قفاه ، وينهى ، إذا كان بين
الناس هَيْجٌ ، عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله عز وجل
وحده لا شريك له ، فمن لم يدعُ إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليُقَطَّعُوا

بالسيف حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له . ويأمر الناس بإسباغ
الوضوء وجُوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين . وَيَمَسَّحُونَ
برؤوسهم كما أمرهم الله . وأمر بالصلاة لوقتها . وإتمام الركوع والسجود
والخشوع ، وَيُغَلِّسُ بِالصُّبْحِ^(١) ، وَيُهَجِّرُ بِالْهَاجِرَةِ حين تميل الشمس . وصلاة
العصر والشمس في الأرض مُدْبِرَةٌ ، والمغرب حين يُقْبَلُ الليل . لا يُؤَخَّرُ حتى
تبدو النجوم في السماء والعِشَاءُ أَوَّلَ الليل . وأمر بالسَّعي إلى الجمعة إذا نودي لها .
والغُسل عند الرِّوَا ح إليها . وأمره أن يأخذ من المغنم خُمُسَ الله .

وما كُتِبَ على المؤمنين في الصدقة من العَقَارِ عَشْرُ ما سَقَتِ العَيْنُ وسَقَتِ
السماء ، وعلى ما سَقَى الْغَرْبُ نصف العشر ، وفي كل عَشْرٍ من الإبل شاتان .
وفي كل عِشْرِينَ أَرْبَعُ شِيَاهٍ ، وفي كل أربعين من البقر بقرة . وفي كل ثلاثين
من البقر تبيع جذع أو جذعة ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة .
فإنها فريضة الله التي اقترض على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له .
وإنه من أسلم من يهوديٍّ أو نصرانيٍّ إسلاماً خالصاً من نفسه ودان بدين
الإسلام فإنه من المؤمنين : له مثل ما لهم ، وعليه مثل ما عليهم .

ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يُرَدُّ عنها . وعلى كل حالم
ذكرٍ أو أنثى ، حُرٌّ أو عَبْدٌ ، دينارٌ وافيٌّ أو عَوَضُهُ ثياباً ، فمن أدَّى ذلك فإن له
ذِمَّةَ الله وذمة رسوله ، ومن منع ذلك فإنه عَدُوٌّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً .
صلوات الله على محمد ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

ذكر الكذابين

مسيلمة الحنفي والأسود العنسي

قال ابن إسحاق :

وقد كان تكلم في عهد رسول الله ﷺ الكذابان : مُسَيْلِمَةُ بن حبيب

(١) التغليس : أن يصلبه في أول الحجر .

(٢) التهجير : الصلاة في أول وقت الظهر . والهجرة : نصف النهار حين تزول الشمس .

الكذاب باليمامة في بني حنيفة ، والاسود بن كعب العنسي بصنعاء .

عن أبي سعيد الخدري ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على منبره ، وهو يقول : « أيها الناس ، إنني قد رأيت ليلة القدر ، ثم أنسيتها ، ورأيت في ذراعي سوارين من ذهب فكرهتهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما هذين الكذابين : صاحب اليمن ، وصاحب اليمامة » .

وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة ، أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً ، كلهم يدعي النبوة » .

خروج الأمراء والعمال على الصدقات

وكان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعُمَّالَهُ على الصَّدَقَاتِ إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان ، فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء ؛ فخرج عليه العنسي ، وهو بها ؛ وبعث زياد بن لبيد أخا بني بياضة الأنصاري حَضْرَمَوْت ، وعلى صدقاتها ؛ وبعث عدي بن حاتم على طيِّ وصدقاتها ، وعلى بني أسد ؛ وبعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة ؛ وفرَّق صدقة بني سعد على رجلين منهم : فبعث الزُّبرقان بن بدر على ناحية منها ، وقيس بن عاصم على ناحية ، وكان قد بعث العلاء بن الحضرمي على البحرين ، وبعث علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى أهل نجران ليجمع صدقتهم ، وبَقَدَمَ عليه بجزيتهم .

كتاب مسيِّمة إلى رسول الله ﷺ والجواب عنه

وقد كان مُسَيِّمَةُ بن حبيب قد كتب إلى رسول الله ﷺ :
من مُسَيِّمَةَ رسول الله إلى محمد رسول الله . سلام عليك ، أما بعد فإني

قد أَشْرِكْتُ في الأمر معك . وإنَّ لنا نصفَ الأرض ، ولقریش نصفَ الأرض ،
ولكنَّ قُرَيْشاً قومٌ يَعْتَدُونَ .

فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : فحدثني شيخ من أشجع ، عن سلمة بن نُعَيْم بن مسعود
الأشجعي ، عن أبيه نُعَيْم ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لهما حين قرأ
كتابه : « فما تَقُولَان أنتما » ؟ قالا : نقول كما قال : فقال : « أما والله لولا أن
الرُّسُلَ لا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أعناقكما » .

ثم كتب إلى مُسَيْلِمة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى مُسَيْلِمة الكذاب .
السلام على من اتَّبَعَ الهدى . أما بعد فإن الأرضَ لله يُورِثُها من يشاء من عباده ،
والعاقبة للمتقين » .
وذلك في آخر سنة عشر .

حَجَّةُ الْوُدَاعِ

فلما دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة تَجَهَّزَ للحج وأمر الناس بالجهازِ
له ، وخرج رسول الله ﷺ إلى الحج لِخَمْسِ لَيَالٍ بَقِيْنَ من ذي القعدة^(١) .
ثم مضى رسول الله ﷺ على حَجَّه ، فأرى الناسَ مناسكهم ، وأعلمهم
سُنَنَ حَجَّهِمْ ، وخطب الناس خطبته التي بَيَّنَ فيها ما بَيَّنَ . فحمد الله وأثنى
عليه ، ثم قال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، اسمعوا قولي ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا
بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى أَنْ
تَلْقَوْا رَبَّكُمْ ، كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا وَكَحَرَمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا ، وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ

(١) قال ابن هشام : فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي . ويقال سباع بن عرفة الغفاري .

ربكم فيسألکم عن أعمالکم ، وقد بَلَّغْتُ ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى مَنْ ائتمنه عليها . وإنَّ كلَّ ربًّا موضوعٌ^(١) . ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تَظْلِمُونَ ولا تُظْلَمُونَ . قضى الله أنه لا ربا ، وإن ربا عَبَّاس بن عبد المطلب موضوعٌ كله ، وإن كُلَّ دم كان في الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دم ابنِ ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب - وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل - فهو أولُ ما أبدا به من دماء الجاهلية .

أما بعد أيها الناس ؛ فإن الشيطان قد يئس من أن يُعبدَ بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يُطعَ فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم . فاحذروه على دينكم .

أيها الناس ، إن النسيء زيادةٌ في الكفر يُضِلُّ به الذين كفروا يُحِلُّونه عاماً ويُحَرِّمونه عاماً ليواطئوا عدةً ما حَرَّمَ الله فيحِلُّوا ما حَرَّمَ الله ويحَرِّموا ما أحلَّ الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يومَ خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم : ثلاثة متوالية ، وَرَجَبُ مَضَرَ^(٢) الذي بين جمادى وشعبان .

أما بعد أيها الناس ، فإنَّ لكم على نساءكم حقاً ، ولهنَّ عليكم حقاً ، لكم عليهن أن لا يُوطئنَ فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذنَ لكم أن تهجرنَّهنَّ في المضاجع وتضربوهنَّ ضرباً غير مبرح^(٣) فإن انتهينَ فلهنَّ رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيراً فإنَّهنَّ عندكم عوان^(٤) لا يملكنَ لأنفسهنَّ شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهنَّ بأمانة الله ، واستحللتم فروجهنَّ بكلمات الله .

(١) وضع عنه الدين والدم وجميع أنواع الجناية . يضعه وضعا : أسقطه عنه .

(٢) إنما أضاف رجبا إلى مضر لأنها كانت تعظمه ، ولم يكن أحد من العرب يفعل ذلك سواها .

(٣) غير مبرح : أي غير شديد . تقول : برح به الأمر ، إذا اشتد عليه وشق .

(٤) عوان : جمع عانية . وهي الأسيرة .

فاعقلوا أيها الناس قولي ، فإنني قد بلغتُ ، وقد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلُّوا أبداً ، أمراً بيناً ، كتاب الله وسنة نبيه . أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمن أن كلَّ مسلم أخٌ للمسلم ، وإن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرئٍ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفسٍ منه . فلا تظلمن أنفسكم . اللهم هل بلغت ؟ » .

فذكر لي أن الناس قالوا : اللهم نعم . قال رسول الله ﷺ : « اللهم اشهد » .

بعث أسامة بن زيد

إلى أرض فلسطين

قال ابن إسحاق :

ثم قفلَ رسول الله ﷺ ، فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر ، وضرب على الناس بعثاً إلى الشام وأمرَ عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه ، وأمره أن يوطيء الخيل تحومَ البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهزَ النَّاسُ وأوعبَ^(١) مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون .

خروج رسل رسول الله ﷺ

إلى الملوك

قال ابن هشام :

وقد كان رسول الله ﷺ ، بعثَ إلى الملوك رُسلاً من أصحابه ، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام .

قال ابن هشام : حدثني من أثق به ، عن أبي بكر الهذلي ، قال : بلغني أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه ذاتَ يوم بعد عُمرته التي صُدَّ عنها يوم

(١) أوعوا : خرجوا كلهم ، لم يتخلف منهم أحد .

الحُدَيْبِيَّة فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَنِي رَحْمَةً وَكَافَّةً ؛ فَلَا تَخْتَلَفُوا عَلَيَّ كَمَا اخْتَلَفَ الْحَوَارِيُّونَ عَلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ » . فَقَالَ أَصْحَابُهُ : وَكَيْفَ اخْتَلَفَ الْحَوَارِيُّونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « دَعَاهُمْ إِلَى الَّذِي دَعَوْتَكُمْ إِلَيْهِ ، فَأَمَّا مَنْ بَعَثَهُ مَبْعَثًا قَرِيبًا فَرَضِي وَسَلِّمَ ، أَمَّا مَنْ بَعَثَهُ مَبْعَثًا بَعِيدًا فَكْرَهُ وَجْهَهُ وَتَثَاوَلَ ، فَشَكَا ذَلِكَ عِيسَى إِلَى اللَّهِ ، فَأَصْبَحَ الْمُتَثَاوِلُونَ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلُغَةِ الْأُمَّةِ الَّتِي بُعِثَ إِلَيْهَا » .

فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رِسَالًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَكَتَبَ مَعَهُمْ كِتَابًا إِلَى الْمُلُوكِ يَدْعُوهُمْ فِيهَا إِلَى الْإِسْلَامِ .

فَبَعَثَ دِحْيَةَ بْنَ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ .
وَبَعَثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ إِلَى كَسْرَى مَلِكِ فَارَسَ .
وَبَعَثَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ إِلَى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ .
وَبَعَثَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْسِ مَلِكِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ .
وَبَعَثَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ السَّهْمِيِّ إِلَى جَيْفَرِ وَعِيَاذِ ابْنِي الْجُلَنْدِيِّ الْأَزْدِيِّينَ مَلَكَيْ عُمَانَ .

وَبَعَثَ سَلِيطَ بْنَ عَمْرُو ، أَحَدَ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤْيٍ ، إِلَى مُثَمَّامَةَ بْنِ أُنْثَالٍ وَهُوَ ذَا ابْنِ عَلِيٍّ الْحَنْفِيِّينَ مَلَكَي الْيَمَامَةِ .

وَبَعَثَ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوِي الْعَبْدِيِّ مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ .
وَبَعَثَ شُجَاعَ بْنَ وَهَبِ الْأَسَدِيِّ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرٍ الْغَسَّانِي مَلِكِ تَخُومِ الشَّامِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أَنَا نَسَبْتُ سَلِيطًا وَمُثَمَّامَةَ وَهُوَ ذَا ابْنِ الْمُنْذِرِ .
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ الْمَصْرِيُّ أَنَّهُ وَجَدَ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرٌ مِنْ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْبُلْدَانِ وَمُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَمَا قَالَ لِأَصْحَابِهِ حِينَ بَعَثَهُمْ ، قَالَ : فَبَعَثْتُ بِهِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ ، فَعَرَفَهُ ، وَفِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُمْ : « إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي رَحْمَةً

وكافةً ، فَأَدُّوا عَنِّي بِرَحْمَتِ اللَّهِ ، وَلَا تَخْتَلَفُوا عَلَيَّ كَمَا اخْتَلَفَ الْحَوَارِيُّونَ عَلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ . قالوا : وكيف يا رسول الله كان اختلافهم ؟ قال : « دعاهم ما دعوتكم له ، فأما من قَرَّبَ به فأحبَّ وسلم ، وأما من بَعَّدَ به فكره وأبى . فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله ، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلَّم بِلُغَةِ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَجَّهَ إِلَيْهِمْ » .

قال ابن إسحاق :

وكان مَنْ بَعَثَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ وَالْأَتْبَاعِ الَّذِينَ كَانُوا بَعْدَهُمْ فِي الْأَرْضِ بُطْرُسَ الْحَوَارِيَّ ، وَمَعَهُ بُولُسُ مِنَ الْأَتْبَاعِ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ ، إِلَى رُومِيَّةَ . وَأَنْدَرَايُسَ وَمَتَّى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي يَأْكُلُ أَهْلِهَا النَّاسُ . وَتُومَاسَ إِلَى أَرْضِ بَابِلَ مِنْ أَرْضِ الْمَشْرِقِ . وَفِيلِبُّسَ إِلَى قَرطاجنة . وَهِيَ إِفْرِيقِيَّةُ . وَيُحَنَسَ إِلَى أَفْسُوسَ قَرْيَةِ الْفَتِيَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ . وَيَعْقُوبُوسَ إِلَى أُورَاشَلِيمَ ، وَهِيَ إِيلِيَاءَ قَرْيَةِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ . وَابْنَ ثَلْمَاءَ إِلَى الْأَعْرَابِيَّةِ . وَهِيَ أَرْضُ الْحِجَازِ . وَسَيِّمُنَ إِلَى أَرْضِ الْبَرْبَرِ . وَيَهُوذَا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ جُعِلَ مَكَانَ يُوْدِسَ .

آخر البعوث

قال ابن إسحاق :

وبعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يوطيء الخيل تحوِّمَ الْبُلْقَاءَ وَالْدَّارُومَ مِنْ أَرْضِ فَلَسْطِينَ . فَتَجَهَّزَ النَّاسُ ، وَأَوْعَبَ مَعَ أُسَامَةَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ ^(١) .

(١) أَوْعَبُوا مَعَهُ : خَرَجُوا بِأَجْمَعِهِمْ فِي الْغُرُ .

ابتداء شكوى رسول الله

ﷺ

قال ابن إسحاق :

فبينما الناس على ذلك ابتديء رسول الله ﷺ بشكوه الذي قبضه الله فيه إلى ما أراد به من كرامته ورحمته ، في ليالٍ بَقِينَ من صفر ، أو في أول شهر ربيع الأول ، فكان أول ما ابتديء به من ذلك - فيما ذكر لي - أنه خرج إلى بَقِيعِ الغرقد^(١) من جَوْفِ الليل فاستغفَرَ لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتديء بوجعه من يومه ذلك .

عن أبي مَوْهَبَةَ مولى رسول الله ﷺ ، قال : بعثني رسول الله ﷺ من جَوْفِ الليل ، فقال : يَا أَبَا مَوْهَبَةَ ، إني قد أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ هَذَا الْبَقِيعِ ، فَأَنْطَلِقُ مَعِيَ . فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْمَقَابِرِ ، لِيَهْنِئَ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِنْ مَا أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهِ ، أَقْبَلْتُ الْفِتْنَ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ ، يَتَّبِعُ آخِرَهَا أَوَّلُهَا ، الْآخِرَةُ شَرُّ مَنْ الْأُولَى » .

ثم أقبل عليَّ فقال : يَا أَبَا مَوْهَبَةَ ، إني قد أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدِ فِيهَا ، ثُمَّ الْجَنَّةُ ، فَخِيرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي وَالْجَنَّةِ . فقلت : يَا أَبَا مَوْهَبَةَ ، فخذُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدِ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ ، قال : لَا ، وَاللَّهِ يَا أَبَا مَوْهَبَةَ ، لَقَدْ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي وَالْجَنَّةَ . ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف ، فبدأ برسول الله ﷺ وَجَعَهُ الَّذِي قَبِضَهُ اللَّهُ فِيهِ .

عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت :

رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْبَقِيعِ فَوَجَدَنِي وَأَنَا أَجْدُ صَدَاعًا فِي رَأْسِي ،

(١) بَقِيعِ الغرقد : مقبرة أهل المدينة ، وهي داخل المدينة .

وأنا أقول : وارأساه ! فقال : بل أنا والله يا عائشة ، وارأساه ! ثم قال : وما ضرك لو مُتُّ قبلي فقمتُ عليك وكففتُك وصليت عليك ودفنتك ؟ قلت : والله لكأنني بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك . قالت : فتبسم رسول الله ﷺ . وتَنَامُ به وَجَعُهُ وهو يدور على نسائه ، حتى استعزَّ به ^(١) وهو في بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذننَّ في أن يمرض في بيتي ، فأذنَّ له .

ذكر أزواجه ﷺ

أمهات المؤمنين

قال ابن هشام : وَكُنَّ تسعاً : عائشة بنت أبي بكر ، وحَفْصة بنت عمر بن الخطاب ، وأمُّ حَبِيبَةَ بنت أبي سفيان بن حرب ، وأمُّ سَلَمَةَ بنت أبي أمية بن المغيرة ، وسَوْدَةَ بنت زَمْعَةَ بن قيس . وزينب بنت جحش بن رثاب ، وميمونة بنت الحارث بن حَزْن ، وجَوَيرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، وصفية بنت حَيٍّ بن أخطب ، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم .

وكان جميع من تزوج رسول الله ﷺ ثلاث عشرة :

(خَدِيجَةُ بنت خويلد) : وهي أول من تزوج ، زَوَّجَهُ إياها أبوها خويلد ابن أسد ، ويقال أخوها عمرو بن خويلد ، وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بَكْرَةً ^(٢) فولدت لرسول الله ﷺ ولده كُلُّهُمْ ، إلا إبراهيم ، وكانت قبله عند أبي هَالَةَ بن مالك أحد بني أُسَيْد بن عمرو بن تميم حليف بني عبد الدار ، فولدت له هند بن أبي هَالَةَ ، وزينت بنت أبي هَالَةَ . وكانت قبل أبي هَالَةَ عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ، فولدت له عبد الله وجارية . وتزوج رسول الله ﷺ (عائشة بنت أبي بكر الصديق) بمكة ، وهي

(١) استعز به : اشتد عليه وغلبه على نفسه ﷺ .

(٢) البكرة : الفتية من الابل .

بنت سبع سنين ، وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع سنين أو عشر ، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكرةً غيرها ، زوجه إياها أبوها أبو بكر ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمئة درهم .

وتزوج رسول الله ﷺ (سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي) ، زوجه إياها سليط بن عمرو ، ويقال : أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مولك بن حسل . وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمئة درهم^(١) . وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل . وتزوج رسول الله ﷺ (زينب بنت جحش بن رثاب الأسدية) ، زوجه إياها أخوها أبو أحمد بن جحش ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمئة درهم ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ . ففيها أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَهَا ﴾ .

وتزوج رسول الله ﷺ (أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية) ، واسمها هند ، زوجه إياها سلمة بن أبي سلمة ابنها ، وأصدقها رسول الله ﷺ فراشاً حشوه ليف ، وقدحاً وصحفة ، ومجشاة^(٢) وكانت قبله عند أبي سلمة ابن عبد الأسد ، واسمه عبد الله ، فولدت له : سلمة ، وعمر ، وزينب ، ورقية . وتزوج رسول الله ﷺ (حفصة بنت عمر بن الخطاب) زوجه إياها أبوها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمئة درهم ، وكانت قبله عند خنيس بن حذافة السهمي .

وتزوج رسول الله ﷺ (أم حبيبة - واسمها رملّة - بنت أبي سفيان بن حرب) ، زوجه إياها خالد بن سعيد بن العاص ، وهما بأرض الحبشة ،

(١) قال ابن هشام : ابن إسحاق يخالف هذا الحديث ، يذكر أن سليطاً وأبا حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة في هذا الوقت

(٢) المجشاة : أراد بها الرحي .

وأصدقها النجاشي عن رسول الله ﷺ أربعمئة دينار . وهو الذي كان خطبها على رسول الله ﷺ . وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدي .
وتزوج رسول الله ﷺ (جُوَيْرِيَّةَ بنت الحارث بن أبي ضَرَار الخُزَاعِيَّة) .
كانت في سبايا بني المصطلق من خُزَاعَة ، ف وقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشَّمَّاس الأنصاري ، فكاتبها على نفسها ، فأنت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها ، فقال : « هل لك في خير من ذلك ؟ » قالت : وما هو ؟ قال : أقضي عنك كتابتكِ وأتزوجكِ . فقالت : نعم . فتزوجها .
قال ابن هشام :

ويقال لما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بني المصطلق ومعه جُوَيْرِيَّة بنت الحارث ، فكان بذات الجيش ، دفع جُوَيْرِيَّةَ إلى رجل من الأنصار ودِيعَةً ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله ﷺ بالمدينة . فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضَرَار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاءت للفداء فرغب في بيعين منها ، فغيبهما في شِعْب من شعاب العقيق . ثم أتى النبي ﷺ ، فقال يا محمد أصبتم ابنتي ، وهذا فداؤها . فقال رسول الله ﷺ فَأَيْنَ البعيران اللذان غيبت بالعقيق في شِعْب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ؛ وأنت رسول الله ﷺ ، فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله تعالى ! فأسلم الحارث وأسلم معه ابنان له وناس كثير من قومه ، وأرسل إلى البعيرين فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبي ﷺ ، ودفعت إليه ابنته جويرية ، فأسلمت وحسن إسلامها ، وخطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها فزوجه إياها ، وأصدقها أربعمئة درهم . وكانت قبل رسول الله ﷺ عند ابن عم لها يقال له عبدالله . ويقال : اشتراها رسول الله ﷺ من ثابت بن فيس فأعتقها وتزوجها ، وأصدقها أربعمئة درهم .

وتزوج رسول الله ﷺ (صَفِيَّةَ بنت حُيَّ بن أخطب) ، سباها من خَيْبَر ، فاصطفأها لنفسه ، وأوَّلم رسول الله ﷺ وليمة ما فيها شحم ولا

لحم ، كان سويقاً وتمراً . وكانت قبله عند كِنَانَةَ بن الربيع بن أبي الحقيق .
وتزوج رسول الله ﷺ (مَيْمُونَةَ بنت الحارث بن حَزْن بن بَحِير
ابن هُزَم بن رُوَيْبَةَ بن عبدالله بن هلال بن عامر بن صعصعة) ، زَوْجَهُ إياها
العباسُ بن عبد المطلب ، وأصدقها العباسُ عن رسول الله ﷺ أربعمئة
درهم ، وكانت قبله عند أبي رُهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد وُدَّ
ابن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤي ، ويقال : إنها التي وهبت نفسها
للنبي ﷺ ، وذلك أن خِطْبَةَ النبي ﷺ انتهت إليها وهي على بغيرها ، فقالت :
البعير وما عليه لله ولرسوله . فأنزل الله تبارك وتعالى : (وامرأة مؤمنةٌ إِنْ
وَهَبَتْ نفسها للنبيِّ إِنْ أَرَادَ النبيُّ أَنْ يَسْتَكِحَهَا) . ويقال : إن التي وهبت نفسها
للنبي زينب بنت جحش . ويقال : أم شريك غزيرة بنت جابر بن وهب ،
من بني منقذ بن عمرو بن مُعَيْص بن عامر بن لؤي . ويقال : بل هي امرأة
من بني سَامَةَ بن لؤي ، فَأَرْجَاهَا ^(١) رسول الله ﷺ .

وتزوج رسول الله ﷺ (زينبَ بنت خزيمةَ بن الحارث بن عبدالله
ابن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة) وكانت تسمى أمَّ
المساكين ؛ لرحمتها إياهم ورقتها عليهم ، زَوْجَهُ إياها قَبِيصَةُ بن عمرو الهلالي ،
وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمئة درهم ، وكانت قبله عند عُبيدةُ بن الحارث
ابن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكانت قبل عُبيدة عند جَهْم بن عمرو بن
الحارث ، وهو ابن عمها .

فهؤلاء اللاتي بنى بهنَّ رسول الله ﷺ ، إحدى عشرة . فمات قبله
منهن اثنتان : خديجة بنت خويلد ، وزينب بنت خزيمة ، وتوفي عن تسع
ذكرناهن في أول الحديث .

واثنتان لم يدخل بهما : أسماء بنت النُّعْمَان الكِنْدِيَّة ، تزوّجها فوجد بها
يَبَاضاً ، فمَتَّعَهَا وردّها إلى أهلها . وعمرة بنت يزيد الكلابية ، وكانت حديثه

(١) أي أخر أمرها .

عَهْدٍ بِكَفْرِ ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ استعاذت من رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « مَنِيعٌ عَائِدُ اللَّهِ » فردّها إلى أهلها . ويقال : إن التي استعاذت من رسول الله ﷺ كنديةٌ ، بنتُ عمِّ لأسماء بنت النعمان . ويقال : إن رسول الله ﷺ دعاها فقالت : إنا من قوم تُوتَى ولا نَأْتِي ! فردّها رسول الله ﷺ إلى أهلها .

* * *

(القرشيات) من أزواج النبي ﷺ ست : خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ، وعائشة بنت أبي بكر بن أبي قُحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي . وَحَفْصَةُ بنتُ عُمَرَ بن الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العزى ابن عبد الله بن قُرْط بن رياح بن رِزاح بن عديّ بن كعب بن لؤي ، وأمُّ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي . وأمُّ سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي . وسودة بنت زَمْعَةَ بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِثْل بن عامر بن لؤي .

و (العربيات غيرهن) سبع : زينب بنت جحش بن رثاب بن يَعْمَر بن عَبْرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دُودان بن أسد بن خزيمه . وميمونة بنت الحارث بن حَزْن بن بَحِير بن هُزَم بن رُويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصْفَةَ بن قيس بن عيلان . وزَيْنَبُ بنتُ خُزَيْمَةَ بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية . وجُويرية بنت الحارث ابن أبي ضَرَار الخزاعية ثم المصطلقية . وأسماء بنت العمان الكندية . وعمرة بنت يزيد الكلاية .

(من غير العربيات) صفية بنت حيي بن أخطب ، من بني النضير .

عدنا إلى ذكر شكوى رسول الله

ﷺ

قال ابن إسحاق :

حدثني يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهري ؛ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبي ﷺ ، قالت : فخرج رسول الله ﷺ يمشي بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن عباس ، ورجل آخر ، عاصباً رأسه ، تَحُطُّ قدماه حتى دخل بيتي . قال عبيد الله : فحدثت هذا الحديث عبد الله بن العباس ، فقال : هل تدري من الرجل الآخر ؟ قال : قلت : لا . قال : علي بن أبي طالب . ثم عُمر^(١) رسول الله ﷺ واشتدَّ به وجعه ، فقال : « هَرِّقُوا عَلَيَّ سَبْعَ قَرَبٍ مِنْ آبَارِ شَتَّى ، حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى النَّاسِ فَأَعْهَدَ إِلَيْهِمْ » . قالت : فأقعدها في مِخْضَبٍ^(٢) لحفصة بنت عُمر ، ثم صببنا عليه الماء ، حتى طفق يقول : « حَسْبُكُمْ حَسْبُكُمْ ! ! » . وقال الزُّهْرِيُّ :

حدثني أيوب بن بشير ، أن رسول الله ﷺ خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول ما تكلم به أنه صَلَّى على أصحاب أحد ، واستغفر لهم ، فذكر الصلاة عليهم ، ثم قال : « إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ » . ففهمها أبو بكر ، وعرف أن نفسه يُريد ، فبكى ، وقال : بل نحن نَفْدِيكَ بأنفسنا وأبنائنا ! فقال : « على رسلك يا أبا بكر » ثم قال : « انظُرُوا هَذِهِ الْأَبْوَابَ اللَّافِظَةَ فِي الْمَسْجِدِ^(٣) فَسُدُّوْهَا إِلَّا بَيْتَ

(١) غمر ، بالبناء للمجهول : أصابته غمرة المرض .

(٢) المِخْضَب : شبه الإِجَانة يغسل فيها الثياب .

(٣) اللاَظفة في المسجد : أي النافذة إليه .

أبي بكر ^(١) فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا كَانَ أَفْضَلَ فِي الصُّحْبَةِ عِنْدِي يَدًا مِنْهُ .

وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل سعيد بن المعلّى :
أن رسول الله ﷺ قال يومئذ في كلامه هذا : « فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ
الْعِبَادِ خَلِيلًا لَأَتَّخِذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، وَلَكِنْ صَحْبَةً وَإِخَاءً إِيْمَانٍ . حَتَّى يَجْمَعَ
اللَّهُ بَيْنَنَا عِنْدَهُ » .

وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ،
أن رسول الله ﷺ استبطن الناس في بعث أسامة وهو في وجعِهِ ، فخرج عاصباً
رأسه حتى جلس على المنبر ، وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة : أَمْرٌ غَلَامًا
حَدَّثًا عَلَى جِلَّةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ! فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو له أَهْلٌ .
ثم قال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، أَنْفِذُوا بَعَثَ أُسَامَةَ ، فَلَعَمْرِي لَنْ قُلْتُمْ فِي إِمَارَتِهِ لَقَدْ قُلْتُمْ
فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ؛ وَإِنَّهُ لَخَلِيقٌ لِلْإِمَارَةِ ، وَإِنْ كَانَ أَبُوهُ لَخَلِيقًا لَهَا » .
ثم نزل رسول الله ﷺ ، وانكمش الناس في جَهَازِهِمْ ^(٢) ، واستعزَّ ^(٣)
برسول الله ﷺ وجعُهُ ، فخرج أسامة ، وخرج جيشُهُ معه ، حتى نزلوا
الْجُرْفَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى فَرَسٍ ، فَضْرَبَ بِهِ عَسْكَرَهُ ، وَتَنَاقَشَ إِلَيْهِ النَّاسُ ،
وَتَقَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَقَامَ أُسَامَةُ وَالنَّاسُ لِيَنْظُرُوا مَا اللَّهُ قَاضٍ فِي رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ .

قال الزهريُّ : وحدثني عبد الله بن كعب بن مالك ، أن رسول الله ﷺ
قال ، يَوْمَ صَلَّى وَاسْتَغْفَرَ لِأَصْحَابِ أَحَدٍ وَذَكَرَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا ذَكَرَ مَعَ مَقَالَتِهِ
يَوْمَئِذٍ : « يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، اسْتَوْصُوا بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا ، فَإِنَّ النَّاسَ يَزِيدُونَ

(١) قال ابن هشام : « وَيُرْوَى إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ » .

(٢) انكمشوا : أسرعوا وجدوا .

(٣) استعز به : غلبه واشتد عليه .

وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد ، وإنهم كانوا عيبي^(١) التي أويت إليها .
فأحسنوا إلى مُحسنهم ، وتجاوزوا عن مُسيئهم » .

ثم نزل رسول الله ﷺ ، فدخل بيته وتأمَّ به وجعه حتى غُمِر^(٢) .
فاجتمع إليه نساء من نسائه : أم سلمة وميمونة ، ونساء من نساء المسلمين ،
منهن أسماء بنت عُميس ، وعنده العباس عمه ، فأجمعوا على أن يُلْدُوهُ^(٣)
وقال العباس : لَأَلْدَنَّهُ .

فَلْدُوهُ ، فلما أفاق رسول الله ﷺ قال : مَنْ صنعَ هذا بي ؟ قالوا :
يا رسول الله ، عمُّك . قال : هذا دواءٌ أتى به نساءٌ جنَّ من نحو هذه الأرض
- وأشار نحو أرض الحبشة - ولمَ فعلتم ذلك ؟ فقال العباس : خشينا يا رسول
الله أن يكون بك ذات الجنب ، فقال : « إِنَّ ذَلِكَ لَدَاءٌ مَا كَانَ اللَّهُ يُقْذِفُنِي بِهِ ،
لَا يَبْقَى فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ إِلَّا لُدَّ ، إِلَّا عَمِّي » . فلقد لُدَّت ميمونه وإنها لصائمة ،
لقسم رسول الله ﷺ ؛ عقوبة لهم بما صنعوا به .
عن أسامة بن زيد ، قال :

لما ثقل رسول الله ﷺ هبطت وهبط الناسُ معي إلى المدينة فدخلت على
رسول الله ﷺ ، وقد أَصَمَّتَ فلا يتكلَّم ، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم
يضعها عليَّ ، فأعرف أنه يدعو لي !

عن عائشة قالت :

كان رسول الله ﷺ كثيراً ما أسمعُه يقول : « إِنَّ اللَّهَ كَمْ يَقْبِضُ نَبِيًّا حَتَّى
يُخَيِّرَهُ » . قالت : فلما حضر رسول الله ﷺ كان آخر كلمة سمعتها منه وهو
يقول : « بَلِ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ » . قلت : إذاً والله لا يختارنا ، وعرفت
أنه الذي كان يقول لنا : « إِنَّ نَبِيًّا لَمْ يَقْبِضْ حَتَّى يُخَيَّرَ » .

(١) عيبة الرجل : خاصته وموضع سره .

(٢) انظر ما سبق في ص ٣٣٦ .

(٣) لده : سقاه اللدود ، وهو بالفتح : ما يسقاه المريض في أحد شقي فمه .

صلاة أبي بكر رضي الله عنه بالناس

قال الزهري : وحدثني حمزة بن عبد الله بن عمر أن عائشة قالت :
لما استُعِزَّ^(١) برسول الله ﷺ قال : « مَرُّوا أبا بكرٍ فَلْيُصَلِّ بالناس » .
قلت : يا نبيَّ الله ، إِنَّ أبا بكرٍ رجلٌ رقيق ، ضعيفُ الصوت ، كثيرُ البكاء
إذا قرأ القرآن ! قال : « مَرُّوهُ فَلْيُصَلِّ بالناس » . فعدتُ بمثل قولي ، فقال :
« إِنَّكُنَّ صَواحِبُ يوسُفَ فَمَرُّوهُ فَلْيُصَلِّ بالناس » . فوالله ما أقول ذلك إلاَّ
أنِّي كنتُ أحبُّ أن يُصَرَّفَ ذلك عن أبي بكر ، وعرفتُ أنَّ الناس لا يحبون
رجلاً قام مقامه أبداً ، وأنَّ الناسَ سيَتَشَاءَمُونَ به في كلِّ حدثٍ كان ، فكنتُ
أحبُّ أن يصرف ذلك عن أبي بكر .

عن عبد الله بن زَمْعَةَ بن الأسود بن المطلب بن أسد ، قال :
لما استُعِزَّ برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين ، دعاه بِلالٌ
إلى الصلاة ، فقال : « مَرُّوا مَنْ يُصَلِّي بالناس » فخرجت فإذا عمرُ في الناس ،
وكان أبو بكر غائِباً ، فقلت : قُمْ يا عمر فصلِّ بالناس . فقام ، فلما كَبَّرَ سمع
رسول الله ﷺ صوته - وكان عمر رجلاً مُجْهَرًا^(٢) - فقال رسول الله ﷺ :
« فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ ؟ يَأْبَى الله ذلك والمسلمون ، يَأْبَى الله ذلك والمسلمون ! » .
فَبُعِثَ إلى أبي بكر ، فجاء بعد أن صَلَّى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس .

قال عبد الله بن زَمْعَةَ : قال لي عمر : وَيَحَكَ !! ماذا صنعتَ بي يا ابن
زَمْعَةَ ؟ والله ما ظننتُ حينَ أَمَرْتَنِي إلاَّ أَنَّ رسول الله ﷺ أَمَرَكَ بذلك ، ولولا
ذلك ما صَلَّيتُ بالناس . قلت : والله ما أَمَرَنِي رسول الله ﷺ بذلك ، ولكني
حينَ لم أرَ أبا بكرٍ رأيتُكَ أَحَقَّ من حَضَرَ بالصَّلَاةِ بالناس .

قال ابن إسحاق : وقال الزُّهْرِيُّ : حدثني أنس بن مالك :

(١) انظر ما سبق في ص ٣٣٧ .

(٢) مجهراً : أي رفيع الصوت ، يقال : أجهر الرجل ، إذا عرف بشدة الصوت .

أنه لما كان يوم الاثنين الذي قبض الله فيه رسوله ﷺ خرج إلى الناس وهم يصلون الصبح فرجع السّر وفتح الباب ، فخرج رسول الله ﷺ فقام على باب عائشة ، فكاد المسلمون يفتتنون في صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأوه ، فرحاً به ، وتفرّجوا^(١) ، فأشار إليهم : أن اثبتوا على صلاتكم . فتبسم رسول الله ﷺ سروراً لما رأى من هيئتهم في صلاتهم ، وما رأيت رسول الله ﷺ أحسن هيئة منه تلك الساعة . ثم رجع ، وانصرف الناس ، وهم يرون أن رسول الله ﷺ قد أفرق من وجعه^(٢) ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسّح^(٣) .

وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن القاسم بن محمد ، أن رسول الله ﷺ قال حين سمع تكبير عمر في الصلاة : « أين أبو بكر ؟ يأتي الله ذلك والمسلمون » . فلولا مقالة قالها عمر عند وفاته لم يشك المسلمون أن رسول الله ﷺ قد استخلف أبا بكر ، ولكنه قال عند وفاته : إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني^(٤) ، وإن أتركهم فقد تركهم من هو خير مني^(٥) . فعرف الناس أن رسول الله ﷺ لم يستخلف أحدا . وكان عمر غير متهم على أبي بكر .

وحدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مليكة ، قال : لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله ﷺ عاصباً رأسه ، إلى الصّبح^(٦) ، وأبو بكر يصلي بالناس ، فلما خرج رسول الله ﷺ تفرّج الناس ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله ﷺ ، فنكص عن مُصلاه ، فدفع رسول الله ﷺ في ظهره ، وقال : « صل بالناس » . وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه ، فصلى

(١) تفرجوا : ذهب عنهم الغم وانكشف الكرب .

(٢) أفرق من وجعه : برئ واستبل .

(٣) السّح ، بضم فسكون : موضع كان لأبي بكر رضي الله عنه فيه مال ، وكان ينزله بأهله .

(٤) يعني أبا بكر .

(٥) يعني رسول الله عليه الصلاة والسلام . انظر الرياض النضرة للمحب الطبري ٢ : ٧٤ .

(٦) أي إلى صلاة الصبح .

قاعداً عن يمين أبي بكر ، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس فكلمهم رافعاً صوته ، حتّى خرج صوته من باب المسجد يقول : « أَيُّهَا النَّاسُ ، سَعُرَتِ النَّارُ ، وَأَقْبَلَتِ الْفِتْنُ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ ! وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا تَمْسُكُونَ عَلَيَّ بِشَيْءٍ ، إِنِّي لَمْ أَجِلْ إِلَّا مَا أَحَلَّ الْقُرْآنُ ، وَلَمْ أُحَرِّمْ إِلَّا مَا حَرَّمَ الْقُرْآنُ » .

قال : فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه قال له أنس بن مالك أبو بكر : يا نبي الله ، إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضلٍ كما نُحِبُّ ، واليوم يوم بنت خارجة أفاتيها ؟ قال : نعم . ثم دخل رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنْحِ .

عن عبد الله بن عباس قال :

خرج يومئذٍ عليّ بن أبي طالب ، رضوان الله عليه ، على الناس من عند رسول الله ﷺ ، فقال له الناس : يا أبا حَسَن ، كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئاً . فأخذ العباسُ بيده ثم قال : يا عليّ ، أنت والله عَبْدُ الْعَصَا بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفتُ الموتَ في وجه رسول الله ﷺ كما كُنْتُ أَعْرِفُهُ في وجوه بني عبد المطلب ، فانطلقْ بنا إلى رسول الله ﷺ فَإِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِينَا عَرَفْنَاهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا أَمَرْنَاهُ فَأَوْصَى بِنَا النَّاسَ . فقال له عليّ : إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ، وَاللَّهِ لَنْ مُنْعِنَاهُ لَا يُوتِينَاهُ أَحَدٌ بَعْدَهُ ! فَتَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ اشْتَدَّ الضُّحَاءُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

عن عائشة قالت :

رَجَعَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حِينَ دَخَلَ مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَاضْطَجَعَ فِي حِجْرِي ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ آلِ أَبِي بَكْرٍ وَفِي يَدِهِ سِوَاكٌ أَخْضَرُ ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ فِي يَدِهِ نَظْرًا عَرَفْتُ أَنَّهُ يَرِيدُهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتُحِبُّ أَنْ أُعْطِيَكَ هَذَا السِّوَاكُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَأَخَذَتْهُ فَمَضَعَتْهُ حَتَّى لَبِثَتْهُ ، ثُمَّ أُعْطِيَتْهُ إِيَّاهُ ، فَاسْتَنَّْ بِهِ ^(١) كَأَشَدِّ مَا رَأَيْتُهُ يَسْتَنُّْ بِسِوَاكِ قَطُّ ، ثُمَّ وَضَعَهُ ،

(١) أي استاك به .

ووجدتُ رسولَ الله ﷺ يثقلُ في حجري ، فذهبتُ أنظرُ في وجهه ، فإذا بصره قد شَخَصَ ، وهو يقول : « بَلِ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ » . فقلتُ : خَيْرُتَ فَاخْتَرْتَ والذي بَعَثَكَ بالحق ! وقُبِضَ رسولُ الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وحدثني يَحْيَى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : سمعتُ عائشة تقول :

مات رسول الله ﷺ بين سَحْرِي وَنَحْرِي ^(١) وفي دَوْلَتِي ^(٢) ، لم أظلم فيه أحداً ، فَمِنْ سَفْهِي وَحَدَاثَةِ سَنِي أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُبِضَ وهو في حجري ، ثم وَضَعْتَ رَأْسَهُ عَلَى وَسَادَةٍ ، وَقَمْتَ أَلْتَدِمُ ^(٣) مع النساءِ وَأَضْرِبُ وَجْهِي . عن أبي هريرة ، قال :

لما تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ قام عمر بن الخطاب فقال : إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تُوُفِّيَ ؛ وَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاللَّهِ مَا مَاتَ ، وَلَكِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى رَبِّهِ كَمَا ذَهَبَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ ، فَقَدْ غَابَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ قِيلَ : قَدْ مَاتَ . وَاللَّهِ لَيَرْجِعَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا رَجَعَ مُوسَى ، فَلْيُقَطَّعَنَّ أَيْدِي رَجَالٍ وَأَرْجُلُهُمْ زَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ . قال : وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد - حين بلغه الخبر - وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفتْ إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة ، ورسولُ الله ﷺ مُسَجًى ^(٤) في ناحية البيت ، عليه بُرْدٌ حَبَرَةٌ ^(٥) ، فأقبل حتى كشفَ عن وجه رسول الله ﷺ ، ثم أقبل عليه فقبَّله ، ثم قال :

(١) السحر : الرثة وما يتصل بها إلى الحلقوم ، وهو بفتح فسكون أو بضم فسكون . والنحر : أعلى الصدر .

(٢) في دولتي : تريد في نوبتها التي كانت لها .

(٣) ألتدم : أضرب صدري .

(٤) مسجى : مغطى .

(٥) هو ضرب من ثياب اليمن .

بأبي أنت وأمي ، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذُقْتُهَا ، ثم لن تصيبك بعدها
موتة أبداً ! ثم ردَّ البردَ على وجه رسول الله ﷺ ، ثم خرج وعمرُ يكلمُ الناس ،
فقال : على رِسْلِكَ يا عمر ، أنصت . فأبى إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر
لا يُنصتُ أقبَلَ على الناس ، فلما سمع الناسُ كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ،
فحمِدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيُّها الناس ، إِنَّهُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ
اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ . ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ
فَلَنُيْزِرَنَّ اللَّهُ شِئْنًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

قال : فوالله لكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ
يَوْمَئِذٍ ، وَأَخَذَهَا النَّاسُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ ، فَإِنَّمَا هِيَ فِي أَفْوَاهِهِمْ .

فقال أبو هريرة : قال عمر : فوالله ما هو إلا أن سمعتُ أبا بكرٍ تلاها
فَعُقِرْتُ^(١) حَتَّى وَقَعْتُ إِلَى الْأَرْضِ مَا تَحْمِلُنِي رِجْلَايَ ، وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ قَدْ مَاتَ .

وَمَحَازُ ذِكْرِ يَوْمِ الْأَسْوَءِ

أمر سقيفة بني ساعدة

قال ابن إسحاق :

ولما قبضَ رسول الله ﷺ انحاز هذا الحيُّ من الأنصار إلى سعد بن عُبادة
في سقيفة بني ساعدة ، واعتزل علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة
بن عبيد الله في بيت فاطمة ، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبي بكر ، وانحاز
معهم أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ في بني عبد الأشهل ، فَأَتَى آتٍ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرُ فَقَالَ :
إِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ مَعَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ قَدْ انْحَاذُوا
إِلَيْهِ ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ بِأَمْرِ النَّاسِ حَاجَةٌ فَأَدْرِكُوا النَّاسَ قَبْلَ أَنْ يَتَفَاقِمَ أَمْرُهُمْ ،

(١) عقرت ، بالبناء للمجهول : دهشت وتحيرت .

ورسول الله ﷺ في بيته لم يُفرغ من أمره ، قد أغلق دونه الباب أهله . قال عمر : فقلت لأبي بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار حتى ننظر ما هم عليه .

عن عبد الله بن عباس ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن عوف ، قال - وكنت في منزله بمنى أنتظره وهو عند عمر في آخر حَجَّة حَجَّها عمر ، فرجع عبد الرحمن ابن عوف من عند عمر فوجدني في منزله بمنى أنتظره ، وكنت أقرئه القرآن - فقال لي عبد الرحمن بن عوف : لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك في فلان ، يقول : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً ، والله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فَلَته فَتَمَّت ! قال : فغضب عمر ، فقال إني إن شاء الله لقائمُ العشيَّة في الناس فَمُحَذَّرهم هؤلاء الذين يريدون أن يَغْصِبُوهم أمرهم . قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين ، لا تَفْعَلْ ، فإنَّ الموسم يَجْمَع رَعاع الناس ، وَغَوَّاءَهُمْ^(١) وإنهم هم الذين يَغلبون على قُرْبك حين تقوم في الناس ، وإني أخشى أن تقوم فتقول مقالةً يَطِيرُ بها أولئك عنك كلَّ مَطِيرٍ ، ولا يَعُوها ولا يَضَعُوها على مواضعها ، فَأُمْهَلُ حتى تَقْدَم المدينة ، فإنها دار السنَّة ، وَتَخْلُصَ بأهل الفقه وأشراف الناس ، فتقول ما قلت بالمدينة مَتَمَكِّناً فيعي أهل الفقه مَقَالَتَكَ ، ويضعوها على مواضعها . فقال عمر : أما والله إن شاء الله لا قَوْمَ منْ بذلك أولَ مَقَامٍ أقومه بالمدينة !

قال ابن عباس :

فقدما المدينة في عَقَبِ ذي الحجة ، فلما كان يوم الجمعة عَجَلْتُ الرواح حين زالت الشمس . فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلى ركن المنبر ، فجلست حَذْوَهُ تَمَسُّ ركبتي ركبته ، فلم أَتَشَبْ أن أخرج عمر بن الخطاب ، فلما رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد : لَيَقُولَنَّ العشيَّة على هذا المنبر مقالةً لم يقلها منذ استُخِلَف ! فأنكر عليَّ سعيدُ بن زيد ذلك ، وقال : ما عَسَى أن يقول مما لم يقل

(١) الرعاع : سقاط الناس ، وأصل الغوغاء الجراد ، فشبه سفال الناس به لكثرتهم .

قبله ؟ فجلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذن قام فأثنى على الله بما هو أهله .
ثم قال :

أما بعد ، فإنّي قاتل لكم اليوم مقالة قد قُدِّرَ لي أن أقولها ، ولا أدري
لعلّها بين يديّ أجلي ، فمن عقَلَهَا ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته ،
ومن خَشِيَ أن لا يعيها فلا يحلُّ لأحد أن يكذبَ عليّ . إن الله بعث محمداً ،
وأنزل عليه الكتاب ، فكانَ مما أنزل عليه آيةُ الرجم ، فقرأناها وعَلِمناها
ووعَيْنَناها . ورَجَمَ رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، فأخشي إن طالَ بالناس
زمانٌ أن يقول قاتل ، والله ما نجد الرجم في كتاب الله ؛ فيضلّوا بترك فريضةٍ
أنزلها الله . وإن الرجم في كتاب الله حقٌّ على مَنْ زنى إذا أحصن ، من الرجال
والنساء ، إذا قامت البينة ، أو كان الحبلُ ، أو الاعتراف . ثم إنا قد كنا نقرأ
من كتاب الله : لا تَرْغَبُوا عن آباءكم ، فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم .
ألا إن رسول الله ﷺ قال : « لا تُطْرُوني كما أطْرِيَ عيسى بنُ مريم ، وقولوا
عبدالله ورسوله » . ثم إنّه قد بلغني أن فلاناً قال : والله لو قد مات عمر بن
الخطاب لقد بايعتُ فلانا ! فلا يَغْرَنَّ امرأ أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت
فَلْتَةً فَتَمَّتْ ، وإنها قد كانت كذلك ، إلا أن الله قد وَفَّى شرها ، وليس فيكم
من تَنْقُطع الأُعناق إليه مثلُ أبي بكر ، فمن بايع رجلاً عن غير مَشُورَةٍ من المسلمين
فإنه لا يَبِيعُهُ له هو ولا الذي بايعه تَغَرَّةً أن يُقْتَلَ^(١) . إنه كان من خبرنا - حين
توفي الله نبيه ﷺ - أن الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشrafهم في سقيفة بني
ساعدة ، وتخلّف عنا عليُّ بن أبي طالب والزُّبَيْر بن العوام ومن معهما ، واجتمع
المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت لأبي بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من

(١) أي خوف التغرّة : وهي التغرير . ومعناه إن البيعة حقها أن تقع بعد مشورة واتفاق . فإذا استبد اثنان
دون الجماعة فبايع أحدهما الآخر فذلك تظاهر منهما بشق العصا وإطراح الجماعة . فإن عقد لأحد
بيعة فلا يكون المعقود له واحداً منهما . وليكونا معزولين من الطائفة التي تتفق على تمييز الإمام منها .
لأنه لو عقد لواحد منهما وقد ارتكبا الفعل الشنيع التي أحفظت الجماعة من التهاون بهم والاستغناء
عن رأيهم ، لم يؤمن أن يقتلا . عن لسان العرب (غرر) .

الأنصار . فانطلقنا نُوْمُهُمْ ، حَتَّى لَقِينَا مِنْهُمْ رَجُلَانِ صَالِحَانِ ، فَذَكَرَا لَنَا مَا تَمَّالًا عَلَيْهِ الْقَوْمُ ، وَقَالَا : أَيْنَ تَرِيدُونَ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ؟ قُلْنَا نَرِيدُ إِخْوَانَنَا هَؤُلَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ . قَالَا : فَلَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَقْرِبُوهُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، اقْضُوا أَمْرَكُمْ . قُلْتُ : وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّهُمْ . فانطلقنا حَتَّى أَتَيْنَاهُمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ ، فَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ رَجُلٌ مُزْمَلٌ^(١) ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ . فَقُلْتُ : مَا لَهُ ؟ فَقَالُوا : وَجَعٌ . فَلَمَّا جَلَسْنَا تَشَهَّدَ خُطْبَتَهُمْ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا بَعْدَ فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ وَكِتَابَةُ الْإِسْلَامِ ، وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ رَهْطٌ مَنَا . وَقَدْ دَقَّتْ دَاقَةٌ^(٢) مِنْ قَوْمِكُمْ .

قَالَ : وَإِذَا هُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَحْتَازُونَا مِنْ أَصْلَانَا وَيَغْتَصِبُونَا الْأَمْرَ . فَلَمَّا سَكَتَ أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ وَقَدْ زَوَّرتُ^(٣) فِي نَفْسِي مَقَالَةً قَدْ أَعْجَبْتَنِي ، أُرِيدُ أَنْ أَقْدِمَهَا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ ، وَكُنْتُ أَدَارِي مِنْهُ بَعْضَ الْحَدِّ^(٤) ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : عَلَى رِسْلِكَ يَا عُمَرُ ! فَكْرَهْتُ أَنْ أَغْضِبَهُ ، فَتَكَلَّمْتُ وَهُوَ كَانَ أَعْلَمُ مِنِّي وَأَوْقَرُ ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَكَ مِنْ كَلِمَةٍ أَعْجَبْتَنِي مِنْ تَرْوِيرِي إِلَّا قَالَهَا فِي بَدِيهَتِهِ ، أَوْ مِثْلَهَا ، أَوْ أَفْضَلَ ، حَتَّى سَكَتَ . قَالَ : أَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ فَيَكُمُ مِنْ خَيْرٍ فَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ ، وَلَنْ تَعْرِفَ الْعَرَبُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ : هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا . وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ فَبَايَعُوا أَيُّهُمَا شِئْتُمْ . وَأَخَذَ بِيَدِي وَبَيَّدَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَنَا ، وَلَمْ أَكْرَهُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَهَا . وَكَانَ وَاللَّهِ أَنْ أَقْدَمَ فَتَضْرَبَ عُنُقِي ، لَا يُقَرِّبُنِي ذَلِكَ إِلَى إِثْمٍ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ .

(١) مزمل : ملتف ، تزمّل الرجل ، إِذَا التَفَّ فِي كِسَاءٍ أَوْ نَحْوِهِ .

(٢) الداقة : الجماعة تأتي من البادية إِلَى الْحَاضِرَةِ ، وَهِيَ أَيْضًا الْجَمَاعَةُ تَسِيرُ بِرَفْقٍ .

(٣) زورت مقالة : أعددتها وحسنتها فِي نَفْسِي .

(٤) يريد أَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي أَخْلَاقِهِ بَعْضُ الْحَدِّ ، فَكَانَ جَهْدُ عُمَرَ أَنْ يَدَارِيهِ .

قال : فقال قائل من الأنصار : أنا جُذَيْلُهَا الْمُحَكِّكُ ، وَعُذَيْقُهَا الْمَرْجَبُ^(١) منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش .

قال : فَكَثُرَ اللَّغَطُ ، وارتفعت الأصوات ، حتى تَخَوَّفَتِ الاختلافَ ، فقلت : ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ . فبسط يده ، فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، وَنَزَّوْنَا^(٢) على سعد بن عُبَادَةَ ، فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عُبَادَةَ . فقلت : قتل الله سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ .

قال الزهري : أخبرني عروة بن الزبير ، أن أحد الرجلين اللذين لَقُوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السَّقِيفَةِ عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ ، وَالْآخَرُ مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ أَخُو بَنِي الْعَجْلَانِ ؛ فَأَمَّا عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ فَهُوَ الَّذِي بَلَّغْنَا أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : مَنْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نِعَمَ الْمَرْءُ مِنْهُمْ عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ » . وَأَمَّا مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ فَبَلَّغْنَا أَنَّ النَّاسَ بَكَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَالُوا : وَاللَّهِ لَوَدِدْنَا أَنَّا مُتْنَا قَبْلَهُ ، إِنَّا نَخْشَى أَنْ نَفْتِنَ بَعْدَهُ . قَالَ مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ : لَكِنِّي وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِتَّ قَبْلَهُ ، حَتَّى أَصْدَقَهُ مِيتًا كَمَا صَدَقْتَهُ حَيًّا ! فَقُتِلَ مَعْنُ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، يَوْمَ مَسِيلَةِ الْكَذَابِ . وَحَدَّثَنِي الزَّهْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، قَالَ :

عمر فتكلم قبل أبي بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : إني قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت ، وما وجدتها في كتاب الله ، ولا كانت عهداً عهدته إلي رسول الله ﷺ ، ولكني قد كنت

(١) الجذيل : تصغير جذل ؛ وهو عود ينصب للإبل تحتك به وتستريح إليه . والعرب تضرب به المثل للرجل يستشفى برأيه . والعذيق : تصغير عذق ، وهي النخلة نفسها . والمرجب : الذي تبنى إلى جانبه دعامة ، لكثرة حملة وعزه على أهله ، وهو مضروب به المثل للرجل الشريف المبجل .
(٢) النزو : الوتب .

أَرَى أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَيُدَبَّرُ أَمْرُنَا - يَقُولُ : يَكُونُ آخِرُنَا - وَإِنْ اللَّهُ قَدْ قَدْ أَبْقَى فِيكُمْ كِتَابَهُ الَّذِي بِهِ هَدَى اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ ، فَإِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ هَذَا كَمِ اللَّهُ لَمَا كَانَ هِدَاةً لَهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَمَعَ أَمْرَكُمْ عَلَى خَيْرِكُمْ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ، فَقَوْمُوا فَبَايَعُوهُ .

فَبَايَعَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ بَيْعَتَهُ الْعَامَةَ بَعْدَ بَيْعَةِ السَّقِيفَةِ .

ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ ، فَحَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ عَلَيْكُمْ ، وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَقَوِّمُونِي . الصَّدْقُ أَمَانَةٌ ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ ، وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُرِيحَ ^(١) عَلَيْهِ حَقَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتَّى أَخْذَ الْحَقَّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . لَا يَدْعُ قَوْمُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا ضَرْبَهُمُ اللَّهُ بِالذَّلِّ ، وَلَا تَشْيِيعُ الْفَاحِشَةِ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ . قَوْمُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ .

صه سلم أبو بكر

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَمْشِي مَعَ عُمَرَ فِي خِلَافَتِهِ وَهُوَ عَامِدٌ إِلَى حَاجَةٍ لَهُ وَفِي يَدِهِ الدَّرَّةُ ^(٢) وَمَا مَعَهُ غَيْرِي ، وَهُوَ يَحْدِثُ نَفْسَهُ ، وَيَضْرِبُ وَحْشِيَّ قَدَمِهِ ^(٣) بِدِرَّتِهِ ، إِذِ التَّفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، هَلْ تَدْرِي مَا كَانَ حَمَلَنِي عَلَى مَقَالَتِي الَّتِي قُلْتُ حِينَ تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قُلْتُ : لَا أَدْرِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْتَ أَعْلَمُ . قَالَ : فَإِنَّهُ وَاللَّهِ إِنْ كَانَ الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ، فَوَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأُظَنُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَيَبْقَى فِي أُمَّتِهِ حَتَّى يَشْهَدَ عَلَيْهَا بِآخِرِ أَعْمَالِهَا ، فَإِنَّهُ لِلَّذِي حَمَلَنِي عَلَى أَنْ قُلْتُ مَا قُلْتُ .

(١) أَرَا حَهُ . أَرْجَعَهُ وَرَدَّهُ .

(٢) الدَّرَّةُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّيَاطِ يَضْرِبُ بِهِ ، يَكُونُ لِلْمُلْطَانِ .

(٣) وَحْشِي الْقَدَمِ : جَانِبُهَا الْخَارِجِي .

جهاز رسول الله ﷺ ودفنه

قال ابن إسحاق :

فلما بويع أبو بكر رضي الله عنه أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء .

فحدثني عبدالله بن أبي بكر وحسين بن عبدالله وغيرهما من أصحابنا ، أن علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وقثم بن العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله ﷺ هم الذي ولوا غسله ، وأن أوس بن خوليٍّ أحد بني عوف قال لعلي بن أبي طالب : أئشُدُّكَ الله يا عليَّ وحَظَّنَا من رسول الله ﷺ - وكان أوس من أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بدر - قال : ادخل . فدخل فجلس ، وحضر غُسلَ رسول الله ﷺ ، فأسنده عليُّ بن أبي طالب إلى صدره وكان العباس والفضل وقثم يلقبونه معه ، وكان أسامة ابن زيد وشقران مولاه هما اللذان يَصُبَّانِ الماءَ وعليُّ يغسله ، قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصه يدُلُّكه به من ورائه ، لا يُفَضِّي بيده إلى رسول الله ﷺ ، وعليُّ يقول : بأبي أنت وأمي ، ما أطيبَكَ حَيًّا وميتًا ! . ولم يرَ من رسول الله ﷺ شيءٌ مما يرى من الميت .

عن عائشة ، قالت : لما أرادوا غسل رسول الله ﷺ اختلفوا فيه ، فقالوا : والله ما ندري ، أُجَرِّد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه ؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النومَ حتى ما منهم رجل إلا ذَقَّنه في صدره ، ثم كلَّمهم مُكلِّمٌ من ناحية البيت لا يدرون مَنْ هو : أن اغسلوا النبيَّ وعليه ثيابه . فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه ، يَصُبُّون الماءَ فوق القميص ويدُلُّكونه ، والقميصُ دون أيديهم .

قال ابن إسحاق :

فلما فرغ من غسل رسول الله ﷺ كُفِّنَ في ثلاثة أثواب : ثوبين صُحَارِيِّين^(١)

(١) صحاريين : نسبة إلى صحار ، وهي بلدة من بلاد اليمن . ويقال : هي عمان .

وَبُرْدٍ حَبْرَةٍ أُدْرَجَ فِيهِ إِدْرَاجًا .

عن ابن عباس ، قال :

لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ وكان أبو عبيدة بن الجراح يَضْرَحُ^(١) كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذي يحفر لأهل المدينة فكان يَلْحَدُ^(٢) ، فدعا العباسُ رجلين ، فقال لأحدهما : اذهب إلى أبي عبيدة بن الجراح ، وللآخر : اذهب إلى أبي طلحة ، اللهم خير لرسول الله ﷺ . فوجد صاحبُ أبي طلحة أبا طلحة ، فجاء به ، فلحد لرسول الله ﷺ . فلما فرغ من جَهَاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء وَضِعَ على سريره في بيته ، وقد كان المسلمون يختلفوا في دفنه ، فقال قائل : ندفنه في مسجده ، وقال قائل : بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ » .

فُرع فراش رسول الله ﷺ الذي توفي عليه ، فحُفِرَ له تحته ، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ يُصَلُّونَ عليه أرسالاً^(٣) ، دخل الرجال حتى إذا فرغوا أدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان ولم يَوْمَّ الناسَ على رسول الله ﷺ أحدٌ .

ثم دفن رسول الله ﷺ من وَسط الليل ليلة الأربعاء .

عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صَوْتَ الْمَسَاحِي^(٤) من جَوْفِ الليل من ليلة الأربعاء .

قال ابن اسحاق :

وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ، والفضل بن عَبَّاس ، وَثُمَّ بن عباس ، وَشُقْرَان مولى رسول الله ﷺ .

(١) الضرح : الشق . والضريح : القبر يشق في وسط الأرض شقاً .

(٢) اللحد : الشق يكون في جانب القبر .

(٣) أرسالاً : جماعة بعد جماعة ، الواحد رسل بالتحريك .

(٤) المساحي : جمع مسحاة ، وهي بحفرة من حديد .

وقد قال أوس بن خوليُّ لعلي بن أبي طالب : يا علي أنشدك الله وحَظَّنَا من رسول الله ﷺ ! فقال له : انزل . فنزل مع القوم .
وقد كان مولاه شُقْرَان - حين وُضِعَ رسول الله ﷺ في حُفْرَتِهِ وَبُنِيَ عَلَيْهِ - قد أخذ قطيفةً^(١) قد كان رسول الله ﷺ يلبسها ويفترشها ، فدفنها في القبر ، وقال : والله لا يلبسها أحدٌ بعدك أبداً !

قال : فدفنتُ مع رسول الله ﷺ .
وقد كان المغيرة بن شعبة يدَّعي أنه أحدثُ الناس عهداً برسول الله ﷺ ، يقول : أخذت خاتمي ، فألقيته في القبر ، وقلت : إن خاتمي سقطَ مني وإنما طرحته عمداً لأمسَّ رسول الله ﷺ فأكون أحدثُ الناس عهداً به ﷺ .
عن مِقْسَمِ أَبِي الْقَاسِمِ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ ، عن مولاه عبد الله ابن الحارث ، قال :

اعتمرت مع علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في زمان عمر أو زمان عثمان ، فنزل على أخته أم هانئ بنت أبي طالب ، فلما فرغ من عمرته رجع ، فسكب له غسل فاغتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا : يا أبا حسن ، جئناك نسألك عن أمر نحبُّ أن نخبرنا عنه . قال : أظنُّ المغيرة بن شعبة يحدثكم أنه كان أحدثُ الناس عهداً برسول الله ﷺ . قالوا : أجل ، عن ذلك جئنا نسألك . قال : أحدثُ الناس عهداً برسول الله ﷺ قُمُّ بْنُ عَبَّاسٍ .

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة حدثته قالت :
كان على رسول الله ﷺ خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ^(٢) حين اشتدَّ به وجعه ، قالت : فهو يضعها مرَّةً على وجهه ، ومرة يكشفها عنه ، وهو يقول : « قَاتَلَ اللَّهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ! » ، يَحْذَرُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى أُمِّهِ .

(١) القطيفة : كساء له خمل ، أي أهداب .

(٢) الخميصة : كساء أسود مربع ، له علمان ، أي خطان .

عن عائشة ، قالت :

كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ : أن قال : لَا يُرْكُ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَارٌ .

قال ابن إسحاق :

ولما توفي رسول الله ﷺ عَظُمَتْ به مصيبةُ المسلمين ، فكانت عائشة - فيما بلغني - تقول :

لما تُوفِّي رسول الله ﷺ ارْتَدَّتْ العرب ، واشْرَأَبَتْ اليهودية ^(١) والنصرانية ، وَنَجَمَ النفاق ^(٢) ، وصار المسلمون كالغَنَمِ المَطِيرَةِ ^(٣) في الليلة الشاتية ، لفقد نبيِّهم ﷺ ، حتَّى جمعهم الله على أبي بكر .

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم :

أنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ مَكَّةَ لما تُوفِّي رسول الله ﷺ هَمُّوا بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك ، حتَّى خافهم عَتَابُ بنُ أُسَيْدٍ ^(٤) ، فَتَوَارَى ، فقام سُهَيْلُ بن عمرو ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ ، وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوَّةً ، فمن رَابَّنَا ضَرَبْنَا عَنْقَهُ !

فتراجع الناس ، وكَفُّوا عما هَمُّوا به ، وظهر عَتَابُ بنُ أُسَيْدٍ .

فهذا المقام الذي أراد رسول الله ﷺ في قوله لعمر بن الخطاب « إِنَّهُ عَسَى أَنْ يَقُومَ مَقَامًا لَا تَدُمُّهُ » .

وقال حسان بن ثابت يبيكي رسول الله ﷺ ، فيما حدثنا ابن هشام عن أبي زيد الأنصاري :

بِطَيْبَةِ رَسْمٍ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدٍ مُنِيرٍ وَقَدْ تَعَفُّو الرُّسُومَ وَتَهْمُدُ ^(٥)

(١) اشْرَأَبَ الرجل : صعد عنقه لينظر . ومعناه تطلعت وبرزت .

(٢) نجم النفاق : ظهر وبدا .

(٣) المطيرة : التي أصابها المطر .

(٤) عتاب بن أُسَيْدٍ : كان والي مكة وأميرها حين وفاة النبي ﷺ .

(٥) طيبة بفتح الطاء : اسم للمدينة . والرسم : ما بقي من آثار الدار .

ولا تَمْتَحِي الآيَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ
وواضح آثار وباقى معالم
بها حُجَرَاتُ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطَهَا
مَعَارِفُ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيَهَا
عَرَفْتُ بِهَا رَسَمَ الرَّسُولِ ، وَعَهْدَهُ
ظَلَّلْتُ بِهَا أَبْكَى الرَّسُولَ فَاسْعَدَتْ
يَذَكِّرُنَ آلاءَ الرَّسُولِ وَمَا أَرَى
مُفَجَّعَةً قَدْ شَفَّهَا فَقَدْ أَحْمَدُ
وَمَا بَلَغَتْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَشِيرَةٌ
أَطَالَتْ وَقُوفًا تَذْرِفُ الْعَيْنُ جَهْدَهَا
فَبُورِكَتْ يَا قَبْرَ الرَّسُولِ وَبُورِكَتْ
وَبُورِكَتْ لَحْدُ مِنْكَ ضُمْنٌ طَيِّبًا
تَهِيلُ عَلَيْهِ التُّرْبَ أَيْدٍ وَأَعْيُنُ
لَقَدْ غَيَّبُوا حِلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً
وَرَاخُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَبِيَّهُمْ
يَبْكُونَ مَنْ تَبْكِي السَّمَوَاتُ يَوْمَهُ
وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيَّةُ هَالِكِ

بِهَا مِنْبَرُ الْهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ^(١)
وَرَبْعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلًّى وَمَسْجِدُ
مَنْ اللَّهُ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ
أَتَاهَا الْبَلَى فَالْآيُ مِنْهَا تَجَدَّدُ^(٢)
وَقَبْرًا بِهَا وَارَاهُ فِي التُّرْبِ مُلْحَدُ^(٣)
عُيُونٌ وَمِثْلَاهَا مِنْ الْجَفْنِ تُسْعِدُ^(٤)
لَهَا مُحْصِيًا نَفْسِي فَنَفْسِي تَبْلَدُ
فَظَلَّتْ لآلَاءِ الرَّسُولِ تُعَدُّ^(٥)
وَلَكِنْ لِنَفْسِي بَعْدُ مَا قَدْ تَوَجَّدُ^(٦)
عَلَى طَلَلِ الْقَبْرِ الَّذِي فِيهِ أَحْمَدُ
بِلَادُ ثَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمُسَدَّدُ^(٧)
عَلَيْهِ بِنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنْصَدُّ
عَلَيْهِ وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْعَدُ^(٨)
عَشِيَّةَ عَلَّوْهُ الثَّرَى لَا يُوسَدُ
وَقَدْ وَهَنْتُ مِنْهُمْ ظُهُورٌ وَأَعْضُدُ
وَمَنْ قَدْ بَكَتْهُ الْأَرْضُ فَالنَّاسُ أَكْمَدُ
رَزِيَّةٌ يَوْمَ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدُ^(٩)

(١) تمتحي : تزول . الآيات : العلامات .

(٢) الآي : جمع آية .

(٣) الملحد : الذي يضع الميت في لحده .

(٤) تسعد : تعين والإسعاد : المعاونة .

(٥) شفها : أضعفها وأهزلها .

(٦) العشير : العشر . توجد ، من الوجد ، وهو الحزن .

(٧) ثوى : أقام : المسدد : الذي هدى إلى السداد ، وهو الصواب .

(٨) تهيل : نصب . الأسعد : جمع السعد .

(٩) عدله : ساواه . الرزية : المصيبة .

تَقَطَّعَ فِيهِ مُنْزَلُ الْوَحْيِ عَنْهُمْ
يَذُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يُقْتَدَى بِهِ
إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِمُ الْحَقَّ جَاهِدًا
عَفُوًّا عَنِ الزَّلَّاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ
وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحَمْلِهِ
فَبَيْنَاهُمْ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ بَيْنَهُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ بُحِرُوا عَنِ الْهُدَى
عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُثْنِي جَنَاحَهُ
فَبَيْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ النُّورِ إِذْ غَدَا
فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا
وَأُمْسَتْ بِلَادُ الْحَرَمِ وَحَشًا بِقَاعُهَا
قِفَارٌ أَسْوَى مَعْمُورَةٍ اللَّحْدِ ضَافُهَا
وَمَسْجِدُهُ فَأَلْوَحْشَاتُ لِفَقْدِهِ
وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى لَهُ ثُمَّ أَوْحَشَتْ
فَبَكَى رَسُولَ اللَّهِ يَا عَيْنُ عِبْرَةٌ
وَمَا لَكَ لَا تَبْكِينَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي
فَجُودِي عَلَيْهِ بِالدُّمُوعِ وَأَعْوِي
وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ

وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ يَغُورُ وَيُنْجِدُ^(١)
وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الْخَزَايَا وَيُرْشِدُ
مُعَلِّمٌ صِدْقٍ إِنْ يُطِيعُوهُ يَسْعَدُوا
وَإِنْ يُخْسِنُوا فَاللَّهُ بِالْخَيْرِ أَجْوَدُ
فَمِنْ عِنْدِهِ تَيْسِيرٌ مَا يَتَشَدَّدُ
دَلِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيقَةِ يُقْصَدُ
حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا
إِلَى كَنْفٍ يَحْنُوا عَلَيْهِمْ وَيَمْهَدُ^(٢)
إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصَدُ^(٣)
يُكَيِّبُهُ جَفْنُ الْمُرْسَلَاتِ وَيَحْمَدُ^(٤)
لِغَيْبِهِ مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ تَعَهَّدُ
فَقِيدُ يُكَيِّبُهُ بَلَاطٌ وَغَرَقْدُ^(٥)
خَلَاءٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ
دِيَارٍ وَعَرَصَاتٌ وَرَبْعٌ وَمَوْلِدُ^(٦)
وَلَا أَعْرِفُكَ الدَّهْرَ دَمْعُكَ يَحْمَدُ
عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ^(٧)
لِفَقْدِ الَّذِي لَا مِثْلَهُ الدَّهْرُ يُوجَدُ^(٨)
وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ

(١) يغور : يبلغ الغور ، وهو تهامة وما يلي اليمن . وينجد : يأتي نجدا .

(٢) الكنف : الجانب والناحية .

(٣) أقصده : أصابه فلم يخطئ مقاتله .

(٤) المرسلات : الملائكة .

(٥) ضافها : نزل بها . البلاط : المستوي من الأرض . الغرقد : شجر .

(٦) العرصات : جمع عرصة ، وهي الساحة ، سكن الرء لضرورة الشعر .

(٧) سابغ : كثير فياض . يتغمد : يستر ، والمراد يعم .

(٨) الإعوال : رفع الصوت بالبكاء .

أَعَفَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ
وَأَبْدَلَ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَتَالِدٍ
وَأَكْرَمَ صَيْتاً فِي الْبُيُوتِ إِذَا انْتَمَى
وَأَمْنَعَ ذُرُواتِ وَأَثْبَتَ فِي الْعُلَا
وَأَثْبَتَ فِرْعَاءَ فِي الْفُرُوعِ وَمَنْبِتاً
رَبَاهُ وَلِيداً فَاسْتَمَّ تَمَامُهُ
تَنَاهَتْ وَصَاةُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّهِ
أَقُولُ وَلَا يُلْفَى لِقَوْلِي غَائِبِ
وَلَيْسَ هَوَايَ نَازِعاً عَنْ ثَنَائِهِ
مَعَ الْمُصْطَفَى أَرْجُو بِذَلِكَ جِوَارَهُ

وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلًا لَا يُنْكَدُ (١)
إِذَا ضَنَّ مِعْطَاءً بِمَا كَانَ يُتْلَدُ (٢)
وَأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا يُسَوِّدُ (٣)
دَعَائِمَ عِزِّ شَاهِقَاتِ تُشَيِّدُ (٤)
وَعُوداً غَذَاهُ الْمَزْنُ فَالْعُودُ أَغِيدُ (٥)
عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْرَاتِ رَبُّ مُمَجِّدُ
فَلَا الْعِلْمُ مُحْبُوسٌ وَلَا الرَّأْيُ يُفْنَدُ (٦)
مَنْ النَّاسُ إِلَّا عَازِبُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ (٧)
لَعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أُخْلَدُ
وَفِي نَيْلِ ذَاكَ الْيَوْمِ أَسْعَى وَأَجْهَدُ

* * *

وقال حسان بن ثابت أيضا يبكي رسول الله ﷺ :

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا
كُحِلَتْ مَاقِيهَا بِكُحْلِ الْأَرْمَدِ (٨)
يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى لَا تَبْعَدِ (٩)
غُيِّبْتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ (١٠)
فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ النَّبِيُّ الْمُهْتَدِي

(١) التنكيد : قلة العطاء ، ومعه .

(٢) الطريف : المال المستحدث . يتلد : يكتب قديماً .

(٣) الأبطحي : المسوب إلى أبطح مكة ، وهو مكان سهل متسع .

(٤) الذروات : الأعالي . شاهقات : مرتفعات .

(٥) المزْن : السحاب ، واحده مزنة . أغيد : ناعم مثن .

(٦) يفند : يعاب .

(٧) عازب العقل : بعد عنه عقله .

(٨) المآقي : جمع مأقى ، وهو مجرى الدمع في العين .

(٩) لا تبعد : لا تهلك . أي لبيب ذكرك خالداً .

(١٠) بقيع الغرقد : مقبرة أهل المدينة .

فَظَلِلْتُ بَعْدَ وَقَاتِهِ مُتَبَلِّدًا
أَقِيمُ بَعْدَكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ
أَوْ حَلَّ أَمْرُ اللَّهِ فِينَا عَاجِلًا
فَتَقُومَ سَاعَتُنَا فَنَلْقَى طَيِّبًا
يَا بِكَرٍّ آمِنَةٍ الْمُبَارَكِ بِكَرْهًا
نُورًا أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
يَا رَبِّ فَاجْمَعْنا مَعًا وَنَبِينَا
فِي جَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ فَاكْتُبْهَا لَنَا
وَاللَّهُ أَسْمَعُ مَا بَقِيَتْ بِهَالِكِ
يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ
ضَاقَتْ بِالْأَنْصَارِ الْبِلَادُ فَأَصْبَحُوا
وَلَقَدْ وَلَدْنَاهُ وَفِينَا قَبْرُهُ
وَاللَّهُ أَكْرَمَنَا بِهِ وَهَدَى بِهِ
صَلَّى إِلَهُ وَمَنْ يَحْفُ بِعَرْشِهِ
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ :

وَقَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ يَبْكِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ :

نَبُّ الْمَسَاكِينِ أَنَّ الْخَيْرَ فَارَقَهُمْ
مَعَ النَّبِيِّ تَوَلَّى عَنْهُمْ سَحَرًا (٦)
مَنْ ذَا الَّذِي عِنْدَهُ رَحْلِي وَرَاحِلَتِي
وَرِزْقُ أَهْلِي إِذَا لَمْ يُؤْنِسُوا الْمَطَرَا (٧)

(١) المتبلد : المتحير .

(٢) صبحه : سقاه الصبوح ، وهو شرب الصباح . والأسود : ضرب من الحيات .

(٣) المحض : الخالص . الضريبة : الطبيعة . المحتد : الأصل .

(٤) والله أسمع ، أي أقسم بالله لا أسمع : حذف حرف النفي .

(٥) سواء الملحد ، أي وسط اللحد .

(٦) نبهم ، أي نبئهم وأخبرهم .

(٧) لم يؤنسوا المطر : لم يحسوه .

أَمْ مَنْ نُعَاتِبُ لَا تَحْشَى جَنَادِعَهُ
فَلَيَتَنَا يَوْمَ وَارَوْهُ بِمَلْحَدِهِ
لَمْ يَشْرِكِ اللَّهُ مِنَّا بَعْدَهُ أَحَدًا
ذَلَّتْ رِقَابُ بَنِي النَّجَارِ كُلِّهِمْ

وقال حسان بن ثابت يبيكي رسول الله ﷺ أيضا :

آلَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مَجْتَهِدًا
تَسَالَلَهُ مَا حَمَلْتُ أَنْتَى وَلَا وَضَعْتُ
وَلَا بَرَا اللَّهُ خَلْقًا مِنْ بَرِيَّتِهِ
مِنْ الَّذِي كَانَ فِينَا يُسْتَضَاءُ بِهِ
أَمْسَى نِسَاؤُكَ عَطَلْنَ الْبُيُوتَ فَمَا
مِثْلُ الرَّوَاحِسِ يَلْبَسْنَ الْمَبَاذِلَ قَدْ
يَا أَفْضَلَ النَّاسِ إِنِّي كُنْتُ فِي نَهْرٍ

قال ابن هشام :

عجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق .

وجد بآخر نسخة من الأصول ما نصه :

وهذا آخر الكتاب ، والحمد لله كثيراً ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد
 وآله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الأخيار الراشدين .

أنشدني أبو محمد بن عبد الواحد ، عن محمد بن عبد الرحمن البرقي ،
 قال : أوعب أبو محمد بن عبد الملك بن هشام كتاب السيرة وبحضرته رجال
 من فصحاء العرب فقال :

(١) الجنادع : أوائل الشر . عتا : طعا وزاد .

(٢) الألية : اليمين والحلف . الإفناد : الكذب .

(٣) برا ، أي برأ وخلق .

(٤) المبازل : جمع منزل ، وهو الثوب الذي تبذل فيه .

(٥) الصادي : العطشان .

تَمَّ الكتاب وصار في العَرَض عشرين جزءاً كلها ترضي
كملت بلا لحن ولا خَطَل في الشَّكل والإعجام والقرض
والحمل حتى صَحَّ ناقله بعضُ من العلماء غن بعض

تم تهذيب سيرة ابن هشام في ليلة الخميس ، وهي الليلة الأولى من شهر
رمضان سنة ١٣٧٤ هـ .

والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات .

وكتب

عبد السلام محمد هارون

١ - فهرس السير والمغازي

٤١	قصة بحيرا	١٧	سرد النسب الزكي
٤٣	حرب الفجار	١٨	سياقة النسب من ولد إسماعيل
٤٣	تزويج خديجة	١٨	رؤيا ربيعة بن نصر
٤٥	حديث ورقة بن نوفل		استيلاء أبي كرب تبان أسعد
٤٥	بنيان الكعبة	٢١	على ملك اليمن
٤٧	إخبار الكهان والأخبار والرهبان	٢٤	غلبة الحبشة على اليمن
٤٨	صفة رسول الله ﷺ	٢٥	نزاع أرياط وأبرهة
٤٩	صفته من الإنجيل	٢٦	قصة أصحاب الفيل
٤٩	البعث	٣٠	ذكر ولد نزار بن معد
٥٣	ابتداء تنزيل القرآن	٣٠	أولاد عبد المطلب بن هاشم
٥٣	إسلام خديجة	٣١	والدا رسول الله
٥٣	فترة الوحي	٣١	حفر زمزم
٥٤	أول الناس إسلاما	٣٣	نذر عبد المطلب ذبح ولده
٥٧	الجههر بالدعوة		ذكر ما قيل لآمنة عند حملها
٦٠	قول الوليد بن المغيرة في القرآن	٣٦	بالرسول
٦١	ذكر ما لقي رسول الله من قومه	٣٦	ولادة رسول الله ﷺ
٦٢	إسلام حمزة	٣٧	حديث حليلة
٦٣	قول عتبة بن ربيعة في أمر رسول الله	٣٩	حديث شق الصدر
	ما دار بين رسول الله وبين	٤٠	كفالة جده له
٦٥	رؤساء قريش	٤١	« عمه له

١٠٨	نزول الأمر بالقتال	٦٨	صنيع أبي جهل
١٠٩	الإذن بهجرة المسلمين إلى المدينة	٦٩	خبر النضر بن الحارث
١١٠	هجرة الرسول		ذكر عدوان المشركين على
١١٨	قدوم قباء	٧٠	المستضعفين
١١٦	قدوم المدينة	٧٢	الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة
١٢٢	الخطب والعهود بالمدينة		إرسال قريش إلى الحبشة في
	المؤاخاة بين المهاجرين	٧٣	طلب المهاجرين إليها
١٢٦	والأنصار	٧٧	إسلام عمر بن الخطاب
١٢٧	خبر الأذان	٨٠	خبر الصحيفة
	ذكر من اعتل من أصحاب		ذكر ما لقي الرسول من قومه
١٢٩	رسول الله	٨١	من الأذى
١٣٠	تاريخ الهجرة	٨٦	عودة مهاجرة الحبشة
١٣٠	أول الغزوات	٨٦	حديث نقض الصحيفة
١٣٠	سرية عبيدة بن الحارث		أمر الإراشي الذي باع أبا جهل
١٣١	سرية حمزة إلى سيف البحر	٨٨	إبله
١٣١	غزوة بواط	٨٩	حديث الإسراء
١٣١	غزوة العشيرة	٩٢	قصة المعراج
١٣٢	سرية سعد بن أبي وقاص	٩٤	وفاة أبي طالب وخديجة
١٣٢	غزوة بدر الأولى		سعي الرسول إلى ثقيف يطلب
١٣٢	سرية عبد الله بن جحش	٩٦	النصرة
١٣٥	صرف القبلة إلى الكعبة	٩٨	أمر جن نصيبين
١٣٥	غزوة بدر الكبرى		عرض رسول الله نفسه على
١٥٣	غزوة بني سليم بالكدر	٩٩	القبائل
١٥٣	غزوة السويق	١٠١	بدء إسلام الأنصار
١٥٤	غزوة ذي أمر	١٠٢	بيعة العقبة الأولى
١٥٤	غزوة الفرع من بحران	١٠٣	بيعة العقبة الثانية
١٥٥	أمر بني قينقاع	١٠٨	شروط بيعة العقبة الأخيرة

٢٧٩ سنة ثمان
 ٢٨٠ أمر كعب بن زهير
 ٢٨٥ غزوة تبوك ، سنة تسع
 بعث رسول الله ﷺ
 ٢٩٢ خالد بن الوليد إلى أكميدر دومة
 ٢٩٥ أمر وفد ثقيف وإسلامها
 ٢٩٩ سنة الوفود ونزول سورة الفتح
 ٣٠٠ قدوم وفد بني تميم
 قصة عامر بن الطفيل وأربد بن
 ٣٠٥ قيس في الوفاة عن بني عامر
 ٣٠٧ قدوم الجارود في وفد عبد القيس
 قدوم بني حنيفة ومعهم مسيلمة
 ٣٠٨ الكذاب
 ٣٠٩ أمر عدي بن حاتم
 ٣١٢ قدوم فروة بن مُسيك المرادي
 قدوم عمرو بن معد يكرب في
 ٣١٣ أناس من زبيد
 قدوم الأشعث بن قيس في
 ٣١٥ وفد كندة
 ٣١٦ قدوم صرد بن عبدالله الأزدي
 ٣١٧ قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم
 وصية الرسول معاذاً حين بعثه
 ٣١٩ إلى اليمن
 ٣٢٠ إسلام بني الحارث بن كعب
 ذكر الكذابين مسيلمة الحنفي
 ٣٢٣ والأسود العنسي

سرية زيد بن حارثة إلى القردة ١٥٦
 غزوة أحد ١٥٦
 يوم الرجيع ، في سنة ثلاث ١٧٣
 حديث بئر معونة ، في سنة أربع ١٧٨
 إجلاء بني النضير ، في سنة أربع ١٨٠
 غزوة ذات الرقاع في سنة أربع ١٨٣
 غزوة بدر الآخرة ، في سنة أربع ١٨٦
 غزوة دومة الجندل ، في سنة خمس ١٨٨
 غزوة الخندق ، في سنة خمس ١٨٨
 غزوة بني قريظة ، في سنة خمس ١٩٨
 غزوة بني لحيان ٢٠٧
 غزوة ذي قرد ٢٠٨
 غزوة بني المصطلق ، في سنة ست ٢١٠
 خبر الإفك ٢١٤
 أمر الحديبية ٢٢٠
 بيعة الرضوان ٢٢٥
 أمر الهدنة ٢٢٦
 ذكر المسير إلى خيبر ، سنة سبع ٢٢٩
 قدوم جعفر والمهاجرين من
 الحبيشة ٢٣٥
 عمرة القضاء ، سنة سبع ٢٣٧
 غزوة مؤتة ، سنة ثمان ٢٣٨
 فتح مكة ، سنة ثمان ٢٤٣
 غزوة حنين ، سنة ثمان ٢٦١
 غزوة الطائف سنة ثمان ٢٧٠
 أمر أموال هوازن وسباياها
 وعطايا المؤلفة قلوبهم منها ٢٧٤

٣٢٩	آخر البعوت	٣٢٤	خروج الأمراء والعمال على الصدقات
٣٣٠	ابتداء شكوى رسول الله		كتاب مسيلمة إلى رسول الله
٣٣١	ذكر أزواجه أمهات المؤمنين	٣٢٤	والجواب عنه
٣٣٦	عدنا إلى ذكر شكوى الرسول	٣٢٥	<u>حجة الوداع</u>
	صلاة أبي بكر رضي الله عنه		<u>بعث أسامة بن زيد إلى أرض</u>
٣٣٩	بالناس		فلسطين
٣٤٣	أمر سقيفة بني ساعدة	٣٢٧	خروج رسل رسول الله إلى
٣٤٩	جهاز رسول الله ﷺ ودفنه		الملوك
	مراثي حسان بن ثابت لرسول	٣٢٧	
٣٥٢	الله ﷺ		

٢ - فهرس الأعلام

أ

- آدم عليه السلام ٣١ ، ٩٢ ، ٢٥٨ .
آزر ١٧ .
آكل المرار ٣١٦ .
آمنة بنت وهب ٣١ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٣٥٦ .
أبان بن سعيد بن العاص ٢٢٥ .
إبراهيم عليه السلام ٢٢ ، ٢٧ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٩٠-٩١ ، ٩٤ ، ١٨٩ ، ٢٤٩ .
٢٥٨ .
إبراهيم القاسم ، ابن الرسول ٤٤ ، ٣٣١ .
إبراهيم بن محمد بن علي ٤٨ .
أبرهة الأشرم ٢٥ ، ٢٩ .
إبليس ١١١ ، ١٣٨ .
أبي بن خلف ، أبو عامر ٨٤ ، ١٦٣ ، ١٦٤ .
ابن أبي بن سلول = عبدالله .
أبي بن كعب ١٢٧ .
الأجدع بن مالك ٣١٣ .
أحمد رسول الله ١٢٨ ، ١٧٢ ، ٢٤٣ ، ٣٥٣ ، ٣٥٦ .
أبو أحمد بن جحش = عبد بن جحش .
أحمر ، أو أحмир ، من بني المصطلق ٢١٣ .
أحمر بن الحارث بن مالك ٢٦٢ .

- الأخنس بن شريق الثقفي ٧٣ .
 أخنوخ = إدريس .
 أدد بن مقوم ١٨ .
 إدريس عليه السلام ١٧ .
 أذبل بن إسماعيل ١٨ .
 أذر بن إسماعيل ١٨ .
 الإراشي ٨٨ ، ٨٩ ، ٣٠٦ .
 أربد بن قيس ٣٠٥ - ٣٠٦ .
 أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم ١٦٠ .
 أرفخشد بن سام ١٧ .
 الأرقم بن أبي الأرقم ٥٦ .
 إرم بن ذي يزن ١٩ .
 أروى بنت عبد المطلب ٣١ .
 أزب العقبة (شيطان) ١٠٦ .
 ابن أزيب (شيطان) ١٠٦ .
 أسامة بن زيد بن حارثة ١٥٩ ، ٢١٨ ، ٣٢٧ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٩ .
 أسد بن خزيمه ٣٠ .
 أسد بن فهر ٣٠ .
 أسدة بن خزيمه ٣٠ .
 أسعد بن زرارة ١٠٢ .
 إسفنديار ٦٩ ، ٨٣ .
 أسلم ، غلام بني الحجاج ١٤١ .
 أسماء بنت أبي بكر ، ذات النطاق ٥٦ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ٢٥٤ .
 أسماء بنت سلامة ٥٦ .
 أسماء بنت عميس الخثعمية ٥٦ ، ٢٣٦ ، ٣٣٨ .
 أسماء بنت الخثعمية ٥٦ ، ٢٣٦ ، ٣٣٨ .
 أسماء بنت النعمان الكنديه ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

- إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ١٧ ، ١٨ ، ٣٢ ، ٣٠٠ .
 إسماعيل (ملك من الملائكة) ٩٢ .
 الأسود بن رزن ٢٤٣ .
 الأسود بن عبد الأسد المخزومي ١٤٥ .
 الأسود والد قارب = الأسود بن مسعود .
 الأسود بن كعب الغنسي ٣٢٤ .
 الأسود بن مسعود بن معتب ٢٩٨ ، ٢٩٩ .
 الأسود بن المطلب ٦٥ ، ٨٤ ، ١٤٩ .
 الأسود بن مفصود ٢٧ .
 الأسود بن نوفل بن خويلد ٢٣٦ .
 أسيد ٢٥٨ .
 أسد بن حضير ١٧٠ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٣٤٣ .
 أسيد بن ظهير ١٥٩ ، ٢٠٩ .
 أسيرة بن أبي خارجة ، أبو سليط ١٢٠ .
 الأشعث بن قيس ٣١٥ .
 أشعر بن نبت بن أدد ١٨ .
 ابن الأصداء الهذلي ٨٥ .
 أصيرم بني عبد الأشهل = عمرو بن ثابت .
 الأعمى = ابن أم مكتوم .
 الأقرع بن حابس التميمي ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٣٠٠ .
 ابن أبي الأقلح = عاصم بن ثابت .
 ابن الأكوع = سلمة بن عمرو ٢٠٨ .
 أكيدر دومة ، ابن عبد الملك ٢٩٢ ، ٢٩٣ .
 ابن أكيمة الليثي ٢٩٤ .
 أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص ٢٣٦ .
 أميمة بنت عبد المطلب ٣١ .
 أمين الله ، صلى الله عليه وسلم ٢٦١ .

- أُمينة بنت خلف بن أسعد ٥٦ - ٥٤ ، ٢٣٦ .
أبو أمية = صفوان بن أمية
أمية بن خلف بن وهب ، أبو علي ٦٥ ، ٧٠ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٥ ، ١٣٨ .
١٤١ ، ١٤٨ ، ١٧٥ .
أبو أمية بن المغيرة ٤٧ .
أندرائس ٣٢٩ .
أنس بن مالك ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٩٣ ، ٣٣٩ ، ٣٤٧ .
أنسة ، مولى رسول الله ١٣٨
أنمار بن نزار ٣٠ .
أنيس سائس الفيل ٢٧ ، ٢٨ .
أوبار ٢٠٩ .
أوس بن ثابت بن المنذر ١٢٧ .
أوس بن حجر ١١٨ .
أوس بن خولي ٣٤٩ .
أوس بن عوف ٢٩٥ ، ٢٩٦ .
أوس بن قيظي ١٩٢ ، ٢٠٤ .
إياد بن معد ١٨ .
إياس بن البكير ٥٧ .
أم أيوب ٩٩ .
أبو أيوب الأنصاري = خالد بن زيد .
أيوب بن بشير ٣٣٦ .
أيوب بن عبد الرحمن ٢٠٣ .

ب

- بادية بنت غيلان ٢٧٢ .
بجاد ٢٦٩ .
بحير بن زهير بن أبي سلمى ٢٧٣ .
بحيرا الراهب ٤١ - ٤٣ .

- أبو البخترى بن هشام ٦٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٤١ ، ١٤٧ .
- بديل بن ورقاء الخزاعي ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٥١ .
- أبو براء = عامر بن الطفيل ، عامر بن مالك .
- البراء بن عازب ١٥٩ .
- البراء بن معرور ١٠٤-١٠٦ .
- البراق (الدابة) ٩٠ .
- برزة بنت مسعود الثقفية ١٥٧ .
- أبو برزة الأسلمي ٢٥٦ .
- البرقليطس ، اسم الرسول بالرومية ٤٩ .
- برة بنت عبد العزى ٣١ .
- برة بنت عبد المطلب ، أم أبي سلمة ٣١ ، ٨٦ .
- بريرة مولاة عائشة ٢١٨ .
- بسبس بن عمرو الجهني ١٣٩ ، ١٤١ .
- بشر بن البراء بن معرور ٢٣٣ ، ٢٣٤ .
- بشر بن سفيان الكعبي ٢٢١ ، ٢٢٢ .
- بشير بن عبد المنذر ١٥٤ .
- بطرس الحوارى ٣٢٩ .
- البكائي شيخ ابن هشام ١٨
- بنت أبي بكر = عائشة .
- أبو بكر الصديق ، ابن أبي قحافة ، عتيق ٥٥ ، ٦٢ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٩١ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٦ ، ١٦٤ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ . ٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣١٧ ، ٣٣٢ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ - ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ .
- أبو بكر بن عبد الله بن أبي مليكة ٣٤٠ .
- أبو بكر الهذلي ٣٢٧ .

البكير بن عبد يا ليل ٥٧ .

بلال مولى أبي بكر = بلال بن رباح .

بلال بن رباح مولى أبي بكر ٧٠ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٨٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٥٨ ، ٣٣٩ .

بولس ٢٢٩ .

بيحرة بن فراس ١٠٠ ، ٢٦٦ ، ٢٥١ .

البيضاء (بغلة الرسول) ٢٨٤ ، ٣٠٢ .

ت

تارح = آزر .

تبان أسعد ٢١ .

تبع = تبان أسعد .

تميم بن أسد .

توماس ٣٢٩ .

تيرح بن يعرب ١٨ .

تيم بن غالب ٣٠ .

تيم بن مرة ٣٠ .

ث

ثابت بن اقرم ٢٤١ .

ثابت بن قيس بن الشماس ٢١٣ ، ٣٠١ ، ٣٣٣ .

الثعلب (بعير) ٢٢٥ .

ثعلبة بن سعية ٣٠٤ .

ابن ثلماء ٣٢٩ .

ثمامة بن أثال ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

ثور بن يزيد ٣٩ .

ج

- أبو جابر = عبدالله بن عمرو بن حرام .
جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ١٧١ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢٠٨ ، ٢٢٥ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ .
الجارود بن عمرو بن حنش ٣٠٧ ، ٣٠٨ .
جارية بني مؤمل ٧١ .
جبار بن سلمى ٣٠٤ .
جبريل عليه السلام ٥٠ - ٥٢ ، ٥٤ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١١٢ ، ١٤٧ ، ١٩٨ ، ٢٦١ .
جبله بن الحنبل ٢٦٥ .
جبير بن مطعم بن عدي ١٠٨ ، ١٦٠ ، ١٦٧ .
الجد بن قيس ٢٢٦ ، ٢٨٦ .
جعفر بن أبي طالب الطيار ، ذو الجناحين ٥٥ ، ٥٦ ، ٧٣ ، ٧٥ - ٧٦ ، ١٢٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ - ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٧٥ .
الجلال بن طلحة ١٦٢ .
ابنا الجلندي ٣٢٨ .
أم جميل بنت حرب بن أمية ، حمالة الحطب ٨٢ .
أبو جندل بن سهيل بن عمرو ٢٢٧ ، ٢٢٨ .
جهجاه بن مسعود الغفاري ٢١٠ .
أبو جهل ، أبو الحكم عمرو بن هشام ، ابن الحنظلية ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٨٧ .
جهم بن عمرو بن الحارث ٣٣٤ .
جهم بن قيس ٢٣٦ .
جوبرية بنت الحارث بن أبي ضرار ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ .
جيفر بن الجلندي ٣٧٥ .

ح

- حابس والد الأقرع ٢٣٨ .
- حاتم الطائي ٣١٠ .
- بنت حاتم = سفانة .
- بنت الحارث (كيسه) ٢٠٢ .
- الحارث بن الحارث بن كلدة ٢٧٧ .
- الحارث بن حرب بن أمية ١٠٧ .
- الحارث بن خالد بن صخر ٢٣٦ .
- الحارث بن ربيعي ، أبو قتادة ٢٠٩ ، ٢٦٧ .
- الحارث بن زمعة ١٤٩ .
- الحارث بن أبي شمر ٢٧٤ ، ٣٢٨ .
- الحارث بن الصمة ١٦٤ ، ١٧٩ .
- الحارث بن أبي ضرار ٢١٠ ، ٣٣٣ .
- الحارث بن عامر بن نوفل ١٤١ .
- الحارث بن عبد قيس ٢٣٦ .
- الحارث بن عبد كلال ٣١٧ .
- الحارث بن عبد المطلب ٣٠ ، ٣١ .
- الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري ١٨٩ ، ١٩٢ .
- الحارث بن فهر ٣٠ .
- الحارث بن كلدة ٢٧٣ ، ٢٧٧ .
- الحارث بن مالك ٢٦٤ .
- الحارث بن هشام بن المغيرة ١٥٧ ، ٢٥٩ .
- حاطب بن أبي بلتعة ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٣٢٨ .
- حاطب بن الحارث ٥٦ .
- حاطب بن عمرو ٥٦ .
- أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس . ٢٣٦ ، ٣٣٢ .
- الحباب بن المنذر ١٤٣ ..

- الحبحاب بن يزيد ٣٠٠ .
- حبيب بن إساف ١١٩ .
- حبيب بن عمرو بن عمير ٩٧ .
- حبيب بن عيينة بن حصن ٢٠٩ .
- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ٢٤٦ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ .
- حجل بن عبد المطلب ٣١ .
- حجير بن أبي إهاب ١٧٥ .
- ابن أبي حدر = عبد الله .
- أبو حذيفة بن عتبة ٥٦ ، ٧٢ ، ١٢٧ ، ١٤٧ .
- حذيفة بن اليمان ، أبو عبد الله ١٢٧ ، ١٩٦ ، ١٩٧ .
- حرام بن ملحان ١٧٩ .
- ابن حرب = أبو سفيان ١٧١ .
- حرب بن أمية .
- حسان بن تبار أسعد ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ .
- حسان أخو أكيدر دومة ٢٩٢ .
- حسان بن ثابت الأنصاري ٣٦ ، ١٧٨ ، ١٩٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٤٢ ، ٢٦٠ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ .
- الحسن البصري ٩٠ ، ٢٠٦ .
- حسن بن علي بن أبي طالب ٢٤٧ .
- حسين بن عبد الله ٣٤٩ .
- حصن ، والد عيينة ٢٧٨ .
- الحصين بن عبد الرحمن ١٦٦ .
- ابن الحضرمي = عمرو .
- خطاب بن الحارث ٥٦ .
- أبو حفص = عمر بن الخطاب .
- حفصة بنت عمر بن الخطاب ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ .
- الحكم بن أبي العاص ٨٥ .

- الحكم بن عمرو بن وهب ٢٩٦ .
الحكم بن كيسان ١٣٣ ، ١٣٤ .
أبو الحكم بن هشام = أبو جهل .
أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب ٣١ .
أم حكيم بنت الحارث بن هشام ١٥٧ ، ٢٥٦ .
حكيم بن حزام بن خويلد ٥٥ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٧٧ .
أبو حكيم = زمعة بن الأسود ١٤٩ .
الحليس بن زبان ١٦٧ ، ٢٢٣ .
حليمة بنت أبي ذؤيب ٣٧ - ٣٨ .
حمالة الحطب = أم جميل .
حمامة ، أم بلال ٧٠ .
حمزة بن عبد الله بن عمر ٣٣٩ .
حمزة بن عبد المطلب ، هاشم ، أسد الله ، أبو عمار ٣٠ ، ٤٤ ، ٦٢ ، ٦٣ ،
٧٨ ، ٨٠ ، ٩٥ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٦٠ ،
١٦١ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ٢٤٣ .
حمئة بنت جحش ١٦٩ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ .
حناطة الحميري ٢٧ .
أبو حنظلة = أبو سفيان ٢٥١ .
حنظلة بن أبي عامر ، الغسيل ١٦٢ .
ابن الحنظلية = أبو جهل ١٤٤ .
الحويرث بن نقيذ ٢٥٦ ، ٢٥٧ .
حويطب بن عبد العزى ٣٧٧ .
الحيسمان بن عبد الله ١٤٩ .
حي بن أخطب النضري ١٥٣ ، ١٨٢ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ .

خ

- بنت خارجة ٣٤١ .
خارجة بن زهير ١٢٧ .

- خارجة بن زيد ١١٩ ، ١٢٠ .
- خالد بن البكير ٥٦ ، ١٧٤ .
- خالد بن زيد ، أبو أيوب الأنصاري ١٢١ ، ١٢٧ ، ٢٣٤ .
- خالد بن سعيد بن العاص ٥٦ ، ٢٣٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣١٣ .
- خالد بن معدان الكلاعي ٣٩ .
- خالد بن الوليد ١٥٩ ، ٢٢١ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٦٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٢٠ - ٣٢١ .
- خباب بن الأرت ٥٦ ، ٧٨ - ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣ .
- خبيب بن عدي ١٧٤ - ١٧٧ ، ١٩٢ ، ٢٠٧ .
- خديجة بنت خويلد ، أم المؤمنين ٤٣ ، ٤٥ ، ٥١ - ٥٣ ، ٥٥ ، ٩٤ ، ١٥١ ، ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ .
- خراش بن أمية الخزاعي ٢٢٤ .
- خزيمة بن مدركة ٣٠ .
- الخضراء (اسم كتيبة الرسول) ٢٥٣ .
- ابن الخطاب = عمر .
- ابن خطل = عبدالله .
- خلاد بن سويد ٢٠٦ .
- خنيس بن حذافة السهمي ٥٦ ، ٣٣٢ .
- خوات بن جبير ١٩١ .
- خويلد بن أسد ٤٤ ، ٣٣١ .
- خويلة بنت حكيم السلمية ٢٧٢ .
- أبو خيثمة ٢٨٧ - ٢٨٩ .

د

- داعس الخزرجي ١٨١ .
- داود عليه السلام ٢٧٣ ، ٣٨٣ .
- بو دجانة = سماك بن خرشة .
- دحية بن خليفة الكلبي ٢٣١ ، ٣٢٨ .

أبو الدرداء ١٢٧ .

دريد بن الصمة ٢٦٢ ، ١٦٣ .

دما بن إسماعيل ١٨ .

دوس ذو ثعلبان ٢٤ .

ذ

ذات النطاق ، أسماء بنت أبي بكر ١١٥ .

أبو ذر الغفاري ١٢٧ ، ١٨٤ ، ٢٩١ .

ذو الجناحين = جعفر بن أبي طالب .

ذو الخمار = سبيع بن الحارث ، عوف بن الربيع .

ذو رعين الحميري ٢٣ .

ذو الغصة = قيس بن الخصين .

ذو نفر ٢٦ ، ٢٧ .

ذو نواس = زرعة .

ذو وزن ٢٠ .

ابنة أبي ذؤيب = حليلة .

ذؤيب بن الأسود بن رزن ٢٤٣ .

ر

راعو بن فالخ ١٧ .

رافع ، أحد الموالى ٢٤٥ .

أبو رافع مولى رسول الله ٢٣٨ .

رافع بن خديج ١٥٩ .

رافع بن مالك .

الربيع بن أبي الحقيق ١٨٢ .

ابنا ربيعة = شبابة وعتبة .

ربيعة بن الحارث ٣١٦ .

ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ٣٢٦ .

ربيعة بن عباد ٩٩ .

- ربيعة بن نزار ٣٠ .
- ربيعة بن نصر ١٨ ، ٢١ .
- الرحمن ، لقب مسيلمة ٦٧ .
- ابن الرداء (جمل) ١١٨ .
- رستم الشيد ٦٩ ، ٨٣ .
- أبو رغال ٢٧ .
- رفاعة بن زيد بن التابوت ٢١٢ .
- رفاعة بن سموأل القرظي ٢٠٣ .
- رفيدة الأسلمية ٢٠١ .
- رقية بنت رسول الله ٤٤ ، ٧٢ .
- رقية بنت أبي سلمة ٣٣٢ .
- رملة بنت أبي سفيان = أم حبيبة .
- رملة بنت أبي عوف ٥٦ .
- الرميصاء = أم سليم بنت ملحان .
- أبو رهم بن عبد العزى ٤٣٤ .
- أبو رهم العفاري = كلثوم بن الحصين .
- ابن رواحة = عبد الله .
- الروح ، وروح القدس = جبريل ٢٦١ .
- أبو رويحة ١٢٧ .
- ريحانة بنت عمرو بن خناقة ٢٠٤ .
- ريطة بنت منبه بن الحجاج ١٥٧ .

ز

- الزبرقان بن بدر التميمي ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣٢٤ .
- ابن الزبيري = عبد الله .
- الزبير بن عبد المطلب ٣١ .
- الزبير بن العوام ٥٦ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ١٢٧ ، ١٤١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ٢٣٢ ، ٢٤٨ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ .

- زرعة ذو نواس ٢٤ .
- زرعة ذو يزن ٣١٧ ، ٣١٩ .
- زمنة بن الأسود بن المطلب ، أبو حكيم ٦٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٤١ ، ١٤٩ ،
- زنيرة ٧١ .
- زهرة بن كلاب ٣٠ .
- الزهري = محمد بن مسلم .
- زهير بن أبي أمية بن المغيرة ٨٧ ، ٨٨ .
- زهير بن أبي سلمى ١١١ .
- زهير أبو صرد ٢٧٤ .
- زياد بن السكن ١٦٣ .
- زياد بن لبيد ١٢٠ ، ٣٢٤ .
- زيد بن أرقم ٢١٠ - ٢١٢ .
- أبو زيد الأنصاري ٣٥٢ .
- زيد بن ثابت ١٥٩ .
- زيد بن حارثة ٥٥ ، ٩٤ ، ١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٤٨ ، ١٥٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ،
- ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٣٣٢ .
- زيد بن الدثنة ١٧٥ .
- زيد بن سهل ، أبو طلحة ٢٣٠ ، ٢٦٧ ، ٣٥٠ .
- زيد بن كلاب = قصي بن كلاب .
- زيد بن اللصيت القينقاعي ٢٩٠ .
- زينب بنت رسول الله ٤٤ ، ١٥٠ .
- زينب بنت جحش ٢١٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ .
- زينب بنت الحارث ٢٣٣ .
- زينب بنت خزيمة ، أم المساكين ٣٣٤ .
- زينب بنت أبي سلمة ٣٣٢ .
- زينب بنت أبي هالة ٣٣١ .

س

- سابور بن خرزاد ٢١ .
سارة مولاة بني عبد المطلب ٢٥٦ ، ٢٥٧ .
ساروغ بن راعو ١٧ .
سالم بن عمير ٢٨٧ .
سام بن نوح ١٧ .
سامة بن لؤي ٣٠ .
السائب بن عثمان بن مظعون ٥٦ .
سباع بن عبد العزى الغبشاني ، أبو نيار ١٦١ ،
أبو سبرة بن أبي رهم ٧٢ .
سبيع بن الحارث ، ذو الخمار ٢٦٢ ، ٢٦٨ .
سراقة بن مالك ، بن جعشم ١١٦ - ١١٧ ، ١٣٨ .
سطيح ١٩ - ٢٠ .
سعاد ٢٨٢ ، ٢٨٥ .
سعد بن خيثمة ١١٩ .
سعد بن الربيع ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٦٨ .
سعد بن زيد الأنصاري ٢٠٩ .
أبو سعد بن أبي طلحة ١٦٢ .
سعد بن عباد بن دليم ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢١٧ ، ٢٧٨ ،
٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ .
سعد بن معاذ بن النعمان ، أبو عمرو ١٢٧ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٧٠ ، ١٩١ -
١٩٢ ، ٢٠١ - ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٩٣ .
سعد بن أبي وقاص ٥٦ - ٥٧ ، ١٣١ - ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٦٤ ، ٢٢٨ .
سعيد بن جبير ٧٢ .
سعيد بن حريث المخزومي ٢٥٦ .
سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص ٢٣٦ .
أبو سعيد الخدري ٩٢ ، ١٦٣ ، ٢٧٨ ، ٣٢٤ .

- أبو أبي سعيد الخدرى = مالك بن سنان .
- سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ٥٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ١٢٧ ، ٢٠٣ ، ٣٢٠ .
- سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي ١٨٦ .
- سعيد بن عبيد ٢٧٢ .
- سعيد بن المسيب ٩١ .
- سعيد بن المعلى ٣٣٧ .
- سعيد بن يربوع بن عنكثة ٢٧٧ .
- سفانة بنت حاتم ٣١٠ ، ٣١١ .
- أبو سفيان بن الحارث ٢٥٠ ، ٢٦٧ .
- أبو سفيان بن حرب ، أبو حنظلة ٦٥ ، ٩٥ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤١ -
- ١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٧١ ،
- ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٥ - ١٩٧ ، ٢٢٥ ،
- ٢٤٦ - ٢٤٧ ، ٢٥٠ - ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٧٧ ، ٢٩٧ -
- ٢٩٨ ، ٣٣٢ .
- السكران بن عمرو ٣٣٢ .
- سلافة بنت سعد بن شهيد ١٦٢ ، ١٧٤ .
- سلام بن أبي الحقيق النضري ١٨٢ ، ١٨٨ .
- سلام بن مشكم ١٥٣ ، ٣٣٢ .
- سلمان الفارسي ١٢٧ .
- أبو سلمة = عامر بن ربيعة .
- أبو سلمة = عبد الله بن عبد الأسد ..
- أم أبي سلمة = برة .
- سلمة بن الأكوع = سلمة بن عمرو .
- أم سلمة هند بنت أبي أمية ، زوج الرسول ٧٤ ، ٢٥٠ ، ٢٧١ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ،
- ٣٣٥ ، ٣٣٨ .
- سلمة بن سلامة بن وقش ١٢٧ ، ١٣٩ ، ١٤٩ .
- سلمة بن أبي سلمة ٣٣٢ .

- أبو سلمة بن عبد الأسد ٥٦ ، ٧٢ ، ٨٦ ، ٣٣٢ .
- أبو سلمة بن عبد الرحمن ١٢٢ .
- سلمة بن عمرو بن الأكوع السلمي ٢٠٩ ، ٢٣٢ .
- سلمة بن نعيم بن مسعود ٣٢٥ .
- سلمى بن الأسود بن رزن ٢٤٤ .
- سلمى بنت عمرو ، أم عبد المطلب ١٢٠ .
- سلمى بنت قيس ٢٠٣ .
- أبو سليط = أسيرة بن خارجة .
- سليط بن عمرو ٥٦ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ .
- سليط بن قيس ١٣٠ .
- أم سليم بنت ملحان ، الرميضاء ٢٣٤ ، ٢٦٧ .
- سماك بن خرشة ، أبو دجاجة ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٨٢ .
- سمرة بن جندب ١٥٩ .
- أبو سنان الأسدي
- أبو سنان بن محصن بن حرثان ٢٠٧ .
- سنان بن وهر الجهني ٢١٠ .
- سهل بن حنيف ١٧٠ ، ١٨٢ .
- سهل بن عمرو ١٢٠ .
- سهلة بنت سهيل ٧٢ .
- السهمي ٢٧٧ .
- سهيل بن بيضاء ٧٢ .
- سهيل بن عمرو ١٢٠ ، ١٤١ ، ١٥٠ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٣٥٢ .
- سودة بنت زمعة بن قيس ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ .
- سويد الخزرجي ١٨١ .
- سويد بن صامت ١٠١ .
- سيمن ٣٢٩ .

ش

- شالغ بن أرفخشذ ١٧ .
- شجاع بن وهب الأسدي ٣٢٨ .
- شداد بن الأسود ، ابن شعوب ١٦٢ .
- شداد بن عبد الله القناني ٣٢١ .
- شرحبيل بن غيلان بن سلمة ٢٩٦ .
- أم شريك = غزية .
- الشعبي ٢٣٥ .
- شعشاء .
- ابن شعوب = شداد بن الأسود .
- شق ١٩ ، ٢٠ .
- شقران ، مولى الرسول ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٤٥١ .
- ابن شهاب الزهري = محمد بن مسلم .
- شيبه بن ربيعة ٦٥ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٤٨ .
- شيبه بن عثمان ٢٦٥ .
- شيث بن آدم ١٧ .
- الشيخ النجدي ١١١ .
- الشيما بنت الحارث بن عبد العزى ٢٦٩ .

ص

- الصديق أبو بكر ٩١ .
- أبو صرد = زهير .
- صرد بن عبد الله الأزدي ٣١٦ ، ٣١٧ .
- صفوان بن أمية ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٧٥ ، ٢٦٤ ، ٢٧٧ .
- صفوان بن المعطل السلمى ٢١٥ .
- صفية بنت حيي بن أخطب ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ .
- صفية بنت شيبه ٢٥٧ .
- صفية بنت عبد المطلب ١٦٨ ، ١٦٩ .

صهيب بن سنان الرومي ٥٧ .
صيفي بن أبي رفاعة ١٥٢ .

ض

ضرار بن الخطاب الشاعر .
ضرار بن عبد المطلب .
ضمضم بن عمرو الغفاري ١٣٥ ، ١٣٧ .

ط

طابخة بن الياس ٣٠ .
أبو طالب بن عبد المطلب ٣١ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ - ٥٩ ، ٧٢ ،
٨١ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ٩٦ .
الطاهر والطيب ، ولد رسول الله ٤٤ .
طعيمة بن عدي بن نوفل ١٤١ .
أبو طلحة = زيد بن سهل .
طلحة بن عبيد الله ٥٦ ، ١٢٧ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ٢٠٨ ، ٣٤٣ .
طيما بن إسماعيل ١٨ .
عاتكة بنت عبد المطلب ٣١ ، ٨٧ ، ١٣٦ ، ١٣٧ .
أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى ١٥٠ - ١٥١ .
العاص بن وائل السهمي ٨٤ .
عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري ١٤٩ ، ١٦٢ ، ١٧٤ .
عاصم بن عمر بن قتادة ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ .
العاصي بن هشام بن المغيرة ١٣٨ .
العاصي بن وائل ٦٥ ، ٨٢ .
عاقل بن البكير ٥٧ .
أبو عامر = أبي بن خلف ، كما في إمتاع الأسماع ١ : ١٢٩ .
أبو عامر الأشعري ٢٦٨ .
عامر بن البكير ٥٦ .
عامر بن الحضمي ١٤٥ .

عامر بن ربيعة أبو سلمة ٥٦ ، ٧٢ ، ١١٠ .
 عامر بن الطفيل ، أبو براء ١٨٠ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ .
 عامر بن فهيرة ٥٦ ، ٧١ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٩ ، ١٧٩ ، ١٨٠ .
 عامر بن لؤي ٣٠ .
 عامر بن مالك بن جعفر ، أبو براء ملاعب الأسنة ١٨٠ .
 عامر بن أبي وقاص .
 عائشة أم المؤمنين ٥٠ ، ٥٦ ، ١١٣ ، ٢٠٣ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ،
 ٢٤٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ،
 ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٤٥٢ .
 عباد بن بشر بن وقش ١٢٧ ، ٢٠٩ ، ٢١١ .
 عباد بن عبدالله الزبير ٣٤٢ .
 عبادة بن الصامت ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١٥٥ ، ٢١٠ .
 ابن عباس = عبدالله .
 عباس بن عبادة بن نضلة ١٠٦ ، ١٢٠ .
 العباس بن عبد المطلب ، أبو الفضل ٣٠ ، ٥٥ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٣٦ ،
 ١٣٧ ، ١٤٧ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٦٦ ، ٣١٦ ، ٣٢٦ ،
 ٣٣٤ ، ٣٣٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ .
 عباس بن مرداس ٢٧٥ ، ٢٧٧ .
 عباية بن مالك ٣٤٠ .
 عبد بن جحش ، أبو أحمد ٥٦ ، ١١٠ ، ٣٣٢ .
 عبد الدار بن قصي ٣٠ .
 عبد الرحمن بن عبد الله ٣٣٧ .
 عبد الرحمن بن عوف ٥٦ ، ١٢٧ ، ١٣٨ ، ٢١٣ ، ٢٢٨ ، ٣٤٤ .
 عبد الرحمن بن عويمر بن ساعدة ١١٨ .
 عبد الرحمن بن كعب ، أبو ليلى ٢٨٧ .
 عبد شمس بن عبد مناف ٣٠ .
 عبد العزى = أبو لهب .

- عبد العزى بن قصي ٣٠ .
- عبد قصي بن قصي ٣٠ .
- عبد الله ، محمد ﷺ ٨٩ .
- عبد الله بن أبي بن سلول ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٩٢ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢٨٨ .
- عبد الله بن أرقط ١١٤ - ١١٨ .
- عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ٦٥ ، ٢٥٠ .
- عبد الله بن أبي بكر ١١٤ ، ١٥١ ، ١٨٢ ، ٢٢٥ ، ٢٥٤ ، ٢٦٦ ، ٢٨٥ ، ٣١٩ ، ٣٤٩ .
- عبد الله بن الثامر ٢٤ .
- عبد الله بن ثعلبة .
- عبد الله بن جبير ١٥٩ .
- عبد الله بن جحش ٥٦ ، ١١٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٦٩ .
- عبد الله بن جدعان ٦٢ .
- عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ٢٣٥ .
- عبد الله بن عم جويرية ٣٣٣ .
- عبد الله بن الحارث بن نوفل ٣٥١ .
- عبد الله بن أبي حدرد ٢٦٤ .
- عبد الله بن حذافة السهمي ٣٢٨ .
- أبو عبد الله = حذيفة بن اليمان .
- عبد الله بن خطل ٢٥٦ .
- عبد الله بن أبي ربيعة ٧٣ - ٧٦ ، ٧٧ ، ١٥٦ .
- عبد الله بن رواحة ١٢٠ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٨٧ ، ٢٣٨ .
- عبد الله بن الزبيري ٢٨٠ .
- عبد الله بن زمعة بن الأسود ٣٣٩ .
- عبد الله بن زيد بن ثعلبة ١٢٨ ، ٣١٩ .
- عبد الله بن سعد ٢٥٥ .

- عبدالله بن سهيل بن عمرو ٢٢٧ .
عبد الله بن شهاب الزهري ١٦٣ .
عبدالله بن طارق ١٧٥ .
عبدالله بن أبي طلحة ٢٦٧ .
عبد الله بن عباس ٦٨ ، ٧٢ ، ٩٥ ، ١١١ ، ١٤٧ ، ١٦٨ ، ١٧٧ ، ٢٣٧ ،
٢٥٩ ، ٣٣٦ ، ٣٤١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ .
عبد الله بن عبد الأسد . ١١٠ .
عبدالله بن عبدالله بن أبي ٢١٢ .
عبد الله بن عبد المطلب ٣١ ، ٣٤ ، ٣٦ .
عبد الله بن عتيق بن عابد ٣٣١ .
عبد الله بن عمر بن الخطاب ١٥٨ .
عبد الله بن عمرو بن حرام ، أبو جابر ١٠٤ .
عبدالله بن عمرو بن العاص ٦١ .
عبدالله بن عمرو المزني ٢٨٧ .
عبد الله بن فراد الزيايدي ٣٢٠ .
عبد الله بن كعب بن عمرو ١٠١ ، ١٤٩ .
عبد الله بن كعب بن مالك ٣٣٧ .
عبد الله بن مسعود ٥٦ ، ٧٧ ، ٩٠ ، ١٤٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ .
عبدالله بن مظعون ٥٦ .
عبد الله بن المغفل ٢٠٩ ، ٢٨٧ .
أم عبد المطلب = سلمى بنت عمرو .
عبد المطلب بن هاشم ، وهو شبيهة ١٧ ، ٢٧ - ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ - ٣٦ ، ٤٠ .
عبد الملك بن عبد الله الثقفي ٨٨ .
عبد الملك عبيد الله ٥٠ .
عبد مناف بن قضي ١٧ ، ٣٠ .
عبد مناة بن كنانة ٣٠ .
عبد ياليل بن عمرو بن عمير ٩٧ ، ٢٩٦ .

- العبيد (فرس) ٢٧٧ .
- عبيد بن زيد ، أبو عياش ٢٠٩ .
- عبيد بن عمير ٥٠ .
- عبيد الله بن جحش ٣٣٣ .
- عبيد الله عبد الله بن عتبة ٣٥١ .
- أبو عبيدة بن الجراح ٥٦ ، ١٢٧ ، ٣٤٦ ، ٣٥٠ .
- عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ٥٦ ، ١٣٠ ، ١٤٥ ، ٣٢٦ .
- أبو عبيدة (معمر بن المثنى) ٢٣٨ ، ٣٥٢ .
- أم عبيس ٧١ .
- عتاب بن أسيد بن أبي العيص ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٢٧٩ ، ٣٥٢ .
- عتبان بن مالك ١١٩ ، ١٢٧ .
- عتبة بن ربيعة ، أبو الوليد ٦٣ - ٦٤ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٣٦ ، ١٤١ ، ١٤٤ - ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦٢ ، ١٨٨ .
- عتبة بن غزوان ١٣٣ ، ١٣٥ .
- عتبة بن مسعود . ٢٣٦ .
- عتبة بن أبي وقاص .
- عتودة غلام أبرهة ٢٥ .
- عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ٣٣١ .
- عثمان بن أبي العاص ٢٩٦ ، ٣٣٩ .
- عثمان بن ربيعة بن أهبان ٢٩٧ .
- عثمان بن طلحة ٢٥٨ .
- عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث ٢٦٨ .
- عثمان بن عبد الله بن المغيرة ١٣٣ ، ١٣٤ .
- عثمان بن عفان ٥٦ ، ٧٢ ، ٢٢٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٣٥١ .
- عثمان بن مظعون الجمحي ٥٦ ، ٧٢ .
- عداس النصراني ٩٨ .
- عدنان بن أدد ١٨ .

- عدي بن حاتم ٣١٠ - ٣١٢ .
- عدي بن حمراء الثقفي ٨٥ .
- عدي بن أبي الزغباء الجهني ١٣٩ ، ١٤١ .
- عدي بن كعب ٣٠ .
- عرباض بن سارية الفزاري ٢٨٧ .
- عروة بن أسماء ١٧٩ .
- عروة بن الزبير ١٠٩ ، ٣٣٧ ، ٣٤٧ .
- عروة بن مسعود الثقفي ٩٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٧٠ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ - ٢٩٩ .
- عروة بن الورد العبسي ١٨٢ .
- عريض ، أبو يسار ١٤١ .
- أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي ١٥٢ ، ١٧٢ .
- عطارد بن حاجب بن زرارة ٣٠٠ ، ٣٠١ .
- عطية القرظي ٢٠٣ .
- العقاب (راية) ١٣٨ .
- عقبة بن الحارث بن عامر ١٧٥ .
- عقبة بن أبي معيط ٨٤ ، ٨٥ ، ١٣٨ ، ١٤٩ .
- عقبة بن نمر ٣١٩ .
- عقيل بن الأسود ١٤٩ .
- عقيل بن أبي طالب ٥٥ ، ٢٤٢ .
- عك بن عدنان ١٨ .
- عكرمة بن أبي جهل ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٥٦ .
- العلاء بن جارية الثقفي ٢٧٧ .
- العلاء بن الحضرمي ٣٢٤ .
- علبة بن زيد ٢٨٧ .
- أبو علي = أمية بن خلف .
- علي بن زيد بن جدعان ٢٨٥ .
- علي بن أبي طالب ، أبو الحسن ، أبو القصم ٤٨ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٨ ، ١١٠ ،

١١٢ - ١١٤ ، ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٦١ ،
١٦٢ ، ١٦٣ - ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٨١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ،
٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٧ - ٢٤٨ ،
٢٥٨ ، ٢٦٦ ، ٢٨٨ ، ٣١١ ، ٣٢٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٩٦ ،
٣٤٩ - ٣٥١ .

علي بن مسعود .

أبو عمار الوائلي ١٨٨ .

عمار بن ياسر ٥٧ ، ٧١ ، ١٢٧ .

عمارة بن حزم ٢٩٠ .

أبو عمارة = حمزة بن عبد المطلب .

عمارة بن المغيرة ٥٩ .

عمارة بن الوليد ٥٩ ..

عمارة بن يزيد بن السكن ١٦٤ .

عمر بن الخطاب ، أبو حفص ٥٦ ، ٧١ ، ٧٧ - ٨٠ ، ٩٤ ، ١١٠ ، ١٢٧ ،
١٢٩ ، ١٣٨ ، ١٤٩ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،
٢١٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ،
٢٥٧ ، ٢٧٢ ، ٣٣٢ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ - ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥١ ،

٤٠٥ .

عمر بن أبي سلمة ٣٣٢ .

عمر بن عمير الثقفي ، أبو مسعود ٨٤ .

عمر بن مولى غفرة ٤٨ .

عمرة بنت علقمة الحارثية ١٦٣ .

عمرة بنت يزيد الكلاية ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

عمرو = أبو جهل .

أبو عمرو = سعد بن معاذ .

عمرو بن أمية الضمري ١٧٩ - ١٨٠ ، ٢٣٦ ، ٣٢٨ .

عمرو بن أمية بن وهب الثقفي ٢٧١ .

- عمرو بن الأهم ٣٠٠ ، ٣٠٤ .
 عمرو بن تبان أسعد ٢٣ .
 عمرو بن ثابت بن وقش ، أصرم بني عبد الأشهل ١٦٦ .
 عمرو بن جحاش بن كعب ١٨١ .
 عمرو بن الجموح ١٦٦ .
 عمرو بن حزم ١٥٩ ، ٣٢٢ .
 عمرو بن الحضرمي ١٣٣ ، ١٤٥ .
 عمرو بن حمام بن الجموح ٢٨٧ .
 عمرو بن خويلد ٣٣١ .
 عمرو بن سالم الخزاعي ٢٤٥ ، ٢٤٦ .
 عمرو بن سعيد بن العاص ٢٣٦ .
 عمرو بن طلة ٢١ .
 عمرو بن العاص بن وائل ٧٣ - ٧٦ ، ٧٧ ، ١٣٥ ، ٣٢٨ .
 عمرو بن عبد الله الضبابي ٣٢١ .
 عمرو بن عبدود ١٤١ ، ١٩٣ ، ٢٠٦ .
 أم عمرو صاحبة عروة بن الورد ١٨٢ .
 عمرو بن عمير الثقفي ، أبو مسعود ٨٤ .
 عمرو بن معد يكرب ٣١٣ - ٣١٥ .
 عمرو بن أم مكتوم ١٥١ .
 أبو عمير = فروة بن مسيك ٣٥٩ .
 عمير بن الحمام ١٣٨ .
 عمير بن أبي وقاص ٥٦ .
 عمير بن وهب الجمحي ١٤٤ ، ٢٧٧ ، ٢٨٩ .
 العنسي = الأسود بن كعب .
 العود (فرس) ١٦٥ .
 عوف بن الحارث ١٤٦ .
 عوف بن الربيع ، ذو الخمار .

- عوف بن لؤي ٣٠ .
 عويم بن ساعدة ١٢٧ ، ٣٤٧ .
 عياذ بن الجئلندي ٣٢٨ .
 عياش بن أبي ربيعة المخزومي ٥٦ ، ١١٠ .
 أبو عياش = عبيد بن زيد .
 عيبر بن شالخ ٣ .
 عيسى بن مريم عليه السلام ٢٤ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٧٦ ، ٩٠ - ٩٢ ، ٣٢٨ ،
 ٣٢٩ ، ٣٤٥ .
 عيلان بن مضر ٣٠ .
 عيينة بن حصن بن بدر الفزاري ١٨٩ ، ١٩٢ ، ٢٠٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ،
 ٢٧٧ ، ٣٠٠ .

غ

- غالب بن فهر ١٩ ، ٣٠ .
 الغرور بن المنذر بن النعمان بن المنذر ٣٠٨ .
 غزية بنت جابر ، أم شريك ٣٣٤ .
 الغفارية ٢٠٩ .
 غيلان بن سلمة ٢٧١ .

ف

- الفارعة بنت عقيل ٢٧٢ .
 فاطمة بنت رسول الله ١٧٠ ، ٢٤٧ ، ٢٥٧ .
 فاطمة بنت الخطاب ٥٦ ، ٧٨ ، ٧٩ .
 فاطمة بنت المجلل ٥٦ .
 فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ١٥٧ .
 فالخ بن عيبر ١٧ .
 فرات بن حيان ١٥٦ .
 فرتن القينة ٢٥٦ .
 فرعون ٩٣ .

- فروة بن عمرو ١٢٠ .
 فروة بن مسيك المرادي ، أبو عمير ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٥ .
 فضالة بن عمير الليثي ٢٥٩ .
 أبو الفضل = العباس بن عبد المطلب ٢٥٢ .
 الفضل بن عباس ٣٣٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ .
 فكية بنت يسار ٥٦ .
 فهر بن مالك ٣٠ .
 فيلبس ٣٢٩ .

ق

- قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب ٢٦٢ ، ٢٩٨ .
 أبو القاسم ، عليه السلام ٥٢ ، ٦٢ ، ١٨١ ، ١٩٩ .
 القاسم بن محمد ٣٤٠ .
 قبيصة بن عمرو الهلالي ٣٣٤ .
 أبو قتادة = الحارث بن ربيعي .
 قثم بن العباس ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ .
 أبو قحافة ، عثمان والد أبي بكر ٥٥ ، ٧١ ، ٢٥٣ ، ٢٨٨ .
 قدامة بن مضعون ٥٦ .
 أبو القصم ، علي بن أبي طالب ١٦١ .
 قصي بن كلاب ١٧ ، ٣٠ ، ٦٦ ، ١١٠ .
 قضاعة بن معد ١٨ .
 قطبة بن قتادة ٢٤٠ .
 قمعة بن الياس ٣٠ .
 ابن قمئة الليثي ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٧ .
 قتص بن معد ١٨ .
 قيذر بن إسماعيل ١٨ .
 قيذم بن إسماعيل ١٨ .
 قيس بن الحارث ٣٠٠ .

- قيس بن الحصين ، ذو الغصة ٣٢١ .
 قيس بن عاصم ٣٠٠ ، ٣٠٤ ، ٣٢٤ .
 قيس بن مخرمة ٣٦ .
 قيس بن مكشوح المرادي ٣١٣ ، ٣١٤ .
 قيصر ملك الروم ٢٥ ، ١٩٢ ، ٢٢٤ ، ٣٢٨ .
 قين بن يانش ١٧ .

ك

- كاهنة بني سعد هذيم ٣٣ .
 أبو كبشة مولى رسول الله ١٣٨ .
 كرز بن جابر الفهري ١٣٢ .
 كسرى ١٩٢ ، ٢٢٤ ، ٣٢٨ .
 كعب بن أسد القرظي ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ .
 كعب بن زهير بن أبي سلمى ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٥ .
 كعب بن زيد ١٧٩ .
 كعب بن لؤي ٣٠ .
 كعب بن مالك ١٠٤ - ١٠٥ ، ١٢٧ ، ١٦٤ ، ٢٣١ - ٢٧٠ ، ٢٨٧ .
 كلاب بن مرة ٣٠ .
 أم كلثوم بنت رسول الله ٤٤ .
 كلثوم بن الأسود بن رزن ٢٤٤ .
 كلثوم بن الحصين ، أبو رهم الغفاري ٢٤٩ ، ٢٩٤ .
 كلثوم بن هدم ١١٩ .
 كنانة بن أبي الحقيق النضري ١٨٨ .
 كنانة بن خزيمة ٣٠ .
 كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ١٨٢ ، ٢٣١ ، ٣٣٤ .
 كنديّة ٣٣٤ .
 كيسة بنت الحارث ٢٠٢ ح .

ل

- أبو لبابة بن عبد المنذر ١٣٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ .
- لبيد بن ربيعة ٣٠٦ .
- لخنيعة ينوف ذو شناتر ٢٤ .
- لقمان ١٠١ .
- ابن لقيم العبسي ٢٣٥ .
- ملك بن متوشلخ ١٧ .
- أبو لهب ، عبد العزى بن عبد المطلب ٣١ ، ٥٩ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ١٠٠ ، ١٣٧ .
- لوط ، عليه السلام ٢٣ .
- لؤي بن غالب ٣٠ .
- أبو ليلي = عبد الرحمن بن كعب .
- ليلى بنت أبي حثمة ٧٢ ، ١١٠ .

م

- ماشي بن إسماعيل ١٨ .
- مالك بن ربيعة ٢٣٦ .
- مالك بن زافلة ٢٣٩ .
- مالك بن سنان ١٦٣ .
- مالك بن عباد ٢٤٣ .
- مالك بن عبادة ٣١٩ .
- مالك بن عمرو الأنصاري ١٥٨ .
- مالك بن عوف النصري ٢٦١ - ٢٦٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ .
- مالك بن أبي قوقل ١٨١ .
- مالك بن كنانة ٣٠ .
- مالك بن مرة الرهاوي ٣١٧ ، ٣١٩ .
- مالك من بني المصطلق ٢١٣ .
- مالك بن النضر ٣٠ .
- مالك بن نويرة ٣٢٤ .

- المأمون ، محمد ﷺ ٢٨١ .
- ماوية مولاة حجير بن أبي إهاب ١٧٥ .
- متوشلخ بن أخنوع ١٧ .
- مجلي بن عمرو الجهني ١٣١ .
- محارب بن فهر ٣٠ .
- أبو محجن الثقفي ٢٧٦ .
- محرز بن نضلة ٢٠٩ .
- محرق ٢٧٣ .
- محمد ﷺ ...
- محمد بن إبراهيم بن الحارث ٣٤٠ .
- محمد بن جعفر بن الزبير ٣٣٧ .
- محمد بن كعب القرظي ١١٢ ، ١٩٦ .
- محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ١٠٠ ، ٢٢٩ ، ٢٨٥ ، ٢٩٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٨ .
- ٣٣٦ ، ٣٣٧ - ٣٣٩ ، ٣٤٧ .
- محمد بن مسلمة ٢٣١ ، ٢٣٢ .
- محمود (فيل الحبشة) ٢٩ .
- محمود بن أسد ١٦٦ .
- محمود بن مسلمة ٢٢٨ ، ٢٣١ .
- محمية بن الجزء ٢٣٦ .
- محيصة بن مسعود ٢٣٣ .
- مخرمة بن نوفل الزهري ١٣٥ ، ٢٧٧ .
- مخشي بن عمرو الضمري .
- مخيريق اليهودي ١٦٥ .
- مدركة بن الياس ١٧ ، ٣٠ .
- مذمم (من تلقيب المشركين) ١٠٦ .
- مرارة بن ربيع ٢٨٧ .
- مرثد بن أبي مرثد الغنوي ١٣٨ ، ١٧٤ ، ١٧٧ .

- مرحب اليهودي ٢٣٢ .
 مرة بن كعب ٣٠ .
 مريم العذراء البتول ٧٦ .
 مسافع بن طلحة ١٦٢ .
 أم المساكين = زينب بنت خزيمة .
 مسطح بن أثاثة ٢١٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
 أم مسطح بنت أبي رهم ٢١٩ ، ٢٢٠ .
 مسعر بن رخیلة ١٨٩ .
 أبو مسعود = عمرو بن عمير .
 مسعود بن عمرو بن عمير الغفاري ٩٧ ، ٢٧٠ .
 مسعود بن القاري ٥٦ .
 مسعود بن معتب ٢٧ .
 مسعود بن هنيذة ١١٨ .
 مسمع بن إسماعيل ١٨ .
 مسيلمة بن حبيب الحنفي الكذاب ، الرحمن ٦٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٤٧ .
 المصطفى ﷺ ٣٥٥ .
 مصعب بن عمير ٧٢ ، ١٠٣ ، ١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٧٠ .
 مضر بن نزار ٣٠ .
 المطعم بن عدي ٥٩ ، ٨٧ .
 المطلب بن أزهري ٥٦ .
 المطلب بن حنطب ١٥٤ .
 المطلب بن عبد مناف ٣٠ .
 معاذ بن جبل ١٢٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ .
 معاذ بن عفراء ١٢٠ .
 معاوية بن أبي سفيان ١٧٦ ، ٢٧٧ .
 معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ١٧٢ .

- أم معبد ١١٦ .
 معبد بن أبي معبد الخزاعي ١٧١ ، ١٨٧ .
 أبو معتب بن عمرو ٢٢٩ .
 معتب بن قشير ١٩٢ ، ٢٣٠ .
 معد بن عدنان ١٨ .
 المعراج (الدابة) ٩٢ .
 معمر بن الحارث ٥٦ .
 معمر بن عبد الله بن نضلة ٢٣٦ .
 معن بن عدي ٣٤٧ .
 المعنق ليموت = المنذر بن عمرو .
 معوذ بن الحارث ١٤٦ .
 معيقب بن أبي فاطمة ٢٣٦ .
 المغيرة بن شعبة ٢٢٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٥١ .
 المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ٣٤ .
 المغيرة بن قصي = عبد مناف .
 المقداد بن عمرو ١٣٩ ، ٢٠٩ .
 مقسم أبو القاسم ٣٥١ .
 المقوقس ملك الإسكندرية ٣٢٨ .
 المقوم بن عبد المطلب ٣١ .
 مقوم بن ناحور ١٨ .
 مقيس بن صيابة ٢١٢ ، ٢٥٦ .
 ابن أم مكتوم الأعمى ٨٥ ، ١٧١ .
 مكحول غلام الرسول ٢٧٠ .
 مكرز بن حفص بن الأخيف ١٥٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ .
 ملاعب الأسنة = عامر بن مالك .
 ملكان بن كنانة ٣٠ .
 أبو مليح بن عروة ٢٩٨ .

- مليح الكندي ١٠٠ .
- منبه (الخزاعي) ٢٤٤ .
- منبه بن الحجاج ٦٥ ، ١٤١ .
- منبه بن عثمان بن عبيد ٢٠٦ .
- منتا ٣٢٩ .
- المنحمن ، اسم الرسول بالسريانية ٤٩ .
- المنذر بن ساوي العبدي ٣٢٨ .
- المنذر بن عمرو ، المعتق ليموت ١٠٧ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٧٩
- منصور بن عكرمة ٨٨ .
- المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة ٣٢٤ .
- المهدي ، محمد ﷺ ٣٥٥ .
- مهليل بن قنين بن يانش ١٧ .
- موسى عليه السلام ٥٢ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٣٩ ، ٢٣٣ ، ٢٦٤ ،
- ٢٨٨ ، ٣٤٢ .
- أبو موسى الأشعري ٢٣٦ ، ٢٦٨ .
- أبو مويهبة مولى الرسول ٣٣٠ .
- ميسرة غلام خديجة ٤٣ - ٤٥ .
- ميشا بن إسماعيل ١٨ .
- ميمونة بنت الحارث بن حزن ٢٣٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٨

ن

- نابت بن إسماعيل ١٨ .
- النابغة الذبياني ١١١ .
- ناحور بن تيرح ١٨ .
- ناحور بن ساروغ ١٧ .
- نافع بن بديل بن ورقاء ١٧٩ .
- نبش بن إسماعيل ١٨ .
- نبيه بن الحجاج ٦٥ ، ١٤١ .

النجاشي ملك الحبشة ٢٥ ، ٢٦ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٢٦٤ ، ٢٣٦ ،
٢٣٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٣ .

النحام = نعيم بن عبد الله .

نزار بن معد ١٨ ، ٣٠ .

نسطاس مولى صفوان بن أمية ١٧٥ .

نسبية بنت كعب ١٠٥ .

النضر بن الحارث بن كلدة ٦٥ ، ٦٩ ، ٨٣ ، ١٤١ ، ١٤٩ .

النضر بن كنانة ٣٠ .

نضلة بن هاشم بن عبد مناف ٨٦ .

النعمان قيل ذي رعين ٣١٧ .

النعمان بن المنذر ١٨ ، ٢٧٤ .

نعيم بن عبد كلال ٣١٧ .

نعيم بن عبد الله ، النحام ٥٦ ، ٧٨ .

نعيم بن مسعود ١٩٤ - ١٩٦ ، ٣٢٥ .

نعيم بن يزيد ٣٠٠ .

نفيل بن حبيب الخثعمي ٢٦ ، ٢٩ .

نمير بن خرشة بن ربيعة ٢٩٦ .

نميلة بن عبد الله ٢٥٦ .

النهدية ٧١ .

نوح بن ملك ١٧ .

نوفل بن خويلد ١٤١ .

نوفل بن عبد الله بن المغيرة ١٣٣ ، ٢٠٦ .

نوفل بن عبد مناف ٣٠ .

نوفل بن معاوية الديلي ٢٤٤ .

أبو نيار = سباع بن عبد العزى .

هـ

هارون بن عمران عليه السلام ٩٣ ، ٢٨٨ .

- هاشم بن عبد مناف ١٧ ، ٣٠ .
 أبو هالة بن مالك ٣٣١ .
 أم هانيء بنت أبي طالب ٢٥٧ .
 هبيرة بن أبي وهب المخزومي ١٩٣ ، ٢٥٧ ، ٢٨٠ .
 هذيل بن مدركة ٣٠ .
 هرقل ٢٣٩ ، ٢٤٠ .
 هرمي بن عبد الله ٢٨٧ .
 أبو هريرة ١٦٦ ، ٣٢٤ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ .
 هشام بن صبابه ٢١٠ ، ٢١٢ .
 هشام بن عروة ١٨٠ ، ٢٣٢ .
 هشام بن عمرو ٨٦ - ٨٨ ، ٢٧٧ .
 هصيص بن كعب ٣٠ .
 هلال بن أمية ٢٨٧ .
 هند بنت أبي أمية = أم سلمة .
 هند بنت عتبة ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ٢٥٤ .
 هند بنت أبي هالة ٣٣١ .
 هوزة بن علي الحنفي ٣٢٨ .
 هوزة بن قيس الوائلي ١٨٨ .
 الهون بن خزيمة ٣٠ .
 أبو الهيثم بن التيهان ١٠٣ .

و

- واقد بن عبد الله التميمي ٥٦ ، ١٣٤ .
 وحشي غلام جبير بن مطعم ١٦١ ، ١٦٦ .
 وديعة ١٨١ .
 ورقة بن نوفل ٤٥ ، ٥٢ ، ٧٠ .
 أبو الوليد = عتبة بن ربيعة .
 الوليد بن عتبة بن ربيعة ١٣٦ ، ١٤٥ .

- الوليد بن عقبة بن أبي معيط ٢١٣ .
الوليد بن المغيرة ، أبو عبد شمس ٤٧ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٨٤ ، ٨٦ .
وهب بن جابر ٢٩٥ .
أبو وهب بن عمرو بن عائذ ٤٦ .

ي

- الياس بن مضر ٣٠ .
ياسر ٧١ .
ياسر اليهودي ٢٣٢ .
ابن يامين بن عمير بن كعب النضري ٢٨٧ .
يانش بن شيث ١٧ .
يحنس الحواربي ٤٩ ، ٣٢٩ .
يحنة بن رؤية ٢٩٢ .
يحيى بن زكريا عليهما السلام ٩٣ .
يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ٣٤٢ .
يخلد بن النضر ٣٠ .
يرد بن مهليل ١٧ .
يزيد بن أبي حبيب المصري ٣٢٨ .
يزيد بن رومان ٢١٣ ، ٢٨٥ .
يزيد بن عبد المدان ٣٢١ .
يزيد بن المحجل ٣٢١ .
يس ٢٩٥ .
يشجب بن نابت ١٨ .
يطور بن إسماعيل ١٨ .
يعرب بن يشجب ١٨ .
يعقوب عليه السلام ٢١٩ .
يعقوب بن عتبة ٣٣٦ .
يعقوبس ٣٢٩ .

يقظة بن مرة ٣٠ .

يهوذا ٣٢٩ .

يودس ٣٢٩ .

يوسف بن يعقوب عليهما السلام ٩٣ ، ٢١٩ ، ٣٢٩ .

يونس بن متى ٩٨ .

٣ - فهرس القبائل والطوائف ونحوها

- | | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| أصحاب المثين ٢٧٧ . | بنو آكل المرار ٣١٦ . |
| بنو الأصفر = الروم ٢٨٦ | الأحاييش ١٥٧ ، ١٦٧ ، ١٩٠ ، |
| الأعاجم ٢٣ ، ٢١٦ . | ٢٢٣ ، ٢٢٥ . |
| بنو أمية ١٢٢ . | الأحلاف ٢٦٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ . |
| الأنصار ٢١ ، ١٠١ - ١٠٢ ، ١٠٥ ، | بنو أبي أحمد ٢٤٨ . |
| ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٧ ، ١٢١ ، | إراش ٨٨ . |
| ١٢٢ - ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، | إراشة ٢٣٩ . |
| ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، | إرم ١٠٢ . |
| ١٤٦ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٨ ، | الأزد ٣١٦ . |
| ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، | أسد بن عبد العزى ٤٦ ، ٢٣٦ ، |
| ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، | ٢٦٠ ، ٣٢٤ . |
| ٢٠٢ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٨ ، | إسرائيل ١٣٩ ، ٢٠٣ ، ٢٢٢ . |
| ٢٢١ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٩ ، | أسلم ٦٢ ، ١١٨ ، ٢٠١ ، ٢٢١ ، |
| ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦١ ، | ٢٣٥ ، ٢٩٤ . |
| ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، | أسيد بن عمرو بن تميم ٣٣١ . |
| ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، | أشجع ٣٢٥ . |
| ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٣٠٨ ، | الأشعريون ١٨ . |
| ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٣ ، | أصحاب السمرة ٢٦٦ . |
| ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥٦ . | أصحاب الفيل ٢٦ ، ٢٩ . |
| الأوس ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، | أصحاب الكهف ٣٢٩ . |

١٢٥ ، ١٥٣ ، ١٩١ ، ٢٠١ ،
 ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٥٥ .
 أوس الله ١٢٢ .
 البربر ٢٢٩ .
 البكاءون ٢٨٧ .
 بكر بن عبد مناة ١٣٨ ، ١٤٣ ،
 ٢٤٣ - ٢٤٤ .
 بكر بن وائل ١٥٦ .
 البكير بن عبد ياليل ٥٧ .
 بلحارث = بني الحارث .
 بلي ٢٣٩ ، ٣١١ .
 بهراء ٢٣٨ .
 بياضة ١٢٠ ، ٢٢٤ .
 التبابعة ١٨ .
 تميم بن مر ٢٣٦ ، ٢٦٠ ، ٢٧٥ ،
 ٣٠٠ .
 تميم بن غالب ٢٥٦ .
 ثعلبة ١٢٥ ، ١٨٣ .
 ثعلبة بن الفطيون ١٦٥ .
 ثقيف ٣٧ ، ٨٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ،
 ٩٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٨ ،
 ٢٧٠ - ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،
 ٢٧٦ ، ٢٩٥ - ٢٩٦ ، ٢٩٨ ،
 ٣٠٠ - ٣٠٢ .
 نمالة ٢٧٦ .
 بنو جحش بن رثاب ١٢٢ .
 جذام ٢٣٩ .

جرهم ٢٢ .
 جشم ١٢٤ ، ١٢٥ ، ٢٦١ .
 جفنة ١٢٥ .
 جلايب قريش ٢١٠ .
 جمع بن عمرو ٤٦ ، ٧٠ ، ٩٧ ،
 ١٢٢ ، ٢٣٦ .
 الجن ٩٩ ، ١١٦ .
 جهينة ٢٨١ .
 الحارث بن الخزرج ١٢٠ ، ١٢٨ ،
 ٢٩٦ ، ٣٤٣ .
 الحارث بن كعب ١٢٤ ، ١٢٥ ،
 ٣٢٠ ، ٣٢١ - ٣٢٢ .
 الحارث بن فهر ٢٣٦ .
 حارثة ١٥٩ ، ٢٠٥ ، ٢٣٣ ، ٢٨٧ .
 الحبشة ، الحبش ١٩ ، ٢٥ - ٢٨ ،
 ٢٩ ، ٧٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٨ .
 بنو الحجاج ١٤١ .
 بنو الحسحاس ٢٦٠ .
 بنو الحضرمي ٢٤٣ .
 بنو أبي الحقيق ٢٣١ .
 حمير بن سبأ ٢٣ - ٢٤ ، ٢١٧ ،
 ٣١٨ .
 حنظلة ٣٢٤ .
 حنيفة ١٠١ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣٢٤ .
 الحواريون ٣٢٨ ، ٣٢٩ .
 خثعم ٣١٦ .
 خزاعة ١٧١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،

بنو سلمة ١٢٧ ، ١٤٦ ، ٢٠٥ ،
 ٢٢٦ ، ٢٧٦ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ .
 سلول ٣٠٥ .
 سليم ١٥٣ ، ١٧٩ ، ٢٤٩ ،
 ٢٥٣ ، ٢٦٠ ، ٢٧٥ .
 سهم بن عمرو ٤٦ ، ٢٣٦ .
 السودان ٢٠ .
 الشطبية ١٢٥ .
 شنوءة ٩٢ ، ٩٣ .
 شهران ٢٦ .
 ضمرة بن بكر ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٨٧ .
 طيء ٢٩٠ ، ٣١٠ ، ٣٢٤ .
 ظفر ١٧٠ .
 عاد ١٠٢ .
 بنو العاص بن سعيد ١٤١ .
 عامر بن صعصعة ١٠٠ ، ١٧٩ -
 ١٨٠ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ .
 عامر بن لؤي ٢٠٦ ، ٢٢٦ ، ٢٣٦ ،
 ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٦٣ ، ٢٧٧ .
 ٣٢٨ .
 عامر بن الياس = مدركة .
 عبد الأشهل ١٦٦ ، ١٧٠ ، ٢٠١ ،
 ٢٠٣ ، ٢٣٥ ، ٣٤٣ .
 عبد الدار بن قصي ٤٦ ، ٧١ ، ١٦٠ ،
 ٢٣٦ ، ٢٦١ .
 بنو عبد الرحمن = المهاجرون
 عبد شمس بن عبد مناف ٢٣٦

٢٢٧ ، ٢٤٣ - ٢٤٥ ، ٢٥١ .
 ٣٣٣ .
 الخزرج ١٠١ - ١٠٢ ، ١٠٥ -
 ١٠٨ ، ١٥٣ ، ٢٠١ ، ٢١٢ ،
 ٢١٧ ، ٢٥٥ ، ٢٦٦ .
 خطمة ١٢٢ .
 دوس ٢٧٠ .
 الدليل ، من بني بكر ٢٤٤ .
 بنو دينار ١٣١ ، ١٧٠ .
 ذو رعين ٣١٧ .
 الركوسية ٣١٢ .
 الروم ، بنو الأصفر ٤٥ ، ٢٣٩ ،
 ٢٤٠ ، ٢٨٥ ، ٣٢٨ .
 زبيد ٢٢٧ ، ٣١٥ .
 زهرة بن كلاب ٤٦ ، ٢٣٦ .
 بنو ساعدة ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،
 ١٧٩ ، ٢٨٩ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ،
 ٣٤٦ .
 سالم بن عوف ١٢٠ .
 سالم بن مالك ١٩٥ ، ١٩٦ .
 سامة بن لؤي ٣٣٤ .
 سبأ ٢٤ .
 سعد بن بكر ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ،
 ٢٦١ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٣٠٠ ،
 ٣٢٤ .
 سعد بن ليث ١٢٢ .
 سعد هذيم ٣٢ .

عبد القيس ١٧٢ ، ٣٠٧ .
 بنو عبد الله = الخزرج ٢٥٥ .
 بنو عبد المطلب ٨١ ، ١٠٠ ، ١٣٧ ،
 ٢٥٦ ، ٢٧٥ .
 بنو عبد مناف ٦٩ ، ٤٦ ، ٧٢ ، ٧٨ ،
 ٨٧ ، ١١٢ ، ٢٥٢ .
 بنو عبيد الله = الأوس ٢٥٥ .
 عتاب بن مالك ٢٩٥ .
 العجلان ٢٤١ ، ٣٤٧ .
 العجم ٩٥ ، ١١٢ ، ٣٢٨ .
 عدي بن كعب ٤٦ ، ٧٨ ، ١٢٢ ،
 ٢٢٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥٠ .
 عدي بن النجار ٤٠ ، ١٢٠ .
 عذرة .
 عضل ١٧٣ ، ١٩٢ .
 عمرو بن حزم ٢٩٠ .
 عمرو بن زرعة ٢٣٥ .
 عمرو بن عامر ٢٦١ .
 عمرو بن عون ١٠٠ ، ١١٨ ، ١١٩ ،
 ١٢٤ ، ١٧٩ ، ٢٨٧ .
 عوف ١٢٤ ، ١٢٥ .
 عوف بن الخزرج ٢٥٩ ، ٣٤٩ .
 عوف بن عامر ١٦٣ .
 غسان ٢٨٥ .
 غطفان ١٥٤ ، ١٨٣ ، ١٨٩ ، ١٩٠ -
 ١٩٢ ، ١٩٥ - ١٩٧ ، ١٩٩ ،

٢٠٣ - ٢٠٨ ، ٢٣٠ .
 غرفة ٤٨ .
 بنو غيرة ، من ثقيف ٢٦٨ .
 فارس ، الفرس ٦٩ ، ٨٣ ، ٣٢٨ .
 آل فرعون ٩٣ .
 فزارة ١٨٩ .
 فهر ٣٠٣ .
 فهم ٢٧٦ .
 القارة ١٧٣ ، ١٩٢ .
 قريظة ١٩٠ ، ١٩٤ - ١٩٧ ، ١٩٧ -
 ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ .
 قضاة ٢٢٥ .
 قنص بن معد ١٨ .
 قيس عيلان ٤٣ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ .
 قبلة ١١٨ ، ١٥٩ .
 القين ٢٣٩ .
 قينقاع ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٨٣ ، ٢٠١ ،
 ٢١٢ .
 بنو كعب ١١٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ .
 كعب بن عوف ٢١٠ .
 كلاب ٢٦٢ ، ٢٦٣ .
 كنانة ٢٧ ، ٤٣ ، ١٣٨ ، ١٥٧ ،
 ١٦٧ ، ١٩٣ ، ٢٤٧ .
 كندة ١٠٠ ، ٢٩٢ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ،
 ٢١٦ .

١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،
 ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ،
 ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ،
 ٢٠١ ، ٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ،
 ٢٢١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ،
 ٢٦٥ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ،
 ٢٨٤ ، ٢٩٤ ، ٣٠١ ، ٣٢٧ ،
 ٣٢٩ ، ٢٣٧ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦ ،
 ٣٤٧ .
 المؤلف قلوبهم ٣٧٧ .
 بنو مؤمل ٧١ .
 ناهس ٢٦ .
 البيت ١٢٣ .
 النجار ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٦ ،
 ٢٢٦ ، ٣٠٨ ، ٣٥٦ .
 نزار ٢٨٥ .
 النساء ٢٦ .
 النصارى ٤٧ ، ٩٦ ، ١٥٥ ، ٣١٠ ،
 نصر ٢٦١ .
 النضر بن كنانة ٣٢٢ .
 النصير ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٨٠ -
 ١٨٣ ، ١٨٨ ، ٣٣٥ .
 هاشم بن عبد مناف ٥٤ ، ٨٠ ، ٨١ ،
 ٨٨ ، ١٤٧ ، ٢٣٦ ، ٣٢٨ .
 الهذليون ٢١ .
 هذيل بن مدركة ٢١ ، ٢٢ ، ٢٧ ،
 ١٧٤ ، ١٧٥ ، ٣٢٥ .

الكهان ٦٩ .
 لحيان ٢٠٧ .
 لخم ٢٣٩ .
 لهب ٤١ .
 ليث ١٨٧ ، ٣٢٥ .
 مازن بن النجار ٢٨٨ .
 مالك ٢٦١ ، ٢٦٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ .
 مالك بن أقيش ١٠٠ .
 مالك بن النجار ١١٩ .
 محارب ١٨٣ .
 مخزوم بن يقظة ٧١ ، ١١٠ ،
 ٢٠٦ ، ٢٥٧ .
 مدليج ١٣٢ .
 مذحج ٣١٣ .
 مراد ٣١٢ ، ٣١٣ .
 مرة ١٨٩ .
 مزينة ٢٣١ ، ٢٥٣ ، ٢٩٥ .
 المصطلق ٢١٠ ، ٢١٢ - ٢١٤ ، ٢٣٣ .
 مضر ١٧٩ .
 المطلب ٥٩ ، ٤٤ .
 مظعون ١٢٢ .
 معافر ٣١٧ .
 معتب ٢٩٨ .
 معد بن عدنان ٢٦١ ، ٣٠٢ .
 المعذرون .
 منقذ بن عمرو بن معيص ٣٣٤ .
 المهاجرون ٧٣ ، ١٠٨ - ١٠٩ ،

ي

آل ياسر ٧١ .

يسار ٢٩٦ .

اليمن (في فهرس البلدان) .

يهود ٣٦ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ١٠١ ،

١٠٢ ، ١٠٦ ، ١١٨ ، ١٢٤ ،

١٢٨ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ،

١٦٥ ، ١٨١ ، ١٨٨ ،

١٨٩ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،

٢٣٠ ، ٢٣٥ .

مصيص ١٤٩ .

هلال ٢٧٥ .

همدان ٣١٢ ، ٣١٧ .

الهند ٣٢٠ .

هوازن ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ،

٢٧٣ ، ٢٧٦ .

و

واقف ١٢٢ ، ٢٨٦ .

وائل ١٢٢ ، ١٨٩ .

٤ - فهرس البلدان والمواضع ونحوها

- | | |
|----------------------------|------------------------------|
| إفريقية ٣٧٧ . | الأبرق ٢٧٣ . |
| أفسوس ٣٧٧ . | الأبطح ١٠٨ ، ١٢٦ ، ٢٥٧ . |
| أمج ٢١ ، ١١٧ ، ٢٣٤ ، ٢٤٩ . | الأبواء ٤١ ، ١٣٠ . |
| أوراشلم ٣٤٣ . | أبين ١٩ ، ٢٠ . |
| أوطاس ٢٦١ ، ٢٦٨ ، ٢٧٣ . | أثافي البرمة ١٣٢ . |
| أولات الجيش ١٣٨ .. | الأجرد ١٢٧ . |
| أيلة ٢٩٢ . | أحد ١٢٧ ، ١٥٧ - ١٥٩ ، ١٦٠ ، |
| إيلياء ٨٩ ، ٣٣٧ . | ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، |
| باب الكعبة ٢٩ ، ٤٥ . | ١٦٩ - ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، |
| بابل ٥٩ ، ٣٠٩ . | ١٨٤ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ٢٠٤ ، |
| البتراء ٢٠٨ . | ٣٣٨ . |
| البحر (بحر القلزم) ٢٩٢ . | الأخدود ٢٣ . |
| بحران ١٣٢ ، ١٦٢ . | الأخضر ٢٩٤ . |
| بحرة الرعاء ٢٧١ . | أذاخر ١٠٧ . |
| البحرين ٢٣ ، ٢٣٨ ، ٣٢٨ . | أذرح ٢٩٢ . |
| بدر ٥٣ ، ١٣٢ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، | الأراك ٣٣٥ . |
| ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، | الأردن ١١٢ . |
| ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، | إساف (صنم) ٣٤ . |
| ١٧٢ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ، | الإسكندرية ٣٢٨ . |
| ٢١٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٩ ، ٢٨٥ ، | الأعرابية ، أرض الحجاز ٣٢٩ . |

٢٩٣ - ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣١٨ ،
 تربان ١٣٨ .
 التنعيم ١٧٥ ، ١٩٨ .
 تهامة ٢٧ ، ١٥٧ ، ١٧٠ ، ١٩٠ ،
 ٢٦٤ ، ٢٧٠ ، ٢٧٧ .
 ثنية العائر ١١٨ .
 ثنية المزار ٢٢٢ .
 ثنية المرة ١٣٠ .
 ثنية الوداع ٢٠٨ ، ٢٨٧ .
 ثور ١١٤ .
 ثيب ١٥٣ .
 جابية الجولان ٣٠٢ .
 الجباب ١٠٧ .
 جبلا طيء ٢٩٠ .
 الجداجد ١١٧ .
 جلة ٤٥ .
 جرباء ٢٩٢ .
 جرش ١٩ ، ٢٧٠ ، ٣١٦ .
 الجرف ٢٧٧ ، ٢٨٨ ، ٣٣٨ .
 جزيرة العرب ٣٥٢ .
 الجعرانة ١١٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ،
 ٢٧٦ ، ٢٧٩ .
 الجمرة الكبرى ٣٥٤ .
 الجو ٢٨٢ .
 الجواء ٢٦٠ .
 الجوشية ٣١٠ .
 الحبشة ٨٠ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٨٦ ،

٣٤٩ .
 البربر ٣٢٩ .
 برك الغماد ١٣٩ .
 بصري ٣٦ ، ٣٩ ، ٤١ .
 بطحاء ابن أزر ١٣١ .
 بطحاء مكة ١٧٢ .
 بعث ١٠١ .
 بقعاء ٢١١ .
 بقيق الغرقد ٢٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٥٥ .
 البلقاء ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ،
 بواط ١٣١ .
 بيت أبي بكر ٣٣٧ .
 البيت الحرام ، بيت الله ٢١ ، ٢٢ ،
 ٢٦ - ٢٩ ، ٦١ ، ٨٨ -
 ٩٢ ، ١٣٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ،
 ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣٧ ، ٢٥٧ ،
 ٢٥٩ ، ٣٠٠ ، ٣١١ ، ٣٥٠ .
 بيت رأس ٢٦٠ .
 بيت عائشة ٣٤٢ .
 البيت المعمور ٩٣ .
 بيت المقدس ٨٩ - ٩٢ ، ٣٢٩ .
 بشر أنا ٢٨٢ .
 بشر الروحاء ١٣٨ .
 بشر الكعبة ٤٥ .
 بشر معونة ١٣٥ ، ١٧٨ .
 بين ٢٠٨ .
 تبوك ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ،

خفية ٢٨٤ .
 الخلائق ١٣٢ .
 الخليفة ، خليفة بني أحمد ٢٤٨
 الخندق ١٥٩ ، ١٧٩ ، ١٨٨ ،
 ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٤ ،
 ٢١٣ ، ٢٠٦
 خير ٣٤ ، ١٨٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٧ ،
 ٢٧٠ .
 خيمتا أم معبد ١١٥ .
 دار بديل بن ورقاء ٢٤٤ .
 دار بني بياضة ١١٩ .
 دار بنت الحارث ٣٠٨ .
 دار بني الحارث بن الخزرج .
 دار رافع ٢٤٤ .
 دار بني ساعدة ١١٩ .
 دار أبي سفيان ٢٥٣ ، ٢٥٤ .
 دار بني عدي بن النجار ١١٩ .
 دار قصي بن كلاب = دار الندوة ١١١
 دار مالك بن النجار ١١٩ .
 دار الندوة ١١١ ، ٢٣٧ .
 الداروم ٣٢٧ ، ٣٢٩ .
 دحنا ٢٧٤ .
 دفاع = اللات ٢٩٨ .
 دومة الجندل ١٨٨ ، ٢٩٢ .
 ذات الأصابع ٢٦٠ .
 ذات أنواط (شجرة) ٢٦٤ .
 ذات الجيش ٣٣٣ .

١٠٨ ، ١١٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣٥ ،
 ٣٣٣ ، ٣٣٨ .
 الحجاز ، الأعرابية ٣٢ ، ٣٤ ،
 ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٥٤ ،
 ٢١١ ، ٣١٣ ، ٣٢٩ .
 الحجر ٢٨٩ .
 حجر الكعبة ٤٧ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٩٠ .
 الحجون ٨٧ .
 الحديدية ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ،
 ٢٢٩ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤ .
 حراء ٥١ .
 الحرم ٢١ ، ٤٤ ، ١٣٣ ، ١٧٥ ،
 ٢٢٨ ، ٢٤٤ ، ٣٠٠ .
 الحرة ١٨٥ .
 حرة بني سليم ١٧٩ .
 حصن ناعم ٢٣٠ .
 حضر موت ٣٢٤ .
 حضن .
 حلية .
 حمراء الأسد ١٧١ - ١٧٢ .
 الحمض ٢٢٢ .
 حنين ١١٧ ، ٢٥٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،
 ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ،
 ٣٠٠ .
 الحيرة ٢١ ، ٦٩ .
 الخرار ١١٨ ، ١٣٢ .
 خطم الحجون ٨٧ .

ذات الرقاع ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ .
 ذباب ٢٨٧ .
 ذنب نقمي ١٩٠ .
 ذو أمر ١٥٤ .
 ذو الحليفة ١٣٨ .
 ذو سلم ١٠٧ .
 ذو صنعاء ٣١٤ .
 ذو طوى ٢٥٠ ، ٢٥٥ .
 ذو الغضوين ١٢٥ .
 ذو قرد ٤١ ، ٢٩٥ .
 ذو كشر ١٥٥ .
 ذو الهدم ٢٩٧ .
 رانوناء ١١٩ .
 الربذة ٢٩١ .
 الرجيع ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ٢٧٧ -
 ٢٩٢ ، ٣١٧ .
 رحقان ١٤٣ .
 الردم ٣١٢ ، ٣١٣ .
 رضوى ١٣١ .
 الركن ٤٧ ، ٥٣ ، ٢٣٧ ،
 ٢٥٧ .
 الركن الأسود ٤٧ ، ٦٩ ، ٢٣٧ .
 الركن اليماني ٤٧ ، ٦٩ ، ٢٣٧ .
 ركوبة ١١٨ .
 الروحاء ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٩ ، ١٧١ .
 رومة ١٩٠ .
 رومية ٣٢٩ .

رئم ١١٧ .
 زغابة ١٨٩ .
 زمزم ٣١ - ٣٣ .
 السافلة ١٤٩ .
 سابة ٢٠٨ .
 السيخة ١٥٧ ، ١٩٣ .
 سجسج ١٣٨ .
 سررد ٢٥١ .
 سرف ١٦٥ ، ٢٣٧ .
 سقوان ١٣٢ .
 سقيفة بني ساعدة ٢٦٧ ، ٣٤٥ - ٣٤٨ .
 السلام (حصن) ٢٣١ .
 سنح ١٩٠ ، ١٩٣ ، ٢٠٨ .
 السنح ٣٤٠ ، ٣٤١ .
 سهام ٢٥١ .
 السیالة ١٣٨ .
 الشام ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤١ ،
 ٥٥ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٩٠ ، ١٠٤ ،
 ١٠٥ ، ١٣٦ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ،
 ١٦١ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ، ٢٠٨ ،
 ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٩٢ ، ٣١٠ ،
 ٣١١ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ .
 شامة ١٢٩ .
 شبكة شذخ ٢٩٤ .
 الشجرة ٢٩٤ ، ٣١١ .
 الشدخة ٢٧١ .
 شعبة عبد الله ١٣٢ .

الشق ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

شكر ٣١٧ .

شوكة ١٣٨ .

الشوط ١٥٨ .

الصادرة (سدره) ٢٧١ .

صخيرات اليمام ١٣٢ ، ١٣٨ ، ٢٠٨ .

صرار ١٨٤ ، ١٨٥ .

الصفاء ٦٢ ، ٧٨ ، ٨٠ .

الصفراء ١٣٨ ، ١٤٩ .

الصمغة ١٥٩ .

صنعاء ٢٦ ، ٢٢٨ ، ٣٢٣ .

الصهباء ٢٣٠ .

الضبوعة ١٣٢ .

ضجنان ١٨٧ .

الضيقه ٢٧١ .

الطاغية (صنم) = اللات ٢٩٧ - ٢٩٨

الطائف ٢٦ ، ٩٦ ، ٩٨ ،

١١٦ ، ١٣٢ ، ١٦١ ،

٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ،

٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ،

٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ .

طفيل ١٢٩ .

طيبة ، المدينة ٣٥٢ .

طيبة ، زمزم ٣١ .

ظفار ٢٠٨ .

الظهران ١٧٥ ، ١٨٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥١

العالية ١٤٠ .

العائر ١١٨ .

العبايد ١١٧ .

عثر ٢٨٢ .

عدن ١٩ .

عذراء ٢٦٠ .

العراق ٢١ ، ٦٦ ، ١٤٠ ، ١٥٦ ،

٢٩٢ ، ٣٥١ .

العرج ١١٨ .

عرق الظبية ١٣٨ ، ١٤٩ .

عريش رسول الله ١٤٦ .

العريض ١٥٤ .

العزى (صنم) ٤٢ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٩٩

عسفان ٢١ ، ١١٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢١ ،

٢٤٦ ، ٢٤٩ .

العشيرة ١٣٢ .

عصر ٢٣٠ .

العقبة ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ،

١٠٨ ، ١١٠ ، ١٣٩ .

العقنقل ١٤٣ .

العقيق ١٣٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .

عكاظ ١٧٢ .

عمان ٣٦٨ .

العيص ١٣١ .

عينين ١٥٧ .

الغابة ٢٠٨ .

الغار ١١٤ .

غراب ٢٠٨ .

كداء ٢٤٥ ، ٢٦٠ .
 الكدر ١٥٣ .
 الكديد ٢٤٩ .
 كراع الغميم ٢٠٨ ، ٢٢١ .
 كشر ٣١٧ .
 الكعبة ٢٦ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٥ ،
 ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٦٢ ، ٦٥ ،
 ٦٩ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٩٦ ،
 ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،
 ٢٥٥ ، ٣٤٨ .
 الكهف ٣٢٩ .
 الكوفة ١٩٦ .
 اللات ، دفاع ، الطاغية (صنم) ٢٦ .
 ٤٢ ، ٧٠ - ٧٢ ، ١٠٠ ، ٢٢٤ ،
 ٢٥٠ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ .
 لقف ١١٧ .
 لية ٢٧١ .
 ماب ٢٣٨ .
 مجنة ١٢٩ ، ١٨٦ ، ٢٧٩ .
 مخيض ٢٠٨ .
 مدلجة تعهن ١١٧ .
 مدلجة لقف ١١٧ .
 مدلجة محاج ١١٧ .
 المدينة (١) .
 مر الظهران ٢٥١ ، ٢٧٩ .
 مرجح ١١٧ .
 مرجح محاج ١١٧ .

غران ٢٠٨ .
 غميس الحمام ١٣٨ .
 الفاجعة ١١٧ .
 فارس ٢١ .
 فج الروحاء ١٣٨ .
 فنج ١٣٠ .
 فذك ٢٣٣ .
 فرش ملل ١٣٢ .
 الفرع ١٣٢ ، ١٥٤ .
 فلسطين ٣٢٧ ، ٣٢٩ .
 فيفاء الخبر ١٣١ .
 القادسية ٣١١ ، ٣١٢ .
 قباء ١١٨ ، ١١٩ .
 قبر الرسول ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ .
 أبو قبيس ١٣٧ ، ٢٥٥ .
 قديد ١١٧ ، ١٨٧ ، ٢١٠ .
 القرودة ١٥٦ .
 قرطاجنة ٣٢٩ .
 قرقرة الكدر ١٥٤ ، ١٨٠ .
 قرن ٢٧٠ .
 القريطان ٨٣ .
 قليب بدر ١٤٨ ، ١٥٦ .
 القليس (كنيسة) ٢٦ .
 القموص (حصن) ٢٣٠ .
 قناة ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٨٠ ،
 ٢٩٦
 الكتيبة ٢٣٣

المريسي ٢١٠ .
 المسجد الأقصى ٨٩ .
 المسجد الحرام ٤٧ ، ٦٢ ، ٦٣ ،
 ٨٢ ، ٨٨ ، ٨٩ - ٩١ ، ١٠٤ ،
 ١٠٨ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ،
 ٢٢٩ ، ٢٣٨ ، ٢٤٥ ،
 ٢٤٧ ، ٢٥٣ - ٢٥٥ ، ٢٥٨ ،
 ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ،
 ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٣ .
 مسجد الطائف ٢٧١ .
 مسجد عصر ٢٣٠ .
 مسجد قباء ١١٩ .
 مسجد المدينة ١١٩ - ١٢١ ، ١٣١ ،
 ١٧٣ ، ١٨٥ ، ١٩٩ ، ٢٣٧ ،
 ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ .
 مشارف ٢٤١ .
 المشترب ١٣٢ .
 المصنونة = زمزم ٣١ .
 المضيق ١٣٨ ، ١٤٩ .
 مضيق الصفراء ١٣٩ - ١٤٩ .
 معان ٢٣٨ .
 المغمس ٢٦ ، ٢٧ .
 مقبرة بني قريظة ٢٠٧ .
 المكتان ٤٥ .
 مكة (١) ...
 ملل ١٣٨ .
 الملبح ٢٧١ .

منى ٩٩ ، ٢٦٧ .

المهراس ١٦٥ .

مهيعة ١٢٩ .

مؤنة ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ - ٢٤٣ .

النازية ١٣٨ ، ١٤٩ .

نائلة ٣٤ .

نجد ١١١ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٧٨ ،

١٨٣ ، ١٩٠ ، ٢٠٢ .

النجدية ١٥٣ .

نجران ٢٠ ، ٢٣ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ .

نخب ٢٧١ .

نخل ١٨٣ ، ١٨٥ .

نحلة ٩٨ ، ١٣٢ ، ٢٦٨ .

نحلة اليمانية ٢٧٠ .

نصيبين ٩٨ .

نطاة ٢٣٣ ، ٢٣٥ .

نقب بني دينار ١٣١ .

نقى ١٩٠ .

المقبع ٢١١ .

نيق العقاب ٢٥٠ .

النيل ٧٧ .

نينوى ٩٧ ، ٩٨ .

هبل (صنم) ٤١ - ١٦٦ .

الهدأة ١٧٤ .

وادي القرى ٢٣٤ .

وادي المشقق ٢٨٥ .

الوتير ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

اليمامة ٦٨ ، ١٤٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ،
٣٢٣ ، ٣٣٦ ، ٣٤٢ .
اليمن ١٨ - ٢٤ ، ٢٩ ، ١٦١ ،
٢٥٦ ، ٢٨٤ ، ٢٩٢ ، ٣١٠ ،
٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ .
ينبع ١٣٢ .

وج ٢٧٠ .
ودان ١٨٧ .
الوطيح ٢٣١ .
يثرب (المدينة) ٢٦ ، ٨٤ ، ١٢٣ ،
١٢٥ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٨٧ ،
٢٠٤ ، ٢٤٢ .
يليل ١٣٢ .

٥ - فهرس الأشعار والأرجاز

٣٠٦	ليبد	ولد	٢٦٠	حسان بن ثابت	خلاء
٣٥٧	حسان	إفناد	٣١٢	فروة بن مسيك	نسائها
١٦٠	هند بنت عتبة	الدار	٢٣١	كعب بن مالك	كعب
٣٥٦	حسان	سحرا	٢٣١	مرحب	مرحب
٢٤٢	حسان	مسهر	٢٤٠	جعفر	واقتر أبها
٢٣٥	عمرو بن معد يكرب	بثفر	٣٠٤	عمرو بن الأهم	تصب
٢٣٥	ابن لقيم	وفقار	٢٤١	عبد الله بن رواحة	تموتي
٢٨٤	كعب بن زهير	الأنصار	٤٥	ورقة بن نوفل	النشيجا
٢٥٦	أخت مقيس	بمقيس	٢٢٠	—	ومسطح
٢٦٣	دريد بن الصمة	جذع	٢٣٨	عبد الله بن رواحة	الزبدا
٢٩٨	—	دفاع	٢٤٥	عمرو بن سالم	محمد
٣٠٢	الزبرقان بن بدر	البيخ	٣٥٢	حسان بن ثابت	وتهمد
٣٠٣	حسان	تتبع	١٥٠	الأسود بن المطلب	السهود
١٧٧	حبيب بن عدي	مجمع	١٥٢	أبو عزة	حميد
٢٧٧	عباس بن مرداس	الأجرع	٣١٤	عمرو بن معد يكرب	رشد
٢٧٠	كعب بن مالك	السيوفا	١١٦	بعض الجن	معبد
١٦٠	هند بنت عتبة	نعانق	٢٥٠	أبو سفيان	محمد
٢٧٣	نير بن زهير	الأبرق	٢٧٥	مالك بن عوف	محمد
١٧٧	حسان	القلق	١٨٧	معبد	محمد
١٢٩	عامر بن فهيرة	ذوقه	٣٥٥	حسان بن ثابت	الأرمد

٢٣٩	عبدالله بن رواحة	وخليل	٢٩	عبد المطلب	حلالك
١٢٩	أبوبكر الصديق	أهله	٢٨٠	كعب بن زهير	هل لك
٢٧٦	أبومحجن الثقفي	سلمة	١٢١	—	يعمل
٢٥٩	فضالة بن عمير	والإسلام	١٧٤	عاصم بن ثابت	عنا بل
٣٠٢	حسان بن ثابت	وراغم	١٢٩	بلال	وجليل
٢٤٠	عبدالله بن رواحة	لتنزلنه	٢٨٢	كعب بن زهير	مكبول
٢٣	ذو رعين	عين	١٩٤	حسان	لم تفعل
٢١٠	عبدالله بن رواحة	وافيا	١٧٢	معبد	الأبابل

تطلب جميع منسوراتنا من
الشركة المتحدة للتوزيع
بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالح
هاتف: ٣٩٠، ٣٩٩ - ص: ٧٤٦ - بريقيا: بيروت - ٤١٦